



لجنة الخبراء  
يمسرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

# لقاع لعيب

تأليف المستشار

محمد عبد الرحمن عيسى

الكتاب الخامس  
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

يشرف على إصدارها  
محمد توفيق عويضة



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

وبعد فهذه صفحات تحصل الأسى والمجد معا

وهى دراسة جديدة تبرز كفاح الشعب المصرى فى تاريخه الحديث والمعاصر ، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . والشعب المصرى دائما أبدا شعب مكافح مناضل ، يأبى الظلم والظيم ، ويتطلع الى حياة التحرر والحرية ، ولذا أصبحت مصر دائما مقبرة الغزاة .

أدى موقع مصر الاستراتيجى الممتاز عند التقاء ثلاث قارات كبرى ، وبحرين عالميين ، البحر المتوسط والبحر الأحمر ، الى أن أصبحت مصر هدفا لأطماع المستعمرين خلال القرن التاسع عشر ، وتنافست الدول الأوروبية على مد نفوذها الى الأراضى المصرية ، وتكاتف عوامل ترتبط بالسياسة العالمية على أن مصر أصبحت تعاني أحيانا من الاحتلال والاستعمار . ولكن الشعب المصرى شعب أبى ، لم يستسلم فى أى عصر من العصور ، فكان يهب دائما معلنا ثورته على الاستعمار والاستغلال ، مناضلا من أجل حريته واستقلاله . وانتصر دائما على كل مستعمر وطماع ، بفضل إيمانه العميق بحقه فى الحياة الحرة الكريمة ، وبفضل روحه الثورية وكفاحه ونضاله ، مما كان يضطر المستعمرين والغزاة الى انهاء سلاحهم والاعتراف بهزيمتهم والجلاء عن أرض الكنانة .



ولم يقتصر كفاح الشعب المصرى على مقاومة الاستعمار ، بل حطم كل قيد قد يحد من حركته أو حريته ، أو يسنعه من المضى فى طريق الحرية والرخاء والحضارة ، والمشاركة فى الموكب الانسانى الكبير . ولذا قاوم المصريون الفرنسيين والانجليز ، كما كافحوا استبداد أسرة محمد على وأذئابها من الاقطاعيين والرجعيين .

وتوج الشعب المصرى كفاحه بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تلك الثورة المباركة التى كانت الحلقة الرئيسية الكبرى فى ساسة النضال والكفاح ، وجنى المصريون ثمار كفاحهم وجهودهم ، فكانت ثارا يانة عوضتهم عما بذلوه من دماء وعرق خلال عصور الكفاح .

انقشع ظلام الاستعمار والاستبداد والاقطاع فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأشرفت فى صباح هذا اليوم الخالد شمس جديدة ساطعة أضاءت أرجاء مصر ، وأقطار الوطن العربى ، والعالم الاسلامى ، وأفريقية ، والعالم أجمع ، وأصبحت هذه الثورة الخالدة ثورة رائدة ، وقدوة تحتذى حذوها جميع الشعوب التقدمية المناضلة التى تسعى الى التحرر والانطلاق الثورى .

اعتمدنا فى هذه الدراسة على المصادر التاريخية والحديثة ، وعلى كثير من السجلات والتقارير كما أسعدتنى الظروف أن أكون شاهدا عيانا لكثير من الأحداث المعاصرة ، وشاركت فى بعض عمليات الكفاح والنضال ، وكنت قريبا من كثير من الأبطال والفدائيين ، مما ساعدنى على أن أقدم للقارئ صورة حقيقية تنبض بالحياة ، وعاونتنى على الوفاء بالبحث والدراسة .

وهذه الدراسة تربط الماضى التليد بالحاضر المجيد ، وتجعلنا تثق فى مستقبل مشرق سعيد ، فانا نعيش فى عصر حرية واشتراكية ووحدة ، وفى مجتمع الكفاية والعدل ، وفى مصر جمال عبد الناصر ، الزعيم الوطنى المكافح المناضل ، وقائد كفاحنا الشعبى ، ورمز الحرية والسلام . والى سيادته أتشرف باهداء كتابى هذا ( كفاح شعب ) .

والله ولى التوفيق ، والمجد للعرب ، والعزة والنصر لكل شعب مكافح .

المؤلف

الباب الأول  
كفاح الشعب المصري للأطماع الفرنسية  
والإنجليزية في مطلع القرن ١٩

- ١ - الكفاح الشعبى للحملة الفرنسية .
- ٢ - الشعب المصرى يكافح استبداد محمد على .
- ٣ - الكفاح الشعبى للإنجليز فى رشيد .



## ١ - الكفاح الشعبى للحملة الفرنسية :

بقظة مصرية قبل قدوم الحملة الفرنسية :

فتح العثمانيون مصر فى سنة ١٥١٧ ، اذ دخل السلطان سليم الأول القاهرة وقضى على دولة المماليك التى قامت فى مصر والشام . وبدأ الحكم العثمانى منذ الحين ، واستمر الى مطلع القرن العشرين . وان كان الحكم العثمانى حكما اسلاميا الا أنه يختلف كثيرا عما سبقه من حكم العرب والمسلمين فى القرون الماضية . فقد حكم العثمانيون مصر لصالحهم ، واعتبروها ضيعة خصبة تدر عليهم دخلا ثابتا وفيرا . وأهل العثمانيون تماما كل اصلاح اقتصادى أو ثقافى أو اجتماعى، ونقلوا كثيرا من الصناعات المصرية الماهرة الى القسطنطينية ، فحرموا مصر من الأيدى العاملة الفنية ، كما استولوا على كثير من الأموال والخامات العربية التى لا يستغنى عنها فى النهضة الصناعية ، وأهل العثمانيون تطهير الترع حتى جفت ، وترميم الجسور حتى انهارت ، وأهملوا المرافق الصحية فانتشرت الأمراض والأوبئة . وأغلق العثمانيون المدارس ، واقتصر التعليم على الأزهر والكتاتيب . وأوقع نظام الالتزام أعباء كثيرة على الفلاحين فساءت أحوالهم الاجتماعية .

وأدت هذه السياسة العثمانية الى توقف التقدم والاصلاح ، مما أدى الى ركود وجمود . فى وقت كانت دول أوروبا تضى فى طريق الحضارة فى خطوات سريعة . وخشيت الدولة العثمانية أن تمتد الأطماع الأوروبية الى العالم العربى ، فنصبت ستارا كثيفا يحجب عن أوروبا ، مما منع أى اتصال اقتصادى أو ثقافى وأراد السلطان العثمانى أن يضمن ولاء العرب والمسلمين له ، فأعلن أن الدولة العثمانية هى دولة الخلافة ، وأن السلطان هو الخليفة الذى يدين له كل المسلمين فى الأرض بالطاعة والولاء . ورفض الشعب المصرى الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة ، وأبى أن يكون

الدين وسيلة للاستعمار والاستبداد ، فالاسلام أسمى من أن يسخره السلطان من أجل تدعيم نفوذه السياسى الاستعمارى .

ونجد فى كتب المستشرقين أحاديثا كثيرة ، وكلها تدور حول أثر الحملة الفرنسية على مصر فى يقظة الشعب المصرى ، ويحاول هؤلاء المستشرقين أن يقنعوا قراءهم بأن هذا الشعب الأبى كان فى سبات ، ثم قدمت الحملة الفرنسية فأيقظته وأثارت مشاعره الوطنية . ولكن هذه الأقوال هى فى الحقيقة مغالطات واضحة تهدمها الحقائق التاريخية الثابتة . وهؤلاء المستشرقين كعهدنا بهم يحاولون تبرير الأطماع الأوروبية ، ويضعون حيثيات لكل احتلال واستعمار أوروبى .

والشعب المصرى شعب مكافح مناضل ، شهدنا كفاحه وجهاده على مر العصور التاريخية ، وهو يأبى الضيم والظلم ، والاحتلال والاستغلال ، ويدافع دائما عن وطنه وحرته ومصالحه . وهو ليس فى حاجة الى مؤثر خارجى يذكره بوطنيته وقوميته .

والحقيقة التاريخية الثابتة أنه قد ظهرت بوادر اليقظة المصرية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، قبل قدوم الحملة الفرنسية الى مصر والشام . فقد بدأ المصريون يعملون على الخلاص من الحكم العثمانى الغاشم الذى حرم المصريين وسائر العرب من حقوقهم السياسية . هذا ، والحملة الفرنسية لم تمكث فى مصر الا نحو ثلاثة أعوام ، وهى فترة قصيرة لا تؤدى الى نتائج حيوية أو آثار عميقة فى الثقافة والحضارة . وهذه الأعوام القليلة تعجز عن بناء شعور وطنى وتنمية روح كفاح ونضال . بل كان هذا الشعور وهذه الروح قائمين وظاهرين ومتعمقين فى كل أرجاء مصر . بل كافح المصريون هذا الاستعمار الفرنسى كما كافحوا بالأمس الاستعمار العثمانى . وان كانت قد ظهرت معالم نهضة حضارية أو ثقافية بعد جلاء الفرنسيين ، فان هذه النهضة ليست نتيجة لقدوم الحملة الفرنسية ، بل هى من آثار اليقظة المصرية التى ظهرت بوادرها قبل قدوم الفرنسيين .

وتبدو هذه الحقائق واضحة ناصعة فى الميثاق الخالد حين يقول :  
« ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى

صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت — كما يقول بعض المؤرخين — فاز الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر وجدت الأزهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانها الى الحياة فى مصر كلها ، كما وجدت أن الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة ، والذى كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقى تصادما بين الايمان الدينى الأصيل فى هذا الشعب وبين ارادة الحياة التى ترفض الاستبداد . ولقد وجدت هذه الحملة مقاومة عنيفة لسيطرة المماليك وتمردا مستمرا على محاولاتهم لفرض الظلم على الشعب المصرى .

وهكذا كان الأزهر منبعاً للشعور الوطنى المصرى ، وقد رفض علماءه مساندة السلطان العثمانى الذى أراد أن يسخر الدين فى استمرار الحكم العثمانى لمصر . وفى كل قرية فى مصر كانت تضطرم الثورة فى نفوس المصريين ، ووقف الفلاحون فى وجه نظام الالتزام الظالم الذى فرضه العثمانيون .

### تنظيم شعبى وزعامة شعبية :

اقتصر التعليم فى العهد العثمانى على الأزهر الشريف وبعض الكتاتيب الصغيرة المنتشرة فى مدن وقرى مصر . ولذا أصبح الأزهر هو المنار الوحيد للعلم والثقافة ، وهما أساس كل كفاح وطنى ، ولذا حفل الأزهر بتيارات الوطنية ، وتعدت هذه التيارات جدران الأزهر الى سائر عناصر الشعب المصرى . وبدأ المصريون يعملون من أجل التحرر من الاحتلال العثمانى ، ومظالم المماليك ، ويأملون فى قيام حكومة مصرية وطنية ، تحكم مصر من أجل صالح المصريين .

وفى الوقت الذى تهيأ فيه المصريون للخلاص من الحكم العثمانى ، قدمت الحملة الفرنسية الى مصر . وزعم الفرنسيون للسلطان أنهم انما قدموا لتأديب المماليك الذين اعتدوا على التجار الفرنسيين فى مصر ، ووعدوا السلطان بأنهم سيعملون على اعادة سيطرته على مصر . وزعم الفرنسيون للمصريين أنهم قد قدموا لتحريرهم من الاحتلال العثمانى الفاشم ، ومن

استبداد الممالك ، وأنهم مبعوثو العناية الالهية للأخذ بيد المصريين لينهضوا ويتحرروا ويرتقوا .

والفرنسيون فى كل هذه المزاعم يكذبون ويضللون ، فالحقيقة التاريخية التى اعترف بها جميع المؤرخين الأوروبيين أن الحملة الفرنسية على مصر والشام مشروع استعمارى فرنسى ، نتيجة التنافس الاستعمارى بين انجلترا وفرنسا ، وقد بدأ هذا التنافس فى المستعمرات الأمريكية والهند ، ثم امتد الى الشرق العربى . فقد رأى ساسة فرنسا أن خير طريقة للتغلب على انجلترا هو هزيمتها فى مستعمراتها الشرقية والقضاء على تجارتها بتحويل التجارة الشرقية الى خليج السويس والبحر المتوسط بدلا من طريق رأس الرجاء الصالح الذى تسيطر عليه انجلترا ، ولا يكون ذلك الا بتكوين امبراطورية شرقية تكون مصر قاعدتها ، تعوض على فرنسا بعض ما فقدته من المستعمرات .

لم ينصت الشعب المصرى الى مزاعم الفرنسيين ، ولم يصدق منشوراتهم وما حوتها من وعود براءة ، ولم يتأثروا بكتابة هذه المنشورات باللغة العربية لأول مرة ، ولم ينخدع المصريون بهؤلاء العلماء الذين صحبوا جيش الاحتلال الفرنسى ، فالعلم لا يأتى بالسيف ، والوطنية قبل كل تقع دنيوى .

وأعلن المصريون عداوتهم للفرنسيين منذ نزولهم على الأراضي المصرية فى الاسكندرية ، وبدأت عناصر الشعب المصرى تتجمع وتتكتل ، لتنظم جهودها من أجل الكفاح الشعبى . وبحث المصريون عن زعيم وطنى يلتفون حوله ويسرون خلفه فى كفاحهم ، فلم يختاروه من العشائين ، أو من بين الممالك ، ولكنهم اختاروا مصريا من بين أبناء الشعب ، وهو عمر مكرم .

وسيرة عمر مكرم صورة مشرفة لزعمائنا المصريين ، فقد ولد فى مدينة أسيوط ، تخرج من الأزهر الشريف ، وظهر نبوغه وتفوقه على أقرانه ، واشتهر بين الناس بكرم النفس ودمائة الخلق وعلو الهمة وهدوء الطبع ،

كما كان دائما عف اللسان نزيه اليد ، مما أهله لتولى رئاسة نقابة الأشراف . وكانت روح الثورة الوطنية تضطرم في نفس عمر مكرم ، حتى اذا قام الفرنسيون ، نزل الى الشعب ودعاه الى الجهاد ، والتف حوله آلاف من المصريين ، وتزودوا بما وجدوه من أسلحة خفيفة ، بل بالعصى والهرافات والخناجر ، فقد كان شعورهم الوطنى الجارف يعوضهم هذا النقص فى السلاح والعتاد .

وهكذا نجح عمر مكرم فى ايجاد تنظيم شعبى تأهب للدفاع عن الوطن ضد الفرنسيين . وفى نفس الوقت استعد المماليك بقيادة ابراهيم بك ومراد بك لقتال الجيش الفرنسى . ورأى التنظيم الشعبى المصرى أن يتعاون مؤقتا مع المماليك ضد العدو المشترك ، فقد كان المماليك هم الطبقة الحاكمة ويملكون من الموارد المالية والأسلحة والمؤن ما يمكنهم من القتال . وان كان المصريون يطمحون فى الخلاص أيضا من حكم المماليك ، الا أنهم رأوا أن يتفرغوا فى هذه الظروف لقتال هؤلاء المستعمرين القادمين من أوروبا .

## كفاح الشعب المصرى فى الصعيد والدلتا :

صمم الشعب المصرى على كفاح الجيش الفرنسى وارغامه على الجلاء عن الوطن ، فقد اعتبر المصريون الحملة الفرنسية حلقة فى سلسلة الأطماع الأوروبية الاستعمارية التى شهدتها مصر والعالم العربى والاسلامى خلال الحروب الصليبية . فهى حروب استعمارية استتريت وراء الدين .

جاء فى الميثاق : « وقبل أن ينزل ظلام الغزو العثمانى على المنطقة بأسرها ، فان شعب مصر قد تحمل ببسالة منقطعة النظير مسئوليات حاسمة لصالح المنطقة كلها . كان قد تحمل المسئولية المادية والعسكرية فى صد أول موجات الاستعمار الأوروبى التى جاءت متسترة وراء صليب المسيح ، وهى أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلم العظيم » .

بدأ كفاح الشعب منذ اللحظة الأولى لنزول الفرنسيين على أرض مصر ، وواجه الجيش الفرنسى جيش المماليك توازره القوات الشعبية ، ولم تكن الحرب متكافئة ، فالفرنسيون يحاربون بأسلحة حديثة ، فهى حرب



بين نتائج الحضارة الأوروبية الحديثة ، وبين بقايا الحضارة العثمانية الغاربة البائدة ، فقد عمل العثمانيون على إبعاد المصريين عن الجيش ، وحرموهم من التزود بالسلاح الذى يدافعون به عن وطنهم ، وكانت أسلحة الممالك عنيفة تمثل تراث القرون الوسطى . ولذا شق نابليون طريقه الى القاهرة ، ولكن سالت دماء فرنسية كثيرة ارتوت بها أرض الدلتا .

ولم يكن استيلاء نابليون على القاهرة يعنى سيطرته على القطر المصرى ، لأن مدن وقرى الوجهين البحرى والتبلى كانت تضطرم بالثورة . كما كان علماء الأزهر يعبثون قوى الشعب المصرى لبدأوا الجولة الثانية من الكفاح . وأدرك نابليون الحقيقة ، فهو يحكم عاصمة ثائرة ، ولا يحكم صعيد مصر ودلتاها . ولذا رأى أن يحاول اخضاع الثورة الشعبية فى الوجهين التبلى والبحرى . ورأى أن يعهد الى قائده ( ديزيه ) باخضاع الصعيد ، ليتفرغ هو لاختاد الثورات التى قامت بالوجه البحرى والقاهرة .

ولم تكن مهمة ( ديزيه ) سهلة يسيرة كما ظن ، ولم تنجح أسلحته الحديثة فى اخماد الروح الثورية المضطربة فى نفوس المصريين . فقد لاقى مقاومة شعبية جارفة ، تجلت فى أول مدينة واجهته أثناء زحفه وهى مدينة الفيوم ، فقد خرج أهلها يقاومون مدافع الفرنسيين بما يحملون من بنادق قديمة وعصى ، وجعلوا من أجسادهم سدودا تمنع زحف الفرنسيين ، ونجح ( ديزيه ) فى دخول الفيوم ، وظن أنه قد فاز باتتصار حاسم ، ولكن خاب ظنه ، فقد قام أهالى مدينة الفيوم بالثورة فى الثامن من نوفمبر سنة ١٧٩٨ . وكانت ثورة ملتعبة ، جعلت ديزيه يبعث برسله الى نابليون ، يطلب فى الحاح مده بالسلاح والعتاد ، حتى يواجه عمليات المقاومة الشعبية . ونجح أهالى الفيوم فى إبادة عدد كبير من الجند الفرنسيين .

واستمر ( ديزيه ) فى رحلة الموت ، يتنقل بين مدن الصعيد ، ويتناقص عدد جنده يوما بعد يوم ، ويواجه المقاومة الشعبية فى كل قرية مصرية . ولم تنجح حملة ديزيه النجاح المأمول ، وعاد الجنود الفرنسيون من الصعيد يقصون على نابليون مالاقوه من الأهالى طوال زحفهم الشاق .

وهذه هي شهادة شاهد منهم ، فقد كتب الجنرال الفرنسى ( بليار ) :  
« أثناء زحفنا وقفنا نستريح بجوار بلدة الفشن ، ووضع الجنود بنادقهم  
على مقربة منهم ، وفوجئوا بصبى لا يتجاوز اثنى عشر عاما يخطف البنادق  
ويهرب بها ، وقد تمكن أحد الجنود من اللحاق به بعد أن أصابه بسيفه  
إصابة أعجزته ، ثم قاده والدم ينزف منه الى الجنرال ديزيه الذى سأله  
عما ألجأه الى خطف البنادق فأجاب الصبى فى شجاعة قائلا : لكى يستعملها  
أهلى فى محاربتكم ! فعاد ديزيه وسأله عن المحرضين له على هذا العمل ،  
فنظر الصبى الى السماء وقال : ان الله الذى خلقنا والقادر على كل شئ  
هو الذى أمرنا بذلك . فتعجب ديزيه ومن معه ، وارتج عليهم ، وبدا  
عليهم أنهم قاتلوه ، ولكن الصبى تقدم من ديزيه وصاح فيه بشجاعة نادرة :  
أيها القائد فيم انتظارك؟! هذا رأسى أفصله عن جسدى بضربة من سيفك ،  
فانتى لا أبالى فقد وهبتها لوطنى !! . وأعجب الحاضرون بشجاعة الصبى  
وسرعة بديهته ، وعدل ديزيه عن اعدامه ؟ .

ولاقى الفرنسيون فى الوجه البحرى ملاقوه فى الوجه القبلى من  
مقاومة وكفاح شعبي ، وسالت دماء الفرنسيين أنهارا ، ولم ير الفرنسيون  
وسيلة لاشفاء غليلهم واخفاء عجزهم سوى التنكيل بالمصريين ، وحرق  
القرى ، واىذاء المدنيين الآمنين ، فقد كتب القائد الفرنسى ( مينو ) الى  
نابليون فى الثالث عشر من أغسطس سنة ١٧٩٨ : « قمت اليوم بحملة  
لمعاقبة السالمية بمركز فوه ، حيث قتل بعض الفرنسيين ، فأحرقت القرية ،  
وقتل تسعة من الأهالى لمعاقبتهم وردعهم » .

## الكفاح الشعبى فى القاهرة :

شهدت مصر قبل قدوم الحملة الفرنسية يقظة وطنية ، وبدأ الشعب  
المصرى يعبى جهوده وينظم صفوفه . وأدرك نابليون هذه الحقيقة  
الواضحة ، ورأى أنه من الضرورى لاستقرار الحكم الفرنسى من أن ينال  
ثقة الشعب المصرى ورضاه . ولكن الشعب يكره النفوذ الأجنبى فى كل  
صوره ، وأصبح من الوعى والادراك بحيث يفتن الى أساليب الطامعين

والمستعمرين . وبذل نابليون جهودا كثيرة فى سبيل استمالة علماء الأزهر ، وزعماء الشعب المصرى ، وبذل العهود والوعود ، ولجأ أحيانا الى الوعيد والتهديد ، ولكن هذه المحاولات كلها كان نصيبها الاخفاق التام ، فقد أصر الشعب المصرى على المضى فى طريق الحرية والاستقلال ، وأصبح لا يقبل حلا وسطا .

ظن نابليون أنه اذا ولى المصريين المناصب الحكومية فانه يكسب رضاهم ويقنعهم بقبول حكم الفرنسيين ، فقال فى منشور له : « ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا يئأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء منهم سيدبرون الأمور ، وبذلك تصلح حال الأمة كلها » . وتنفيذا لهذا السياسة أنشأ ديوان القاهرة من العلماء ، وجعل لهم حق مناقشة المسائل العامة . وأراد نابليون أن يرضى أهالى أقاليم الوجهين البحرى والقبلى ، حيث ثارت مقاومة شعبية عنيفة ، فاتبع نفس النظام فى دواوين الأقاليم ، ولكن الشعب المصرى رأى أنه انما استرد حقا شرعيا له كان مغتصبا ، وأن الحكم ليس منحة من المستعمر الأجنبى ، وأن المناصب لن تلهيهم عن طلب الحرية والاستقلال .

وتظاهر نابليون باحترام الاسلام والتقاليد العربية ، وتقرب الى علماء الأزهر ، وأخفقت كل هذه الأساليب ، وقامت ثورة القاهرة الأولى فى ٢١ من اكتوبر سنة ١٧٩٨ ، وكانت ثورة شعبية منظمة ، اشتركت فيها جميع عناصر الشعب ، على اختلاف أديانهم وأصولهم وحرفهم ، وتألفت لجان المقاومة الشعبية من أجل تنظيم المتطوعين ، وتزعم الشعب عمر مكرم والشيخ السادات ، واتخذت الثورة الأزهر مركزا لها ، وحشد الفرنسيون قواتهم وأسلحتهم الحديثة للقضاء على هذه الثورة الشعبية الجارفة ، وسقط أكثر من مائتى ضابط وجندى فرنسى قتيلا ، ومن بينهم قائد القوات الفرنسية فى القاهرة ، وسلط نابليون مدافعه على المدينة عامة وعلى مواقع الثوار خاصة ، وان كانت قد نجحت فى قتل أرواح وطنية بريئة الا أنها لم تقض على الشعور الوطنى الملتهب فى أعماق القلوب ، وحاول نابليون أن يستميل اليه

عمر مكرم الزعيم الشعبى المصرى ، ولكن عمر مكرم كان قد باع عرض الدنيا الزائل من أجل وطنه ومواطنيه .

وشعر نابليون باليأس ، وأدرك أن مهمته فى مصر لم تكن كما توقع سهلة ميسورة ، وأنه لن ينجح فى تحقيق أطماع فرنسا فى تكوين مستعمرة فرنسية فى مصر ، ولن ينجح هو فى تحقيق أطماعه الشخصية فى السلطة والمجد . ورأى نابليون أن يسارع بالرحيل عن مصر الى فرنسا ، حتى لا تلحق به هزيمة أخرى تقضى على انتصاراته الرائعة التى شهدتها أوروبا . وعاد نابليون الى وطنه ، تاركا مصير الحملة الفرنسية فى يد كليبر ، أو فى يد القدر .

وقامت القاهرة بثورتها الثانية فى أواخر مارس سنة ١٨٠٠ ، وكان مركز هذه الثورة هو حى بولاق ، الحى الشعبى الأصيل ، وقاد هذه الثورة زعماء مخلصون منهم عمر مكرم ، والسيد أحمد المحروقي ، والحاج مصطفى البشتيلى ، وكان البشتيلى من كبار تجار بولاق ، وأفق كل أمواله التى جمعها طوال حياته من التجارة على الثورة ، ثم استشهد أثناء كفاحه . وأقام المصريون المتاريس فى الشوارع والحارات وأنشأوا مفعلا للبارود فى حى الخرنفش ، وصنعوا آلات الحرب بأيديهم وأقاموا مصنعا حريا فى حى بيت القاضى .

وعندما انتصر كليبر على الجيش التركى الذى كان يريد الاستيلاء على مصر ، عاد الى القاهرة لاختاد الثورة التى كانت قد بدأت منذ أسبوعين ، ولم يكن يعتقد أنها الى هذا الحد من الخطورة . ولكنه سرعان ما تغيرت نظرته اليها ، بعد أن عجم عودها فوجدها صلبة لاتلين ، شباتها يسابقتهم الأطفال ، ونساؤهم فى الصف مع الرجال .

عاد كليبر الى القاهرة ، فوجدها فى أيدي الثوار المصريين ، ولم ير بدا من حصار القاهرة ، وصب عليها سيلا لا ينقطع من القنابل ليطفىء جذوة الكفاح ، ويخمد الثورة الشعبية . وكما بذل المصريون الأموال فى سبيل الاستعداد للثورة ، فقد بذلوا الدماء ليوفروا لها أسباب النجاح . ولم تخمد

قنابل الفرنسيين روح الوطنية ، ولجأ كليبر الى سلاح الغدر ، فقد رأى أن يقتل المصريين جوعا ، وقد عجز عن قتلهم بسدافعه ، فمنع الأقوات عن القاهرة ، مما أدى الى ارتفاع الأسعار . وصبر المصريون على الجوع ، فالوطنية زادهم الأول ، بل أثار هذا الجوع مشاعر المصريين وألهب حماسهم ، فأقبلوا يهاجمون الفرنسيين المحتشدين على أطراف المدينة ، بينما عكف عمر مكرم والزعماء الآخرون على تنظيم عمليات التموين ، وحشد القوات ، وتنظيم المقاومة .

ولم ينجح كليبر فى استرداد القاهرة الا بعد أن اتبع أساليب الغدر والخيانة ، وضرب أمثلة للوحشية والهمجية ، فأقام المذابح فى الميادين ، وفرض الاتاوات والضرائب الباهظة على كل حى ، ولم تزد هذه الأساليب المصريين الا حساسة واصرارا على المقاومة . وقد أكدت الاحصاءات الرسمية الفرنسية أن الفرنسيين خسروا من الجند فى شوارع القاهرة وباقى مدن القطر المصرى مايفوق كل خسائرهم فى حروبهم ضد المماليك والأتراك مجتمعين .

قام الأزهر الشريف بدور رئيسى فى اذكاء روح الثورة ، وفى قيادة المقاومة الشعبية . ومن بين جدران الأزهر العتيد ، ولدت فكرة الانتقام من كليبر لقاء ما قام به من فظائع ، تبناها خمسة من الطلبة ، وتنفذها واحد منهم هو ( سليمان الحلبي ) الذى وفد من حلب وظل يدرس فى الأزهر أكثر من ثلاث سنوات متصلة ، أفزعه وراعه خلالها ما اقترف كليبر والفرنسيون من جرائم فى حق اخوته فى العروبة والاسلام ، فرأى أن يثار لهؤلاء الاخوة ، وفى الرابع عشر من شهر يوليو سنة ١٨٠٠ تمكن سليمان من الدخول الى حديقة قصر الألبانية حيث كان بقيم كليبر ، وقتله بخنجره ، بعد أن اقتفى أثره ساعات طوالا . وعندما قبض عليه ، رفض الاعتراف على باقى شركائه فى الحادث ، ولكن الفرنسيين عذبوه ، فانطلق لسانه مرغما وباح بأسماء باقى شركائه ، فقبضوا عليهم ، وأعدموهم جميعا . وافتخر سليمان بأنه وطنى عربى ( ابن عرب ) ، لم يدفعه الى قتل كليبر الا عروبه

وقوميته دون أى دافع أجنبى ، سواء آكان بريطانيا أو عثمانيا ، وكان الفرنسيون يظنون أنه قد حرضه البريطانيون أو العثمانيون .

وفى متحف باريس الجنائى يرى المشاهد رأس الشهيد سليمان الحلبي وهى محنطة ، فوق لافتة مكتوب عليها ( رأس قاتل ) ، وانى أقترح أن ننشئ بالقاهرة معرضا نضع فيه نماذجا لرءوس كل من أجرم فى حق وطننا ، مثل كليبر ، وتوفيق ، وسيسور ، وكتشنر ، والنبى ، وفاروق ، ومايلز لامبسون ، وغيرهم من الخونة ، مع بيان موجز بما اقترفه كل خائن منهم ، حتى تذكر الأجيال القادمة خيانتهم ، وانتصار الشعب المصرى عليهم .

وقد روى لنا الجبرتى فيما روى واقعة مقتل كليبر فقال : « فى ذلك اليوم وقعت واقعة عجيبة ، وهى أن سارى عسكر كليبر كان مع كبير المهندسين يسيرون داخل البستان الذى بداره فى الأوبكية ، فدخل عليه شخص حلبى قصده — فأشار كليبر اليه وقال له : ( مافيش ) وكررها فلم يرجع وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضائها فلما دنا منه مد اليه يده اليسرى كأنه يريد تقبيل يده ، فسد كليبر يده فقبض سليمان عليها وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية فشق بطنه ، وسقط الى الأرض صارخا فصاح زميله المهندس — فذهب اليه سليمان وضربه أيضا ضربات ، وهرب — وسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس فدخلوا مسرعين فوجدوا كليبر مطروحا وبه بعض الرمق — ولم يجدوا القتال ، فانزعجوا وضربوا طلبهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القتال ، واجتمع رؤسائهم وأرسلوا العساكر الى الحصون والقلاع ، فأحاطوا بالبلدة وعسروا المدافع وقالوا لا بد من قتل أهل مصر عن آخرهم . ووقعت هوجة عظيمة وكرشة وشدة انزعاج وأكثر الناس لايدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون عن القتال ، حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبنت سارى عسكر المعروف بغيظ مصباح بجوار حائط متهدم فقبضوا عليه . »

وحاول خلف كليبر ، وهر الجنرال مينو أن يفوز برضاء المصريين ، ولكن دون جدوى ، فهو يوما يتظاهر باعتناق الاسلام ، ويوما يتزوج من

مصرية مسلمة ، ولكن الشعب المصرى فطن الى هذه الأساليب الخادعة ،  
ومضى فى طريق الكفاح والنضال .

وشجعت المقاومة الشعبية فى مصر الانجليز والعثمانيين على التدخل ،  
ولم يكونوا يجرؤا على التدخل لو كان الشعب المصرى قد هدأ وقبل الحكم  
الفرنسى . واضطر الفرنسيون الى الجلاء النهائى عن مصر ، والسبب الأول  
فى هذا الجلاء هو كفاح الشعب المصرى ، وليس جهود الانجليز أو  
العثمانيين ، ولو ركن المصريون الى الهدوء والسلام فى الداخل ، لتفرغ  
الفرنسيون لقتال أعدائهم الخارجيين ، وربما نجحوا فى صدهم ، ولكن  
الفرنسيين كانوا يعانون من المقاومة الشعبية التى أفلقت مضاجعهم ، وأثارت  
المتاعب والقلق دائما أمامهم ، ولذا كان عمر الحملة الفرنسية فى مصر  
قصيرا ومات المشروع الاستعمارى الفرنسى وهو فى المهد ، وكان انسحاب  
الفرنسيين تنويجا لجهود المصريين وكفاحهم الشعبى .

## ٢ - الشعب المصرى يكافح استبداد محمد على .

### مرحلة جديدة من الكفاح الشعبى :

اضطر الفرنسيون الى الجلاء التام النهائى عن مصر ، بعد أن عجزوا تماما عن اخماد روح الثورة الشعبية المصرية ، وبعد أن ذاقوا الأمرين من كفاح المصريين ونضالهم . وبدأ كفاح الشعب المصرى يدخل فى دور جديد متميز .

شهد المصريون تنافس القوى الأجنبية حول السيادة على وطنهم ، فقد حاول كل من العثمانيين والفرنسيين والانجليز والمماليك بسط نفوذهم على مصر . ولكن الشعب المصرى عقد العزم على ألا يسمح لأى جماعة من هذه الجماعات أن تظأ أرضه أو تحتل شبرا منه ، وأصر على أن يكون تقرير مصيره بيده ، فتصبح مصر للمصريين ، وأن يقطف هو ثمار جهوده وكفاحه الباسل . وأخذ العامل القومى فى الظهور واضحا جليا على مسرح السياسة فى مصر بعد جلاء الفرنسيين ، ورأى المصريون أن يتحرروا تماما من الحكم العثمانى ، وأن يضعوا نهاية لاستبداد المماليك بشئون مصر ، وبدأ الشعب المصرى بزعامة عمر مكرم يعمل على تنفيذ هذه السياسة الوطنية .

واتخذت هذه السياسة الشعبية المصرية الجديدة صورا ايجابية عديدة، فأعلن المصريون عدم رضاهم عن بقاء الجيوش البريطانية فى الأراضى المصرية ، وكانت هذه الجيوش قد ت لكأت فى الانسحاب بعد جلاء الفرنسيين . وعندما أعلن الجند الألبانيون بزعامة طاهر باشا تمردهم على الوالى التركى خسرو باشا واضطروه الى الفرار الى دمياط ، اجتمع شيوخ الأزهر والعلماء فى ٦ مايو سنة ١٨٥٣ فى بيت القاضى لبحث الأمر ، وأقروا طاهر باشا قائما الى أن يوافق السلطان على ولايته أو يعين واليا آخر . وأعلنوا طاهر باشا بذلك ، وطلبوا منه رفع المظالم التى وقعت بالشعب المصرى . وبذلك أصبحت مقاليد الحكم فى يد الشعب .



واستمر الشعب المصرى صاحب السلطة الحقيقية ، فعندما وقع اختيار الانكشارية بعد مقتل طاهر باشا على أحمد باشا والى المدينة، وكان موجودا حينئذ بالقاهرة ، تقرب أحمد باشا من العلماء والزعماء المصريين ، ولكنهم رأوا أن أحمد باشا غير جدير بحكم مصر ، بل رأوا ضرورة خروجه هو والجند الانكشارية من مصر ، وساعدوا محمد على فى طردهم جميعا من مصر فى مايو سنة ١٨٠٣ .

وتحالف محمد على مع المماليك وتولوا الحكم قرابة عام ، حفل بالمظالم ، وعانى الشعب المصرى من الضرائب الباهظة وارتفاع الأسعار واعتداء المماليك على مستلكات المصريين . وامتنع المصريون عن دفع هذه الضرائب ، واحتشدوا فى شوارع القاهرة ، واحتجوا على حكم المماليك ، واتجهوا الى الأزهر حيث التقوا بشيوخه وطلبوا منهم الاحتجاج لدى المماليك . وأدرك محمد على قوة الشعب المصرى ، فانقلب على حلفائه المماليك ، وانضم الى صفوف العلماء وشيوخ الأزهر ، وتعهد لهم بالعمل على إلغاء هذه الضرائب ، وأنزل جنوده الى شوارع القاهرة ، وأوصاهم بمعاملة الشعب معاملة طيبة . وحاول المماليك مقاومة الشعب وفرض ارادتهم وحكمهم عليه ، ولكن الشعب تحالف مع الجند الألبانيين واضطر المماليك الى الفرار الى الصعيد .

## الشعب المصرى يولى محمد على :

أدرك محمد على أنه لن يستطيع تحقيق أطماعه وآماله الا اذا اعتمد على نيئه ثقة الشعب المصرى به ، وقد حاول كما رأينا الاعتماد على المماليك، فلم تفلح المحاولة ، فقد أصبح الشعب المصرى قوة عظيمة تقبض بيديها على أزمة الأمور ، وتمسك بدفة الحكم والسياسة . فأخذ محمد على يتقرب الى العلماء والزعماء ، ويتظاهر أمامهم بأنه رجل يحب العدل ، وبكره الظلم ، ويؤثر مصلحة الشعب المصرى .

أصبحت قوة الشعب المصرى حقيقة واقعة ، وقد لمسها خورشيد باشا حينما عينه السلطان العثمانى واليا على مصر ، ورأى خورشيد أن يتخلص

من محمد على صديق المصريين ، وهو لا يستطيع بطبيعة الحال الخلاص من الشعب المصرى . فاستصدر خورشيد من الآستانة فرمانا بعودة الألبانيين ورؤسائهم من مصر . وتظاهر محمد على لخورشيد بقبول هذه الأوامر ولكنه لجأ الى العلماء وزعماء الشعب ، واستنجد بهم ، طالبا معاوتهم له على البقاء فى مصر ، واضطربت القاهرة ، وأقفلت الأسواق احتجاجا على ذلك ، واضطر السلطان وخورشيد على النزول على رأى الشعب المصرى .

ولكن خورشيد أدرك أنه لن يستطيع ممارسة سلطاته كاملة طالما هذا المنافس ، أى محمد على ، مقيما فى مصر ، يسانده الشعب المصرى ، فلجأ الى وسيلة أخرى ، فطلب من الحكومة العثمانية أن تمده بقوات جديدة بدلا من القوات الألبانية التى تدين بالطاعة لمحمد على ، فأرسلت له جيشا من الولاية وعاث هؤلاء الجند فى مصر فسادا ، وارتفعت أصوات الشعب بالاحتجاج ، وعجلت هذه الأحداث بقيام ثورة الشعب ضد هذا الوالى ونظام الحكم القائم .

وانتشر لهيب ثورة الشعب المصرى فى كل أرجاء القاهرة ، احتجاجا على تمسك خورشيد بهؤلاء الجنود وتأييدهم لمظالمهم وحمايته لهم . ورفض العلماء والزعماء ، وعلى رأسهم عمر مكرم ، أن يتدخلوا لايقاف الثورة ، وحددوا موعدا يجلى فيه خورشيد هؤلاء الجنود عن القاهرة ، وتظاهر محمد على بأنه مع هؤلاء الزعماء فى موقفهم من خورشيد . حتى اذا انتهى الأجل المحدد ، اجتمع زعماء الشعب ، واتجهوا الى دار المحكمة الكبرى يحيط بهم جموع الشعب المصرى ، يرددون الهتافات المعادية للوالى والعثمانيين .

اجتمع زعماء الشعب فى ١٢ مايو سنة ١٨٠٥ بدار المحكمة وحرر الزعماء مطالبهم ، فطالبوا ألا تفرض ضريبة على المدينة الا اذا أقرها العلماء وأعيان الشعب ، وأن تجلو الجنود عن القاهرة ، وتنتقل حامية القاهرة الى الجيزة . ورفض خورشيد مطالب الشعب . فاجتمع الزعماء فى اليوم التالى بدار المحكمة ، واحتشدت جماهير الشعب خارجها ، وقرروا عزل خورشيد وتولية محمد على . واتجه زعماء الشعب وعلى رأسهم عمر مكرم الى دار

محمد على ليبلغوه بقراراتهم . وألبسه عمر مكرم والشيخ الشرقاوى خلعة الولاية .

وهكذا قام زعماء الشعب المصرى بتولية محمد على الحكم ، واشترطوا عليه سيره بالعدل ، واقامة الأحكام والشرائع ، والكف عن المظالم ، وألا يفعل شيئاً الا بمشورة العلماء ، وأنه متى حاد عن هذه الشروط عزلوه عن الحكم . وأصبح يوم ١٣ من مايو سنة ١٨٠٥ عيداً من أعياد مصر القومية ، فقد أصبح الشعب المصرى من القوة بحيث يختار من يراه للحكم، فيوليه على شروط يشرطها عليه ، وعلى قواعد يرسمها له ، ولم يعد السلطان العثمانى هو الذى يعين الولاة ، ولذا يمكن اعتبار هذا اليوم ، هو اليوم الذى أعلن فيه المصريون استقلالهم عن الحكم العثمانى البغيض واثصر المصريون بما يحملونه من عصى وهراوات ، على جيوش السلطان التى تحمل البنادق والمدافع ، فقد أحات الروح الوطنية هذه العصى والهراوات الى أسلحة جبارة ساحقة .

### الشعب يكافح استبداد محمد على :

لم يصل محمد على الى الحكم الا على أكتاف الشعب المصرى ، وقد تظاهر بالخضوع والخنوع ، وتقرب الى العلماء والزعماء ، مما جعلهم يولونه حكم البلاد . ولم يبخل زعماء الشعب على محمد على بتأييدهم ، فكانوا يقدمون له الأموال والهبات تباعاً ، وأعانوه على أعدائه حتى ثبت أقدامه فى حكم البلاد . وكان محمد على طوال صراعه مع أعدائه يحرص على استمالة زعماء الشعب ويشيد بفضلهم عليه ، ويعمل بمشورتهم ، وينفذ الشروط التى شرطها على نفسه .

ولكن محمد على كان ( يتمسكن ) حتى ( يتمكن ) ، فما كاد يتخلص من أعدائه ومنافسيه حتى ظهر على حقيقته العارية ، فقد كانت نفسه المنطوية على الاستبداد تنفر فى قراراتها من هذه السلطة الشعبية ، وتنتظر اليوم الذى تثبت فيه أقدامه فيعمل على التخلص من زعماء الشعب . وشجع محمد على على الاقدام على هذه الخطوة الجريئة ما لمسه من تنافس بعض

العلماء وتفرق كلمتهم ، وقد صور المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي هؤلاء التفر من العلماء فقال عنهم أنهم « صار دينهم واجتماعهم ذكر الأمور الدنيوية ، وذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد على الرئاسة والتكالب على مناصف الأمور » . أما عمر مكرم وقر آخر من الزعماء المخلصين ، فقد ظلوا عنوانا للكفاح الشعبى والاخلاص لمصالح الشعب المصرى .

وبدأ محمد على ينفذ سياسته فى الخلاص من الزعامة الشعبية عندما حاول الانجليز غزو مصر فى سنة ١٨٠٧ ، فقد طلب عمر مكرم تجنيد الشعب المصرى لصد الانجليز ، ورفض محمد على هذا الاقتراح ، فهو يرمى الى تكوين جيش مصرى يهدد سلطانه ، ويسكن أن يكون بعد جلاء الانجليز سلاحا يشهره الشعب المصرى فى وجهه . وقال محمد على أنه يكفى الشعب أن يدفع الضرائب ، على أن يتولى هو المسائل العسكرية ! !

واستمر محمد على فى هذه السياسة المعادية للمصالح الشعبية ، وواتته فرصة أخرى فى سنة ١٨٠٩ حينما احتاج الى المزيد من الأموال ، فلجأ الى فرض الضرائب الباهظة التى أثقلت كواهل الشعب المصرى ، فارتفعت أصوات الاحتجاج ، ولجأ المصريون كعادتهم الى الأزهر ، فاجتمع المشايخ والعلماء ، وتعاهدوا ، وأقسموا على الاتحاد ونبذ الفرقة والخلاف ، وكتبوا الى محمد على يطالبونه برفع المظالم والاستجابة لرغبات الشعب .

ورأى محمد على أن يلجأ الى سياسة ( فرق تسد ) ، فطلب الاجتماع بزعماء الشعب ليفاوضهم فى الأمر . ورفض عمر مكرم مبدأ المفاوضة ، واشترط قبل التفاوض أن يصدر محمد على بياناً رسمياً ، يعد فيه الشعب بأن يشركه فى حكم بلاده ، وأن يحكم محمد على بمشورة هذا الشعب ، وألا يفرض ضرائب جديدة الا بعد الرجوع اليه باعتباره مصدر السلطات .

ونجح محمد على بأساليب الترغيب والترهيب أن يستميل اليه بعض العلماء ، ولكن عمر مكرم تمسك بمبادئه واخلصه للشعب ، وحاول محمد على أن يستميله اليه ، ولكن دون جدوى ، وطلب أن يلتقى به ، فأجاب عمر

مكرم بأن الوالى اذا أراد لقاءه فليكن ذلك فى بيت السادات . حتى اذا اطمأن محمد على أنه استمال اليه معظم العلماء والمشايخ ، نفى عمر مكرم الى دمياط ، ووزع وظائفه على هؤلاء المشايخ ومنها نقابة الأشراف ونظارة أوقاف الامام الشافعى . وظن محمد على أنه قد حطم الزعامة الشعبية ، لينفرد بالحكم ، فيحكم حكما مطلقا مستبدا ، ولكن الفناء يلحق بالطغاة ، والشعوب خالدة باقية عبر الأجيال .

صور الميثاق هذه الأحداث تصويرا رائعا ، فقد أوضح كيف كانت البقطة الشعبية هى التى دفعت بسحمد على الى الحكم ، وبين كيف كان موقف محمد على من الحركة الشعبية سببا لنكسة شعبية أضرت بالمصالح المصرية ، وعقد الميثاق مقارنة رائعة بين أحوال كل من مصر واليابان فى تلك الفترة فقال :

« ولقد كانت هذه اليقظة الشعبية هى القوة الدافعة وراء عهد محمد على . واذا كان هنا شبه اجباغ على أن محمد على هو مؤسس الدولة الحديثة فى مصر ، فان المأساة فى هذا العهد هى أن محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية التى مهدت له حكم مصر الا بوصفها نقطة وثوب الى مطامعه . ولقد ساق مصر وراءه الى مغامرات عقيمة استهدفت مصالح الفرد متجاهلة مصالح الشعب .

« ان اليابان الحديثة بدأت تقدمها فى نفس هذا الوقت الذى بدأت فيه حركة اليقظة المصرية وبينما استطاع التقدم اليابانى أن يمضى ثابت الخطى ، فان المغامرات الفردية عرقلت حركة اليقظة المصرية وأصابتها بنكسة ألحقت بها أفدح الأضرار . »

### ٣ - الكفاح الشعبى للانجليز فى رشيد

حكم محمد على نكسة للكفاح الشعبى :

شهدنا كفاح الشعب المصرى للحملة الفرنسية ، مما جعل عمر هذه الحملة قصيرا محدودا ، وكان هذا الكفاح هو العامل الأول والأخير لاختراق هذه الحملة وما وراءها من أطماع وأحلام استعمارية. وجنى الشعب المصرى ثمار كفاحه ، اذ أصبح صاحب السيادة الحقيقية فى مصر بعد جلاء الفرنسيين ، ورأينا الشعب يولى محمد على الحكم ، ولكن هذا الحاكم المستبد تنكر للزعامة الشعبية وحاول الخلاص منها ، وأصبح حكم محمد على يمثل نكسة للكفاح الشعبى. وأدت هذه النكسة الى عودة الأطماع الأجنبية من جديد، وكان الانجليز هم الطامعين فى هذه المرة ، وظهرت أطماعهم واضحة فى حملة فريزر .

صور الميثاق هذه النكسة وما جرته على مصر من تدخل أجنبى فقال : « ان هذه النكسة فتحت الباب للتدخل الأجنبى فى مصر على مصراعيه ، بينما كان الشعب قبلها قد رد بتصميم ونجاح محاولات غزو متوالية كانت أقربها فى ذلك الوقت حملة فريزر ضد رشيد . ومن سوء الحظ أن النكسة وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار . فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات ، واستنزاف مواردها الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رءوس الأموال المنهوبة من المستعمرات » .

لفتت الحملة الفرنسية أنظار الانجليز الى مصر ، والى موقعها الاستراتيجى الممتاز ، وطبعت انجلترا بعد جلاء الفرنسيين فى تثبيت أقدامها فى مصر استكمالا لسيادتها فى البحار ، وضمانا لسيطرتها على الطرق المؤدية الى الهند . ولذا تلكتأت فى الجلاء عن مصر مدعية أنها لن تترك البلاد الا

بعد استتباب الأمن فى القطر المصرى . وعملت انجلترا فى الوقت نفسه على التحالف مع المماليك فى مصر ، ليكونوا عملاء سياسيين لهم يعملون على تنفيذ سياستها وأطماعها ، اذا عجزت عن الاحتفاظ بجيوشها فى مصر ، ورحب المماليك بهذا التحالف مع الانجليز ، فقد كان ظهور الزعامة المصرية يهدد سلطان المماليك بالأخطار .

تعهدت انجلترا لفرنسا فى صلح اميان فى مارس سنة ١٨٠٢ بالجلاء عن مصر ، ولكنها ماطلت فى تنفيذ هذا التعهد ، مما اضطر نابليون وتركيا الى اخراج القوات الانجليزية سنة ١٨٠٣ ، وصحب الجيش الانجليزى فى عودته محمد بك الألفى أحد زعماء المماليك للتفاوض فى تحالف الانجليز والمماليك . ولم ينجح هذا التحالف ، فقد عاد الألفى ، فوجد الشعب المصرى مسيطرا على السلطة ، وقد تأهب لتولية محمد على .

ولم يبد الانجليز ارتياحا لتولية محمد على الذى كان فى نظرهم يمثل السيادة المصرية ، وطلبوا من السلطان العثمانى عزله ، وتولية وال آخر يتيح الفرصة لحلفائهم المماليك ممارسة سلطتهم القديمة وأخفق الانجليز فى سياستهم سنة ١٨٠٦ ، وما لبثت أن توترت العلاقات بين انجلترا وتركيا ، ورأت انجلترا أن تنتهز هذه الفرصة للاستيلاء على مصر ، فأرسلت اليها حملة فريزر ، فنزلت الاسكندرية فى ٢١ مارس سنة ١٨٠٧ ، وسلم المحافظ التركى أمين أغا المدينة للانجليز . وكانت الحملة تتألف من حوالى ستة آلاف مقاتل ، فقد اكتفت انجلترا بهذا العدد القليل ، اذ اعتمدت على قوات المماليك بزعامة الألفى ، ولكن خابت آمالهم ، اذ مات الألفى قبيل وصول الحملة الانجليزية الى مصر .

## الشعب يواجه الانجليز فى رشيد :

كان محمد على يحاول القضاء على المماليك فى الصعيد قبل التفرغ لمحاربة الانجليز الذين توصلوا الى رشوة حاكم الاسكندرية التركى أمين أغا ليسلمهم المدينة نظير مبلغ كبير من المال ونزل الانجليز بساحل العجمى ، واستولوا على ميناء أبى قير ، وما لبثوا أن دخلوا الاسكندرية واحتلوها

واستقبلت البلاد هذه الأنباء بالغضب والجزع . ولكن المصريين قرروا أن يقفوا صفا واحدا وتعاهدوا على القضاء على الانجليز ، الذين رأوا بعد احتلالهم للاسكندرية أن يتخذوا من بلدة رشيد قاعدة لهم في زحفهم الطويل داخل البلاد ولذلك قرروا احتلالها . وفى ٢٩ من مارس سنة ١٨٠٧ تقدم الجنرال ويكوب بأمر من الجنرال فريزر (١) الى بلدة رشيد ومعه ألفا من الجنود للاستيلاء عليها ، وكان يتولى شتون رشيد رجل وطنى هو على بك السلافكى ولم يكن معه سوى ستمائة جندى فلم يجد بدا من اللجوء الى شعب رشيد يطلب منه العون .

وكان الشعب عند حسن ظنه ، بل أنه كان قد ولد نفسه على لقاء الانجليز وعزم على عدم تسليم مدينة رشيد كما سلمت الاسكندرية، الا بعد أن تصبح أنقاضا وعلى جثث أهلها . ولما اطمأن محافظ المدينة الى حسن ادراك الأهالى ووعدهم الوطنى أمر بإبعاد القوارب والمراكب من الشاطئ الغربى الى الشاطئ الشرقى ليؤكد لرجالها بأن لا سبيل الى التقهقر ، وأنه لم يبق عليهم الا مقاتلة الانجليز وجها لوجه ومحاربتهم . ووضعت خطة المقاومة على أساس أن يتحصن الأهالى مع الجنود الستمائة بأسلحتهم فى المنازل على أن يكونوا على أهبة الاستعداد للقتال عند أول اشارة تصدر اليهم . وبذلك خلت الحامية من الجند وخيم السكون على رشيد وبدأت المدينة وكأن أهلها قد هاجروا منها . وعندما تقدم الجنرال ويكوب على رأس جيشه وشاهد هذا السكون خيل اليه أن المصريين ولوا فارين خوفا من لقاءه ، وأن المدينة قد سقطت بين يديه ، ودخل الانجليز رشيد مطمئين ، واقتشروا فى الشوارع والطرق وبدأوا يبحثون عن مأوى يلوذون به ليستريحوا من عناء السفر ، وألقوا رحالهم مطمئين ليقتضوا ليلتهم .. وما هى الا ساعة أو بعض ساعة حتى صدرت اشارة البدء فى الكفاح ، فاستيقظت المدينة النائمة وفتحت النوافذ والأبواب المغلقة وانهار الرصاص على الانجليز كالطر ، وتساقط الجنود الغزاة الذين أذهلتهم المفاجأة وولى من بقى منهم على قيد الحياة فرارا من هول الرعب الذى جثم عليهم وفروا طالبين النجاة من هذا الجحيم

---

(١) قائد الحملة .



الذى فتح فاه على حين فجأة . وعلى الرغم من هروب الكثير من الانجليز فقد قتل الوطنيون ما يزيد على ١٧٠ قتيلا كما جرح ٢٥٠ وأسروا ١٢٠ أسيرا وكان الجنرال ويكوب قائد الحملة على رأس من قتلوا .

وهكذا انتصرت المقاومة الشعبية التى نظمها أهالى رشيد ضد جنود بريطانيا المسلحين المدربين على الحروب النظامية . وكان لهذا الانتصار أثر بالغ فى جميع أنحاء البلاد ، ورنه فرح تجاوزت أرجاء مصر ، فلبست الاسكندرية لباس الفرحة وسعد أبناءها لهذا الانتصار الذى عوضهم عن بعض ما هم فيه من ذل الاحتلال . وأما دمنهور فقد عادت اليها ثقتها بنفسها ورجع جنود حاميتها الذين هربوا منها عندما علموا باحتلال الانجليز للاسكندرية واستعدوا للقائهم اذا ما سولت لهم أنفسهم التوغل فى البلاد ، أليسوا أكثر عددا وعدة من حامية رشيد ؟ كما أن عدد أهاليها يجاوز ضعف عدد أهالى رشيد أما صدى الانتصار فى مصر فقد فاق كل حد فالبشر على كل ثغر ، والغبطة تملأ كل قلب ، ورفع انتصار شعب رشيد من الروح المعنوية للأهالى وحبب اليهم الكفاح . فى سبيل الوطن ، وثبت ايمانهم بالجهاد لنصرة الحق . حتى أن الأهالى خرجوا من منازلهم يطالبون بالتطوع لمحاربة الانجليز بنفس راضية وحماس بالغ عارضين أرواحهم وأموالهم فداء للوطن .

وقد بلغ تحمس أهالى القاهرة مداه عندما شاهدوا أسرى بريطانيا وقتلى المعركة فى الموكب الكبير الذى سار فى شوارع القاهرة ويقول الجبرتنى فى ذلك :

« فلما كان يوم الأحد السادس والعشرين من محرم ١٢٢٢ هجرية شاع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من الأسرى الى بولاق فهرع الناس الى الذهاب للفرجة ، ووصل الكثيرون منهم ساحل بولاق وركب أيضا كبار العسكر ومنهم طوائفهم — وتطلعوا الى البر وصحبتهم جماعة العسكر المعسكرين معهم وأتوا بهم من خارج مصر ، ودخلوا من باب النصر وشقوا بهم وسط المدينة ومنهم فسيال ضابط كبير السن ، وهو راكب حمارا والبقية مشاة فى وسط العسكر ، ورؤوس القتلى معهم على نيايت وعدتها أربعة

عشر رأسا والأحياء خمسة وعشرون ، ولا يزالون سائرين بهم الى بركة الأزبكية ، وصربوا عند وصولهم سنكا ومدافع وطاقوا بالأحياء وهم في سبيلهم الى الفلعة .

وفي يوم الاثنين وصل أيضا حيلة من الرؤوس والأسرى الى بولاق فطلعوا بهم على الرسم المذكور وعدتهم مائة وواحد وعشرون رأسا وثلاثة عشر أسيرا ومنهم جرحى» هكذا أعطت رشيد درسا لجميع البلدان في الوطنية والكفاح . وكانت الصدمة شديدة الوقع على قادة الجيش البريطانى . ولما تواترت الأنباء بهزيمة بعثة فريزر على رشيد وقتل قائدها ويكوب ومن معه من الضباط والجنود وفرار باقى الجيش ، حزن فريزر حزنا شديدا وقال لمن حوله من كبار الضباط « انها معركة غير متوقعة و كارثة فادحة حلت بقواتنا » .

وكان انتصار الوطنيين فى رشيد بمثابة الشرارة التى أشعلت الشعور الوطنى فى كل بلد وفى كل بيت ، وشعر الوطنيون بمزيد من الثقة ، وعمر قلوبهم ايسان عسيق ورغبة جياشة الى لقاء فاصل مع الانجليز وهو اللقاء المرتقب ، ذلك لأن بريطانيا وقد آلمتها الهزيمة أرادت أن — تمحوها بنصر يثبت أقدامها وبتنقم لجنودها ولكنها كانت بذلك كالنعامة التى ذهبت تطلب قرنين فعادت بلا أذنين !

## حملة الانتقام او الدرس الثانى لرشيد

كانت مصر تعلم عن يقين أن بريطانيا لن تسك على هذه الهزيمة النكراء التى حاقت بها على يد الوطنيين فى رشيد ، ولذلك فقد أخذ الشعب يستعد ، وهب العلماء والسيوخ فى القاهرة بزعامة السيد عمر مكرم يدعو طوائف الشعب للتطوع لكفاح الانجليز ومؤازرة شعب رشيد وبدأوا فى تحصين مدينة القاهرة، فحفروا الخنادق وأقاموا المتاريس ووزعوا السلاح على القادرين من الأهالى ، لا فرق بين مسلم ومسيحى ولا قبطى فالجميع فى حالة جهاد للدفاع عن وطن واحد .

يقول الجبرتى : « وفى يوم الأربعاء ٢٩ من المحرم ركب السيد عمر النقيب والقاضى والأعيان ( الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وكتخدا بك وحسن باشا والدفتردار وفى صحبتهم قنصل فرنساوية وفى صحبتهم أيضا الجرم الكثير من الناس والأتباع والكل بالأسلحة وشرعوا فى حفر الخنادق على مياسير الناس ، وكذلك أهل بولاق والنصارى والأروام والشوام والأقباط واشتروا المقاطف والققف والفؤوس وآلات الحفر، وشرعوا فى بناء حائط مستدير بأسفل تل قلعة السبتية » .

ولما انتهى المصريون من تحصين القاهرة شرعوا فى ارسال المتطوعين الى رشيد لمؤازرة أهلها .

وكان الانجليز فى ذلك الوقت قد أعدوا حملة الانتقام بقيادة الجنرال ستيوارت على رأس جيش قوامه ٤٠٠٠ جندى مسلحين بأحدث الأسلحة وخرجت الحملة من الاسكندرية فى الثالث من أبريل سنة ١٨٠٧ ، ولما وصل الى مشارق رشيد احتلت كتيبة منها بلدة الحماد التى تقع بين أدكو وبين النيل وجنوب رشيد سعيا وراء تطويق رشيد لمنع وصول الامدادات اليها من الجنوب. كما احتلت كتيبة أخرى هضبة أبى مندور وأقاموا عليها المدافع

وأما باقى الحيتس فانتشر حول رشيد من الغرب والجنوب ، ولما أتموا حصارها بدعوا فى ٧ أبريل فى ضربها بقنابل مدافعهم « وكان الانجليز يعتقدون أن رشيد ستستسلم لهم وأنها لن تصمد لوابل قنابلهم ، خاصة وانها أصبحت مكشوفة أمامهم بعد أن طوقوها من كل جانب ولكن رشيد صمدت ولم تستسلم وصبرت رغم تهم الكثر من المنازل وسقوط العديد من الضحايا بين قتلى وجرحى. وقد انزعج الانجليز أمام هذه المقاومة الرائعة . وتحيروا فى سر استبسال الوطنيين الذين أصبحوا فى عزلة تامة عن باقى المدن ولم يعد أمامهم سوى الاستشهاد تحت الجدران التى كانت تنهوى من أثر قصف المباني والمدافع ، وقد بدت دهشة الانجليز واضحة فى الكتاب الذى أرسله الجنرال ستىوارت فائد الحيلة الى فريزر فى الاسكندرية يقول فيه « تبين لنا أن الأعداء لا يكثرثون بالمصائب التى تنزل بهم . وأن قواتهم لا تزيد على ما بلغنا عن ٣٠٠ من الفرسان و ٨٠٠ من الارناؤط وألف من الأهالى المسلحين ، ولكنه نظرا لسعة خطوط دفاعهم وطبيعة مواقعهم أرى من الحكمة أن أتعجل باقتحام المدينة وأن نجاحنا متعلق على نجدة الممالك فاذا جاءوا اليانا أمكننا أن نرسل الى البر الشرقى من النيل قوة تشترك معنا فى القتال أما الآن فيستحيل علينا ذلك لأن العدو متفوق علينا فى قوة فرسانه وليس لدينا مثل هذه القوة التى لها عمل كبير فى الجهات المنبسطة كالدلتا ، وفى انتظار تلك النجدة تبين لنا أهمية موقفنا فى الحماد فائنا نتوقع أن يهاجمنا الأعداء فيها وسنبذل كل جهودنا لاستبقائها فى يدنا » .

وكان أهل رشيد فى صمودهم العجيب لقوات اغزو تنتظر النجدة من مصر. هى الأخرى وأرسل السيد قبيب الأشراف برشيد رسالة الى السيد عمر مكرم يستحثه فيها على ارسال الرجال والعتاد استعدادا للمعركة الفاصلة . ولم يكن السيد عمر مكرم فى حاجة الى رسالة قبيب الأشراف برشيد لأنه منذ أن تحركت حملة ستىوارت وهو دائم الحركة لا يهدأ له قرار فتراه يخطب فى الجماهير يحضهم على التطوع لمحاربة العدو ثم يعقد الاجتماعات لأعيان البلاد ليحثهم على التبرع بالمال . وأخيرا نجده بين العمال والأهالى الذين يحفرون الخنادق وقيمون الاستحكامات وقد لى نداء السيد عمر

مكرم كثير من الأهالى والوطنيين الذين سافروا على الفور الى رشيد ، وفى ذلك الوقت عاد محمد على من الصعيد وكان يطارد المماليك هناك لمجابهة الموقف فى مصر . ورأى أن لا يترك الشعب فى رشيد يكافح بمفرده — قوات الغزو واجتمع مع العلماء وقادة الشعب وقرروا ارسال جزء من الجيش لمؤازرة الوطنيين هناك . وكانت الحملة ينقصها المال وعلى الفور تبرع أهالى القاهرة بتسعمائة كيس من النقود لتغطية نفقات الحملة وانضم الجيش الى رجال المقاومة فى رشيد الذين ظلوا يقاومون الانجليز وحدهم ما يقرب من أسبوعين وبوصول النجدات ارتفعت معنوية الشعب وزادت حماسه وقويت شكيمته وأسرع للقاء الانجليز وكان أول لقاء بينهما فى قرية أبى حماد التى كان يحتلها الانجليز لأهميتها الحربية ، اذ كانت تقع فى برزخ بين النيل وبحيرة أدكو . وفى ٢٠ أبريل سنة ١٨٥٧ دارت المعركة للاستيلاء على هذه القرية ذات الموقع الهام وطرد الانجليز — الذين أرسلوا فى ٢١ أبريل قوة كبيرة لتعزيز حامية قرية أبى حماد ولكن المصريين المتعطشين للانتقام باغتوها وأحاطوا بها من كل جهة ، وحسى وطيس المعركة ورجحت كفة المصريين ، وسقط الانجليز وتهاوت الرؤوس الحمراء تحت الأقدام ، واستسلم بعضهم وهرب البعض الآخر . وتعقب المصريون فلول حملة فريزر فى السهول والوديان حتى كتب لهم النصر بعد أن قتلوا من الانجليز ما يزيد على ٤٥٠ قتيلًا ، وأسرو أكثر من ٤٠٠ جندى وضابط من جنود الامبراطورية ولما علم الجنرال ستيوارت بنتيجة المعركة وما أصاب جيشه من هزيمة قرر الانسحاب من رشيد ، فأتلقت مدافعه ومعداته وقفل راجعا الى الاسكندرية يجر أذيال الخيبة والخذلان . وعلى الرغم من تكتم الانجليز لأمر انسحابهم فان المصريين عرفوا به وتعقبوهم أثناء انسحابهم وظلوا يطلقون عليهم النار طوال طريق انسحابهم الذليل وانتقلت أنباء انتصار الوطنيين فى رشيد الى جميع الأرجاء . واحتفلت مصر رسميا بهذا اليوم فما كادت شمس يوم ١٣ أبريل تبزغ حتى دوت طلقات المدافع فى الأفق تعلن فرحتها بهذا الانتصار الكبير ويقول — الجبرتى فى هذا : « فى يوم الخميس حضر شخصان من السعادة وأخبرا بالنصر على الانجليز وهزيمتهم ، وذلك أنه قد اجتمع الحجم الكبير من أهالى البحيرة وغيرها وأهالى رشيد ومن معهم من المتطوعين والعساكر وأهل دمنهور

وصادف وصول كتخدا بك واسماعيل كاشف الطوبجى الى تلك الناحية ، فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة وأسروا من الانجليز طائفة ، وقتلوا منهم عدة رؤوس فخلع الباشا محمد على على الساعيين جوختين ، وفي أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك بسكاتبات بتحقيق ذلك الخبر وبالغا فى الاخبار وأن الانجليز انجلو عن متاريس رشيد الى مندور والحماد — ولم يزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم الى أن توسطوا البرية وغنموا ضماناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين » .

وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ وقعت معاهدة الصلح بين انجلترا ومصر على جلاء القوات البريطانية من الاسكندرية فى مدى عشرة أيام على أن يسلم محمد على الى القوات البريطانية الأسرى والرهائن الانجليز .

وبهذا النضال الرائع ، سجل الأهالى فى رشيد أروع صفحة من صفحات الكفاح التى قام بها الوطنيون المصريون فى كفاحهم الطويل ضد المستعمرين والغزاة .



الباب الثاني  
الشعب والجيش  
فمن الثورة العربية

- ١ - أسس الثورة •
- ٢ - الجيش أمل الشعب •
- ٣ - الشعب والجيش يواجهان الاحتلال •





## ١ - أسس الثورة

### أعراض النكسة :

وصف الميثاق حكم محمد على بأنه ( نكسة ) ، عرقلت اليقظة المصرية ، وألحقت بها أفدح الأضرار . وقد استمرت هذه النكسة طوال حكم أسرة محمد على ، حتى ثار الشعب والجيش بزعامة أحمد عرابي .

وكانت الاحتكارات المالية الدولية أبرز أعراض هذه النكسة ، وقد أمدنا الميثاق بصورة تاريخية رائعة فقال : « وبدأت الاحتكارات المالية الدولية دورها الخطير في مصر ، وركزت نشاطها في اتجاهين واضحين ، هما حفر قناة السويس ، وتحويل أرض مصر الى حقل كبير لزراعة القطن ، لتعويض الصناعة البريطانية عن أقطان أمريكا التي قل ورودها الى بريطانيا بسبب انتهاء سيطرتها على أمريكا . ثم انقطاع وصولها تماما بسبب ظروف الحرب الأهلية الأمريكية » .

ومن أعراض هذه النكسة أيضا استنزاف القوى الأجنبية كل امكانيات الثروة الوطنية في مصر ، وأبرز الميثاق هذه الحقيقة فقال : « ولقد عاشت مصر في هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الأجنبية ، ومصلحة عدد من المغامرين الأجانب الذين تمكنوا من السيطرة على أمراء أسرة محمد على ، وساعدهم على ذلك فداحة النكسة التي أصيبت بها حركة اليقظة المصرية » .

وقد استمرت هذه القوى الأجنبية في هذه السياسة الغادرة وراء الامتيازات الأجنبية أولا ، ثم عن طريق الأزمة المالية اثنيا . وأدى هذا كله امتيازاتها وتضخمها . فقد بدأ التدخل الأجنبي في شئون مصر عن طريق الامتيازات الأجنبية أولا ، ثم عن طريق الأزمة المالية ثانيا . وأدى هذا كله

الى التدخل فى شئون مصر الداخلية ، مما أثار مشاعر الشعب المصرى ، فقامت الثورة العرابية .

كان الأصل فى الامتيازات الأجنبية تسهيلات وضمانات منحتها الدولة العثمانية للأجانب المقيمين فى أراضيها ، ومنها مصر ، وذلك تشجيعا لهم على الإقامة والتجارة واستغلال أموالهم فى المجال الاقتصادى . ولكن هذه الامتيازات اتخذت صورة خطيرة بعد انحلال الدولة العثمانية وضعفها ، فقد أصبحت هذه الامتيازات جسرا عبره الأوروبيون للتدخل فى شئون مصر وسائر الولايات العثمانية . وتدفق الأجانب على مصر فى القرن التاسع عشر شكل لم يسبق له مثيل ، وبلغت اقامتهم حد الاستيطان الدائم . ومما أدى الى زيادة خطر الامتيازات ضعف الحكومة المصرية فى عهدى سعيد واسماعيل واتباع هذين الحاكمين سياسة مكنت للأجانب فى مصر ، وشجعتهم على التدفق الى البلاد حتى بلغ عددهم أكثر من سبعين ألفا سنة ١٨٧٨ مقابل ثلاثة آلاف سنة ١٨٣٦ ، واستسلم سعيد لقناصل الدول الأجنبية ومنحهم حقوقا واسعة لم تكن لهم . كما استفاد هؤلاء الأجانب من تبذير اسماعيل وسفهة وفازوا بالمزيد من الامتيازات . وأصبح الأجانب لا يحاكمون الا أمام المحاكم القنصلية مما أقص من سيادة الدولة المصرية . وما لبث اسماعيل أن أنشأ المحاكم المختلطة وجعل معظم قضاتها من الأوروبيين الذين تحيزوا للأجانب ضد المصريين .

أما الأزمة المالية فقد ظهرت بوادرها فى عهد سعيد ، فقد منح امتياز قناة السويس للأجانب ، وأسرف فى الاستدانة من البيوت المالية الأجنبية لينفق على ملذاته ورفاهيته . وكان سعيد يستدين من المرايين ديونا سائرة بواسطة سندات يحررها على الخزانة بالقيمة المقرضة . ومات سعيد تاركا وراءه دينا يزيد أصله على عشرة ملايين من الجنيهات . وسار اسماعيل على نفس السياسة ، فاقترض من البنوك مبالغ كبيرة بفوائد عالية ورهن عليها موارد البلاد لسداد أقساطها ، وتراكت الديون على مصر حتى بلغت سنة ١٨٦٩ أى بعد ست سنوات من توليته الحكم مبلغ ٥٠٠ر٠٦١ر٣٥٠ جنيها . وأتفق اسماعيل جوالى ٣ مليون جنيه على الهدايا والرشاوى التى بذلها

وحاشيته للحصول على فرمان سنة ١٨٦٦ الذى جعل وراثة العرش فى أكبر أبنائه ، كما أُنق حوالى ٢ مليون جنيه للحصول على لقب ( خديو ) سنة ١٨٦٧ . كما أُنق مليوناً ونصف مليون جنيه فى حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ . رهن اسماعيل أطيانه الخاصة ، ثم رهن إيرادات السكك الحديدية والضرائب الشخصية والضرائب غير المقررة وعوائد الملح ، ثم لجأ الى عقد قروض داخلية من أهالى البلاد سنة ١٨٧١ اتخذت صورة اجبارية .

وفى سنة ١٨٧٥ وصلت الأزمة المالية الى ذروتها ، وتضخمت الديون وفوائدها الباهظة ، وعجزت الحكومة عن سداد الأقساط ، وكادت تعلن إفلاسها ، وكانت جميع موارد الدولة مرهونة للديون ، فأقدم اسماعيل على بيع أسهم مصر فى قناة السويس وهى ٧١٦٠٢٠٢ سهماً أى ما يقرب من نصف رأس مال شركة قناة السويس ، اشترتها إنجلترا بثمان بخص قدره ٣٩٠٦٧٠٥٨٣ جنيه ، فأصبح لانجلترا تفوذ قوى فى شئون القناة ، ومهدت هذه الصفقة للاحتلال البريطانى فيما بعد .

وأدت الأزمة المالية الى التدخل الأجنبى ، وعرضت إنجلترا على اسماعيل ارسال ( بعثة كيف ) سنة ١٨٧٥ لحل المشكلة المالية ، فوافق اسماعيل ، فكان هذا اعترافاً منه بالتدخل الأجنبى . وما لبثت فرنسا أيضاً أن أرسلت أحد موظفيها ، واشتد التنافس بين الدولتين حول التدخل فى شئون مصر . ثم تكون ( صندوق الدين ) سنة ١٨٧٦ من مندوبين عن الدول الدائنة ، وأصبح هذا الصندوق أول هيئة رسمية أوروبية أنشئت لغرض التدخل الأجنبى فى شئون مصر . ثم قدمت بعثة ( جوشن - جوير ) الانجليزية الفرنسية ، ثم قام نظام المراقبة الثنائية ، فقد تولى مراقبان ، أحدهما انجليزى والآخر فرنسى ، للإشراف على مالية مصر .

ازدادت أحوال مصر المالية سوءاً ، فانتشرت المجاعة فى البلاد ، وساءت حال الموظفين بسبب عدم دفع مرتباتهم ، واضطر الفلاحون الى بيع محصولهم قبل الحصاد بنصف الثمن أو أقل ليحصلوا على أقواتهم الضرورية ، وانتشرت الأوبئة ، وتناقص عدد السكان . وفرضت إنجلترا وفرنسا تأليف وزارة مختلطة يدخلها وزيران أوروبيان ، أحدهما انجليزى لوزارة المالية ، والثانى فرنسى

لوزارة الأشغال ، وأوعزت الدولتان الى الخديو باختيار نوبار باشا لرئاسة هذه الوزارة ، وهو معروف بولائه للدولتين وتحيز نوبار للأجانب ، وأبعد الموظفين المصريين بحجة الاقتصاد فى النفقات ، واشتد فى جمع الضرائب ، مما ألهب مشاعر المصريين ، وبدأ الكفاح الشعبى يظهر على مسرح الأحداث فى مصر .

## روح الشعب لم تستسلم :

اقتبسنا هذا العنوان من الميثاق ، فالشعب المصرى يتميز دائما بالحيوية المتدفقة ، التى تجعله مستعدا للكفاح والنضال فى كل حين ، وكانت هذه الكوارث هى الوقود الذى ألهب نيران الثورة الشعبية، وكانت هذه المحن هى التى أطلقت طاقات الشعب المصرى .

قال الميثاق : «على أن روح هذا الشعب لم تستسلم ، وانما استطاعت تحت المحن العvisية فى هذه الفترة أن تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظة المناسبة » .

وكان ( العلم ) هو مصدر هذه الطاقة ، وكان شباب مصر المتعلم هم أساس اليقظة المصرية التى بددت النكسة التى أصابت الكفاح الشعبى بعد حكم محمد على . فقال الميثاق : « وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه آلاف من شباب مصر الرواد ممن أرسلوا أيام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم محمد على ، الى أوروبا ، ليتمكنوا من العلم الحديث . فان هؤلاء استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن أن يجلبوا معهم بذورا صالحة ما لبثت التربة المصرية الخصبة لمصر أن احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر ألوانا رائعة من الأزهار على ضفاف النيل الخالد » .

وأصبح هؤلاء الشباب المصرى منبرا للفكر العربى ، ومشعلا للكفاح الشعبى ، فقال الميثاق : « وليس صدفة أن هذه الزهور المتفتحة على ضفاف وادى النيل كانت بمثابة الومضات الالامعة التى لفتت أنظار العناصر

المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر ، وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله ، ومسرحا لفنونه ، وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة والموهومة .

وهذا يجرنا الى الحديث عن هذه « الزهور المتفتحة » التى أصبحت « منبرا للفكر العربى » ومن هؤلاء ، رفاة الطهطاوى ، الذى شهد أحداث ثورة يوليو ١٨٣٠ وهو بفرنسا ، فتأثر بهذه الثورة وبدستورها ، وبدعوتها الى الحرية ، وكتب حين عاد الى مصر فى الوطنية وتاريخ مصر القديم ، وواجب العمل على رفاهية مصر كما تحدث عن حقوق الأمة ومطالب الشعب وأوضح مدى رقابة السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية ، وغير ذلك من المبادئ القانونية والدستورية التى جلبها مما كان سائدا حينئذ فى فرنسا . ولم يكن معروفا فى مصر « وأفرغ هذه المبادئ فى كتاب أسماء ( تلخيص الابريز فى تلخيص باريز ) ، وقد أوغرت هذه الأفكار الجديدة صدر عباس الأول عليه فنفاه الى السودان .

ونجد أيضا على مبارك ، الذى كان من أعضاء البعثات أيام محمد على ، يستعمل بعد رجوعه لفظ «مواطن» للتفرقة بين المصريين وغيرهم ، ومن ثم كان المبشرون بهذه الدعوة الجديدة فى مصر متأثرين تأثرا واضحا بالتفكير الأوروبى، بل ان أحمد عرابى ذاته — الذى قرأ تاريخ نابليون أثناء رحلة له مع سعيد باشا الى الحجاز — استعمل لفظى المصريين والأمة المصرية بمعناها الحديث .

وفى عهد محمد على امتد نفوذ مصر فى أفريقيا والشرق الأدنى ، وانتشرت الحساسة للجيوش المصرية المتقدمة فى الشام وآسيا الصغرى ، وظهرت أفكار جديدة حول تكوين دولة عربية كبرى تضم ولايات الامبراطورية العثمانية التى بتكلم أهلها اللغة العربية . وهكذا أخذت تنمو فكرة القومية بمعناها الحديث ، وان يكن نسوها بطيئا ، بسبب ضيق نطاق الحركة التعليمية والثقافية ، وعدم استيعابها لقطاعات شاسعة من المواطنين، مما جعلها لا تثبت أمام المشاعر الدينية التى طغت عليها فى ابان الأزمات ، وخاصة بعد اشتداد الأطماع الاستعمارية فى العالم الاسلامى .

ومن العلماء الذين كان لهم أثر كبير في الثورة العربية والكفاح الشعبى فى مصر خاصة ، وفى العالم العربى عامة الفيلسوف جمال الدين الأفغانى ، وكان يدعو الى الحرية والمساواة ويطالب بحقوق الانسان والشعب ، ومن أجل هذا أنشأ صحيفتى مصر بالقاهرة والتجارة بالاسكندرية كما خطط لجريدة ثالثة اسمها « أبو فضارة » رأس تحريرها الأستاذ يعقوب صنوع ، وكان ينتقد سياسة اسماعيل ويهاجمها ، وكان يلقي تعاليمه على مريديه وطلبته فى منزله بخان الخليلى أو بقهوة البوسطة « بالعتبة الخضراء » وهم كثيرون نذكر منهم : الشيخ محمد عبده ، وابراهيم اللقانى ، ومحمود سامى البارودى ، وعبد السلام الموالحى ، وسعد زغلول ، وسرت تعاليم جمال الدين بين الناس سريان النار فى الهشيم . فخشى الخديوى توفيق على نفسه من هذه الآراء الحرة فاستدعى الأفغانى وقال له « انى أحب كل خير للمصريين ويسرنى أن أرى بلادى وأبناءها فى أعلى درجات الرقى والفلاح — ولكن مع الأسف أكثر الشعب جاهل لا يصلح أن يلقي عليه ما تلقونه من الدروس والأقوال المهيجة فيلقون أنفسهم والبلاد فى تهلكة » .

ورد جمال الدين قائلا : « ليسمح لى أمير البلاد أن أقول بحرية واخلص أن الشعب المصرى كسائر الشعوب لا يخلو من وجود الخامل والجاهل بين أفرادهم ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل — فالنظر الذى — تنظرون به الى الشعب المصرى ينظر به اليكم وان قبلتم نصيح المخلص وأسرعتم فى اشراك الأمة فى حكم البلاد وعن طريق الشورى فتأمرون باجراء انتخابات نواب عن الأمة تسن القوانين وتنفذها باسمكم واراadtكم بكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » وقد أخذ جمال الدين الأفغانى يدرّب الشباب على الكتابة ، ويوحى اليهم بالمعاني الجديدة التى يكتبونها ، ويشجعهم على اصدار الصحف التى تتصدى للكتابة فى الموضوعات التى تمس حياة الأمة فى صميمها . فشجع أديب اسحق على أن ينشئ جريدة « مصر » التى كان جمال الدين يرسم له خطة السير فيها ، ويكتب بنفسه مقالاتها باسم مستعار . كما شجعه على اصدار صحيفة « التجارة » ، وأخذت هاتان الجريدتان تنشران ما يوضح مبادئ الوطنية ،

ويعرف الناس بأصول المبادئ الحرة . وأصدر ميخائيل عبد السيد — بإيعاء من جمال الدين — جريدة « الوطن » ذات الصبغة السياسية الأدبية التي انضمت الى شقيقاتها قبل الاحتلال وبعده في تعضيد الحركة الوطنية . وشجع يعقوب صنوع على انشاء مجلة هزلية اسمها « أبو نضارة » التي كانت أولى الجرائد العربية التي تكتب بأسلوب عامي فكاهي ساخر ، وانتقدت التدخل الأجنبي والامتيازات التي تمتع بها الأجانب ، بل تقلت اسماعيل نفسه فصادر المجلة .

ومن وراء هذه الصحافة الناشئة كان نشاط جمال الدين في الهيئات الماسونية الأجنبية التي كانت تضم فئات مصرية مختلفة : من أدباء وضباط وعلماء وداشوات وطلبة الأزهر وخريجيهِ ، وبعض أعضاء مجلس شورى النواب الذي أنشأ اسماعيل في عام ١٨٦٦ ولم ترق هذه الآراء ولا ذلك النشاط بطبيعة الحال للخديوي توفيق فقبض عليه ونفاه الى خارج مصر في ١٨٧٩/٨/٢٤ .

ومن خطباء الثورة العرابية عبد الله النديم الذي اعتنق مبادئ — جمال الدين فأنشأ مدرسة خيرية اسلامية بالاسكندرية من التبرعات التي جمعها من الأعيان وأدخل فيها لأول مرة تعليم البرامج الوطنية والقومية ثم أنشأ صحيفة أسماها « التكييت والتبكييت » وعندما قامت الثورة العراقية انتقل الى مصر وتعرف على زعمائها وانضم الى الثورة ثم أصبح خطيبها والمتحدث بلسانها .

ومن العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في اليقظة الفكرية وقتذاك الشيخ محمد عبده — تلميذ جمال الدين والحافظ لتعاليمه ، وقد دعا هو أيضا الى الحرية وسعى الى نشر الوعي الوطني والقومي بين أفراد الشعب — وعندما قامت الثورة العرابية انضم اليها ودعا لها . وبعد فشل الثورة تقي الى الخارج مع زميله عبد الله النديم وغيره من زعماء الثورة .

هؤلاء كانوا بعض العلماء والمفكرين الذين كان لهم أثر في نشر الوعي الوطني بين الشعب — وما لبثوا أن تأثروا بالثورة العرابية وتفاعلوا معها .



## ٢ - الجيش أمل الشعب .

### غضب الجيش :

لم يكن ثمة عدل ولا قانون ولا قضاء ينصف المظلوم ويعطى كل ذى حن حقه ولا حرية ولا مساواة ، ولا ضمانات قانونية ، تنقل للناس حقوقهم وحباتهم وكان الضرب بالكرباج شائعا يتخذه الحكام وسيلة لتحصيل الأموال وأداة للقسوة والتعذيب .

ومما زاد الطين بلة أن النفوذ التركى والشركسى كانا يسيطران على المجتمع المصرى ، وزاد الحالة سوءا وجود عثمان رفقى وهو شركسى متعصب - وزيرا للحرية فى وزارة رياض باشا ، وكان يؤثر الضباط الأتراك على زملائهم المصريين ويفرق بينهم فى المعاملة وكان من نتيجة ذلك أن احتل الضباط الأتراك المراكز الهامة فى الجيش ، فى حين تخلف المصريون وظلوا فى رتبهم مددا طويلة دون ترقية بل أنه كان يعين الضباط الأتراك فى المدن الرئيسية والوظائف المرموقة ، ويترك ما عدا ذلك للضباط المصريين دون أى اعتبار لكفاءة أو شجاعة .

وكان من أثر هذه التفرقة الغاشمة أن شعر الضباط المصريون بوطأة الظلم عليهم فبدأوا يتجمعون - ويتشاورون لرد طغيان الضباط الشراكسة ووقف حملة الظلم التى شنّها رئيسهم عثمان رفقى . ووجدوا فى أحمد عرابى (١) وكان ضابطا برتبة أميرالاي بالجيش بغيتهم ، وكان يمتاز بدمائة الخلق والجرأة فضلا عما يتمتع به من شخصية جذابة ، فالتفوا حوله وعقدوا عليه الآمال ، وساروا يجتمعون به فى بيته بين الحين والحين ، وفى ذلك

---

(١) ولد أحمد عرابى فى ٣١ من مارس سنة ١٨٤١ بقرية هريه بحوار مدينته الرقاريق بقرية من أسرة عربية صميمه .

الوقت صدر قانون القرعة العسكرية الذي كان من شأنه الحيلولة دون ترقى الضباط من تحت السلاح وفتح باب الترقى للأتراك وحدهم مع ما كان معروفا عنهم من جهل وغباء يتنافسهم فيهما وزيرهم عثمان رفقى الذي وردت أنباء جهله بين ما ورد عن ثورة عرابى من أنباء وزادت الحالة سوءا عندما أصدر عثمان رفقى أمره بنقل الأميرالاي عبد العال حلمى قائد آلاى طره الى ديوان الجهادية برتبة معاون بها تنزيلا لدرجته . وتعيين خورشيد الشركسى مكانه ، كما فصل مصريا آخر هو أحمد عبد الغفار من الجيش وعين مكانه ضابطا تركيا هو شاكر بك طمازة .

فاستشاط عرابى غضبا لهذه الأنباء ، وكان مدعوا بمنزل نجم الدين باشا ، وقال لمن معه « ان هذه لقمة كبيرة لا يقوى على هضمها » وتوجه الى منزله وكان به بعض الضباط الذين تعودوا الاجتماع به من أمثال الأميرالاي عبد العال حلمى قائد آلاى طره المنقول ، والبكباشى خضر ، والأميرالاي على فهمى قائد الآلاى الأول وهو آلاى حرس الخديوى ، والبكباشى ألفى يوسف وأحمد عبد الغفار ، واجتمع بهم وفى هذا الاجتماع اتخبوا عرابى رئيسا لهم . ويقول عرابى فى مذكراته أنه رفض هذه الانابة ولكنهم صسموا عليها وقال لهم : « أنظروا الى غيرى وأنا أسع وأطيع وأنصح له جهدى فقالوا انا لانبغى غيرك ولا تتق الا بك فأثب لهم أن الأمر عصب ولا يسع الحكومة الا قتل من يتصدى لها ، فقالوا نحن تفديك وتفدى الوطن العزيز بأرواحنا فقلت لهم : أقسموا على ذلك فأقسموا على السيف ، والمصحف » وأرسل عرابى على الفور رسالة الى رئيس الوزراء رياض باشا أوضح فيها ما يقع فى الجيئ من الظلم بالتفرقة التى يقوم بها عثمان رفقى بين الضباط والأتراك وزملائهم المصريين ، وطالب بارجاع من عزلهم وزير الحرية . ووقع على هذه العريضة عدا عرابى كل من على فهمى وعبد العال حلمى

وفى يوم ١٧ من يناير سنة ١٨٨١ — أى غداة يوم الاجتماع — قدموها الى رئيس الوزارة رياض باشا الذى حاول تهديدهم قائلا : « ان تقديم مثل هذه العريضة يؤدى الى الهلاك ، ولكن عرابى وصحبه لم يرهبهم

تهديد رياض وأجابوه بأن مطالبهم تستند الى العدالة والحق والقانون ، ولولا — اقتناعهم لما كتبوها ولا حضروا . وأخيرا قال لهم رياض أنه سينظر في طلباتهم واجتمع مجلس الوزراء بعد ذلك في سراى عابدين بحضور الخديوى توفيق وقرروا القبض على الزعماء الثلاثة ومحاكمتهم عسكريا ، وكان صاحب هذا الرأى عثمان باشا رفقى ، وأيده الخديوى ، وكان يعارضه رئيس الوزراء وبعض الوزراء ، ولكنهم لم يلبثوا أن وافقوا على رأى وزير الحرية والخديوى . وتألف المجلس العسكرى برئاسة الجنرال ستون رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، ثم تحايل عثمان رفقى لكى يقبض على عرابى وصاحبيه بأن وجه لهم بطاقات دعوة لحضور الاحتفال بزفاف الأميرة جميلة هانم شقيقة الخديوى . وشعر عرابى وصاحبه بما يدبر لهم ، فاتفقوا مع باقى وحدات الجيش لمراقبة الحالة ، وذهبوا الى ديوان الوزارة بقصر النيل ، التى أصبحت ثكنات الجيش الانجليزى بعد ذلك وبمجرد حضورهم حردهم الضباط الشراكسة الموالون للحكومة من أسلحتهم وقرأ الجنرال ستون عليهم الأمر القاضى باعتقالهم ومحاكمتهم . وسار المعتقلون الثلاثة بين صفين من الضباط الشراكسة الذين كانوا يشهرون فى وجه عرابى وصاحبيه سيوفهم ويوجهون اليهم أقذع الألفاظ حتى أودعوا السجن بقصر النيل . وعين عثمان رفقى على الفور ضباطا بالجيش مكان عرابى — وصاحبيه . ولما علم الجيش ما وقع لعرابى ورفيقيه ثار الضباط وقام — البكباشى محمد عبيد فأمر الجند بالتوجه لاقطاف المعتقلين ولما حاول القائمقام خورشيد بسمى الذى عينه عثمان رفقى مكان على فهمى الاعتراض ، أمر عبيد باعتقاله . واتجه الجيش بكامل أسلحته بقيادة محمد عبيد الى قصر النيل ، فلما علم الخديوى بتحرك الجيش أرسل لهم ياوره الخاص الفريق راشد باشا لتهدئة الحالة ، ولكنهم لم يعبأوا به ، فعاد الخديوى وطلب مقابلة الضباط فرفضوا ولم يستمعوا له وضربوا حصارا حول قصر النيل وهاجموه شاكى السلاح ودخلوا الى القصر مهللين منتصرين ، فهرب الضباط الشراكسة منه وعلى رأسهم عثمان رفقى ، ولم يجدوا بالقصر سوى أفلاطون باشا وكيل وزارة الحرية ، وأستون باشا رئيس المحكمة العسكرية التى كانت ستحاكم قادة الثورة ، وبعض الأجانب

فاعتقلوهم وأنفذوا الضباط الثلاثة أحمد عرابي وعبد العال حلمي — وعلى فهمي — وكان أول شخص اقتحم الحجرة التي اعتقلوا بها البكباشي الشجاع محمد عبيد — وقد استشهد بعد ذلك أثناء مقاومة الانجليز في معركة التل الكبير .

كان الآلاي الأول بقيادة البطل محمد عبيد هو أول من خف لاقصاد الضباط المعتقلين وتبعه آلاي طره الذي كان يرأسه عبد العال حلمي — قبل أن يفصله عثمان رفقي — وقد عين مكانه الأميرالاي خورشيد نعمان — وعندما سمع هذا بأنباء الاضرابات حضر لينسلم الآلاي وكان معه خورشيد باشا طاهر وأحمد بك حمدي ياور الخديوي ولكن البكباشي خضر أفندي حضر واعتقلهم كما اعتقل من كان معهم من الضباط ثم قاد فرقته بعد أن سلحها الى قصر النيل وقد أرسل الخديوي للبكباشي خضر ياوره ليقتعه بالعودة لأن عرابي ورفيقه كان قد فك اعتقالهم محمد عبيد فلم يستمع له واعتقد أن الخديوي يغرر به . وعندما وصل آلاي طره الى ميدان عابدين التقى بالآلاي الأول بعد أن فك أسر الضباط الثلاثة ، وكان لقاء حارا وما لبث أن عزفت الموسيقى وتعالن هتافات الناس معربين عن فرحتهم بهذا الانتصار ، وتوافدت جماعات من الشعب لتحية الجيش معرية بذلك عن سرورها لهذه الطفرة — الجديدة التي كانوا ينتظرونها منذ أمد طويل . وكان لهذه المظاهرة العسكرية دوى كبير فاضطر الخديوي للاذعان لطلبات الجيش .

ف عزل عثمان رفقي وعين مكانه محمود سامي البارودي الذي كان يعطف على حركة الضباط واستمر عرابي يوالى طلباته ويجتمع سرا بمنزله مع زملائه حتى استجابت الحكومة لمطالبه العادلة الأخرى وتحسنت حالة الجيش عن ذي قبل ، وارتفعت مرتبات الجند والضباط ولكن الخديوي والضباط — الشراكسة لم يعجبهم انتصار الوطنيين ، فبدءوا في اثاره الفتن وحوك الدسائس من ذلك ما ثبت من مؤامرة يوسف باشا ناظر الخاصة الخديوية ، وتحريض الخديوي لبعض الضباط السودانيين كفرح الزيني وغيرهم . وفي أثناء ذلك أقال الخديوي سامي البارودي من وزارة الحربية

على أثر ما أبداه من ملاحظات على قسوة الحكم الذى أصدره الخديوى على بعض الجنود لقاء احتجاجهم على مقتل زميل لهم (١) . فغضب الجيش وتوجس خيفة ، وأراد عرابى أن يستعين بنصيحة اسماعيل باشا راغب الذى عرف عنه بعد النظر وسداد رأى ، فأشار على عرابى بضرورة قتل الخديوى وتولى الجيش السلطة ، وقد رفض عرابى هذه النصيحة وذكر ذلك فى مذكراته بقوله :

« فعلمنا مبلغ حكمه ، واستعدنا بالله من شر رأيه لأننا لم نر الا الاصلاح بالتي هي أحسن ولأن ذلك العمل الفظيع كان ضد مبادئنا على خط مستقيم » ولو أن عرابى استمع لهذه النصيحة ، واستولى الجيش على الحكم واكتفى بنفى الخديوى بدل قتله لوضع الانجليز خاصة والدول عامة أمام الأمر الواقع ، ولا استتب الأمر لحكم الشعب . ولما وجد الانجليز الوسيلة التى تذرعوها بها بعد ذلك للاستيلاء على مصر وهى حماية الخديوى ولكن احجابه عن اتخاذ هذه الخطوة أعطى الانجليز والخديوى وأعوانهم من الأتراك — والاقطاعيين فرصة لرسم الخطط ثم للاتقضاض . ولقد مرت نفس هذه الظروف تقريبا على مصر سنة ١٩٥٢ فلم يتوان الجيش ولم يقع فى الخط الذى وقع فيه عرابى وقام البكباشى جمال عبد الناصر فقاد الجيش والأمة وطرد الملك فاروق وأذنبه وحرر البلاد من الانجليز وأعوانهم — ومع ذلك فلم تسفك قطرة دم واحدة .

ولايهنا فى هذه العجالة أن نؤرخ الثورة العرابية أو نبين أسبابها وبواعثها ولا التسلسل التاريخى لها بقدر ابراز ما اقترفه الخديوى من الخيانة بتعاونه مع الانجليز والأتراك والأجانب ضد البلاد فى الوقت الذى تفاعل فيه الشعب والجيش مع قادتهما من أبناء البلاد الحقيقيين .

فنقول أنه كان يحج الى دار عرابى فى ذلك الوقت العصيب كثير من

---

(١) أصاب أجيبى أثناء قيادته لعربته أحد الجنود المصريين فعله — فحمله رملاؤه الى قصر رأس التين بالاسكندرية وكان الخديوى توفيق يصطاف بها عارضين عليه سسكواهم فاعبر الخديوى هذا العمل امانة لقامه وأصدر حكما عسكريا عليهم وكانوا ثمانية جنود بالاشغال الشاقة المؤبدة .

العلماء والأعيان يؤيدونه ويبايعونه مما شجعه على المضي في طريقه ، وقد أوضح ذلك في مذكراته بقوله :

(ثم أخذت في نشر أفكارى بين العلماء والأعيان وعمد البلاد ومشايخها وقد وفدت علينا الوفود من جميع أنحاء القطر وسلمتنا عرائض النيابة عنها وقوضت إلينا العسل لما فيه سعادة البلاد وخلصها من براثن رجال الاستبداد ومعلنة تضامننا معنا في كل ما تقوم به من أعمال الإصلاح وما ينتج عنها من النتائج ) .

ولكن الخديوى ظل سادرا في غيه ، فبعد أن أقال محمود سامى البارودى عين صهره داود باشا يكن وزيرا للحرية ليبدأ فى تشيت فرق الجيش الموالية لعرابى ونفيها لجهات متفرقة مع تقريب الموالين للخديوى فى القاهرة لمؤازرته عند اللزوم ووجد عرابى أن الحالة تتفاقم سوءا يوما بعد يوما وأن الخديوى لا ينى فى تدبير مكائده ، ورأى أن الوقت قد حان ليقوم بالثورة ليحقق مطالب البلاد .

## الجيش يتحرك :

عندما ساءت الحالة الى هذا الحد اجتمع قادة الشعب وتشاوروا فيما بينهم عما يفعلوه لوقف تيار الطغيان — ورأوا أن يواجهوا الخديوى بطلباتهم وأن يتوجهوا اليه فى مظاهرة رسمية ، وعلى أثر ذلك أمر عرابى زملاءه فى الجهاد بأن يكونوا بفرقهم وبكامل سلاحهم بميدان عابدين فى تمام الرابعة من مساء يوم الجمعة الموافق ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وأخطر الخديوى بهذا الميعاد الذى حاول تهدئة الحالة والسيطرة على الموقف دون جدوى ، ولقد بلغ به الأمر أن ذهب بنفسه ومعه رئيس الوزارة رياض باشا الى رجال الجيش وحاول استمالة الضباط والجنود ، ومر على جميع الفرق فى قشلاق عابدين والعباسية والقلعة وراح يستعطفهم ويتودد اليهم ويقول لهم : « أأست خديوكم — أأست ولى أمركم — هل تأخر لأحد منكم راتب أو — نقصت له مؤونة ؟ » .

ولكن الجنود والضباط كانوا قد أصموا آذانهم ولم يستمعوا  
— لاستعطاف — الخديوى ولا لتوسلاته — وعندما اقتربت الساعة من  
الرابعة عاد الخديوى الى عابدين وقد نعى اليه أن عرابى فى طريقه على رأس  
الجيش متجها الى الميدان الكبير . ويصف أستاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى  
هذا اليوم المجيد فى تاريخه المحقق فيقول :

« احتشد الجيش فى الموعد المضروب فى ميدان عابدين — وكان أول  
من حضر الى الميدان آلاى الفرسان ( السوارى ) بقيادة أحمد عبد القفار ،  
ولعله بادر بالحضور لأنه كان أول الناقمين على النظام القديم ، اذ فصله عثمان  
رفقى وزير الحرية التركى لغير ما سبب ، ثم جاء عرابى ممتطيا جواده  
شاهرا سيفه يقود آلاى العباسية وبصحبه آلاى المدفعية يقوده اسماعيل بك  
صبرى ومعه المدافع بذخيرتها ، وكانت المدافع تتخلل أورطة المشاة أثناء  
المسير ولما وصل عرابى تفقد على بك فهمى فلم يجده — وأخبره بعض  
الضباط أنه وزع آلاى الحرس داخل السراى ومعه كمية وافرة من الذخيرة،  
وأنه على استعداد للدفاع عنها اذا دعت الحاجة . فبعث اليه من فوره بالملازم  
محمد أفندى على ليستدعيه فحضر فسأله عرابى عن سبب جعله العساكر على  
أبواب السراى ، ومنافذها من الداخل ولم يكن هذا اتفاقهم من قبل ، فطمأنه  
على فهمى وقال له أن السياسة خداع وأنه باق على عهده ، فطلب اليه عرابى  
أن يسحب آلايه من السراى ويأخذ مكانه فى الميدان ففعل وأمر بخروج  
الآلاى من السراى . فخرج منها الجند جميعا واصطفوا الى جانب اخوانهم ،  
ثم تم ترتيب آلاى المدفعية والفرسان والمشاة على شكل مربع ، وجاء بعد  
ذلك الآلاى الثانى من قصر النيل يقوده بعض ضباطه ، ثم جاء الآلاى الثالث  
قادما من القلعة بقيادة البكباشى فودة أفندى حسن ، والآلاى السودانى قادما  
من طرة بقيادة عبد العال حلمى ثم أورطة المستحفظين يقودها القائمقام  
ابراهيم بك فوزى ، وبذلك اكتمل الجيش فى ميدان عابدين .

وخرج عليهم الخديوى توفيق وكان معه المستر كوكسن قنصل انجلترا  
فى الاسكندرية والمستر أوكلين كولفن المراقب المالى الانجليزى وبعض  
حرسه وظل سائرا حتى وصل الى مكان وقوف الجيش فى الميدان ، وكان

يتقدمه عرابى ومعه بعض ضباطه ، فترجل عرابى ونزل من فوق جواده . وهنا سمع عرابى مستر كوكسن ينصح الخديوى بقتله ، فقال الخديوى :  
« أقتله أمام كل هؤلاء الجنود الذين يحيطون بنا ؟ ولم يستمع لنصيحة كوكسن . والتفت لعرابى وقال له ما هو سبب حضورك ومعك الجيش الى هنا ؟ فأجاب عرابى : « جئنا با مولاي لنعرض عليك مطالب الجيش والأمة وجميعها طلبات عادلة » وهنا سأله الخديوى عن هذه الطلبات . فقال عرابى : طلباتنا هى عزل رياض باشا ، وتشكيل مجلس النواب ، وابلاغ عدد الجيش الى ١٨ ألف جندى . »

فاستشاط الخديوى غضبا وقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فهاثيا فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أتم الا عبيد احساناتنا : ولكن عرابى لم يهتز لهذه الغضبة بل أجابه بهذه الاجابة القوية التى ظلت خالدة على مر الزمن :

« لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا اله الا هو أننا سوف لا نورث بعد اليوم » .

وعند ذلك أشار مستر كوكسن على الخديوى بالرجوع الى القصر فامثل وبدأت المناقشة بين عرابى وكوكسن كالآتى قال كوكسن لعرابى : « ان عزل رياض من اختصاص الخديوى وحده ، ولكن طلب الجيش تشكيل مجلس للنواب ليس من اختصاصه وفى زيادة الجيش ارهاق لمالية الحكومة ولا داعى لها » .

فرد عرابى قائلا : « طلباتى يا حضرة القنصل متعلقة بالأهالى ولم أطلبها الا لأنهم اتخبونى نائبا عنهم فى تنفيذها عن طريق هؤلاء الجنود الذين هم بمثابة اخوانهم وأولادهم ، فهم القوة التى يعتمد عليها الوطن واذا نظرت الى هؤلاء المحتشدين خلف الجنود لوجدتهم أهالى البلاد الذين أنا بوبى عنهم للمطالبة بحقوقهم ولتعلم ييقين أثنى لن أتنازل عن طلبات الأمة ، ولن نبرح مكائنا هذا حتى نجاب لها . »

فقال كوكسن « أعلم من حديثك أنك ستنفذ طلباتك بالقوة ، وهذا معناه ضياع مصر ومحوها » .



فقال عرابى : « بأى حق تقول ذلك ، ومن الذى يحاول أن — يتعرض لنا فى أحوالنا وأمورنا الداخلية ؟ ولتعلم يا حضرة القنصل بأننا سنقاوم من يقف فى طريقنا مقاومة شديدة حتى آخر جندي » فقال كوكسن « وأين لكم بالقوة التى ستدافع بها » فقال عرابى :

إذا لزم الأمر فمن المسكن تجنيد ما يزيد على المليون جندي للدفاع عن الوطن ، وسيكون الجميع تحت قيادتي ينفذون ما أمر به « وعندئذ سأل كوكسن عما يفعله عرابى إذا رفضت طلباته؟ فقال عرابى — وكان مع كوكسن مستر أوكلين كولفن — أقول كلمة أخيرة ، فقال كوكسن وما هى قال : لن أقولها الا عند اليأس والقنوط .

ورجع كوكسن وكلفن الى الخديوى ورأوا جميعا الموافقة على طلبات الجيش فاستقال رياض وألف شريف باشا الوزارة وبدأ فى الإصلاحات ، فقام بتنفيذ مطالب الجيش والشعب وأنشئ فى عهده مجلس الأمة فى ديسمبر سنة ١٨٨٢ الذى نظرت اليه فرنسا وانجلترا بعين المستريب ودفعهما ذلك الى تقديم مذكرة فى يناير سنة ١٨٨٢ يتدخلان بمقتضاها فى الشئون الداخلية لمصر .

وسقطت وزارة شريف باشا على أثر ذلك ، وتولى الوزارة محمود سامى البارودى باشا صديق العرابيين ، وأسند وزارة الحرية لأحمد عرابى . وبذلك انتصرت الثورة مرة أخرى ، وكانت الفرصة سانحة لخلق الخديوى وطرد أعوانه ، لينفرد الشعب ويحكم نفسه بنفسه بعيدا عن مؤامرات الانجليز والضباط الأتراك ولكن الثورة ، أخطأت مرة أخرى فتركته ولم تتعرض له مما أعطى الفرصة لانجلترا وفرنسا لمعاودة التدخل وخاصة بعد أن أعلنت وزارة البارودى الدستور . كما بدأ الضباط الشراكسة بالجيش المصرى فى إثارة الفتن ، ومن ذلك تديرهم مؤامرة لقتل عرابى وقد انكشف أمرهم وحوكموا وكان من بين الضباط المؤتمرين عثمان رفقى وزير الحرية الشركسى السابق والعدو الأول لعرابى وأصحابه خاصة وللمصريين عامة .

وقد كانت محاكمة هؤلاء الضباط والحكم عليهم ماثار خلاف كبير بين الحكومة والخديوى الذى استعان بقناصل الدول الأجنبية يسترشد بآرائهم ،

لأنه كان يرغب فى تخفيف الحكم على الضباط الشراكسة ، وقد عدل الحكم فعلا بعد ذلك وأصبحت المسألة منتهية، ولكن الانجليز المتربصين ، وجدوا من هذا الحادث مبررا لتدخلهم بعد أن طال انتظارهم وكان سفير انجلترا فى مصر المسبو ادوارد مالت لاينفك مشيرا للدسائس بين الوزارة والخديوى ، وكان يرسل الشائعات المغرضة لبلاده وللبلاد الأوربية الأخرى يصور لها الحالة فى مصر بصورة قاتمة تنذر بأوخم العواقب ، ويعلم بأن الوزارة الوطنية ستستولى على الحكم وتطرد الخديوى وتهدر حقوق الأجانب . وعلى الرغم من أن الوزارة قد وعدت السفراء -- والقناصل الأجانب بضمان استتاب الأمن واستقرار الحالة فإن السير مالت أبرق للخارج يقول : ( ان ما أعطاه النظار من ضمان للمحافظة على حياة الخديوى والأوربيين لا يعتد به ) . وكان لهذه البرقية الأثر الذى أراده السفير ، فثار الرأى العام فى فرنسا وانجلترا وطلب السفير الانجليزى من وزارته ضمانا لاستقرار الحالة فى مصر أن ترسل الأسطول الانجليزى لحماية المصالح الأوربية المهددة بالانهيار ، ورأت انجلترا أن تستعين بفرنسا وأقنع اللورد جرتفيل وزير خارجية بريطانيا مسيو تيسو سفير فرنسا فى لندن بضرورة تعاون الدولتين فى ارسال أسطولهما الى المياه المصرية للقيام بمظاهرة بحرية لتهديد الحكومة المصرية ومنعها من الاعتداء على المصالح الأوربية .

وكانت انجلترا غير صادقة فى ذلك ، لأن الموقف فى مصر كان قد استتب وانسا هى وسيلة رأتها انجلترا سانحة لكى تتدخل توطئة لاحتلال مصر .

فبعد أن وصل الأسطولان الى مياه الاسكندرية تقدم القنصلان الانجليزى والفرنسى ببلاغ الى الحكومة المصرية فى ٢٥/٥/١٨٨٢ يطلبان فيه منها استقالة الوزارة واخراج أحمد عرابى من البلاد وابعاد عبد العال حلى وعلى فهى الى الريف المصرى .

وقد كشفت انجلترا وفرنسا بهذا البلاغ عن غرضهما ، وأصبح واضحا من بلاغهما سوء ما اتويا القيام به اذا مارفضت الوزارة طلباتهما خاصة وأن الخديوى الذى كان يعمل مع الانجليز فى السر وافق على الفور على

مطالب الدولتين الاستعماريتين ، فاستقالت الوزارة واستشاط الوطنيسون والأهالى غضبا .

وقرر عرابى وصحبه خلع الخديوى توفيق والتوجه بالجيش لمحاصرة قصر الاسماعيلية واجباره على ذلك ، ولكن الأعيان وبعض النواب طلبوا التريث قليلا ، وقاموا بالوساطة لارجاع أحمد عرابى وزيرا للحربية ، فوافق الخديوى على هذا التعيين ، ولكن الحالة كانت قد ساءت لدرجة كبيرة ، وخاصة وأن انجلترا قد أفصحت عن نواياها عندما جلبت العديد من بوارجها ومدمراتها الى المياه الاقليمية المصرية دون سبب ظاهر سوى احتلال البلاد تنفيذا لمطامعها فيها .

وكان الأمر يحتاج الى سبب يبرر الاحتلال ، وكان لابد من خطة ، ووجدها الانجليز بعد موافقة الخديوى ومعاونه .

### ٣ - الشعب والجيش يواجهان الاحتلال

#### مذبحة الاسكندرية :

وكانت الخطة تركز على اثاره الشعب على أن يفسر بأنه اعتداء على الأجانب فتسنع الفرصة بذلك للأسطولين الانجليزى والفرنسى الراسيين بميناء الاسكندرية للتدخل بحجة حماية الأجانب تمهيدا لاحتلال مصر .

وقد وقع الاختيار على مدينة الاسكندرية لتكون مسرحا لتمثيل هذه المسرحية الدنيئة لبعدها عن نفوذ الشعب الحساس التأثير فى القاهرة وعن قادته المخلصين وتمت المؤامرة كما أرادها الانجليز .

ففى صبيحة يوم الأحد الموافق : ١١/٦/١٨٨٢ قتل أحد الملطيين من رعايا انجلترا حمارا لأنه تجرأ وطالب بأجر ركوب الحمار وهرب ولما تجمع الأهالى انزال الأجانب عليهم بالرصاص من المنازل فقتلوا كثيرا من الأهالى الذين ردوا الاعتداء بالمثل ، ولكن بالعصى ، فقتل فى هذه المذبحة ١٦٣ - مصريا و ٥ من الأجانب ، وشبت الحرائق فى كثير من المباني ، وعمت المدينة الفوضى وبذلك تحققت المكيدة التى رسمها الخديوى بمعاونة الاستعمار . وقد يظن أو يتبادر الى الذهن اننا نعالى اذا قلنا ان الخديوى هو المنظم الأول لهذه المجرمة ، فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك انه حاك خيوطها مع محافظ الاسكندرية الذى يطمع فى وزارة الحرية مكافأة له على نجاح هذه المؤامرة .

فقد أرسل له الخديوى برقية فى ٣/٦/١٨٨٢ - أى قبل المذبحة بأسبوع يقول له فيها : « ان عرايا قد تعهد بالمحافظة على الأمن العام ونشر ذلك فى الصحف وجعل نفسه مسئولا أمام القناصل ، فاذا بر بعهدك ، وثقت به الدولة وسقطت هيبتنا ، ثم ان الأسطولين راسيان فى ميناء الاسكندرية

وخواطر الناس هائجة والخصام بين الأوربيين وغيرهم ليس بعيد ، فاختر لنفسك فاما إن تخدم عرايا وتؤيده واما ان تخدمنا » .

ولم بكتف الخديوى بهذه البرقية بل أرسل ابن عمه حيدر باشا الى المحافظ — ليشرف على تنظيم وتنفيذ خطة المؤامرة — التى تتلخص فى وقوع الاحتكاك على أن يظل البوليس بعيدا يشاهد ولا يتعرض للمعتدين — وساعد الأجانب من ملطيين وأروام ويونانيين وانجليز وفرنسيين فى نجاح خطة الخديوى ، فصاروا يتسلحون علنا بالمسدسات والبنادق التى كانوا يشترونها من محال الأسلحة ، حتى انها تقذت من هذه المحال فى ساعات قليلة ، كما أمد الأسطولان الراسيان فى مياه الاسكندرية الجاليات الأجنبية بأسلحة كثيرة ، وذلك بارشاد القنصل البريطانى بالاسكندرية ، وقد بلغ من تحريضه على الفتنة أن قال لرعايا بريطانيا عندما سألوه عن سر حضور الأسطولين — البريطانى والفرنسى « عليكم أن تتسلحوا لتحموا أنفسكم من الشعب » .

وقصارى القول أن مذبحة الاسكندرية دبرت تدييرا محكما ، وضع خطتها الخديوى مع عمر لطفى المحافظ الذى لم يحرك ساكنا أثناء المذبحة ، لا هو ولا مأمور ضبطية الثغر الذى ادعى المرض ، وأسهم فيها الانجليز بتوزيع الأسلحة وعملوا على إثارة أعصاب الأجانب ، وسخروا المالطى ليمثل هذه التمثيلية المؤسفة ، وقد ثبت فيما بعد ، أن هذا المالطى أخ لخادم القنصل البريطانى فى الاسكندرية .

وبهذا يتضح بجلاء أن هذه المذبحة كان وراءها الخديوى والانجليز لتكون ذريعة للاحتلال بحجة حماية الخديوى والأجانب من نفوذ عرابى الذى كان يتزايد يوما بعد يوم .

وقد تكررت المأساة بعد ٦٨ عاما وكان بطلها الملك السابق فاروق حفيد الخديوى توفيق عندما أحرق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لما رأى حركة الوطنيين قد قويت واشتدت ، فاتحد الشعب بعد فرقة ليحارب الانجليز والفساد ، ولم يرض فاروق بطبيعة الحال على هذه الطفرة التى كانت تهدد عرشه فأقدم على جريمته ليتخذ من حريق القاهرة سببا لوأد حركة —

الوطنيين ، وبذلك أعطت الأسرة الحاكمة لمصر أسطع الأمثلة على الخيانة  
والغدر والاجرام

## غدر واحتلال

وكان الانجليز عقب مذبحه الاسكندرية يبحثون عن وسيلة للاحتلال  
وقد وجدوها أخيرا كما يجد الذئب الوسيلة لاقتراس الحمل ، فقد وجد  
الأميرالسيمور قائد الأسطول البريطاني من الترميمات التي كانت تقوم بها  
القوات المصرية في حصون الاسكندرية وسيلة لتحقيق غرضه فأرسل في  
١٨٨٢/٦/٦ بلاغا الى قومندان موقع الاسكندرية هذا نصه ( البارجة أنفيل  
في ١٨٨٢/٦/٦ سنة ١٨٨٢ صاحب السعادة أشرف باخباركم أني قد علمت عن طريق  
رسمي أنه قد صار البارحة تركيب مدفعين جديدين أو أكثر في خطوط الدفاع  
القائمة على البحر وأن بعض الاستعدادات الحربية قد عملت في واجهة  
الاسكندرية الشمالية تهديدا للأسطول الذي تحت قيادتي فيجب على والحالة  
هذه أن أنبه عليكم بوقف هذه الأعمال ، فإن لم تقف يكون واجبا على تدمير  
المعدات الجارية العمل فيها ) وعلى الرغم من أن مجلس الوزراء أبلغ  
قائد الأسطول أنه وان كان يرفض طلباته ولكن حقنا للدماء واطهارا لحسن  
النية فانه سيبادر في انزال ثلاث مدافع ، ولكن انجلترا وقد بيتت النية على  
الغدر لم يكن في وسعها أن تتراجع فرفضت عرض الحكومة ، وطالب قائد  
الأسطول بانزال جميع المدافع الساحلية ، وخشى أن تقبل الوزارة — عرضه .  
فتفوت بذلك فرصة الاحتلال . فأضاف الى طلباته السابقة طلبا جديدا ، وهو  
الاحتلال بعينه ، وهو تسليم حصون المكس والعجسي وباب العرب وما وراء  
طاية المكس من الأراضي لاتخاذها معسكرا للجنود الانجليز والا باشر ضرب  
المدينة عند الفجر .

وقد رفضت مصر هذا الانذار بطبيعة الحال فما كادت شمس يوم ١١/  
٨٢/٧ تبزع حتى قصفت البوارج الانجليزية المدينة وهدمت معظم حصونها  
وكثيرا من المباني وقتل من جراء ذلك العديد من الأهالي الآمنين بلغوا ٢٠٠٠  
قتيل .

ويجدر بنا هنا أن نشير الى ما قام به الأهالى من تضحية وجهاد ، فكانوا يساعدون الجنود بمدى بالثون والذخيرة ، وينصبون المتاريس فى الشوارع والأرقة وهم يشدون الأناشيد الحماسية غير مكترئين بالقنابل التى كانت تتساقط فوق رؤوسهم ، ولم يرعبهم كثرة الشهداء الذين كانوا يسقطون أمام أعينهم .. وتجلى فى هذا اليوم التعاون الوثيق بين الجيش والشعب وتأزرهما ضد الانجليز ولم ينس عرابى الدور الذى قام به الشعب فقال : « وفى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء فى خدمة المجاهدين — ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية واعطائهم المال وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم الى المستشفيات » .

كما أوضح الشيخ محمد عبده فى كتابه عن الثورة مدى تعاون الشعب مع الجيش أثناء ضرب المدينة ويقول فى مذكراته « فكان الرجال والنساء تحت — مطر الكلل ونيران المدافع ، ينقلون الذخائر ويقدمونها الى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا بها وكانوا يغنون بلعن الاميرال سيمور ومن أرسله » وبينما كان الجيش والشعب يكافحان قوة تفوقهم بكثير نرى الخديوى يدبر أمرا فى الخفاء لأنه كان فى قرارة — نفسه يحقد على عرابى ومن معه ويضمر لهم الشر . فما كاد الانجليز يحتلون سراى رأس التين وشبه الجزيرة المتاخسة للسراى حتى أبدى — الخديوى لمن بقى معه من الأتراك والشراكسة رغبته فى الاتصال بالأميرال سيمور ، والانضمام اليه ضد جنوده وشعبه ، وقد أبدى هذه الملاحظة عندما قال لأتباعه :

( ان أهم الأمور فى نظرى الآن أن ألفت نظر سيمور وأجعله على علم بأمرنا وحقيقة نوايانا من جهته ان أمكن ذلك ) . وكان يقصد بطبيعة الحال نواياه الحسنة اتجاه الانجليز نظير حمايتهم له وبقاءه حاكما على البلاد فأرسل من يدعى زهران بك الى قائد الأسطول يبلغه رغبة الخديوى فى الحضور اليه والاحتفاء عنده من عرابى والشعب . مبدىا استعداده لكل معاونة تطلب منه وبعد ظهر يوم ٣١ يوليو سنة ١٨٨٢ سلم الخديوى نفسه الى سيمور الذى استقبله هاشا باشا مرحبا ، فى الوقت الذى كانت فيه مدينة الاسكندرية

تحترق . ولقد كان لخيانة الخديوى للشورة صدى أليما فى نفوس الشعب ، كما كان موقفه هذا من أسباب هزيمة مصر .

وجدير بالذكر ان فرنسا لم توافق انجلترا على موقفها الفادر ، فأمرت أسطولها الراسى فى ميناء الاسكندرية بالانسحاب وعدم الاشتراك فى ضرب المدينة فانسحب الأسطول الفرنسى فى يوم ١٨٨٢/٧/٥ بناء على ما ورد لرئيس وزراء فرنسا من أن قائد الأسطول الفرنسى لم يشاهد أى ترميمات فى الحصون المصرية أو أى أعمال عدوانية ، كما أرادت انجلترا أن تصور الموقف فى ذلك الوقت ، بل ان رئيس وزراء فرنسا المسيو دى فريسنيه صرح « بأن المعلومات التى لدينا لم تكن بالخطورة التى تبدو من رسالة الاميرال سيمور ، بحيث أن ضرب الاسكندرية فى الظروف التى وقع فيها انما كان عملا هجوميا لا دفاعيا » وبذلك أطلقت فرنسا لانجلترا الحرية فى احتلال مصر . وعقب احتلال الانجليز لمدينة — الاسكندرية أخذ الأهالى فى الهجرة منها ، ووقعت فى ذلك الحين فجائع ومآسى تحدث عنها المؤرخين . ولم يتعاون مع المستعمر سوى الخديوى الذى أرسل الى عرابى تلغرافه المشهور فى ١٨٨٢/٧/١٧ الذى — يدافع فيه عن نيات الانجليز ويأمره بالحضور فورا . وقد رفض عرابى أوامر الخديوى ، وبدأ يستعد لمواجهة الانجليز . وكان هذا القرار بناء على اجماع الشعب والجيش الذى أصدر فى ١٨٨٢/٧/١٧ البيان الوطنى المشهور بوجوب الاستمرار فى الاستعدادات لمواجهة الانجليز .

وما كاد الخديوى يعلم بهذا البيان حتى عزل عرابيا .. ولكن ماذا يفنى ذلك العزل ممن لا يملكه ومن عرف بالخيانة ، حتى قبل أن يلجأ الى — الانجليز .. ان الشعب هو الذى ولى عرابيا وقد وفى كل منهما لصاحبه فكيف يعزله الخونة ؟ .

تتابعت الحوادث بعد ذلك فى سرعة مذهلة ، تحوى بين طياتها ما جيل عليه الانجليز من خيانة وغدر . فقد ظن عرابى أن الانجليز سيحترمون حياد قناة السويس ويحافظون على المواثيق الدولية وخاصة أن — دليسيبس خدمه عندما طمأنه بقوله : « ان الانجليز مستحيل أن — يدخلوا القناة مستحيل »



وعلى هذا الأساس لم يوافق محمود باشا فهمى رئيس أركان حرب الجيش على ردم القناة وأقام معسكرا فى بلدة التل الكبير ، أما الانجليز فقد احتلوا بورسعيد فى ٢٠/٨/١٨٨٢ وبذلك انحصر الجيش المصرى ، ولم يكن لهذا الحصار أثر كبير فى الهزيمة التى منيت بها مصر لولا عوامل الخيانة ومؤامرات الخديوى والانجليز ، فقد كانت البلاغات التى تصدرها الانجليز تصدر باسم الخديوى ، ولم يكتف الخديوى بذلك ، بل عين الضباط الموالين له لمساعدة الانجليز فعين محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب نائبا عنه لمرافقة قائد الجيش الانجليزى الجنرال ولسون فى زحفه على العاصمة وقد اتبع من الرسائل الدنيئة ما يندى له الجبين ، فاتصل بالعرب القاطنين فى مديرية الشرقية وحضهم بالوعد مرة ثم بالوعيد حيث لا ينفع الوعد ، ووزع من الأموال ما يكفى لشراء الذمم الخربة ، فأرشدوا العدو على الطرق والمسالك التى يجهلها . وبذلك تضافرت عوامل الغدر والخيانة والرشوة على الهزيمة ، وما كانت معركة ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ المعروفة بمعركة التل الكبير التى هزم فيها الجيش المصرى الا نتيجة حتمية لسلسلة الخيانات التى قام بها الخديوى وأعوانه الذين قبضوا ثمن خيانتهم وأسلموا بلادهم الى العدو لقمة سائغة وقد فتحت معركة التل الكبير الأبواب الى القاهرة فاحتلها الانجليز فى ١٤/٩/١٨٨٢ وقبض على عرابى وصحبه ورجع الخديوى الخائن الى العاصمة يحكم بمعاونة أسياده الانجليز الذين ظلوا جاثمين على قلب مصر زهاء سبعين عاما حتى أخرجهم وطنى آخر وجاء من الشعب وقاد الجيش وهزم الاستعمار فى كل معركة وتجنب الأخطاء التى وقع فيها من سبقه فغسل العار الذى لحق بنا فترة طويلة مريرة تعتبر من أحلك الفترات التى مرت على مصر .

## الباب الثالث الشعب المصري يكافح لدمجتهول البرطاني

- ١ - الاحتلال لم يطفىء شعله الثورة .
- ٢ - صور من الكفاح الشعبى للاحتلال .
- ٣ - ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ .



## ١ - الاحتلال لم يطفىء شعلة الثورة .

### ارادة الحياة لا تموت :

اقتبسنا عنوان هذا الفصل ، وعنوان هذه الفقرات ، من الميثاق الخالد . وفى الميثاق دراسة رائعة لتاريخ مصر ، ولكفاحها الشعبى . فتحدث الميثاق عن الاحتلال البريطانى كنتيجة لظهور الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى منطقة الشرق الأوسط ، فقال الميثاق : « ولقد أحست الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى المنطقة بالأمل الجديد يستجمع قواه ويتحفز . وكانت بريطانيا بالذات لا تحول أنظارها عن مصر بحكم اهتمامها بالطريق الى الهند . ومن ثم ألقت بثقلها كله فى المعركة الثورية التى لاحت مقدماتها بين القوى الشعبية وبين أسرة محمد على الدخيلة المغامرة » .

وأشاد الميثاق بثورة عرابى التى اشترك فيها جميع المصريون ، شعبا وجيشا ، ووصف الميثاق هذه الثورة الوطنية فقال عنها : « وكانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة » .

احتل الانجليز مصر ، ليضمنوا استمرار الامتيازات الأجنبية وماتودى اليه من احتكارات ، الى الأبد . وليضمنوا بقاء الخديو صديقهم ، وعدو الشعب . فقال الميثاق : « وكان الاحتلال البريطانى العسكرى لمصر سنة ١٨٨٢ ضامنا لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية وتأييدا لسلطة الخديو ضد الشعب . هو التعبير عن ارادة الاستعمار فى استمرار بقاء النكسة ومواصلة القهر والاستغلال ضد شعب مصر » .

حقا ، نجح الانجليز فى احتلال مصر ، وضمنوا امتيازاتهم ، وساندوا صديقهم الخديو ، وأيدوا مصالح الاحتكاريين والاقطاعيين ، ولكن هذا

كله لا يطفىء شعلة الثورة فى مصر ، فهى تستطيع الصمود أمام هذه الرياح والعواصف . فيقول الميثاق : « ان قوة الاحتلال البريطانى العسكرية ، ومؤامرات المصالح الاحتكارية والافطاع الذى أقامته أسرة محمد على باحتكارها للأرض أو اقتسام جزء منها بين أصدفائها أو أصدقاء المستغلين الأجانب ، ذلك كله لم يستطع أن يطفىء شعلة الثورة على الأرض المصرية » .

لم تكن هذه المصائب الا عوامل جديدة لاذكاء نيران الكفاح الشعبى فى مصر ، وفى وادى النيل ، فارتفعت أصوات الشعب الثورية تعارض الاحتلال الأجنبى وارهاب أمراء أسرة محمد على . ان ارادة الحياة عن الشعب المصرى لا تموت ، بل كانت أصوات المدافع فى الاسكندرية من دوافع ازدياد اليقظة الوطنية . فقال الميثاق : « ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسته قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية . ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، وأصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تكذب تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل ، وعن حركة البقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب » .

## ما بعد الثورة العراقية :

عملت انجلترا على تصفية الثورة العراقية والتمهيد لسياستها الاستعمارية . وعقدت انجلترا محاكمات صورية لزعماء الثورة وعلى رأسهم عرابى . وسرح جيش الثورة ، وشتت من اشتركوا فيها ، وثبت الخديو على عرشه ، وحكم على زعماء الثورة — وعلى رأسهم عرابى والبارودى — بالنفى المؤبد الى جزيرة سيلان ، وهناك أمضوا ردها من الزمن حتى صدر الحكم بالافراج عنهم فى أوائل القرن العشرين .

وفى المنفى كتب البارودى روائعه الشعرية التى تصور أحاسيسه عن الثورة وتعبر عن أشواقه الى الوطن . وخط عرابى مذكراته التى نشر بعضها بعنوان ( كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة

العراية ) ، ومنعت أسرة محمد على نشر ما بقى من هذه المذكرات الى أن نشرتها ( دار الهلال ) كاملة سنة ١٩٥٣ فى عهد الثورة المباركة .

وأصدر المهندس محمود فهمى ، الذى اشترك فى الثورة ، سجلا حافلا بعنوان « البحر الزاخر فى تاريخ الأوائل والأواخر » .

ولم يكن نزول الجيش البريطانى أرض مصر ، وانتصاره فى موقعة التل الكبير ودخوله القاهرة مجرد انتصار على عرابى ورجاله وحرمان البلاد من استقلالها ، وانما كان ذلك انتصارا على الحركة الدستورية التى كانت قد تمت فى أواخر عهد اسماعيل ، اذ عادت البلاد سيرتها الأولى من الاستبداد ، فألقى الاحتلال النظام الدستورى الذى نالته البلاد من قبل ممثلا فى قيام مجلس النواب وتقرير مبدأ المسئولية الوزارية ، وأنشأ الانجليز بدلا منها نظاما سوريا قوامه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وكانت هيتين استشاريتين اجتماعتهما غير علنية ولا سلطة ولا نفوذ لهما .

سيطر الانجليز على مرافق البلاد وادارتها ، وأصبح المعتمد البريطانى هو حاكم مصر الحقيقى ، يستمد الخديو والوزراء منه السلطة ، وينفذون أوامره ويسبحون بحمده ، واستأثر الانجليز بالمناصب السياسية والادارية الكبرى ، فزاد عدد الانجليز فى الوزارات والمصالح الحكومية ، وتقاضوا مرتبات كبيرة . كما كان لسائر الأجانب نصيب كبير فى مناصب الدولة ، وأبعد الانجليز المصريين عن الوظائف ومنعواهم عن الاضطلاع بمسئوليات الحكم .

واتسع الانجليز سياسة الارهاب ، ففرضوا القوانين التى تقيد الحريات ، وامتلات السجون بالوطنيين ، وألغيت حرية الصحافة ، ونجح الانجليز فى السيطرة على معظم الصحف المصرية ، مثل الوطن والأهرام والمؤيد . ولم تقو على مهاجمة الاحتلال فى جرأة وشجاعة ، سوى جريدة العروة الوثقى التى كان يصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده من باريس . وقامت هذه الصحيفة بدور كبير فى مقاومة الاحتلال البريطانى ،

وبث الآمال والتفاؤل فى نفوس الشعب المصرى ، ولذا عملت انجلترا على منع دخول هذه الصحيفة الى مصر ، وفرضت غرامة مالية كبرى على من يحتفظ بنسخة منها .

تجلت مساوىء الاحتلال البريطانى فى جوانب كثيرة : عسكرية ، واقتصادية واجتماعية وحضارية . فقد عمل الانجليز على القضاء على نهضة الجيش التى ظهرت واضحة خلال الثورة العرابية ، وأرادت انجلترا أن تضعف الروح العسكرية فى مصر ، زاعمة أنها الكفيلة بالدفاع عن مصر ، ولذا عينت ضابطا انجليزيا كقائد أعلى للجيش المصرى ، كما عينت كثيرا من الضباط الانجليز الذين سيطروا على الجيش ، وأصبح ( الجنرال بيكر ) مفتشا عاما للشرطة ، يساعده كثير من الضباط والجنود والانجليز .

وتجلت مساوىء الاحتلال البريطانى واضحة فى الميدان الاقتصادى ، فعين الانجليز مستشارا ماليا بريطانيا سيطر على مالية البلاد ، ولم يهتم الا بتسديد استحقاقات الأجانب وديونهم ، واستنفدت هذه الديون نصف الميزانية ، فتوقفت الاصلاحات والمشروعات . وعانى الفلاح المصرى من الضرائب الباهظة والمظالم ، وعملت انجلترا على التوسع فى زراعة القطن لتمد المصانع البريطانية بحاجتها ، وكان هذا التوسع على حساب المحصولات الأخرى التى يعتمد عليها المصريون فى أقواتهم ، كما كان اعتماد مصر على محصول واحد يؤدى الى أفدح الكوارث اذا انخفض ماء النيل أو انتشرت دودة القطن ، وحدث هذا فعلا فى سنوات ١٩٠٤ و ١٩٠٦ و ١٩٠٨ .

واجتهد الانجليز فى أن يذيعوا أن مصر بلد زراعى ، حتى يروجون للمصنوعات الانجليزية فى مصر ، وفرض اللورد كرومر رسما قدره ٨٪ على جميع المصنوعات المصرية تشجيعا لاستيراد المنسوجات القطنية الانجليزية حتى كادت تتوقف صناعة الغزل والنسيج فى مصر . وأقبل الأجانب على انشاء المصانع برؤوس أموال أجنبية للقضاء على الصناعات المصرية ، وسيطر الأجانب على جميع الموارد الاقتصادية فى مصر .

أما مساوىء الاحتلال الاجتماعية ، فقد ظهرت واضحة في إهمال الانجليز لكل إصلاح اجتماعى ، ونقل الانجليز الى مصر مساوىء حياتهم الاجتماعية الأوروبية ، وما تتصف به من مادية وعدم اكتراث بالأخلاق والقيم الروحية ، والعبث بالآداب العامة .

وامتدت هذه المساوىء الى جوانب الحضارة المختلفة . فقد أهمل الانجليز التعليم والثقافة فى مصر ، وأصبح التعليم بمصروفات باهظة ، ووضع الانجليز سياسة تعليمية تقضى بتخريج موظفين للدولة . ونفذ هذه السياسة المستشار الانجليزى ( دنلوب ) الذى عمل على نشر السلبية وروح الاستسلام ، وامتلات المدارس المصرية بالمدرسين الانجليز ، وأصبحت اللغة الانجليزية لغة التعليم ، وأصبحت الأمية بعد أربعين عاما من الاحتلال البريطانى تمثل ٩٢٪ من البنين و ٩٧٪ من البنات .



## انبعاث الكفاح الشعبى من جديد :

حاول الانجليز عبثا أن يخمدوا الروح الوطنية ، وأن يكمنوا الأفواه ، ولكن روح الكفاح لم تخمد ، وأصبح الخلاص من الاحتلال البريطانى مسألة حياة أو موت لكل مصرى . فقد كان تيار الوطنية من القوة بحيث يجرف أمامه كل عقبة قد يحاول الانجليز أن يضعوها فى طريقه . كانت كل عوامل الثورة والكفاح موجودة وكامنة ، لا ينقصها الا ظهور زعامة وطنية رشيدة تقود الكفاح ، وكان مصطفى كامل هو ذلك الزعيم المنتود المرتقب .

شهد مصطفى كامل احتلال البريطانيين لبلاده ، وكان حينئذ فى الثامنة من عمره ، وسافر بعد ذلك الى فرنسا لدراسة القانون ، وعاد سنة ١٩٨٤ ليشهد مساوىء الاحتلال التى عددها جوانبها ، ورأى أن مصر فى حاجة الى أبنائها المخلصين المثقفين ، وأدرك أنه لا بد من مرحلة جديدة من الكفاح الشعبى حتى يتحقق أملى الشعب فى الجلاء والدستور .

وعمل مصطفى كامل على بلورة هذه الأفكار الوطنية ، واتخذ الى تحقيق ذلك سبيلين ، أولهما الخطابة ، فقد كان يتسع بمواهب خطابية واضحة ، وثانيهما الصحافة ، فبدأ بنشر مقالات تفيض وطنية فى صحيفتى الأهرام والمؤيد ، ثم رأى مصطفى كامل أن بنشئ جريدة خاصة تكون منبرا لأفكاره الوطنية التحريرية فأصدر فى سنة ١٩٠٠ جريدة ( اللواء ) التى أقبل الشعب المصرى على قراءتها فى حماس وشوق ، ودعا مصطفى كامل فيها الى نشر التعليم القومى ، وانشاء المدارس الأهلية التى تصطبغ بصبغة وطنية تميزها عن المدارس الحكومية التى سيطر عليها الانجليز ، كما دعا الى انشاء جامعة مصرية ، اذ أن العلم الحر هو السبيل الى الاستقلال الحر . واستجابت عناصر الشعب الى دعوات مصطفى كامل ، فقامت مدارس

أهلية مصرية حملت احداها اسمه ، وأقبل الناس على التبرع بأموالهم من أجل انشاء الجامعة المصرية ، وتألقت لجنة تأسيسية للجامعة سنة ١٩٠٧ ، وحارب الانجليز هذه المشروعات ، ولكن روح الشعب القوية حققت لها النجاح . وامتد نشاط مصطفى كامل الى الميدان الاقتصادي ، فدعا الى الاهتمام بالصناعات المصرية الى جانب الاهتمام بالزراعة ، ودعا الى أن مصر بلد زراعى وصناعى فى وقت واحد .

وامتد نشاط مصطفى كامل الوطنى الى خارج مصر ، فنشر مقالات وطنية حساسية فى الصحف الفرنسية ، كشف فيها عن مساوئ الاحتلال البريطانى ، وقام بجولات ناضجة فى العواصم الأوروبية ، فزار باريس وبرلين وفيينا ولندن ، وناشد الشعوب الأوروبية أن تعاضد الشعب المصرى فى مطالبه العادلة ، وفى تمتعه بحقوقه فى الاستقلال والحرية . وبذلك نجح مصطفى كامل فى أن تصطبغ المسألة المصرية بالصبغة الدولية .

ووقف مصطفى كامل من اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ موقفا وطنيا حازما ، فقد عارض هذه الاتفاقية وقال عنها أنها « جاءت برهانا جديدا على عدم مراعاة انجلترا للعهود والمؤتمرات .. لأنها تخالف نصوص فرمانات الصادرة الى خديو مصر » .

## ٢ - صور من الكفاح الشعبى للاحتلال

جهود مصطفى كامل :

بعد هزيمة عرابى وتقيده مع زملائه خارج البلاد ومصادرة أملاكهم احتل الانجليز مصر (١) ولم يخرجوا منها كما كانوا يتشددون بأنهم ماجاءوا الا لحماية الخديوى والرعايا الأجانب ولكي يتخلصوا من العرايين فلما تحقق لهم كل ذلك ظلوا يحتلون البلاد ويستنزفون مواردها ولم يف الانجليز على مر السنين بأى وعد قطعوه بالجلء ، ولكن المصريين لم يخضعوا ولم تكن عزيمتهم وهبوا يقاومون الاحتلال كما قاوموه فى جميع العهود والعصور بايمان وعزم ، لا يرهبهم الحديد ولا النار ، فتألفت الجمعيات السرية وقام الزعماء المخلصون يقاومون الاستعمار باخلاص وعلى رأسهم الزعيم مصطفى كامل زعيم الحزب الوطنى الذى هب يقاوم الانجليز بايمان ثابت وعقيدة راسخة ، وكرس حياته لمحاربتهم وفضح أساليبهم أمام العالم ، وكان جهاده هو الشعلة الأولى التى أيقظت الشعور الوطنى وأشعلت الحماس فى قلوب الوطنيين عقب الاحتلال ، وأثارت الطريق أمام المجاهدين لمقاومة الغاصب وكان مصطفى كامل أول من ندد بالاستعمار وفضح أساليبه . وفى سبيل تحقيق ذلك سافر الى الخارج وترددت صيحاته فى القارة الأوربية فوجه نداءه المشهور الى مجلس نواب فرنسا فى يونيو سنة ١٨٩٥ وكان له دوى كبير فى جميع أنحاء العالم ، ثم خطب فى مدينة تولوز فى يوليو سنة ١٨٩٥: منددا بالاستعمار الانجليزى وكتب فى صحف فرنسا والنمسا مدافعا عن القضية المصرية . وفى سبتمبر سنة ١٨٩٥ تعرف بمدام جوليت آدم ذات النفوذ والشهرة العظيمين بفرنسا فقدرت جهاده وعاقوته معاونة صادقة فى

---

(١) أعادت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ للعرايين أموالهم كما أقامت تمثالا لمراسى بمدينة الرقازيق

كفاحه ضد الانجليز وحصل من جلاديستون زعيم الأحرار بانجلترا على وثيقة يقر فيها بضرورة جلاء الانجليز عن مصر، وذلك في يناير سنة ١٨٩٦ وأصدر جريدة اللواء باللغات الثلاث ، الانجليزية ، والفرنسية والعربية ، للدعاية للقضية المصرية . ثم أنشأ الحزب الوطنى . فكانت هذه الجهود المخلصة هي: الوقود الذى أذكى جذوة الوطنية فى نفوس المصريين وأعاد اليهم ثقتهم بأنفسهم ، فالتفوا حوله وذكرهم ذلك بالبطل عرابى حينما انضم الشعب اليه. ولما وقعت حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ هزت مصر هزا عنيفا كما حركت الضمير العالمى . واقلبت صفحة سوداء أضيفت الى الصفحات السود لتاريخ انجلترا ، وكان الفضل فى اثارة فظائع هذه الحادثة لمصطفى كامل ، وكان رحمه الله فى أوروبا عندما نفذت انجلترا حكم المحكمة الانجليزية فقام يندد بالاستعمار ويصور حادثة دنشواى على حقيقتها وبين للعالم جرائم الانجليزى الوحشية . وقد قضى الحكم بالشنق والأشغال الشاقة والجلد على الكثير من الأهالى وتم تنفيذ الحكم بطريقة بدائية وحشية لم يرو التاريخ لها مثيلا .

## مأساة دنشواى :

وخلاصة هذا الحادث الأليم أن بعض الضباط الانجليز أرادوا أن يذهبوا الى احدى القرى فى نزهة لصيد الحمام فدلهم بعض الناس على قرية تسمى دنشواى يكثر فيها الحمام فتوجهوا اليها ، وكانوا خمسة من الضباط هم الميجور كوفن والكابتن بول والملازمان بورثر وسميث وطبيب بيطرى يدعى بوستك ، وكان يرافقهم عسكري مصرى أوفده ضابط نقطة الشهداء ليسر لهم عملية الصيد ، وليمنع احتكاكهم بالأهالى وعند وصولهم لقرية دنشواى توجه العسكري لاحضار العمدة ولكنه لم يجده لتغيبه عنها فى عمل خارج القرية فلم ينتظروا وباشروا الصيد ، وتوجه بعضهم الى داخل القرية حيث يعيش أهلها — وكان الوقت منتصف شهر يونيو سنة ١٩٠٦ والأجران ممتلئة بأعواد القمح وكانت تقف على أحد هذه الأجران بعض الحماثم وصوب أحد الضباط الانجليز بندقيته نحوها فتصدى له صاحب هذا الجرن وهو شيخ يبلغ من السن ٧٥ عاما ، ورجاه ألا يطلق النار

حتى لا يحترق الجرن ، ولكن الانجليزى لم يعبأ باعتراضه وأطلق النار فأصاب فلاحه هى زوجة صاحب الجرن ، وشبت النار فى الجرن وتجمع الأهالى لمساعدة مواطنهم ضد الانجليز الغرباء الذين اقتحموا بلدتهم الآمنة لأول مرة فى حياتهم ، كما حضر شيخ الخفراء والخفراء للقيام بواجبهم نحو حفظ النظام والأمن ومنع الاعتداء من أى طرف حتى يحضر أولو الأمر . فما كان من الانجليز الخمسة الا أن أطلقوا نيران بنادقهم على الأهالى ، فأصابوا ثلاثة من الخفراء من بينهم شيخ الخفراء وتمكن الأهالى وباقي الخفراء من القبض على ثلاثة من الضباط الانجليز واحتجزوهم حتى جاء ضابط نقطة الشهداء الذى أوصلهم الى معسكرهم سالمين ، وقد هرب أثناء ذلك الكابتن بول والطبيب البيطرى بوستك وكان الأول قد أصيب فى رأسه أثناء الهرج الذى ساد خلال اطلاق النار نتيجة القاء بعض الطوب والحجارة عليه وظل الضابطان الهاربان يجريان من الخوف والهلع ثمانية كيلو مترات تحت أشعة الشمس المحرقة حتى سقط بول صريع ضربة الشمس ببلدة سرسنا فتركه زميله الطبيب البيطرى ولم يقدم له يد المساعدة ولم يحاول علاجه بل ظل يعدو هاربا حتى وصل الى بلدة كمشوش حيث كانت تعسكر كتيبتهم ، وقد مات بول متأثرا من ضربة الشمس كما ثبت من تقرير الطبيب الشرعى وهو انجليزى الجنسية ولم يكن لأحد بعينه يد فى قتله اللهم الا زميله الذى تركه لمصيره . ومع ذلك فقد حكمت انجلترا بالقتل على أربعة من الأهالى وعلى تسعة بالأشغال الشاقة وعلى ثمانية بالحبس والجلد أمام ذويهم وأهليهم فور صدور الحكم الذى تم فى القرية الآمنة المناضلة .

ويصف الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن مصطفى كامل طريقة تنفيذ الحكم فيقول : « فكان التنفيذ فى اليوم التالى لصدور الحكم فى المكان الذى مات فيه الكابتن بول . وفى مثل الساعة التى وقعت فيها الحادثة وفى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل سيق المحكوم عليهم بالاعدام والمحكوم عليهم بالجلد الى نقطة الشهداء على مسافة عشرين كيلومترا من شين الكوم وأربعة كيلو مترا من قرية دنشواى ، وأنزلوا بها بحراسة الجنود الانجليز والمصريين حتى اذا اقتربت الساعة الأولى بعد الظهر جىء بهم الى دنشواى

وهناك نصبت المشنقة وآلة الجلد ، وتفذ الحكم فى المشنوق الأول علنا على رأى ومسمع من أهله وذويه وبين صياح النساء ونواحهم وبقي معلقا بينما نفذ حكم الجلد فى اثنين ثم شنق الثانى بهذه الطريقة • يليه جلد اثنين آخرين وهكذا حتى تمت المجزرة فى منتصف الساعة الثالثة مساء •

فلما بلغت مصطفى كامل أخبار هذه المجزرة وطريقة تنفيذها هب على الفور يستصرخ الضمير العالمى رغم مرضه وكتب مقاله التاريخى ( الى الأمة الانجليزية والعالم المتدين ) وكان له أثر كبير فى شرح القضية المصرية ، وكان من نتيجه اقالة كرومر واستداد الحركة الوطنية ، ثم تحققت الدعوة التى طالما كان ينادى بها مصطفى كامل مطالبا بانشاء جامعة فى مصر فتأسست الجامعة المصرية سنة ١٩٠٦ •

وظل مصطفى كامل يطالب بالعفو على من سجن فى حادثة دنشواى واتصل بالنواب الأحرار فى البرلمان الانجليزى وتحث هذا الضغط أفرجت انجلترا عن مسجونى هذا الحادث المشؤم فى ٨ يناير سنة ١٩٠٧ •

ووافاه الأجل من أثر الجهد الذى قام به فى سبيل مصر فى ٢/١٠ سنة ١٩٠٨ عن أربعة وثلاثين عاما قضاه فى الكفاح والنضال ومحاربة المستعمرين حتى هزمهم هذا عنيقا ، وأوضح للعالم الصورة المشينة التى كانوا يتسمون بها وأسلم قيادة الحركة الوطنية الى زميله المجاهد محمد فريد فتسلم الأمانة وحمل الرسالة وسار فى نفس الطريق الذى رسمه مصطفى كامل بشرف وأمانة فسافر الى الخارج متأسيا خطى مصطفى كامل يدعو للقضية المصرية وعقد المؤتمرات فى جميع أنحاء العالم منها المؤتمر الذى عقد بجنيف سنة ١٩٠٩ ، واستوكهلم سنة ١٩١٠ وبروكسل سنة ١٩١٠ وبرلين وغيرها مما ضايق الانجليز فسجنوه بتهمة صحفية مختلقة ابتغاء الحد من وطنيته ، ولكنه خرج من السجن أقوى وأثبت على النضال من ذى قبل • وقال كلمته المشهورة لمن حاولوا منعه من السفر الى أوروبا خوفا على صحته :

( انا نعرف كيف نصبر على المكاره ، ولكننا لا نعرف التسليم فى حقوقنا ولا التنازل عن مطالبنا ) •

## مغزى مصرع بطرس غالى :

وقد وقع فى أوائل هذا العام حادث خطير هو اغتيال بطرس باشا غالى رئيس مجلس النظار فى ذلك الوقت ، وكان لاغتياله دوى كبير فى جميع الأوساط الداخلية والخارجية . وبطرس غالى يعتبر من أسوأ من تولوا الوزارة المصرية ولا يذكر له المصريون حسنة من الحسنات . فقد كان رئيسا للمحكمة المخصوصة التى حكمت على ضحايا دنشواى سنة ١٩٠٦ — وهو الذى ساهم وساموم الانجليز على مد اتفاقية قناة السويس — وفى عهده خنقت الحريات وأعيد العمل بقانون المطبوعات كما كانت له اليد الطولى فى اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان والتى بمقتضاها تركنا السودان لقمة سائغة للانجليز ، وقد كتبت عن هذه الاتفاقية جريدة الجرنال أجيشيان فى عددها الصادر فى ١٨٩٩/١/٢٠ : « لقد وقع أمس أفظع اغتصاب فى هذا الجيل وهو عقد الاتفاق الذى أبرم بين الغاصب القاهر والمغصوب العاجز ، فقد وقع مجلس النظار المصرى العقد المشثوم لا تخليا عن السودان مؤقتا فحسب ، وانما تنازلا منه عن ملكية أراضيه الفسيحة لانجلترا — وهكذا دخلت انجلترا السودان وتحصنت فيه وبعد ما كان بالأمس أرضا مصرية أصبح فى أيدي الانجليز ومدافعهم الى الشمال » .

هذا هو بطرس غالى باشا رئيس مجلس النظار الذى قتل بعد تاريخ حافل بالخيانة والغدر ، وكأنه أجنبى جاء ليحكم البلاد .

فسن هو القاتل وكيف وقع الحادث

قام بالأمر فى هذه الواقعة ابراهيم الوردانى من أعضاء الحزب الوطنى، وكان شابا لم يتعد سنه واحدا وعشرين عاما ، تلقى علومه فى سويسرا وانجلترا وكان يؤمن بمبادئ الحزب الوطنى ويتأجج وطنية وحماسة ، وغيرة على وطنه . وكانت تأتيه أخبار مصر المحزنة وهو يتلقى علومه فى الخارج فكان يحزن لها ويتألم وقد تأثر بحادث دنشواى وأوغر صدره وزاد حنقه عندما علم أن رئيس المحكمة أصبح ناظرا للنظار فصمم على اغتياله .

وفى صباح يوم ٢٠ من فبراير سنة ١٩١٠ عندما هم بطرس غالى بركوب عربته سمع من يناديه من الخلف بأن له شكوى فالتفت الى مصدر الصوت فعاجله ابراهيم الوردانى بثلاث رصاصات خر بعدها بطرس باشا مضرجا بدمائه ، وكان معه فى ذلك الوقت فتحى زغلول . وعندما قبض على ابراهيم الوردانى وسأله رئيس النيابة عن سبب القتل قال : لأنه خائن للوطن والخائن جزاؤه البتر . وكان ابراهيم الوردانى فى جميع مراحل التحقيق رابط الجأش ثابت الجنان ، لم يرهبه وعد أو يخيفه وعيد ، ولم يعترف على غيره رغم مالاقى من تعذيب . وان كانت الحكومة قد قبضت على بعض رجالات الحزب الوطنى وزجت بهم فى السجون . وقد مثل النيابة النائب العام عبد الخالق ثروت الذى تولى الوزارة بعد ذلك وطالب رئيس المحكمة « وكان يدعى مستر وليوجلو » بعدم الخوض فى السياسة واسماعيل أبو النصر ، واسماعيل الشيمى ، وكانت المحكمة تمنع المحامين من التحدث فى السياسة ، ولكن ابراهيم الهلباوى أجاب عندما طلب منه رئيس المحكمة « وكان يدعى مستر وليوجلو » بعدم الخوض فى السياسة « كيف تطلب منى ذلك . أتريدون رأس المتهم دون أن أفتح فمى . كيف لا أتحدث فى السياسة والجريمة سياسية ووطنية مشرفة دفعت المتهم الى ارتكابها دوافع سامية شريفة » وقد قضت المحكمة باعدام المتهم .

وفى صباح يوم ٢٨ من يونيو سنة ١٩١٠ تقدم ابراهيم الوردانى بخطوات ثابتة نحو المشنقة وهو يهتف « الله أكبر الذى يمنح الحرية والاستقلال » .

ومات الشاب ابراهيم الوردانى ضحية رأيه وعزمه — ومات رئيس نظار مصر بطرس غالى ولم يذكره سوى الخديوى ومن يلوذ به من الخونة والمستعمرين .

## جهود محمد فريد :

عندما شبت الحرب العالمية سنة ١٩١٤ كان محمد فريد محامى مصر الأول لدى دول العالم .



فوجه دعوته ونداءاته الى هذه الدول مطالبا بحق مصر فى الاستقلال والحرية ، وكان شعاره ، مصر للمصريين ، منددا بالاستعمار وأعوانه مطالبا بالجلء الناجز عن مصر ، ودعا الى انشاء مجلس للنواب وايجاد حكومة وطنية وكان له بجانب نشاطه السياسى نشاط آخر اجتماعى فأنشأ مدرسة ليلية فى بولاق لتعليم الفقراء والعمال بالمجان وأشرف على ادارتها والتدريس بها أعضاء من الحزب الوطنى بدون أجر .

وطالب محمد فريد بمجانية التعليم . على أن يكون الزاميا للجميع فى الدور الابتدائى . كما كان يعطف على الفلاحين والعمال وأنشأ أول نقابة عمالية فى مصر ببولاق ١٩٠٩ — ونادى بتخفيف عبء الضرائب على الفلاحين وبفضل حملة محمد فريد لم تتمكن وزارة بطرس غالى من تنفيذ المؤامرة التى دبرها الانجليز معها لمد امتياز قناة السويس . وكانت هذه الاتفاقية تدور فى كتمان شديد — ولكن محمد فريد حصل على نسخة من هذه الاتفاقية ونشر فحواها فى جريدة اللواء وكشف بذلك الخيانة التى كانت تدبر بليل — مما أساء الى مركز الحكومة وأخرجها أيما احراج فاضطرت الى الاقلاع عن تنفيذ الاتفاقية . وظل يحمل الرسالة حتى ضعفت صحته ووفاه الأجل غريبا وحيدا ببرلين فى نوفمبر سنة ١٩١٩ بعد أن شبت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ نتيجة لكفاح الشعب المستمر وأثر من آثار الجهاد الذى قام به أبناؤه المخلصون منذ أن وطأ الاستعمار أرض الوطن فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وقد كان ذلك من دواعى السرور وتبلج الأمل فى قلب فريد الكبير فختم حياته الحافلة وهويكتب عنها فى مذكراته بأنه « رأى فجر الأمل يرسم على الأفق خطا من النور اللامع يأمل أن يكون طليعة حريتنا المنشودة واستقلالنا المرجو » .

وكانت هذه المذكرة آخر ما كتبه محمد فريد من منفاه ، حيث مات فى ١٥ سبتمبر ١٩١٩ فخرت مصر ووطنيا كبيرا وابنا بارا .

### ٣ - ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩

#### مصر قبل الحرب العالمية الاولى :

فى مطلع القرن العشرين ظهرت تيارات عربية كثيرة ، شاركت مصر فيها ، وأثرت فيها وتأثرت بها . فقد قام بعض العرب يلفت النظر الى الفساد المنتشر فى الدولة العثمانية ، وطالبوا باصلاح أحوال البلاد العربية ، وبدأوا يقارنون بين الولايات العربية وسائر الولايات العثمانية ، وخرجوا بنتيجة هى أن حقوق العرب مهضومة وظهرت تيارات عربية فى العالم العربى ، قبل الانقلاب الذى حدث فى تركيا سنة ١٩٠٨ ، عملت على القضاء على فكرة الجامعة الاسلامية ، وعلى احياء القومية العربية .

وكان لوقوع مصر خارج نطاق حكم السلطان العثمانى المستبد عبد الحميد ، مما جعل القاهرة مركزا من مراكز مقاومة استبداده ، وكانت باريس المركز الثانى . وفى هاتين العاصمتين أخذت جماعة من اللاجئين السياسيين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم « تركيا الفتاة » تدبير انقلاب فى تركيا ونجحت مؤامراتهم فى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ .

كانت نهاية حكم السلطان عبد الحميد ايدانا بغروب شمس الجامعة الاسلامية ، وشروق شمس القومية العربية ، فقد ساعد استبداد وظلم عبد الحميد على نمو الشعور القومى الكامن المتأصل عند العرب . وكانت الفترة التى انقضت بين سقوط عبد الحميد فى سنة ١٩٠٨ وقيام الحرب العالمية سنة ١٩١٤ فترة حافلة بالنشاط القومى المركز ضد السيادة التركية التى أدت الى الأطماع الأوروبية فى العالم العربى .

وكان أمل العرب فى الدستور الذى أعلنه الأتراك سنة ١٩٠٨ عظيماً ، فقد أملوا أن يسوى الدستور بين الترك والعرب ، ولكن سرعان ما خاب أملهم . فقد قام على أساس ( الدولة الطورانية ) التى تحبى مجد جنكيزخان وتيمور لك ، ولم يعبأ واضعوه بالروابط التى تربط تركيا بالعروبة والاسلام . فوقف العرب فى العراق واليمن وسوريا ولبنان ومصر من تركيا وجها لوجه معلنين عروبتهم وقوميتهم .

استولت «جمعية الاتحاد والترقى» على الحكم فى استانبول سنة ١٩٠٩ ، وبدأت الصحف التركية بالاشادة بأمجاد الطورانيين وسب العرب ، وتدعو الى تطهير اللسان التركى من الألفاظ العربية ، ورفع أسماء الخلفاء الراشدين من المساجد . وأصبح واضحاً أن بقاء العرب تحت سيطرة الترك معناه افناء القومية العربية ولغة العرب ، ولذا بدأ العرب يدعون الى استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية .

## اعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ :

لم يسكت المصريون عن المطالبة بالاستقلال وانهاء الاحتلال البريطانى ، منذ قدوم الانجليز سنة ١٨٨٢ ، وقد رأينا جهود الشعب المصرى ، وجهود زعمائه المخلصين أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما . ورغم وفاتهما ، فقد استمر الكفاح ، واستمرت المطالبة بجلاء الانجليز . ولكن قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ خلق ظروفاً دولية أضرت بالحركة الوطنية فى مصر . فقد قامت حرب دولية كبرى ، وانقسم العالم الى كتلتين متصارعتين ، كتلة تتزعمها ألمانيا والنمسا وكتلة أخرى ترأسها انجلترا وفرنسا . ولوجود الجيوش البريطانية فى مصر وسيطرة الانجليز على المرافق المصرية ، أصبح محتماً أن تجر انجلترا بمصر الى ويلات هذه الحرب العظمى ، سواء شاء المصريون ذلك أو أبوا . فقد أرغم الانجليز الحكومة المصرية على الامتناع عن التعامل مع ألمانيا وحلفائها ، وعلى تخويل القوات البريطانية البرية والبحرية على استعمال جميع الأراضى والموانئ المصرية ، وأن تعلن الأحكام العرفية ، وتفرض الرقابة على الصحف ، وبدأ حكم ارهابى شديد الوطأة .

وانضمت تركيا الى جانب ألمانيا فى الحرب فى نوفمبر ١٩١٤ ، ووجد  
الانجليز فى ذلك فرصة لينتزعوا مصر تماما من تركيا ، وكانت مصر حتى  
ذلك الوقت تابعة من الناحية الاسمية لتركيا . وأدركت انجلترا أن مصر  
ستكون قاعدة حربية كبرى ، ومركز تجمع لقواتها الحربية القادمة من  
الهند واستراليا وجنوب أفريقيا ، ولذا رأت انجلترا أنه من الضرورى تغيير  
وضع مصر السياسى الذى حددته معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ والقرمانات التى  
صدرت فى عهد اسماعيل ، وهو الوضع الذى يعترف بالسيادة التركية .

أصدر القائد العام البريطانى فى مصر بيانا أعلن فيه انضمام تركيا  
الى جانب ألمانيا ضد الحلفاء ، ثم ختم بيانه بهذه العبارات : « ولعلم بريطانيا  
العظمى بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمى القطر  
المصرى ، فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب  
بدون أن تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة ، ولكنها مقابل ذلك تنتظر  
من الأهالى وتطلب اليهم الامتناع عن أى عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها  
أو أى مساعدة لأعدائها » .

وأعلنت انجلترا حمايتها على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ وانتهاء  
السيادة التركية ، وعزلت الخديو عباس الثانى ، وكان حينئذ فى زيارة  
لتركيا ، كما كان معروفا بميوله التركية ، وولت بدله الأمير حسين كمال  
ومنحته لقب ( سلطان ) ، وبدأت انجلترا تخطط لضم مصر الى امبراطوريتها  
والقضاء التام على استقلال مصر وأصبح المعتمد البريطانى هو الحاكم  
الحقيقى لمصر ، وأخطرت انجلترا السلطان الجديد أن المعتمد البريطانى  
سنبولى كل شئون مصر الخارجية ، وهذا معناه الغاء وزارة الخارجية  
المصرية .

أثارت هذه القرارات الظالمة مساعير المصريين ، وما لبثت الأراضى  
المصرية أن شهدت آلافا من الجنود من مختلف العناصر والأجناس ، وقد  
حشدتهم انجلترا فى مصر ، وقاسى المصريون من وجودهم الكثير ، وارتفعت  
أصوات المصريين بالاحتجاج ، ولكن انجلترا اتبعت سياسة القمع والارهاب

وملأت السجون بالوطنيين المصريين ، كما نقت كثيرا منهم خارج القطر ، ثم عطلت الجمعية التشريعية التي كانت حينئذ رمزا متواضعا لاشتراك المصريين في حكم بلادهم .

وأصبحت الحرب العالمية الأولى كارثة بالنسبة للمصريين ، فقد أصبح الفلاحون المصريون مرغمين على أن يقدموا محصولاتهم الى هذه الآلاف من الجنود البريطانيين ، واستولى الانجليز على دواب وحيوانات هؤلاء الفلاحين . وسخر الانجليز المصريين في حفر الآبار ومد أنابيب المياه وتعبيد الطرق ، وهلكت أرواح كثيرة في هذا السبيل ، كما حملت الميزانية المصرية أعباء هذه الأعمال .

## مصر والثورة العربية سنة ١٩١٦ :

كانت ثورة العرب على الحكم العثماني عند اعلان الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ تدل على اقترابهم من فكرة الجامعة العربية وتحقيق قوميتهم في صورة عملية ايجابية . فقد انضمت تركيا الى ألمانيا ، وبدأ الأتراك بقتل رجال العرب ، وينفون الأسر العربية الكريمة الى الأناضول تنفيذا لسياستهم العربية القاضية بتتريك العناصر غير التركية بالقوة . وكان العرب في الدولة العثمانية أن يختاروا بين أمرين لا ثالث لهما :

أولا : الاغضاء عن فظائع الأتراك والسكوت عن مذابحهم ، على أن تسوى شئون العرب معهم بعد انتهاء الحرب .

ثانيا : الثورة على الأتراك ، ومحاربتهم في جانب الحلفاء .

وكان اتباع الخطة الأولى معناه القضاء المبرم على العرب وقوميتهم ولغتهم ، لأنه كان من المستحيل زحزحة الأتراك الاتحاديين عن سياستهم التركية والطورانية ، كما كان هؤلاء لا يعترفون باللغة العربية في الحكومة والمدارس وكان الأتراك لا يعترفون بكيان سياسي أو قومي للشعب العربي ، وكان الاتحاديون يرون أن يصبغوا العرب بالصبغة التركية أو ينفوهم . ومن

المعروف أن ألمانيا كانت تطمح في العراق وفي قسم من الأناضول ، وأن خط بغداد الحديدى كان الأداة الكبرى لتطبيق سياسة ألمانيا الاستعمارية ، وكان هناك كثير من العرب ممن يخافون على قوميتهم العربية من أطماع ألمانيا .

وان كان العرب يعضون الكتلتين المتقاتلتين على السواء لما يعرفونه من أطماعهما السياسية الاستعمارية ، الا أن العرب كانوا مرغمين بحكم ظروفهم السياسية أن يحددوا موقفهم من الأطراف المتصارعة . ورأى العرب أنه اذا اتصرت ألمانيا وتركيا ، فمصير الشام والعراق يكون الى التتريك ، والى التعرض للنفوذ الاستعماري الألماني . ورأى بعض العرب أن تأييدهم للعرب ربما يكون أهون شرا وأخف وطأة ، وربما يعترف الحلفاء بفضل العرب اذا أيدوهم في محنتهم ، فيمنحوا الأقطار العربية ما يطمحون فيه من حرية واستقلال .

بدأت الثورة العربية الكبرى في الحجاز في سنة ١٩١٦ ، ومن أسباب هذه الثورة الفظائع والجرائم الوحشية التي اقترفتها الحكومة التركية في بلاد الشام خلال الحرب العظمى الأولى ، وجعلت الفائذ جمال باشا منظما ومنفذا لها . وهذه المذابح تبين ما كان الأتراك الاتحاديون يبيتونه للعرب ، تلك السياسة التي أساسها ( القومية التركية ) وتترك العرب بالقوة . فقد بدأ جمال باشا سنة ١٩١٥ بتشتيت شمل الضباط العرب ، فوجههم الى جهات القتال في الدردنيل وجبال القوقاز ، ثم اعتقل خيرة شباب العرب ودفع بهم الى محكمة عسكرية ، فحكمت عليهم بالقتل ، وفقى مئات من الأسر العربية الكبيرة الى الأناضول بغية تتركهم فيها ، واتخذ سياسة تجويع عرب الشام ومات مئات الألوف من العرب جوعا .

كانت الخطة الحرية التي وضعتها القيادة العثمانية — بالاتفاق مع الألمان — تعود بأشد الضرر على الأقطار العربية ومنها مصر . فقد أرسل العثمانيون الجنود العراقيين الى قاققاسيا في شمال شرق الأناضول ، فمات معظمهم تبجعة البرد القارس . كما أن هذه الخطة أدت الى أن تركت العراق محروما من حامية قوية . ولذلك عندما أرسل الانجليز من الهند جيشا

لامتلاك البصرة ، استطاع الانجليز احتلال جنوب العراق بسهولة ، ثم تقدموا نحو الشمال رويدا رويدا . واستلزمت خطة القيادة حشد الجيوش وتعبئتها في سوريا وفلسطين ، وكانت تتطلب اجتياز صحراء النقب مع شبه جزيرة سيناء ، وكانت تهدف الى فتح مصر وطرد الانجليز منها . أخذت القيادة العامة العثمانية تحشد الجيوش في سوريا لهذا الغرض ، وعهدت بقيادة هذه الجبهة الى وزير البحرية جمال باشا ، وأعطته سلطة مطلقة في جميع الشئون العسكرية والادارية والمالية . وكان جمال باشا هذا أحد الثلاثة الذين يسيطرون على شئون الدولة والحرب سيطرة تامة ، وكان معروفًا بميوله الطورافية ، فقد كان يدعو الى القومية التركية ، ولا شك أن هذا باعد كثيرا بينه وبين العرب .

هذا الارهاب أزال الثقة من نفوس العرب بوعود الأتراك ، ورأى العرب أنه لا سبيل الى تفاهم جدى . وبدأ العرب يقولون : لابد أن تنتهى الحرب باقتصار أحد الطرفين . وإذا انتصرت دول الحلفاء استولت جيوشها على البلاد العربية ، وسينسحب الأتراك منها ، وستبقى تحت رحمة هؤلاء الحلفاء ، أما اذا انتصر الأتراك ، فسي فعلون بنا أضعاف ما كانوا يفعلونه قبلا ، وسببترسلون فى سياسة التتريك فيحرمونا من حقوقنا القومية ، ويسعون للقضاء على قوميتنا . ولذا قام العرب بثورتهم سنة ١٩١٦ .

## غدر الحلفاء بالعرب :

اشترك فى الثورة رجال من مختلف البلاد العربية ، كما كان بينهم المسلم والمسيحي . ولكن الحلفاء طعنوا العرب من الخلف ، فقد بدأت مفاوضات سياسية بين الدول المؤتلفة الثلاث ، انجلترا وفرنسا وروسيا ، على اقتسام ميراث الدولة العثمانية بعد انتهاء الحرب ، منذ أواسط سنة ١٩١٥ وانتهت هذه المفاوضات باتفاقيتين سريتين : عقدت الأولى منهما بين الدول الثلاث فى شهر مارس سنة ١٩١٦ ، والثانية بين فرنسا وانجلترا ، اتاما للاتفاقية الأولى فى شهر مايو من نفس السنة ، وهى اتفاقية سايكس بيكو .

حددت روسيا حصتها بالاتفاقية الأولى بالمضائق والقسطنطينية والولايات الشرقية ، وتركت أمر التصرف فى شئون الولايات العربية الى فرنسا وانجلترا على أن تتأسس حكومة اسلامية مستقلة فى الجزيرة العربية ، وأن توضع القدس والأماكن المقدسة المجاورة لها تحت ادارة دولية ، وفق الشروط التى تتقرر فيما بين الدول الثلاث .

فامت الثورة العربية من أجل ضمان استقلال الولايات العربية بأجمعها ، وبأمل تكوين دولة عربية مستقلة تجمع تلك الولايات تحت راية واحدة . وساعد العرب الدول المتحالفة بكل الوسائل الممكنة . ثم انتهت الحرب بانتصار الجانب الذى ناصره العرب ، وذهب مندوبيهم الى مؤتمر فرساي بباريس ليطلبوا بتنفيذ الوعود التى ارتبط بها الحلفاء على لسان مكماهون وغيره ، ولكن مع الأسف لم تتحقق الآمال ولم تنفذ الوعود .

ومن أبرز مظاهر غدر انجلترا ونكثها لعهودها مع العرب ، ما تعهدت به الحكومة البريطانية لليهود مما يناقض التزاماتها للعرب ، وعرف هذا الالتزام بوعد ( بلفور ) وهو وزير خارجية انجلترا الذى أصدره .

جاء فى وعد بلفور : « ان حكومة جلالة ملك انجلترا لتتظر بعين الارتياح الى انشاء وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وستبذل أطياف مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوما بجلاء أنه لن يعمل شيء من شأنه أن يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف الأخرى غير اليهودية الموجودة بفلسطين أو بالحقوق التى يتمتع بها اليهود فى أى بلد آخر والمركز السياسى الذى حصلوا عليه فيه » .

ويرجع اصدار هذا الوعد الى عاملين : أولهما سياسى ، فقد أرادت انجلترا استمالة العناصر الصهيونية فى ألمانيا والنمسا وأمريكا ، وكانت هذه العناصر ذات نفوذ كبير فى السياسة والصحافة والاقتصاد .

والعامل الثانى يحمى المصالح البريطانية ، ففى مقابل هذا الوعد يؤيد اليهود احتلال الانجليز فلسطين ، وبذلك تكون حصنا تحمى مركز بريطانيا



فى مصر وقناة السويس ، ويؤمن الاتصال البرى مع الشرق ، وتستطيع  
انجلترا بذلك افساد النص الذى ورد فى اتفاق ( سايكس - بيكو )  
بشأن جعل فلسطين منطقة دولية فتصبح بذلك منطقة نفوذ انجليزى .

تقدم بعض زعماء العرب المقيمين فى مصر فى سنة ١٩١٨ بمذكرة الى  
انجلترا طلبوا فيها اليها تحديد سياستها المتعلقة بمستقبل البلاد العربية فى  
بيان واضح شامل ، فأصدرت وزارة الخارجية البريطانية بيانا أكدت فيه  
تعهدات بريطانيا السابقة للعرب بصراحة وعزمها على الاعتراف للعرب  
بالسيادة والاستقلال التام ، وأن يكون الحكم فى البلاد العربية فى المستقبل  
متفقا مع رغبات المحكومين . ونظر العرب الى هذا التعهد على أنه نتيجة  
طبيعية لمبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها الذى أعرب عنه الرئيس  
الأمريكى قبل ذلك بعدة شهور .

كما أصدرت بريطانيا وفرنسا فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، أى قبل انتهاء  
الحرب بأيام ، نصريحا مشتركا أكدا فيه أن هدفهما تحرير الشعوب التى  
كانت تخضع للحكم التركى ، ومنها انشاء حكومات وطنية يختارها  
العرب . ولكن هذا التصريح لم يكن الا سنارا يخفى الأطماع الاسنعارية  
لكل من الدولتين ، وقد ظهرت هذه الأطماع واضحة فى صورة عملية بعد  
اتهاء الحرب مباشرة .

## مقدمات ثورة ١٩١٩ :

ترقب المصريون انتهاء الحرب العالمية الأولى حتى يطالبوا انجلترا بتنفيذ وعودها . وفي ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ انتهت الحرب بانتصار الحلفاء ، وبدأ زعماء مصر المخلصون يستعدون للمطالبة بالاستقلال ، وظن المصريون أن انجلترا سنعترف بالجميل وتقدر موقفهم منها وقت محنتها ، وما قدموه من مساعدات جلية وحيوية . وانتعشت الآمال عندما أعلن الرئيس ( ولسن ) مبادئه الأربعة عشر التي يتضمن أحدها حق كل شعب في تقرير مصيره ، وخاصة أن الرئيس ولسن دعا الدول الاستعمارية إلى أن « تترك لكل شعب الحق وحده في تقرير سياسته ، ورسم طريقه الذي يراه مؤديا إلى التقدم بدون إخراج أو تهديد أو إرهاب » . وتولى زعامة المصريين في هذه الفترة سعد زغلول .

تحدث الميناق عن الموجة الثورية الجديدة فقال عنها انها : « ما لبثت أن سحرت سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وبعد خيبة الأمل في الوعود البراقة التي قطعها الحلفاء على أنفسهم خلال الحرب ، وفي مقدمتها وعود ولسون التي ما لبث هو أن تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر . وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة يقود النضال الشعبى العنيد الذى وجهت إليه الضربات المتلاحقة أكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم » .

تلكأت انجلترا في الوفاء بوعودها ، وأنكرت جميل المصريين ، فقد كانت مساعداتهم العظيمة من عوامل انتصارها . ورأى المصريون أن يعودوا ثانية إلى الكفاح والنضال والجهاد . ورأوا أن يبدأوه بالوسائل السلمية ،

ووجدوا فى مؤتمر الصلح الذى عازمت الدول على عقده فى باريس مجالا ليرفعوا أصواتهم بالمطالبة بالحرية والاستقلال .

رأى زعماء مصر الوطنيون أن يخاطبوا الضمير العالمى ، ويطالبوا الدول الأوروبية بتحقيق وعودهم . وفى يوم ١١ من نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وهو يوافق يوم عقد الهدنة بين الحلفاء وألمانيا ، اتفق سعد زغلول وكيل الجمعية التشريعية ، وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى العضوان بها على مقابلة المسيو ريجنلد ونجت المندوب السامى البريطانى لأبلاغه رغبة المصريين - وقد حدد لهم المندوب السامى يوم ١٣ نوفمبر ميعادا للمقابلة - وجدير بالذكر أن حسين رشدى رئيس الوزراء هو الذى أوحى اليهم بذلك - كما أنه هو الذى مهد للمقابلة ..

وفى الاجتماع واجهوا المندوب السامى برغبتهم فى السفر الى الخارج لتمثيل مصر فى مؤتمر الصلح ليطالبوا بالاستقلال ودارت بين الطرفين مناقشة هامة أوجز منها ما يلى :

سعد زغلول :

الهدنة قد أعلنت والمصريون لهم الحق فى أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذى تريده انجلترا لهم - كما أن لا محل لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات . ونجت :

يجب ألا تتعجلوا وأن تكونوا متبصرين فى سلوككم فان المصريين فى الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة .

سعد زغلول :

ان هذه العبارة مبهمة المعنى ولا أفهم المراد منها . ونجت :

أريد أن أقول ان المصريين ليس لهم رأى عام بعيد النظر .

سعد زغلول :

لا أستطيع الموافقة على ذلك فاني ان وافقت أنكرت صفتي — فانتى  
منتخب فى الجمعية التشريعية ، وكان انتخابى بمحض ارادة الرأى العام مع  
معارضة الحكومة واللورد كتشنر فى انتخابى — وكذلك الأمر مع زميلى  
على شعراوى ، وعبد العزيز فهمى .

ونجست :

ان قبل الحرب كثيرا ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد  
وأمثاله من الحزب الوطنى وكان ذلك بلا تعقل ولا روية .

على شعراوى :

اتنا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر .

ونجست :

اذن أتم تطلبون الاستقلال .

سعد زغلول :

ونحن أهل له .. وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقى الأمم  
المسنفلة .

ونجست :

ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم .

عبد العزيز فهمى :

نحن نطلب الاستقلال التام ، وقد ذكرتم أن الحزب الوطنى أتى من  
الحركات والكتابات بما أضر — وأقول لجنايبكم أن الحزب الوطنى كان يطلب  
الاستقلال ، وكل البلد تطلب الاستقلال . أما من وجهة تشبيها بالطفل يتخم  
اذا غذى بأزيد من اللازم فاسمحوا لى أن أقول أن حالنا ليست مما ينطبق  
عليها هذا الشبه — بل الواقع أننا كالمريض مهما آتيت له من نطس الأطباء  
استحال عليهم أن يعرفوا من أنفسهم موقع دائه بل هو نفسه الذى يحس

بألم الداء ويرتد إليه — فالمصري وحده الذي يشعر بما ينقصه — والاستقلال التام ضروري لرقينا — وإذا كانت بلاد العرب وهى دون مصر بمراحل أخذت استقلالها فمصر أجدر بذلك .

ونجست :

قد كانت مصر عبدا لتركيا — أف تكون أحط منها لو كانت عبدا لانجلترا ؟

شعراوى :

قد آكون عبدا لرجل من الجعلين ، وقد آكون عبدا للمستتر ونجست الذى لا مناسبة بينه وبين الرجل الجعلى ، ومع ذلك لا تسرنى كلتا الحالتين لأن العبودية لا أرضاها ولا تحب نفسى أن تبقى تحت ذلها ونحن كما قدمت نريد أن نكون أصدفاء لانجلترا صداقة الأحرار لا صداقة العبيد .

وقد أبدى ونجب لرشدى باشا بعد ذلك تعجبه من أن ثلاثة من المصريين جاءوا له يتحدثون باسم مصر. دون أن يكون لهم صفة أو وكالة عن الأمة تخول لهم ذلك وأخطر رشدى سعد بملاحظة ونجب فاتفقت الكلمة بعد ذلك على تشكيل هيئة تسبغ عليهم الصفة التى أشار اليها ونجب ، فتكون هيئة الوفد المصرى وشكلت من سعد زغلول رئيسا — وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى — ومحمد محمود — وأحمد لطفى السيد — وعبد اللطيف المكباتى — ومحمد على علوبة أعضاء — وحرروا صيغة توكيل ليوقعه الشعب ممثلا فى هيئاته وطوائفه ..؟ ليسعوا بالطرق السلمية المشروعة حينما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر تطبيقا لمبادئ الحرية والعدل التى تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها ويؤيدون بموجبها تحرير الشعوب . وقد أغضب صيغة التوكيل رجال الحزب الوطنى لعدم النص على الاستقلال التام ولقصر المطالبة بالاستقلال على مبادئ العدل التى تنشر رايتها بريطانيا العظمى — مع أن أصل البلاء هو السياسة التى اتبعتها بريطانيا نحو مصر ومن ثم فقد توجه الأساتذة عبد المقصود متولى ، ومصطفى الشوربجى ، ومحمد زكى على ، ومحمد عبد المجيد السعيد من أعضاء

الحزب الوطنى الى بيت سعد زغلول وتناقشوا معه فى صيغة التوكيل وبينوا له وجهة نظرهم واحتدوا عليه فغضب سعد وقال لهم : كيف تهينوننى فى منزلى ؟ فرد عليه محمد زكى على قائلا : اتنا نعتبر أنفسنا فى بيت الأمة لا فى بيت سعد الخاص - ومن هذا اليوم سمى بيت سعد بيت الأمة - وعلى أثر هذه المقابلة عدل الوفد صيغة التوكيل وأصبحت : « نحن الموقعين على هذا قد أننا عنا حضرات ... فى أن يسعوا بالطرق السلمية حينما وجدوا للسعى سبيلا فى استقلال مصر استقلالا تاما » وحذفوا النبذة الخاصة ببريطانيا العظمى - وطبع التوكيل وأرسل لجميع الأفراد والهيئات للتوقيع عليه - ولم تتعرض له وزارة رشدى - بل أصدرت أمرها للبوليس ولرجال الادارة بتيسير التوقيع على هذه التوكيلات - ولكن تصدت لهذه التوكيلات السلطة العسكرية - ثم رفضت السماح للوفد المصرى بالسفر الى مؤتمر الصلح مما حدا بالوفد الى عرض مطالب مصر على معمدى الدول الأجنبية ثم توالى اجتماعاتهم وندواتهم وخطبهم وما لبثوا أن أرسلوا احتجاجاتهم الى الوزارة والسلطان والى سفراء الدول الأجنبية على منع الوفد من السفر الى الخارج وقالوا فى احدى هذه الاحتجاجات « ها نحن أولاء محكوم علينا بالكم نعلك فيه تسكينة الغيظ - وبالحزن المبرح نلبس ثيابه حدادا على حريتنا المسلوقة . ان الدولة تسومنا الخسف ، ما لبثت أن قررت نهائيا قطع الطريق علينا الى المؤتمر ساخرة بوعودها كأنها لم تكن تقصد بهذه الوعود سوى أن تفوت على الأمة فرصة نفيسة وأن تعيبى همم بنينا » ورأت السلطات العسكرية البريطانية أن نشاط الوفد يشكل خطرا جديا عليها فاسندى الجنرال وطسن قائد القوات البريطانية رئيس الوفد وأعضائه لمقابلته يوم ٦ من مارس سنة ١٩١٩ وألقى عليهم الانذار التالى باللغة الانجليزية « علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة وأنكم تقيمون العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة وحيث أن البلاد لا تزال تحت الأحكام العسكرية لذلك تلزمنى أن أنذركم أن أى عمل منكم يرمى الى عرقلة سير الادارة يجعلكم عرضة للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » وعندما هم أحد الأعضاء بالكلام قاطعه وطسن قائلا :

« لا مناقشة » ثم تركهم وانصرف . وبعد يومين أى فى يوم ٨ مارس ألفت السلطة العسكرية القبض على سعد زغلول ، ومحمد محمود ، واسماعيل صدقى ، وحمد الباسل ونفثهم الى جزيرة مالطة - ولم يضعف هذا الاجراء التعسفى عزم رجال الوفد المصرى ف عقدوا النية على المضى فى الكفاح . وبادروا بارسال احتجاج الى السلطان قالوا فيه : « قبلتم استقالة الوزيرين رشدى وعدلى فلما فهمنا أن هذا ربما كان الحل الوحيد لمسألة سفر الوفد المكلف بالدفاع عن قضية بلدكم الأسيفة - وانه لا يسمح لرجل مصرى ذو كرامة ووطنية أن يقبل تأليف الوزارة ما دام الوزيران المستقيلان علقا سحب استقالتهما على أمر سفر الوفد - عرضنا لسيادتكم العلية - متضرعين أن تتعرفوا على رأى الأمة قبل البت نهائيا فى هذا الأمر وأن تعيدوا النظر فى الخطة التى اختطها مستشاروكم وأن تبدو للأمة من آيات ما جبلتم عليه من حبا فتكونوا فى صفها مدافعين عنها لتنال غرضها » ثم ذكروا فى البيان تعرض السلطة البريطانية لهم ومنعهم من السفر ثم القبض على زملائهم ونفيهم « ثم سوقهم الى بورسعيد الى حيث لا نعلم » وطلب الوفد فى ختام البيان من السلطان أن يقف فى صف المدافعين عن قضية العدالة ، ويتعين علينا أن نشيد بالموقف الوطنى الجليل الذى وقفه حسين رشدى رئيس الوزراء فى تلك الأيام فهو الذى أوعز لسعد وزمليه بمقابلة ونجت - وهو الذى أمر - رجال الادارة بعدم التعرض للتوكيلات وظل يؤازره وبعضه حتى رأى أن من واجبه كرئيس للوزارة أن يسافر الى مؤتمر الصلح ليعرض مطالب مصر وأمانها ولكن الانجليز منعه أيضا - فتقدم باستقالته من الوزارة هو وزميله عدلى يكن وصما عليها وقال حسين رشدى فى كتاب استقالته للسلطان « عندما أخذت على عاتقى أمام ضميرى وأمام وطنى وأمام التاريخ مسئولية منصبى فى عهد النظام الجديد قد عاهدت نفسى عهدا أساسيا أن أطلب من الحكومة الانجليزية عند الشروع فى مفاوضات الصلح أكثر ما يمكن من الحرية لمصر . والآن وقد أوشكت هذه المفاوضات أن تبتدىء طلبت من الحكومة الانجليزية بعد تصديق عظمتكم أن تسمع أقوالى فكان جوابها بمشابة التسويف الى ما بعد الصلح - فلهذه الأسباب أتشرف بتقديم استعفائى بين يدي عظمتكم وان زميلى عدلى يكن

باشا الذى عينتموه لمرافقتى فى مهمتى يتمسك بمشاركتى هذا الأمر فهو يقدم شخصيا استعفائه من وزارة المعارف العمومية « — ولم يوافق السلطان على قبول استقالة الوزيرين الا بعد الحاح شديد منهما . ولم يكذ يعلم الشعب نبأ القبض على سعد وزملائه حتى قامت الثورة التى كانت تنتظر اشارة البدم بها — كالبركان الملىء بالحمم يتلمس الطريق للفوران .

## موجة ثورية جديدة :

وقد يعتقد البعض أن سبب الثورة هو اعتقال سعد وصحبه ونفيهم الى مالطة ولكن أسباب الثورة الحقيقية هى أن الحركة الوطنية كانت قد بدأت تقوى نتيجة لتعبئة الشعور القومى والوطنى بفضل جهود أبنائها المكافحين وعلى رأسهم مصطفى كامل ، ومحمد فريد وندائتهما التى ظلت تتجاوب أصداؤها أرجاء الوادى أكثر من ثلاثين عاما ، وكان لها أثر كبير وعمق بالغ فى نفوس المواطنين ثم أن المصريين لم ينظروا للاحتلال فى أى فترة من فترات تاريخهم الا على أنه اعتداء مستمر على حرياتهم وأنهم كانوا يتربصون به ويتحينون الفرصة للاقتضاض عليه والتخلص منه — خاصة وأن الاحتلال الذى نكبت به البلاد منذ سنة ١٨٨٢ اتسم بالظلم ، والاضطهاد وكبت الحريات وتكسيم الأفواه وكان الانجليز يستأثرون بالوظائف الهامة فى الدولة حتى أنهم عينوا مستشارين عنهم فى كل مصلحة ووزارة — وكان سلطان المستشار الانجليزى يفوق سلطان الوزير المصرى — بل ويتوقف بقاء هذا الأخير فى الحكم على موافقة المستشار ورضائه — ورأى الانجليز أن فى بقاء الجيش المصرى ما يهدد كيانهم فسرحوه — وبقيت مصر بدون جيش يحميها — وألغوا مجلس النواب وسعوا لفصل السودان عن مصر وانفردوا بحكمه — وعقب اعلان الحرب فى سنة ١٩١٤ رأوا أن الفرصة سانحة فأعلنوا الحماية على مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٤ وفرضوا الرقابة على الصحف والمطبوعات — ولم يكتف الانجليز بكل هذا بل جندوا ما يزيد على مليون مصرى وأرسلوهم الى سيناء والشام لمحاربة أعدائهم الألمان والأتراك « وكانوا يؤخذون كرها باسم المتطوعين وما هم بمتطوعين ويعاملون معاملة المعتقلين



وما هم بسذنين — يربطون بالحبال ويساقون كالأنعام ويتنقلون بالقطارات في مركبات الحيوانات ويعاملون أسوأ معاملة (١) .

وكما جند الانجليز المصريين بالقوة — استولوا كذلك على اقتصاديات البلاد — ومقدراتها قسرا . وكانت السلطة الانجليزية تصدر الحاصلات الزراعية والمواشى وتستولى عليها وتحرم أصحابها منها بطرق غاية فى القسوة والوحشية — حتى أن احدى الكاتبات الانجليزيات وتدعى مس درهام كتبت مقالا فى ٢ أبريل سنة ١٩١٩ فى جريدة الديلى نيوز قالت فيه « بلغ من جهل الجنود الانجليز أن كانوا يظنون أن مصر بلادا انجليزية وأن المصريين قوما دخلاء ويعجبون كيف سمح لهؤلاء العبيد أن يأتوا لهذه الديار وقد سمعت غير واحد من الاستراليين يقول لو كان الأمر بيدى لما أبقيت على واحد من المصريين فى هذه البلاد » وتستطرد الكاتبة بعد أن بينت بعض مخازى الانجليز وفضائحهم فى مصر فتقول : « وأقسم لو كنت مصرية لما ترددت فى بذل النفس والنفيس لطرد الانجليز من مصر وأنى والحق يقال كنت أخجل أشد الخجل لانتسابى لبلادى » كما نشرت جريدة رائد العمال البريطانية فى ٣ أبريل سنة ١٩١٩ بعض هذه الفظائع فتقول :

« وضع نظام للتطوع ظهر عدم كفايته فصدرت الأوامر بأخذ العمال من الحقول باكراه وطريقته أن يدخل رجال الحكومة القرية وينتظرون رجوع الفلاحين الى منازلهم عند الغروب فيحرقون بهم كالأنعام وينتقون خيرهم للخدمة فاذا رفض أحدهم هذا التطوع الاجبارى جلد حتى يقر بالقبول وعلى هذا النحو ساقوا أطفالا من سن ١٤ سنة وشيوخا فى سن السبعين وكانت تساق هذه الجموع المريضة من هؤلاء المساكن لتأدية الأعمال الحربية والكرباج كقيل بتسخيرهم — وأصبح الجلد من الأعمال اليومية العادية ثم أن سوء الغذاء ورداءة الكساء وقلة الغطاء فضلا عن عدم وجود الخيام حيث يلتحف هؤلاء المساكن السماء ويفترشون الغبراء جعل هؤلاء الآدميين فريسة الأمراض الوبائية كالتيفوس وغيره عدا الجوع والبرد فكانوا يموتون

---

(١) ثورة ١٩١٩ للاستاذ عبد الرحمن الرافعى

كالذباب فى الصحراء ، وبجانب مصادرتنا لهؤلاء الناس أعددتنا مصادرة  
حمالهم وحميرهم ودوابهم فأصبحت الأعمال الزراعية متعذرة ، وارتفع ثمن  
الحاصلات والحاجات — فعم الغلاء وأصبح العيش متعسراً وساءت حالة  
الفقراء والعمال بدرجة عظيمة . فهل بعد هذا يستغرب اذا بلغ الكره لنا  
والحقد علينا مبلغهما فى قلوب المصريين « .. هذه هى بعض الأعمال التى كان  
يقوم بها الانجليز فى مصر باعترافهم — ولم يكن أمام الشعب الذى كان  
يتطلع الى الحرية والاستقلال منذ اليوم الأول للاحتلال الا أن يشور عليه  
وعلى الظلم والاستبداد وأن يضج من الوسائل الوحشية التى اتبعها الانجليز  
معه وكان آخرها القبض على سعد وزملائه .

## أوج الثورة :

وبدأت الثورة يوم ٩ مارس سنة ١٩١٩ باضراب طلبة مدرسة الحقوق  
ثم أعقبهم طلبة الأزهر وباقي المدارس — وانتشرت روح التذمر فى جميع  
الجهات . فتعطلت المواصلات وأضرب الموظفون الأمر الذى دفع السلطة  
الانجليزية بتهديدهم بالفصل ان لم يعودوا الى أعمالهم وفى ١١ مارس أضرب  
المحامون فى جميع أنحاء البلاد وقرروا نقل أسمائهم من جدول المشتغلين الى  
جدول غير المشتغلين — وأثبتوا ذلك فى محاضر الجلسات وأمام القضاة  
الذين أيدوا المحامين فى قرارهم ووافقوا على اثبات الاضراب فى محاضر الجلسات  
وتنازلهم عن التوكيلات المعطاة من الموكلين — ولم ينفذ القضاة منشور وزارة  
الحقانية القاضى بضرورة شطب القضايا اذا صمم المحامون على الاضراب ،  
والعجيب أن الموكلين أيدوا محاميهم فى ذلك الاجراء — كما أضرب عمال  
العنابر وكان يزيد عددهم على أربعة آلاف عامل فتعطلت القطارات — ووسائل  
النقل بأكملها — حتى عربات الأجرة والأوتوبيسات — وتفاقت الحالة يوماً  
بعد يوم فتعطلت جميع المواصلات بلا استثناء . وأقمرت مكاتب الوزارات  
من موظفيها وأغلق التجار محالهم وسقط العديد من الشهداء برصاص  
الانجليز الغادر ، وأنشئت المحاكم العسكرية لمحاكمة الوطنية ، وعم  
الاضراب وشمل كل الطوائف والهيئات وفى جميع أنحاء البلاد حتى النساء  
فقد سرن فى مظاهرات رهيبة وقدمن احتجاجات كثيرة الى معتمدى الدول

الأجنبية جاء فى احداها « يرفع هذا لجنايكم السيدات المصريات أمهات وأخوات وزوجات من ذهبوا ضحية المطامع البريطانية يحتجن على الأعمال الوحشية التى قوبلت بها الأمة المصرية الهادئة » وهال الانجليز عنف الثورة وكانوا يظنون بادية ذى بدء أنها مظاهرة بسيطة سوف تخمد بعد حين ولكنهم رأوا أن يقاوموها بالقوة والبطش فأندروا الشعب بالقتل وحرقت القرى التى تخرب بجوارها السكك الحديدية وأصدر القائد العام للقوات البريطانية فى ٢٠/٣/١٩١٩ البلاغ التالى : « كل حادث جديد من حوادث تدمير محطات السكك الحديدية أو المهمات الحديدية يعاقب عليه باحراق القرية التى هى أقرب من غيرها الى مكان التدمير وهو آخر انذار » وفى هذا الانذار مايدل على أن الانجليز قد فقدوا رباطة جأشهم وبلغ بهم الهوس درجة أنهم كانوا يقتلون الأبرياء سواء آكانت هناك مظاهرة أم لم تكن . مثال ذلك أنهم نزلوا بقرية ميت القرشى فى صباحية ٢٣/٢ وأطلقوا النار على الآمنين بها فقتلوا ما يزيد على مائة شخص دون ذنب أو جريرة . وفى هذا الحادث الوحشى وغيرهم من الحوادث ما يقطع بأن الانجليز دعاة المدنية هم ووحوش الغاب سواء .

ومع ذلك فلم ترهب الثورة همجية الانجليز — فمضت فى طريقها تطالب باستقلال البلاد — وزادت اشتعالا . وردت بلدة دير مواس على مجزرة ميت القرشى فهاجمت قطارا محملا بالجنود البريطانيين وقتلت منهم ثمانية ضباط وذلك فى ١٨/٣/١٩١٩ . وشكلت محكمة عسكرية صورية وحكمت بالاعدام على ٥١ شخصا دون تحقيق أو مرافعة ، وكانت المحاكمة أشبه بالمجزرة بل هى مجزرة كبيرة بالفعل وليست محكمة لأننا نظلم كلمة محكمة فى هذا المجال . فقد ألقت من ضباط انجليز قساة القلوب أعدوا حكم الاعدام من قبل ، حتى أن المحاكمة لم تستغرق سوى يومين . فندت يوم : ١٧/٥/١٩١٩ وصدر الحكم الجائر فى ١٩/٥/١٩١٩ .

## المدنية الغربية تحكم

وحاول الانجليز ارباب المصريين بهذه المحاكمات التي قامت في كل مدينة وقرية وسارت جميعها على نمط محاكمة دير مواس ، قتل مبيت للمدنيين الأبرياء ، فكانت هناك قضية مأمور بندر أسيوط وقضية الواسطى وصنبو وملوى والمنيا وفاقوس ورشيد وقليوب واسكندرية - مجازر في كل البلاد على صورة محاكمات . ومع ذلك فقد مضت الثورة في طريقها ولم تنجح المشائق التي نصبت في طول البلاد وعرضها في صد تيارها . مما حدا بالوزارة الانجليزية الى ارسال لجنة لبحث أسباب الثورة سميت فيما بعد بلجنة ملنر ولكن الشعب بجميع طوائفه قاطعها وتجاهلها ، لأن سبب الثورة كان - واضحا في غير حاجة الى لجان . وزادت الثورة عنفا - وزاد الانجليز هوسا فاقترحوا الجامع الأزهر الشريف بجحافلهم وجنودهم وخيولهم واعتدوا على من كان في داخله من مصليين وظهرت في ذلك الوقت الجمعيات السرية كمظهر من مظاهر الكفاح للانتقام من الانجليز ومن يعاونهم من المصريين فألقت قبلتان على يوسف وهبة باشا رئيس الوزراء في ديسمبر سنة ١٩١٩ ونجا منهما . كما أُلقيت قبلة على اسماعيل سري باشا في يناير سنة ١٩٢٠ . وأخرى على محمد شفيق باشا في فبراير سنة ١٩٢٠ ورابعة على حسين درويش وكانوا جميعهم أعضاء في وزارة يوسف وهبة الذي قبل الوزارة أثر صدور بلاغ انجلترا بالحماية على مصر مما أثار السخط العام عليها . ودفع الوطنيين الى الاعتداء على أعضائها . وظلت حركة المقاومة حتى بعد استقالة وزارة وهبة باشا . فوقع اعتداء على نسيم باشا رئيس الوزارة الجديدة في يونيو سنة ١٩٢٠ لأن الشعب كان يعتبر قبول أي مصري للوزارة في ذلك

الوقت تحديا لرغبته فاستقال كسابقتيها مكروهة ملعونة . ولم ير الانجليز بدا ازاء اصرار الشعب من الاستماع اليه والرضوخ الى طلباته وهم الذين كانوا يرفضون حتى المناقشة في موضوع الاستقلال . وكان الكبر والزهو والغرور يملأ نفوسهم حتى أن فائد القوات البريطانية الجنرال وطسون عندما دعا أعضاء الوفد المصري في ١٩١٩/٣/٦ وألقى عليهم الانذار بالكف عن الجهاد وأراد بعض الأعضاء الكلام رفع يده قائلا : « لا مناقشة » .

ولكنهم ازاء التورة وما وضعتهم فيه من موقف لا يحمدون عليه طأطؤا من هاماتهم ورأوا أنفسهم مرغمين الى تحقيق بعض مطالب الشعب فتألفت الوزارة التي رضى عنها لا التي كانت تستمد العون من الانجليز أو السراى . وكانت وزارة عدلى باشا . وعاد سعد زغلول من أوروبا بين مظاهر الفرح . وألقى الانجليز الحماية واعترفوا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة وذلك عندما أصدروا تصريحهم المشهور في ١٩٢٢/٢/٢٨ ثم أعلن الدستور في ١٩٢٣ وكانت كل هذه الانتصارات من آثار جهاد أبناء مصر وتضحيات شهدائها الذين كانوا وقودا لثورة ١٩١٩ ..

## الباب الرابع الشعب يكافح الأعداء وائسرة محمد على

- ١ - استقلال زائف :
- ٢ - موقف الشعب من معاهدة ١٩٣٦ :
- ٣ - أسود الجيش ونسور الطيران
- ٤ - الكفاح الشعبى أثناء الحرب العالمية الثانية :



## ١ - استقلال زائف

### عوامل اخفاق ثورة ١٩١٩ كما جاءت فى الميثاق :

درس الميثاق أسباب وتتايج ثورة ١٩١٩ دراسة رائعة ، اذ أن العوامل التى أدت الى اخفاق ثورة ١٩١٩ هى نفس عوامل قيام ثورة ١٩٥٢ المباركة : فقال الميثاق : ( ان ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩ تستحق الدراسة ، فان الأسباب التى أدت الى فشلها هى نفس الأسباب التى حركت حوافز الثورة سنة ١٩٥٢ » .

وركز الميثاق عوامل اخفاق ثورة ١٩١٩ فى ثلاث عوامل ، أولها اهمال هذه الثورة التغير الاجتماعى ، وثانيها عجز الثورة عن تحديد الشخصية المصرية ، وثالثها أن القيادات الثورية سنة ١٩١٩ لم تلائم بين أساليب نضالها والأساليب الاستعمارية فى مواجهة الثورات الشعبية . فجاء فى الميثاق :

« اذن هناك ثلاثة أسباب واضحة أدت الى فشل هذه الثورة . ولا بد من تقسيمها فى هذه المرحلة تقييما أميناً ومنصفاً :

أولاً : ان القيادات الثورية أغفلت اغفالاً يكاد يكون تاماً مطالب التغير الاجتماعى ، على أن تبرير ذلك واضح فى طبيعة المرحلة التاريخية التى جعلت من طبقة ملاك الأراضى أساساً للأحزاب السياسية التى تصدت لقيادة الثورة .

ومع أن اندفاع الشعب الى الثورة كان واضحاً فى مفهومه الاجتماعى الا أن قيادات الثورة لم تتنبه لذلك بوعى حتى لقد ساد تحليل خاطئ فى هذا الظرف رده بعض المؤرخين ، مؤداه أن الشعب المصرى ينفرد عن بقية شعوب العالم بأنه لا يثور الا فى حالة الرضاء . ولقد استدلوا على ذلك بأن الثورة وقعت فى ظروف الرضاء الذى صاحب ارتفاع أسعار القطن فى أعقاب



الحرب العالمية الأولى . وذلك استدلال سطحي فان الرخاء كان محصورا في طبقة ملاك الأراضي وطبقة التجار والمصدرين الأجانب الذين استفادوا من ارتفاع الأسعار . وبذلك زاد التناقض بينهم وبين الكادحين من الفلاحين الذين كانوا يروون حقول القطن بعرقهم ودمائهم دون أن تتغير أحوالهم بارتفاع أسعاره . وكان هذا الحرمان في القاعدة بتناقضه مع الرخاء في القمة من أسباب الاحتكاك الذي أشعل شرارة الثورة .

ان المحرومين كانوا هم وقود الثورة وضحاياها ، لكن القيادات التي تصدرت في مقدمة الموجة الثورية سنة ١٩١٩ باغفالها للجوانب الاجتماعية من محركات الانفجار الثوري لم تستطع أن تبين بوضوح أن الثورة لا تحقق غاياتها بالنسبة للشعب الا اذا مدت اندفاعها الى ما بعد المواجهة السياسية الظاهرة من طلب الاستقلال . ووصلت الى أعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية .

ولقد كانت الدعوة الى تمصير بعض أوجه النشاط المالى هي قصارى الجهد فى ذلك الوقت . فى حين أن الدعوة الى إعادة توزيع الثروة الوطنية أصلا وأساسا كانت هى المطلب الحيوى الذى يتحتم البدء فيه من غير تأخير أو ابطاء .

ثانيا : ان القيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية . ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية .

لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ ، وفشلت أيضا فى أن تتعلم من عدوها الذى تحاربه ، والذى كان يعامل الأمة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد .

ومن هنا فان قيادات الثورة لم تنبه الى خطورة وعد بلفور الذى أنشأ اسرائيل لتكون فاصلا يمزق امتداد الأرض العربية وقاعدة لتهديدها.

وبهذا الفشل ، فإن النضال العربى فى ساعة من أخطر ساعات الأزمة حرم من الطاقة الثورية المصرية ، وتمكنت القوى الاستعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية ممزقة الأوصال مفتتة الجهد . واختصت ادارة الهندالبريطانية بالتعامل مع شبه الجزيرة العربية ومع العراق ، وانفردت فرنسا بسوريا ولبنان .

بل وصل الهوان بالأمة العربية فى ذلك الوقت الى حد أن جواسيس الاستعمار تصدروا قيادة حركات ثورية عربية . وكانت بأمرهم ومشورتهم تهاجم العروش للذين خانوا النضال العربى وانحرفوا عن أهدافه .

كل هذا ، والثورة الوطنية فى مصر تتصور أن هذه الأحداث لاتعنيها ، وأنها لا ترتبط مصيريا بكل هذه التطورات الخطيرة .

ثالثا : ان القيادات الثورية لم تستطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الأساليب التى واجه الاستعمار بها ثورات الشعوب فى ذلك الوقت ان الاستعمار اكتشف أن القوة العسكرية تزيد ثورات الشعوب اشتعالا ومن ثم انتقل من السيف الى الخديعة ، وقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات الثورية أن خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقى . وكان منطق الأوضاع الطبقيّة يزين لها هذا الخلط .

## استقلال لا مضمون له :

اقتبسنا هذا العنوان من الميثاق أيضا ، فقد منح الانجليز المصريين استقلالاً اسمياً ، لا مضمون له ، بل ان الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار أدى الى صراع حزبى أحرق الطاقة الثورية ومزق صفوف الوطنيين المصريين ، فجاء فى الميثاق : « ان الاستعمار فى هذه الفترة أعطى من الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ، ومنح من الحرية شعارها واغتصب حقيقتها . وهكذا انتهت الثورة باعلان استقلال لا مضمون له ، وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال . وزادت المضاعفات خطورة بسبب الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار والذي أوقع الوطن باسم الدستور فى محنة الخلاف على الغنائم

دون نصر . وكانت النتيجة أن أصبح الصراع الحزبى فى مصر ملهامة تشغل الناس وتحرق الطاقة الثورية فى هباء لا نتيجة له .

وكانت بريطانيا قد رأت أن تخمد روح الثورة المصرية ، وظنت أنها تستطيع أن تصل الى تفاهم مع من كانت تسميهم بالمعتدلين لاقرار الحماية بصورة ترضيهم ، فأعلنت بريطانيا فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ بيانا جاء فيه أن بريطانيا تريد « المحافظة على وضع مصر تحت الحماية البريطانية وتأسيس نظام يمكن عظمة السلطان ووزرائه ومندوبى الأمة فى دوائهم الخاصة من الاشتراك فى ادارة الأمور المصرية » .

وتحقيقا لهذه السياسة ، أرسلت انجلترا لجنة برئاسة ( اللورد ملر ) وزير المستعمرات البريطانية ، وقاطعها جميع المصريين ، وقامت المظاهرات احتجاجا على قدومها ، فلا يمكن المفاوضة حول استقلال وجنود الحماية البريطانية فى مصر . وأخفقت لجنة ملر فى مهمتها بسبب مقاطعة الشعب المصرى لها ، واضطرت انجلترا الى استدعاء وفد مصر فى باريس برئاسة سعد زغلول للسفر الى لندن للمفاوضة .

ودارت مفاوضات طويلة انتهت الى مشروع معاهدة قرر الوفد عرضه على الشعب وقد عارضته جميع فئات الشعب فهو يمنح استقلال لا مضمون له وهو ستار يخفى الحماية البريطانية .

ورأت انجلترا أن تفاوض الحكومة المصرية وكان يرأسها عدلى يكن ، فسافر الى انجلترا على رأس وفد رسمى ، وأخفقت المفاوضات ، واستقال عدلى يكن فى ديسمبر سنة ١٩٢١ . وعادت الثورة من جديد ، ونفت انجلترا سعد زغلول مع خمسة من أعضاء الوفد الى جزيرة سيشل، وامتنع الزعماء عن قبول تأليف الوزارة .

وأخيرا اضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ من جانب واحد ، أعلنت فيه انجلترا الغاء الحماية البريطانية على مصر ، ومنح مصر دستورا ، مع تحفظات أربعة هى :

١ — تأمين المواصلات البريطانية فى مصر .

٢ — الدفاع عن مصر ضد أى اعتداء أو تدخل أجنبى مباشر أو غير مباشر .

٣ — حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات .

٤ — السودان .

ورفض المصريون جميعا هذا التصريح بما حواه من تحفظات ، ولكن الحكومة المصرية عملت على تنفيذه ، وشكلت ( لجنة الثلاثين ) لوضع الدستور ، واحتفلت الوزارة فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٢ بالاستقلال الاسمى الذى أقره تصريح ٢٨ فبراير ، وتسمى فؤاد بلفب ( ملك ) بدلا من ( سلطان ) .

ثم أفرجت انجلترا عن الزعماء المنفيين لتهديئة مشاعر الشعب ، وعمل الانجليز على بث الفرقة والانقسام فى صفوف زعماء الشعب المصرى ، وتآلف حزب الأحرار الدستوريين ، وبدأت مرحلة من الصراع الحزبى أصاب الكفاح الشعبى بنكسة ، فتنافس زعماء الأحزاب على الحكم ، أو بمعنى آخر على الأسلاب والغنائم ، وعمل الانجليز والقصر على اشغال نيران هذا الخلاف الحزبى .

وصدر الدستور فى ابريل سنة ١٩٢٣ ، فلم ينجح فى تقييد سلطة الملك ، ولا فى ابراز سلطة نواب الشعب ، ولذلك طغت السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية ، فكان معظم رؤساء الوزارات يحلون مجلس النواب ، كما كانت هذه الوزارات تحكم على أسنة حراب الانجليز وبتأييد الملك .

وسقطت وزارة سعد زغلول ، وهى أول وزارة دستورية ، بعد تسعة شهور من تأليفها عندما وقع حادث الاعتداء على سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام ( السير لى ستاك ) ، فقد قامت انجلترا بمظاهرة عسكرية وطلبت من الحكومة سحب الجيش المصرى من السودان ، وأن تدفع مصر غرامة مالية كبيرة ، فاستقالت الوزارة وتعطلت الحياة النيابية ، حتى تولى الوزارة اسماعيل صدقى فألغى دستور ١٩٢٣ واستبدله بدستور

جعل السلطة التنفيذية تطفئ على السلطة التشريعية سنة ١٩٣٠ وتوالت الوزارات ، وكثرت المفاوضات ، دون أن تتحقق مطالب الشعب ، وازداد الصراع الحزبي ، ولذا كفر الشعب المصري بالأحزاب وبالزعماء السياسيين ورأى أن يعتمد على كفاحه ونضاله كما سرى .

## الجمعيات السرية :

لم يكن اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر الا الخطوة الأولى فى الاستقلال الحقيقى للبلاد ، ما دام هناك جندي انجليزى واحد فى مصر . وكان لابد أن يستمر الجهاد بأى وجه من الوجوه حتى يجلو الانجليز عن البلاد . وقد كانت مصر تحكم فى واقع الأمر من قصر الدوبارة . وظل الانجليز على الرغم من تصريح ٢٨ فبراير يسخرون من يتعاون معهم لتحقيق مطالبهم من وراء ستار . يولون الوزارة من يرضون عنه ويقصون عنها من يعارضهم ولاح أن الاستقلال المزعوم ما هو الا أكذوبة كبيرة فتكونت الجمعيات الوطنية وتفرعت منها الجمعيات السرية ، التى وقفت للاستعمار وأعوانه بالمرصاد .

ويهمنا أن نبين كيف تكونت الجمعيات السرية التى تصدت للانجليز ومن سار فى فلكهم من المصريين مدة طويلة ، وممن كانت تكون . ومن أية هيئة سياسية انبثقت .

رأى شباب الحزب الوطنى سنة ١٩٠٦ أن مصطفى كامل كان يكافح فى الخارج منددا بالأساليب الاستعمارية التى كانت تتبعها انجلترا فى مصر ورأوا أن عليهم واجبا آخر هو الكفاح المسلح فى الداخل ضد الانجليز فتكونت لهذا الغرض فى هذه السنة أول جمعية سرية وكان من أعضائها ابراهيم ناصف الوردانى ومحمود عنايت الأخ الأكبر لعبد الحميد وعبد الفتاح اللذان اتهما بمقتل السردار فيما بعد . و خليل مذكور وكان مسكرتيرا لمحمد فريد .

وفى هذه الحقبة اغتال الوردانى بطرس باشا كما ذكرنا وأعدم وسجن محمود عنايت ثم نفى الى جزيرة مالطة مع آخرين من الوطنيين . ولم يفت

ذلك فى عضد الجمعية ولم يزول من بنيانها وان كانت قد انكششت بعض الوقت .. ولكنها نشطت مرة أخرى وحاولت اغتيال انخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٩١٤ وهو يزور الاستانة لمالته للانجليز ولكنه نجا من يد محمود مظهر طالب الطب الذى أنيطت به هذه العملية ، ثم وقع اختيار الجمعية على السلطان حسين فاعتدوا عليه مرتين فى القاهرة بميدان عابدين ومرة أخرى فى الاسكندرية ونجا هو الآخر .

وركزت الجمعية بعد ذلك طوال سنوات الحرب وسنة شبوب الثورة لتنشط مرة أخرى بعد أن طعمت بدماء جديدة فتكونت من جديد من الأخوين عبد الحميد وعبد الفتاح شقيقى محمود عنايت ومن شفيق منصور المحامى والعاملين محمود فهمى وابراهيم موسى ثم انضم اليهم محمود راشد وراغب حسن . وقامت هذه الجمعية بكثير من الأعمال وعديد من الاغتيالات بشجاعة نادرة وفدائية لا مثيل لها حتى أن بعضهم كان يبكى اذا لم يقع الاختيار عليه للقيام بالعملية المدبرة .

وظلت هذه الجماعة تعمل فى تكتم وحذر زهاء ثلاث سنوات حتى أقلقت الانجليز وأعوانهم من المصريين وأشاعت الخوف والرعب فى قلوبهم وحرمتهم من الخروج ليلا ولكن الأعضاء قرروا القيام بأعمالهم فى وضح النهار واشتد خوف الانجليز وأصبحت حياة الشخص منهم معلقة فى يد القدر فكان الانجليزى يخرج من بيته الى عمله وهو لا يدري ان كان سيعود اليه أم يختطفه الموت . ونتيجة لذلك استقال بعض كبار الموظفين الانجليز من وظائفهم وعادوا الى بلادهم بعد أن هددتهم الجمعية ، فكانوا أبعد نظرا من غيرهم . أما باقى الموظفين الانجليز الذين آثروا البقاء فى مصر فقد دعوا أنفسهم الى اجتماع فى فندق الكوتنتنال حضره جمع كبير منهم حتى أن الجاليات الانجليزية القاطنة بالسويس والاسماعيلية وبورسعيد والاسكندرية لم تتخلف عنه ، ودار فى هذا الاجتماع بحث الوسائل التى يحمون بها أنفسهم أمام موجة الاغتيالات التى يواجهونها. ومطالبة الحكومة بضرورة اتخاذ الاجراءات الحاسمة لوقف هذه الاعتداءات والقبض على مرتكبيها .

أما الحوادث التي قامت بها هذه الجمعية الوطنية فهي باختصار مقتل المستر براون المراقب العام لوزارة المعارف ، وكان الحاكم بأمره في هذه الوزارة فضلا عما كان يتصف به من صلف وكبرياء وتعنده احتقار مرءوسيه ورؤسائه على السواء من المصريين . ومقتل المستر كييف وكيل حكمدار القاهرة وقتئذ ، وكان شديد القسوة يعامل المصريين بغلظة وغلظة ، وقد سمعنا الكثير من جرائمه أثناء ثورة ١٩١٩ وما تلاها حتى أنه كان يجبر المعتقلين على أكل روث الخيول . ثم يربطهم بعد ذلك من شعورهم في ذيولها التي تنطلق بهم بسرعة فائقة بين صفوف المتظاهرين المصريين لارهابهم . واغتالت الجماعة كذلك المستر يجوت مدير مالية الجيش الانجليزي ، واغتالوا بعد ذلك المستر براون مدير قسم البساتين الطاغية ، والمستر بسون الانجليزي المتعصب وكان يلقي دروسه بمدرسة الحقوق فاستاء الطلبة لغلطته وكرهيته الشديدة للمصريين وقرروا اغتياله ، هذا عدا اغتيال العديد من الجود الانجليز والضباط وكان من أهم هذه الحوادث حادثة اللقاء القنابل على خيام الانجليز بروض الفرج عندما ضربوا حصارا عليه عقب حوادث الاغتيالات التي وقعت به .

وقد ظلت هذه الحوادث يكتنفها الغموض وأصبحت لغزا حير رجال الأمن ، وروع الانجليز فترة طويلة وأما المصريون فكانوا يتلقون أخبار الاغتيالات بارتياح وسرور ويتناقلون حوادثها ويرون أخبارها فيما بينهم كمثل من أمثلة القصص البطولية النادرة ، وظلت أعمال هذه الجمعية سرا من الأسرار طوال ثلاث سنوات حتى وقعت حادثة السردار وكان من الجائز أن لا يقبض على مدبري هذا الحادث حتى أن الانجليز تخطبوا كثيرا واتجهوا في تحقيقاتهم الى نواح مختلفة .

وكاد يفلت أعضاء الجهاز السري لولا أحد الخونة ويدعى نجيب الهلباوى وكان صديقا لأولاد عنايت وطمع في المكافأة المالية الكبيرة التي رصدها الانجليز لمن يرشد عن مرتكبي الحوادث وقيمتها عشرة آلاف من الجنيهات ، وقد أرشد عليهم بالفعل حتى قبض عليهم ، وكانوا هم أنفسهم

الأشخاص الذين ارتكبوا جميع الحوادث السابقة والتي حيرت الانجليز فترة طويلة وأشاعت الخوف والفرق في قلوبهم .

ولكن كيف وقع حادث اغتيال السردار . وكيف توصل الخائن الهلباوى الى معرفة مرتكبى الحادث .

## حادثة السردار :

حدث أن وقع فى ذلك الوقت حوادث بالغة الخطورة فى السودان فكان من أثر اشتداد الوطنية بمصر أن تأثر السودانين بها وبدءوا يتفاعلون معها ، فعقدوا الاجتماعات ، وتكونت الجمعيات والهيئات الوطنية ، وبدأوا فى التعبير عن شعورهم بالمظاهرات ، حتى أن ضباط المدرسة الحربية بالخرطوم أضربوا تأييدا منهم لوحدة مصر والسودان ، وقد استعمل الانجليز من وسائل العنف والاضطهاد ضد السودانين والمصريين الموجودين فى السودان لوقف المظاهرات ما تقشعر له الأبدان ، فزج بالئات منهم فى السجون دون تحقيق .

وعوملوا أسوأ معاملة وبلغ بهم الأمر أن ضربوا الكلية الحربية بالمدافع وهدموها على من فيها وقبضوا على الضابط على عبد اللطيف وحكموا عليه بالسجن عشر سنوات ، كما قبضوا على كثير من ضباط الجيش المصرى وبعض الموظفين المصريين .

وكان لهذه الاعتداءات أسوأ الأثر فى الدوائر الوطنية بالقاهرة مما دفع الوطنيين الى أن يردوا على هذه الاعتداءات . ورأوا أن ينتقموا من الانجليز فى شخص كبير منهم ووقع اختيارهم على السكرتير الانجليزى وكان يقيم بـيدان توفيق فى العمارة التى أقيم مكانها عمارة شل حاليا ، ووضعت الترتيبات الأولى بأحكام وحان وقت التنفيذ ، وفى تلك الآونة جاء السردار الانجليزى السير لى استاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان الى القاهرة ، وكان مقدمه سببا فى تغيير خطة الوطنيين من أساسها ، اذ أنهم رأوا فى السردار صيدا أثمن من السكرتير الادارى وفى الاعتداء عليه رد اعتبار لاعتداء الانجليز على الجيش المصرى والموظفين



بالسودان . وبدأ الوطنيون فى مراقبته ودراسة الطريق التى كان يسلكها يوميا من منزله بالزمالك الى مكتبه بوزارة الحرية ، وعندما اطمأنوا الى نجاح خطتهم حددوا لتنفيذها يوم الأربعاء الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ وكانوا ستة أشخاص ثلاثة لاطلاق النار واثنين للمراقبة وواحد لقيادة سيارة تكون مهمته التقاط زملائه والهروب بهم . وكان من عادة السير لى ستاك أن يرح الوزارة فى الساعة الثانية من كل يوم ويتجه بسيارته الى الزمالك مارا بشارع اسماعيل باشا أباطة ، وكان اسمه وقتئذ شارع الطريقة الغربى ، وقد رأت الجماعة أن هذا الشارع هو أنسب مكان للتنفيذ ، وفى تمام الساعة الثانية مساء شاهد الرقيب الأول سيارة السير لى ستاك مقبلة وأعطى الإشارة المتفق عليها لزملائه ، وكانت مهمة الرقيب الآخر هو التأكد من خلو الطريق الذى ستتجه فيه السيارة . وما كادت سيارة السردار تمر من أمامهم حتى انهم الرصاص عليها من كل جانب . وقتل السردار وأصيب ياوره كامبل والسائق ، ثم هرع الوطنيون الى سياراتهم وهربوا بها .

وكانت الجماعة تتكون من عبد الفتاح عنايت الذى كان طالبا بمدرسة الحقوق وأخيه عبد الحميد عنايت الطالب بمدرسة المعلمين العليا وابراهيم موسى وراغب حسين الموظف بوزارة الأوقاف ومحمود راشد مهندس التنظيم وعقب حادث قتل السردار تفرق الوطنيون كل الى عمله وتجنب كل شخص منهم مقابلة زميله . وقد اتجهت أنظار الانجليز والبوليس السياسى أول الأمر الى جماعة تدعى جماعة اللواء الأبيض بالسودان ، كان لها فرع بالقاهرة ، كما كان لها نشاط كبير بالسودان وقتئذ . فقبض الانجليز على كثير من أعضائها وظلوا يستجوبونهم فترة طويلة دون جدوى ولكن الانجليز عادوا فاتجهوا الى الوطنيين المصريين ورصدوا مكافأة مالية كبيرة قدرها عشرة آلاف جنيه مصرى لمن يدلى بمعلومات تقضى الى القبض على المتهمين ، وقد أغرت المكافأة شخصا غير ذى ضمير هو الهلباوى وكان صديقا حميما لعبد الفتاح عنايت وشقيقه عبد الحميد فأوهمهما بأنه موفد من قبل (الأمير السابق) عمر طوسون ليزجى لهما النصيح بالهرب وانه أعطاه من المال ما يعينهم على ذلك ، ومن الملابس العربية ما يستطيعون به التخفى عن العيون

فانطلت الحيلة عليهما خصوصا بعد أن ارتدى معهما ثياب الأعراب ثم استقلوا القطار الى الحدود الغربية ، وفي أثناء الطريق وقف القطار فجأة وأحاط البوليس به من كل ناحية ثم قبضوا على الوطنيين عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت بعد أن وضحت خيانة الهلباوى لهما ولكن بعد فوات الأوان . وسرعان ما قبضوا على باقى الأبطال الذين سبق ذكرهم .

وعذب الوطنيون تعذيبا شديدا — ولاقوا بين جدران السجن أشد أنواع التكيل ثم قدموا للمحاكمة — بعد أن أخذ الانجليز الاعترافات منهم قسرا .

وقد قضت المحكمة فى ١٩٢٥/٦/٧ — وكانت مؤلفة من أحمد عرفان باشا والمستر كروسو ومحمد مظهر — على عبد الحميد عنايت و ابراهيم موسى ومحمود راشد وعلى ابراهيم وراغب حسين وشفيق منصور بالاعدام شنقا ، وأما عبد الفتاح عنايت (١) فقد استبدل حكم الاعدام بالنسبة له الى الأشغال الشاقة المؤبدية .

وقد ثارت انجلترا لمقتل السردار و انتهزت وقوع الحادث لكى تطالب ببعض المغانم ، ولكى تسترد بعض ما خسرت من مواقع ، فتوجه اللورد اللبى المندوب السامى ، فى صبيحة يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٤ فى مظاهرة عسكرية ضخمة الى رئاسة مجلس الوزراء ووجه الى رئيس الوزارة سعد باشا زغلول انذارين باللغة الانجليزية تلاهما المندوب السامى وهو واقف ثم عاد الى مكتبه دون أن ينتظر أى رد وطالب فى هذين الانذارين :

أولا : اعتذار الحكومة المصرية عن الجناية . ثانيا : أن تبحث عن الجناة وتنزل بهم أشد العقاب . ثالثا : أن تمنع من الآن وتجمع بشدة كل مظاهرة شعبية . رابعا : أن تدفع للحكومة البريطانية غرامة قدرها نصف مليون جنيه . خامسا : سحب الجيش المصرى من السودان .

-----

(١) وقد شاهده فى سنة ١٩٤٢ عندما احصروه من السجن ليؤدى الامتحان بكلية الحقوق وكان مكملا بالحديد وتحت حراسه البوليس وقد أجاز امتحان اللسانس وأفرج عنه سنة ١٩٤٣ بعد أن أمضى ثلاثة أرباع المدة ومارس مهنة المحاماة .

سادسا : اطلاق يد حكومة السودان فى زيادة مساحة أطيان الجزيرة من ٣٠٠ ألف فدان الى مقدار غير محدود . سابعا : أن تعدل الحكومة المصرية عن كل معارضة لرغبات انجلترا فيما يتعلق بحماية مصالح الأجانب فى مصر . وانتهى الانذاران بتهديد الحكومة بأنها اذا لم تلب هذه المطالب فى الحال فان انجلترا ستتخذ على الفور التدابير اللازمة المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان . وقد رفضت الحكومة هذين الانذارين الا فيما يختص بالتعويض والقبض على الجناة . وقد ترتب على هذا الرفض احتلال الانجليز لجمرك الاسكندرية فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ مما أدى الى استقالة الوزارة فى نفس اليوم .

وقد حاولت الوزارة التى تلت وزارة سعد — وهى وزارة زيور — أن ننسب الاغتيالات التى وقعت فى مصر الى الوفد ، فقبضت على أحمد ماهر والنقراشى وعبد الحليم البيلى وحسن الشيشينى وغيرهم ، ولكنهم برئوا جميعا مما نسب اليهم وسميت هذه القضية بقضية الاغتيالات السياسية .

## الاستقلال الزائف :

لم يحقق تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وما تلاه من صدور الدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٢ أمل مصر فى الاستقلال والحرية ، وظل الانجليز فى مصر يحتلونهم ويديرون شئونهم كسابق عهدهم دون أدنى تغير أو تبديل ووضع الغرض الحقيقى من وراء صدورهما وهو اخماد ثورة ١٩١٩ ووضع حد للاغتيالات التى قامت بها الجمعيات الوطنية ضد جنود وضباط بريطانيا فى مصر . ثم سعت انجلترا بعد ذلك سعيًا حثيثًا لتربط مصر بعجلة السياسة البريطانية الى الأبد ، وفى سبيل ذلك تقدمت بمشروعات عديدة لا حصر لها لكى تصل الى ما تهدف اليه ، ومن ذلك مشروع « تشرمبرلن » فى سنة ١٩٢٧ الذى رفضته وزارة الوفد وأدى الى اقالمتها فى يونيو سنة ١٩٢٨ ، وتعطيل الدستور ، ثم جاء الانجليز بمحمد محمود ليحكم البلاد حكما جائرا فكبت الحريات وكمم الأفواه ، ولما لم تقد هذه السياسة لجأ الانجليز الى حكومة الوفد فى سنة ١٩٣٠ وتقدموا لها مرة أخرى بمشروع معاهدة

ظاها براق خداع وباطنها سم زعاف وفشلت المفاوضات التى دارت بين النحاس وهندرسن تمهيدا لعقد هذه المعاهدة ، فسقطت وزارة الوفد وجاء اسماعيل صدقى الى الحكم فعطل الحياة النيابية ، وألغى الدستور ، وأصدر دستورا آخر سمي بدستور سنة ١٩٣٠ ، ولم يكتف بذلك بل أخذ يكبت الحريات ، وعطل الصحف وصادرها مما أثار حفيظة الشعب فثارت طوائفه ، وامت الاضطرابات جميع البلاد ، ونشطت الجمعيات السرية ودبرت المؤامرات والخطط لاغتيال رجال الحكم ، وعلى رأسهم الملك فؤاد ، واسماعيل صدقى رئيس الوزراء ومحمد توفيق رفعت رئيس مجلس النواب . والقى الوطنيون القنابل على القيادة « العامة » للجيش البريطانى بميدان الخازندار ووزارة الحقانية والمحكمة المختلطة ( دار القضاء العالى حاليا ) وكثرت حوادث الاغتيالات السياسية وامت البلاد موجة من الفوضى وعدم الاستقرار ، ورأى الانجليز أن الحالة تزداد سوءا يوما بعد يوم فنقلت سير برسى لورين مندوبها السامى من مصر ثم أشارت بتغيير الوزارة فاستقال صدقى فى سنة ١٩٣٣ بعد أن فشل فى المحادثات التى دارت بينه وبين جون سيمون بشأن عقد معاهدة اشترط الانجليز لقيامها ماسبق أن أبدوه من ضرورة بقاء قوات الاحتلال فى مصر والسودان . وذهب حكم اسماعيل صدقى بصنفته السوداء وتنفس الشعب الصعداء بعد أن أزاح عن كاهله هذا الكابوس الذى ظل رابضا على صدره ثلاث سنوات ، واستبشر خيرا عندما صدر أمر الملك فؤاد بإبطال العمل بدستور سنة ١٩٣٠ وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٣٤ ، ولكنه لم يعن باعادة الحياة النيابية الى البلاد أو يأمر بارجاع دستور سنة ١٩٢٣ وظلت مصر أكثر من عام تحيا بلا دستور ، وعندما رأى الانجليز أن الوطنيين فى مصر يطالبون باحياء دستور سنة ١٩٢٣ وان مبدأ الجلاء أصبح على كل لسان قام وزير خارجية بريطانيا صمويل هور وأعلن فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٥ بأن الحكومة البريطانية لا توافق على اعادة دستور ١٩٢٣ . وكان لهذا التصريح أسوأ الأثر على الشعب الذى هب معلنا غضبه وثار الوطنيون والطلبة وقامت المظاهرات الصاخبة فى كل مكان .

## شهداء تصريح هور :

لم يكذ صمويل هور يعلن تصريحه الجائر فى ٩ نوفمبر حتى ثارت جموع الشباب وعلى مرجل جامعة ( فؤاد ) ( القاهرة حاليا ) وقرر الطلبة الخروج يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ فى مظاهرة صامتة يعلنون فيها غضبهم واستياءهم من هذا التصريح ويطالبون المسئولين بالعمل على إعادة دستور سنة ١٩٢٣ والسعى لاجراج الانجليز من البلاد . واختار الطلبة يوم ١٣ نوفمبر لأنه يوافق يوم الجهاد . وكان الطلبة يحتفلون به كل عام وبدأت جموعهم تتوافد على ساحة الجامعة حتى بلغ عددهم عشرة آلاف طالب وأقاموا منبرا للخطابة عند مدخل كلية الحقوق وتناوب الطلبة الكلام وتعاهدوا على أن يكون الشباب أول من يضحي بنفسه فى سبيل مصر ، وفى حوالى الساعة العاشرة بدأ زحفهم نحو القاهرة وعبروا كوبرى الجلاء واتجهوا نحو كوبرى الخديوى اسماعيل ، وعند ميدان الاسماعيلية تعرضت لهم قوة من البوليس برياسة بعض الضباط الانجليز وعندما عجزوا عن تفريق المظاهرة أطلقوا عليها الرصاص كما أمر ضابط انجليزى سائق السيارة « البوكسفورد » التى كان يستقلها مع بعض الجنود بأن تدفع بأقصى سرعتها وسط المتظاهرين فأصابت الكثير من الذين سقطوا تحت عجلاتها وقد بلغ عدد الجرحى تسعين جريحا من بينهم الضابط الانجليزى ستوارت الذى كان من بين حملة تفريق المتظاهرين .

واشترك فى مظاهرات يوم ١٣ نوفمبر جميع طلبة الجامعات والمدارس وطلبة الأزهر ، كما قامت المظاهرات فى باقى مدن القطر وكان أشدها مظاهرات مدينة طنطا وتسبب عنها استشهاد طالين هما : محمد عبد المقصود شبكة ، ومحمد محمود النقيب واصابة ٧٨ جريحا وفى اليوم التالى أى يوم ١٤ نوفمبر بكر الطلبة بالحضور الى ساحة الجامعة وقد عقدوا العزم على الخروج فى مظاهرة جديدة ليعبروا فيها عن سخطهم من تصريح صمويل هور ولما لاقوه على يد رجال البوليس وخاصة الانجليز من عسف وتكيل وعند مرورهم أمام مدرسة السعيدية انضم اليهم طلبتها كما خرج معهم جميع طلبة الكليات والمدارس الأخرى بمنطقة الجيزة ، وكان البوليس

يسير بجوارهم ليحافظ على النظام وليمنع تسرب الغوغاء اليهم وظلت المظاهرة السلمية ماضية في طريقها حتى وصلت الى منتصف كوبرى عباس وهى آخر حدود منطقة بوليس الجيزة وما كاد الطلبة يعبرون الكوبرى حتى شاهدوا قوة من الكونستبلات الانجليز تواجههم وبأيديهم المدافع الرشاشة ، وفوجئ الطلبة بالرصاص ينطلق عليهم دون سبب فيصيب منهم قتلى وجرحى ، وكان فى مقدمة الشهداء الشهيد عبد المجيد مرسى الطالب بكلية الزراعة الذى أطلق عليه الضابط الانجليزى ليز أربع رصاصات خر بعدها والدم ينبثق من صدره وعنقه وما كاد يسقط على الأرض حتى أخرج من جيبه وبلله بدمه ثم سلمه الى أحد زملائه وهو يقول تذكروا هذه الدماء وأسلم روحه فحمله زملاؤه على عربة كارو واتجهوا به الى مستشفى القصر العينى .

وعند ذلك تقدم زميله محمد عبد الحكيم الجراحى الطالب بكلية الآداب وواجه الضابط الانجليزى ليز وخاطبه بشجاعة وثبات قائلا له : « أمن الشجاعة أن تضرب بالرصاص شابا أعزل فتقتله .. وهو فى الوقت نفسه أقوى منك وأنت معك سلاحك » فتعجب ليز وقال له مهددا : أتود أن تلحق به . فما كان من عبد الحكيم الا أن تقدم منه قائلا : أتريد أن تضربنى أنا أيضا . هل هذه هى شجاعتكم التى تتشدقون بها . هاك صدرى اتنا لسنا جبناء مثلكم . فما كان من الوغد الانجليزى الا أن أطلق عليه الرصاص ، فسقط عبد الحكيم على بعد خطوات من المكان الذى سقط فيه زميله عبد المجيد منذ دقائق خلت . وفى مستشفى القصر العينى عجز الطب عن انقاذ حياة عبد الحكيم فمات شهيدا يوم ١٩/١١/١٩٣٥ وهو يهتف بحياة مصر .

وقبل أن يلفظ عبد الحكيم آخر أنفاسه أرسل لرئيس وزراء بريطانيا الخطاب التالى :

« الى رئيس وزارة انجلترا روح الشر .

سيدى — أحد رجالكم الأغبياء أصابنى برصاصة وأنا أموت الآن شيئا فشيئا ، ولكنى سعيد للغاية أن ضحيت بنفسى ، ان الموت أمر صغير

وآلام الموت عذبة المذاق من أجل مصيرنا ، فلتحيا مصر.. ليسقط الاستعمار  
ولتسقط انجلترا ، وسيتولى الله عقابكم قريبا أتم وانجلترا روح الشر  
فلتحيا التضحية .

أحد الشهداء المصريين  
( محمد عبد الحكم )

حتى فى أخرج الأوقات لم ينس الوطنيون حق بلادهم عليهم فاستهانوا  
بالموت وازدروه ليهبوا الحياة والخلود لوطنهم .

ومن المشاهد المؤسفة التى حدثت وقتذاك أنه عندما نقل محمد  
عبد المجيد مرسى الى مستشفى القصر العينى التف حول جثته الأطباء  
والمرضات لفحصها ، وعندما كشفوا عنها الغطاء صرخت إحدى المرضات  
وسقطت مغشيا عليها ، واتضح أنها شقيقة الشهيد عبد المجيد مرسى وهى  
الآنسة احسان عبد المجيد مرسى .

وكان من شهداء الجامعة كذلك على طه عفيفى الطالب بدار العلوم  
الذى توفى يوم ١٧/١١/١٩٣٥ وعندما علم الطلبة باستشهاده توجهوا الى  
المشرحة وفتحوها عنوة ونقلوا جثمانه الى مكان بجوار أنقاض عمارة متهدمة  
ليخفوها عن أعين البوليس ، حتى يتمكنوا من تشييع جنازته بعد أن فشلوا  
فى تشييع جثمان الفقيد الأولين عبد المجيد وعبد الحكم ، وقد عجز رجال  
البوليس عن العثور على جثة على طه عفيفى رغم المساعى التى بذلها ، ونجح  
الطلبة فى تشييع الجنازة رغم أنف البوليس والحكومة وتقول الأهرام تصف  
الجنازة : ( واشترك فى تشييع الجنازة جميع الطلبة والمصابون الذين كانوا  
يرقدون بالمستشفى وظهر بعضهم وقد عصبت رؤوسهم والبعض الآخر وقد  
علقت أيديهم فوق رقابهم كما اشتركت المرضات والمرضى والأهالى فى  
المظاهرة بين العويل والبكاء وكان النبا قد ذاع فى الأوساط والدوائر  
السياسية فحضر الى المستشفى جمهور كبير من الناس وكبار الساسة .  
وفى الساعة السادسة مساء حمل الطلبة النعش ورفعوا عليهم وسارت الجنازة  
يتقدمها الطلاب الذين يحملون العلم فنعش الفقيد يتبعه عميد كلية الطب  
والأطباء وأساتذة الجامعة ومكرم عبيد وأحمد ماهر والنقراشى وغيرهم .

وسارت الجنازة صامته فى شارع القصر العينى ، وكانت الجماهير تحيىها من نوافذ البيوت ووقف الناس على جانبى الطريق خاضعين وبلغت جماهير المشيعين عددا لا يحده بصر . وعندما بلغ المشيعون دار العلوم .. وهى مدرسة الفقيد وقف النعش قليلا وحيث المدرسة فقيدها فأضاءت الأنوار له ) .

هؤلاء كانوا بعض ضحايا الجامعة الذين استشهدوا سنة ١٩٣٥ وبذلوا أرواحهم رخيصة من أجل الحرية والاستقلال وسطروا بدمائهم صفحة أخرى من صفحات الكفاح والنضال والمجد .

وكما اعتدى رجال البوليس والانجليز على طلبة الجامعة هاجموا كذلك الاجتماعات التى عقدها رؤساء الأحزاب يوم ١٣ نوفمبر وأصابوا كثيرا من الوطنيين . وألمح هنا لواقعة حدثت فى اجتماع الوفد لما لها من دلالة كبيرة ، فعقب انتهاء الحفل هاجم البوليس السرايق الذى أقامه الوفد وأعمل عصيه وهراواته فى المجتمعين ثم أطلق النار عليهم مما تسبب عنه إصابة الكثيرين ، وكان من بينهم جمال عبد الناصر الطالب بمدرسة النهضة المصرية . وتسجل جريدة الجهاد الصادرة فى ١٤/١١ سنة ١٩٣٥ ذلك فتقول « ورأى الذين لم يكونوا قد انصرفوا من السرايق بعد أن يبقوا فى أماكنهم حتى تهدأ الحالة ، وكان قد لجأ الى السرايق بعض الذين كانوا فى الشارع ، فدخل الجنود الى السرايق وعملوا على تفريق الموجودين ، فكان أن امتد حادث التصادم الى السرايق . ولجأ بعض الجرحى الى دار الجهاد وركدوا فى غرفة مكتب صاحب « الجهاد » وكانت دماؤهم تسيل فتلوث أثاث الغرفة وحضر رجال الاسعاف الى الدار وأسعفوا هؤلاء المصابين وبينهم جمال عبد الناصر الطالب بمدرسة النهضة المصرية . وقد أصيب فى مقدمة رأسه ، وعبد الحميد عزت الطالب بمدرسة الاسماعيلية الثانوية ، وقد أصيب فى جبهته والشيخ خير الطالب بكلية الشريعة ، وقد أصيب فى رأسه باصابتين خطيرتين ، ومحمد على خليل السفرجى وقد أصيب فى يده وقد اخترقت ثيابه نار الطلقات » (١) .

---

(١) المصور عدد ١٢ مارس سنة ١٩٦٥ .



هذا هو وصف جريدة الجهاد ليوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ويلفت نظرنا فيه فضلا عن كفاح الشعب . تصميم جمال عبد الناصر على النضال عندما كان طالبا صغيرا فى مدرسة النهضة المصرية . وما انطوت عليه نفسه من حب للوطن وتصميم على التضحية والفداء منذ أن كان شابا يافعا واختار لنفسه سبيل النضال والجهاد بينما سلك غيره من الشباب طريق الراحة واللهو .

## جهود الشباب :

وأثمرت جهود الشباب — ولم تذهب دماؤهم هباء ونجحت الدعوة التى وجهوها للزعماء للائتلاف — فاتحدوا بعد فرقة ، واتفقوا بعد خصام وجمعت قلوبهم الأسيفة محنة الوطن فى هذا الظرف الحرج وكانت فكرة الائتلاف بعيدة عن أذهانهم بعد السناء عن الأرض لأن كل زعيم كان يعتقد أنه يسير فى الطريق السليمة وأما غيره فاما خائن واما صاحب مصلحة فضلا عن انه كان يتطلع الى الحكم تطلعه الى الأمل المرجو فيشبع غروره من جهة ، وليرضى من هم حوله من أعضاء حزبه وأقاربه على السواء من جهة أخرى وهذه هى الورقة التى استغلها الانجليز والقصر لتحقيق مطالبهما المشتركة واستغلوها الى أبعد الحدود فأفادوا منها كثيرا ومن هنا كانت فكرة الائتلاف التى سعى اليها الشباب ، ودعوا اليها ، هى الضربة التى وجهوها الى الاستعمار والملك — ونجح الشباب — فائتلفت الأحزاب وتكونت الجبهة الوطنية فى ديسمبر سنة ١٩٣٥ — واضطر الملك فؤاد تحت هذا الضغط الوطنى والاجماع الرائع أن يعيد دستور سنة ١٩٢٣ فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٢ — ثم بدأت المفاوضات مع انجلترا بعد ذلك فى ٢ مارس سنة ١٩٣٦ — وكان حزب الوفد قد فاز بالأغلبية فى الانتخابات التى أجريت فى عهد وزارة على ماهر الذى استقال ثم عهد مجلس الوصاية الى مصطفى النحاس بتأليف الوزارة الوفدية فى ١٠ مايو سنة ١٩٣٦ وبعد ذلك سافر وفد المفاوضات الى لندن للاتفاق على المعاهدة وفى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ تم التوقيع عليها . وقد وافق على هذه المعاهدة ووقعها من الجانب المصرى ممثلو الأحزاب المصرية فيما عدا رجال الحزب الوطنى الذين لم يؤمنوا فى أى وقت بالمفاوضات كوسيلة لجلاء الانجليز من البلاد .

## ٢ - موقف الشعب من معاهدة ١٩٣٦

### صك الاستسلام للخديعة الكبرى :

اقتبسنا عنوان هذه الفقرات كعادتنا من الميثاق الخالد ، فقد تحدث الميثاق عن معاهدة ١٩٣٦ : « وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ انثى عقدت بين مصر وبريطانيا ، والتي اشتركت فى توقيعها جبهة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية العاملة فى ذلك الوقت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩ . فقد كانت مقدماتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكل معنى »

فى أواخر عهد فؤاد ، دارت مفاوضات بين المندوب السامى البريطانى السير مايلز لامبسون ورجاله ، وبين مفاوضين مصريين من مثلى جميع الأحزاب المصرية عدا الحزب الوطنى الذى جعل شعاره كما ذكرنا ( لا مفاوضة الا بعد الجلاء ) أسفرت على توقيع معاهدة ١٩٣٦

ولم تكن هذه المعاهدة الا قيда جديدا تضعه انجلترا فى معاصم المصريين اذ على الرغم من نص المعاهدة على انتهاء الاحتلال ، بقيت الجنود البريطانية فى منطقة القناة ، وسمح بزيادة عددها فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة مفاجئة الى الحد الذى تريده انجلترا ، اذ أنها لم تكن تهدف الى تحالف بالمعنى المعروف تقف فيه كل من الدولتين موقف الند للآخر على كل منها واجبات ولها حقوق مساوية للأخرى تماما .

وهذه المعاهدة لم تحقق الا مصالح انجلترا وحدها . فهى تجعل مصر قاعدة للجيش البرية والبحرية البريطانية ، وتحتل موانئ مصر ومطاراتها وطرق المواصلات فيها تخضع للقوات البريطانية فى حالة خطر الحرب أو فى

حالة الطوارئ الدولية ، وهى عبارات غامضة يمكن تأويلها على الشكل الذى تحدده وترسمه انجلترا .

أباحت المعاهدة للقوات البريطانية احتلال موانئ مصر ومطاراتها ، وهذا يعنى فى الحقيقة والواقع تدعيم الاحتلال البريطانى الذى بدأ سنة ١٨٨٢ ويعطيه صورة مشروعة ، تعترف بها الحكومة المصرية ، كما أن التزام مصر فى المعاهدة بإنشاء طرق حربية وصياتتها باستمرار ، وتقديم المساعدات والتسهيلات لقوات بريطانيا ، يكلف الميزانية المصرية نفقات باهظة وأعباء كبيرة ، كما فرضت انجلترا فى المعاهدة أن تستجيب مصر الى طلب انجلترا بإعلان الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الأنباء والحريات لحماية المصالح البريطانية ، وهذا فى الحقيقة صورة من صور الحماية البريطانية التى نار المصريون ضدها بالأمس .

وكان لبقاء القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس أثره فى الضغط السياسى على الحكومات المصرية ، ويجعل السفير البريطانى هو الحاكم الحقيقى الفعلى لمصر .

وجعلت المعاهدة من السودان مستعمرة بريطانية يحرسها جنود مصريون برئاسة حاكم بريطانى . أما ما ورد فى المعاهدة بشأن إلغاء الامتيازات الأجنبية فلم يكن كسبا كاملا لمصر ، اذ اعترفت المعاهدة بأن إلغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة أمر مرهون بالاتفاق مع الدول صاحبة هذه الامتيازات ، كما أن جعل أمد معاهدة ١٩٣٦ عشرين عاما يعنى وضع القود فى أيدي المصريين خلال هذه الأعوام الطويلة .

## نقد معاهدة ١٩٣٦ :

ولقد كانت هذه المعاهدة من جهة نظر الوفدين وسيلة لاستقرار الحكم فى أيديهم واستتباب الأمر لهم — مع أنها كانت معاهدة تتنافى بنودها مع جوهر الاستقلال ، والعجيب أن هذه المعاهدة لو قلبناها على جميع أوجهها أو تقبنا بين نصوصها ما وجدنا بينها نصا يفيد البلاد أو يضمنى عليها نوعا من الاستقلال .

ويكفى أن أسوق هنا بعض نصوص المعاهدة ليستبين القارئ الى أى مدى أهدر ثلاثة عشر سياسيا مصريا كرامة مصر وعزتها بعد كفاحها المجيد المرير طيلة السنوات الخمسين الماضية .

## البند الأول :

يقضى بأن يترك الانجليز ثكناتهم بالقاهرة والاسكندرية ومن جميع المناطق التى تعسكر فيها عند توقيع المعاهدة وتنتقل الى منطقة قناة السويس بأكملها ومديرية الشرقية حتى حدود القاهرة ومديرية الجيزة وشبه جزيرة سيناء .

وقد كان هذا النص هو العظمة التى ألقاها الانجليز للسياسة المصريين كى يوافقوا على هذه المعاهدة . وحاول الثلاثة عشر سياسيا الذين وقعوا المعاهدة أن يقنعوا أنفسهم بأن انتقال الانجليز من مكان الى مكان آخر يحمل معنى الاستقلال . كأن قناة السويس ومديرية الشرقية وشبه جزيرة سيناء ليست ضمن الوطن الكبير وانما هى مناطق تتبع بلدا آخر وكأن انتقال الجنود من القاهرة والاسكندرية الى السويس والاسماعيلية وبورسعيد والتل الكبير وغيرها فيه الكسب لمصر . وفيه الغرم على انجلترا .

## البند الثانى :

حددن المعاهدة عدد القوات البريطانية بعشرة آلاف جدى ، وأربعمائة طيار مع الموظفين اللازمين لأعمالهم الادارية والفنية — ويقتصر هذا التحديد على وقت السلم على أن يكون لانجلترا الحق فى زيادة هذه القوات كيفما تشاء والى أى عدد ترغبه فى ثلاث حالات :

أولا : حالة الحرب

ثانيا : حالة خطر الحرب .

ثالثا : وأمام حالة دولية مفاجئة .

وظاهر من هذا البند الى أى مدى كان الانجليز يضحكون على عقول الساسة المصريين ويعطون باليمين ليأخذوا بالشمال . فانظر معى أولا عندما حدد الانجليز قواتهم بعشرة آلاف جندي وأربعمائة طيار ولم يحددوا عدد الموظفين اللازمين — لأعمالهم الادارية والفنية ، أى أن للانجليز أن يستحضروا أى عدد يشاءون — باعتبارهم موظفين اداريين أو فنيين وهم فى حقيقة الأمر جنود عاملون . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان رغبة منهم فى عدم التقيد بعدد الجنود اشترطت بريطانيا أن تزيد قواتها الى ما تشاء فى الأحوال الثلاث التى ذكرناها وهى حالة الحرب وقيام حالة دولية مفاجئة وحالة خطر الحرب . أى أن انجلترا ستزيد عدد قواتها على الرقم الذى التزمت به فى أى وقت، سواء أكان فى الحرب أو السلم ما دامت لها حرية تقدير الموقف الدولى . فلها أن تقول ان خطر الحرب قائم أو هناك حالة دولية مفاجئة ، فيكون لها الحق فى أن تزيد عدد قواتها الى العدد الذى تريده دون رقيب ، فمتى زال خطر الحرب من العالم ؟ ومتى خلت أخبار العالم من قيام حالة دولية مفاجئة ، وما يفعله هتلر وألمانيا النازية كل يوم فى التوسع على حساب جيرانها — وما تأتى به الأنباء من أخبار التسلح والاستعداد للحرب فى تلك الأيام ألا يعد كل هذا « خطر حرب » ؟ أو حتى « حالة دولية مفاجئة » . خلاصة الأمر أن انجلترا لن تتقيد اطلاقا بالعدد الذى التزمت به فى هذا البند سواء أكان فى وقت الحرب أو فى السلم على السواء .

## البند الثالث :

اشترطت انجلترا فى هذا البند أن تلتزم مصر ببناء الشكنات الجديدة والمنارل اللائقة وانشاء الحدائق والملاعب والمصايف للجنود والضباط والموظفين فى المناطق الجديدة التى حددتها المعاهدة .

كما التزمت مصر كذلك بانشاء أربع طرق حديثة بالأسفلت لتسهيل نقل الجنود الانجليز ، وهذه الطرق هى :

١ -- طريق من الاسماعيلية الى الاسكندرية ويبلغ طوله تقريبا حوالى ٣٠٠ كيلو متر .

- ٢ - طريق من الاسماعيلية الى القاهرة وطوله ١٦٠ كيلو متر تقريبا .
- ٣ - طريق من بورسعيد الى الاسماعيلية وطوله ١٠٠ كيلو متر تقريبا
- ٤ - وطريق من البحيرات المرة الى طريق السويس . وهذه الطرق وتلك - الانشاءات تكلفت ملايين الجنيهات دفعتها مصر لراحة جنود بريطانيا دوز أى مصلحة تعود على مصر .

## البند الرابع :

اشترط فى هذا البند بقاء القوات الانجليزية فى الاسكندرية لمدة ثمان سنوات حتى تنشئ مصر طرقا أخرى خلاف ما ذكره البند السابق ويتم بناء الشكات فى القناة . والطرق الجديدة التى اشترطت انجلترا على مصر انشاءها هى :

- ١ - طريق من القاهرة الى قنا بمحاذاة النيل .
- ٢ - طريق من قوص الى القصير .
- ٣ - طريق من قنا الى الفردقة هذا خلاف اصلاح طريق السويس وطريق القاهرة الاسكندرية وطريق الاسكندرية ومرسى مطروح .
- وبدئى أن مصر تكبدت ملايين الجنيهات وأرهقت الميزانية هذه المشروعات التى أقيمت لرفاهية جنود العدو ، وتيسير وسائل النقل لهم عندما تدق الساعة وتعلن الحرب .

## البند الخامس :

حدد هذا البند مكان اقامة الجنود حول قناة السويس من بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا على ألا تبعد هذه القوات عن السكة الحديد لأى مدينة مقامة على القناة بخمس كيلومترات على أن يوضع تحت تصرف القوات البريطانية كل المطارات والميادين والأراضى الواقعة فى هذه المنطقة والتى ترى انجلترا أنها لازمة وقد تضمن هذا البند نصا غاية فى

الغرامة فنص بأن يكون لقوات الطيران البريطانية حق الطيران حينما تريد فى الأراضى المصرية مع منح مثل هذه المعاملة للقوات الهوائية المصرية فى الأراضى البريطانية .

وكاننا على قدم المساواة فى القوة بما فى ذلك عدد الطائرات مع بريطانيا .

## البند السادس :

ويقضى البند السادس بأنه فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة دولية مفاجئة تلتزم الحكومة المصرية أن تقدم داخل حدود الأراضى المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التى فى وسعها الى القوات البريطانية ويكون للقوات البريطانية حق استخدام موانئ مصر ومطاراتها وطرق مواصلاتها وعلى مصر اتخاذ الاجراءات الادارية والتشريعية اللازمة لذلك بما فى ذلك اعلان الأحكام العرفية واقامة رقابة وافية على الأنباء لجعل هذه التسهيلات والمساعدات فعلية ويدخل فى طرق المواصلات الاخبارية اللاسلكية والتليفونية .

ومعنى ذلك ان تسرع انجلترا فى احتلال ما ترى احتلاله من البلاد التى ليست تحت سيطرتها . وتضع مصر جميع مقدراتها تحت تصرف انجلترا

## البند السابع :

ينص على أنه بعد انقضاء عشرين سنة على تنفيذ المعاهدة يبحث الطرفان فيما اذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا لأن الجيش المصرى أصبح فى حالة يستطيع معها أن يكفل بنفسه حرية الملاحة فى القناة وسلامتها التامة .

فاذا قام خلاف بينهما فى هذا الصدد فان الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم أو على هيئة تحكيم تفصل فيه .

أى ان انجلترا اذا لم توافق على الخروج من مصر بعد ٢٠ سنة يكون لنا أن نلجأ الى عصبة الأمم . وكلنا نعلم ما هى عصبة الأمم . تلك الشمطاء العجوز التى يسيرها الاستعمار حسب هواه .

## البند الثامن :

ويقول هذا البند الأخير ان بعد انقضاء العشرين السنة المذكورة وفى أى وقت بعد انقضاء عشر سنوات يمكن إعادة النظر بين الطرفين فى نصوص المعاهدة وفى حالة عدم الاتفاق بعرض الخلاف على عصبة الأمم . ولكن من المتفق عليه أن إعادة النظر فى المعاهدة يجب أن يقرر فيها وجوب استمرار المحالفة بين الطرفين واستمرار التزام مصر فى حالة الحرب أو خطر الحرب أو قيام حالة دولية مفاجئة — يخشى خطرها أن تقدم للقوات البريطانية داخل حدود الأراضى المصرية كل التسهيلات والمساعدات اللازمة وتخولها حق استخدام موانئها ومطاراتها وطرق المواصلات فيها . وهذا البند يكشف لنا نيات بريطانيا ويفضح ألاعيبها ويرينا مدى سذاجة سياسة مصر . هؤلاء السياسة الذين باعوا بلدهم بأرخص ثمن أعطوا للانجليز كل شئ وخسروا هم كل شئ . وهم بمقتضى هذا النص يوافقون على أن تظل مصر مرتبطة الى أبد الآبدين بعجلة السياسة البريطانية وأن يصبح لانجلترا الحق فى أى وقت تشاء بأن تحتل البلاد من جديد بحجة وجود خطر حرب أو حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها . أى اذلال وأى مهانة .

ومما يؤسف له ان مصطفى النحاس رئيس المفاوضين فى ذلك الوقت سمى هذه المعاهدة بمعاهدة الشرف والاستقلال . وما درى أنها ونبقة الذل والاحتلال .

وقد قوبلت هذه المعاهدة من رجال الحزب الوطنى وحدهم بالسخط وبالنقد السديدين وقد علق عليها الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى فى كتابه: «فى أعقاب الثورة المصرية» . فقال : «من يقل أن معاهدة واحدة من هذا النوع وتاريخها واسم الدولتين اللتين أبرمتاها فنكون له من الشاكرين ..»



وأما المواد الأخرى للمعاهدة فقد سرت على هذا النمط الغرم لمصر ،  
والغنم لانجلترا فسلخت عنا السودان وفصمت عرى اتحادنا معه وجعلته  
مستعمرة انجليزية • تصول فيه وتجول ما شاء الله لها أن تصول وتجول •

## معاهدة مشئومة

من بنود المعاهدة يبين الى أى حد باع المفاوضون وطنهم الى الانجليز  
وربطوا مصر بانجلترا الى الأبد . كالعبد الذى لا يملك من أمر نفسه  
شيئا الا اذا شاء وليه وسيده . وهؤلاء السياسة هم : مصطفى النحاس  
ومحمد محمود واسماعيل صدقى عبد الفتاح ويحيى ويسا واصف — بطرس  
غالى — الدكتور احمد ماهر — على الشمس — عثمان محرم — محمد  
حلى عيسى — مكرم عبيد — حافظ عفيفى — محمود فهى النقراشى —  
أحمد حمدى سيف النصر . وحقيقة الأمر أن الانجليز — وهم الذين يشهد  
لهم — التاريخ بفسوخ اقدامهم فى السياسة وبعد النظر — كانوا فى أمس  
الحاجة الى هذه المعاهدة ذلك أنهم كانوا يشاهدون طغيان هتلر وتغوله  
ويعلمون أن الحرب واقعة لا محالة — وأن المسألة كانت مسألة وقت  
بالنسبة لهم لتنظيم صفوفهم واستعادة قوتهم ول يعملوا على استقرار الأمور  
فى البلاد التى يحتلوها . ومن ثم كانت المعاهدة بالنسبة لانجلترا كصمام  
الأمان لها فى منطقة الشرق الأوسط وخاصة وأنهم كانوا من الحذق والذكاء  
بحيث أنهم ربحوا من المعاهدة بقدر ما خسرت مصر .

وقد تحقق ما تنبأ به الانجليز من وقوع الحرب فلم تمض ثلاث سنوات  
على عقد هذه المعاهدة البغيضة حتى أعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على  
ألمانيا وما لبث أن خاض — غمارها ايطاليا واليابان وأمريكا وروسيا وأصبح  
العالم كله يغلى كالبركان وشرعت المدافع والقنابل تحصد الملايين من البشر  
وبسجرد اعلان الحرب وضعت انجلترا يدها على مصر وعلى جميع موانئها  
وسواحلها ومواصلاتها وطرقها واستولت على جميع المؤن والذخائر وأصبحت  
مصر تحكم من مقر السفارة البريطانية .. كل ذلك استنادا الى المعاهدة  
المشئومة ..

## تجمعات بين الشعب :

منذ قامت الحرب بين ألمانيا من جهة وانجلترا وفرنسا من جهة أخرى وانجلترا تتمتع بما خولته لها معاهدة سنة ١٩٣٦ من مزايا ، تلك المعاهدة التي أصابت الوطن والوطنيين بلطمة شديدة وخيبة أمل ، وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ من ناحية أخرى وسيلة لاطلاق يد الوفد ورئيسه في حكم البلاد . ومنذ ذلك التاريخ وحزب الوفد في تدهور مستمر فظهرت المحسوية سافرة وتكونت فرق القمصان الزرق التي ضمت السوقة والمرتزة الذين كان يسخرهم الوفد في الاعتداء على معارضيهم وحكم الوفد مصر حكما ظالما بغيضا ونسى كل ما كان يتشدد به من مبادئ ومثل .

وفي هذه الفترة التي تأزمت فيها الأمور حاول بعض الوطنيين التجمع بعد أن رأى زعماءه : يتهاوون الواحد أثر الآخر سعيا وراء القليل من النفقات الذي سمح لهم الانجليز بأن يلتقطوه .

ووجد الشباب نفسه وحيدا بعد أن كهر بساسته وزعمائه وتنازعتهم عوامل متضاربة من الحيرة والقلق والغضب وخشى على مصر من الانحدار الذي بدأ يلوح في الأفق فأخذ يتجمع محاولا فرض سلطانه من جديد لعله يجد مخرجا من الحلقة التي بدأت تضيق من حوله وكانت هناك تجمعات كثيرة منها جماعة الحزب الوطني التي اختير أعضاؤها من شباب الحزب المؤمنين وبدأت هذه الجماعة عملها بجمع الأسلحة الصغيرة ( المسدسات ) من الريف ومن الصعيد ومن التل الكبير وتلى ذلك تدريبهم على اطلاق الرصاص والقاء القنابل ، وكانوا يمارسونه بمنطقة نائية هي وادي حوف بجوار حلوان وما لبثت الجماعة ان اشترت ماكينة لطبع المنشورات لبث الروح الوطنية في نفوس الشباب وحضهم على مقاومة الانجليز وأعوانهم من المصريين وتبصيرهم بالأوضاع الحقيقية التي كانت تجري وقتئذ في مصر والدعوة الى حمل السلاح والجهاد في سبيل الله والوطن ، وبدأت الجمعية بتوزيع المنشورات في جميع الجهات بكل حرص لأن الحرب العالمية الثانية كانت قد قامت في سبتمبر سنة ١٩٣٩

والأحكام العرفية مسلطة على الرقاب .. والبوليس السياسى يتربص بالوطنيين فى كل مكان لذلك لم يكن توزيع هذه المنشورات بالأمر اليسير ولكنها كانت تصل الى من أرادت الجباعة أن تصل اليهم سواء أكانوا من السياسيين أو من الشباب وكانت القاهرة تستيقظ لتجد المنشورات فى كل مكان ملصقة على أعمدة النور، أو على الجدران أو تحت أعقاب الأبواب أو فى الشوارع . ومهما يكن الأمر فقد كان لها أثر كبير على نفوس الشباب والوطنيين خاصة فى ذلك الوقت .

ثم اتجه الأمر بعد ذلك الى محاربة الجنود الانجليز واقتناصهم أثناء خروجهم من المواخير ودور اللهو ، وقد وقعت عدة اغتيالات فى ذلك الوقت كان أشدها حادثة السينما وهى سينما خاصة كان يؤمها الانجليز وحدهم فى أيام معينة ، وكانت تقع مكان لوكاندة فيكتوريا بشارع الجمهورية حاليا ( ابراهيم باشا سابقا ) على وجه التقريب وقد وقع الحادث بعد ان تسلل اليها وطنيان من ناحية شارع عماد الدين وألقيا بها قنبلتين انفجرتا دفعة واحدة وقتلت بعض الانجليز الأمر الذى جعل الحكومة تشدد وطأتها على الوطنيين من الشباب وتتعبهم وتزج بهم فى السجون وهاجت الحكومة وماجت بأقلام أمنها ومخابراتها مما حدا بهذه الجباعة الى التوارى عن الأنظار بعض الوقت حتى تخف هذه الحملة والى أن يجدوا مكانا آمينا يجتمعون فيه بعد أن وضعت بيوتهم تحت المراقبة .

## ٣ - أسود الجيش ونسور الطيران

### بيت المغرب

الشعب يتجه الى قواته المسلحة :

وكان للمغاربة ناد يؤمونه وقت فراغهم كائن بميدان الأوبرا بالعمارة التى بها مقهى نوبار حاليا ، وكان شباب الحزب الوطنى يتخذون منه مكانا مختارا لهم يباثرون عماهم فيه بحرية وأمان حتى أن المشورات كانت تكتب فيه وتصدر منه وفى هذا البيت ولدت فكرة جديدة طرحت لأول مرة وخرج منه الأعضاء لتنفيذها .

فقد أثار أحد الأعضاء فكرة جديدة : ذلك أنه يكفى ما قاموا به من أعمال حتى الآن هيأت الجو ولفتت الأنظار بأن هناك قوة مستعدة للعمل فى سبيل الوطن وبين الزميل لباقي الأعضاء بأن قضية مصر لا تحل بالمنسورات والانجليز لن يخرجوا منها لأن عددا من جنودهم لقوا مصرعهم ثم وضع لهم العضو مدى النكسة التى تتعرض لها الحكومة لو أن البوليس السياسى وضع يده عليها - وانهى من ذلك الى أن خلاص البلد لا يمكن أن يتم الا على يد جيشه وبسواعد المخلصين من أبنائه ولا سبيل الى ذلك الا بأن نبعث عنهم بصبر وأناة حتى نعرث عليهم وندفع بهم الى المعركة وماهى الا خلية سرية واحدة تنبثق منها الخلايا فتقوم الحركة وتشدد ولا يبقى الا أن تعلن عن نفسها بانقلاب عسكري ينقذ البلد من الطغيان

ويجتث الفساد من أساسه .. ثم بين العضو صاحب الفكرة أن الجيش وحده هو الذى يملك مقومات هذه الحركة بما لديه من أسلحة وامكانيات .

ولم تكن هذه الفكرة على بساطتها يسيرة التنفيذ ، بل دونها عقبات من بعدها عقبات .. فالمعروف أن ضباط الجيش فى مثل هذه الظروف لا يطمئن واحد منهم لصاحبه فضلا عن الثقة فيه ليفضى اليه بمثل هذه الأفكار .. ومع ذلك فكيف السبيل الى نقلها من الداعين لها خارج الجيش الى المدعوبين الى تبنيها من داخله ؟ وبالبحث لحل هذه المشكلة وجد المخرج .. وطلب الى كل عضو من الجمعية أن يزكى ضابطا من أصدقائه يرشحه بعد أن يطمئن اليه ويشق بوطنيته . وتم ذلك بالفعل . وبدأ أحد الأعضاء فرشح ضابطا طيارا تربطه به صلة القرابة فضلا عما بينهما من صداقة ، وبين لهم مدى استعداده للايمان بما دعا اليه .. ومدى استعداده لبثه سرا بين الموثوق بهم من زملائه .. وأخذت الجماعة العهد على الزميل بالآلا يفشى بأى اسم من أسماء زملائه أعضاء الجمعية لقريبه ليكونا هما وحدهما المسئولان فيما تعرضا له دون غيرهما .

وفاتح مندوب الجماعة الضابط الطيار الذى وافق على الفور وأردف بأنه يقطن مع ضابطين من زملائه فى الطيران وأنها على جانب كبير من الوطنية ومثانة الخلق ويعتقد انهما سيرحبان بالفكرة أيضا .

وحسبما قدر وافق بالفعل زميليه على الفكرة ومن الثلاثة تكونت نواة الطيران فى سنة ١٩٤٠

## نسور الشعب :

كان الضابط الطيار الذى فاتحه مندوب الجماعة هو الطيار أول محمد وجيه أباطه ، وكان أحد الثلاثة المرحوم البطل أحمد سعودى وكان قد سبق للملازم / جمال عبد الناصر أن كون النواة الأولى للجيش سنة ١٩٣٨ فى منقباد ، والنواة الثانية فى الخرطوم بالسودان سنة ١٩٣٩ ، وظلت

خليتا جمال عبد الناصر تعملان معا بحذر وفى سرية بعيدا عن خلية الطيران حتى توصل لها جمال وضمها الى الخلايا الأخرى بالجيش ضمن عمليات التجميع التى كان يقوم بها لتوحيد العناصر الوطنية الموجودة بوحدات الجيش المختلفة كما سنبينه فيما بعد .

أما نواة الطيران فقد انضم لها كثيرون وظلت متصلة بالخلية السرية للحزب الوطنى فترة من الزمن ، وكان أعضاء الخليتين يتعاونون فى كل الأمور التى تهمهم من طبع للمنشورات أو شراء للأسلحة أو تنظيم بعض العمليات ضد الجنود الانجليز . وكان الضباط كثيرا ما كانوا يذهبون الى بيت المغرب لملاقة بعض أعضاء الجهاز السرى المدنى — للبحث والتشاور فى الكثير من الأمور الهامة والمسائل الخطيرة التى تعرضت لها هذه الخلية كما سيجىء بعد الى أن اكتملت أسباب نجاحها فعملت وحدها . ثم انضمت لجماعة جمال عبد الناصر بعد ذلك .

أما جماعة الحزب الوطنى فاعتبروا أنهم نجحوا عندما نجحت الفكرة التى آمنوا بها ، وهى أن الجيش وحده هو الذى يجب أن تنعقد عليه الآمال لكى تحصل البلاد على استقلالها . وفى يده دون غيره الطريق الى الحرية والوسيلة الى الخلاص من الاستعمار الخارجى والاستعباد الداخلى .

ولم يلجأ أعضاء الحزب الوطنى الى نواة الطيران الا مرات قليلة لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة منها محاولة تهريب عزيز المصرى عقب سقوط طائرته بقلوب سنة ١٩٤١ عندما أراد السفر الى العراق لمساعدة ثورة رشيد الكيلانى وللاتصال بالألمان واختفائه مع زميله بمنزل صديق لهم بامبابة . وقد وضعت خطة التهريب على أن يتجه عزيز وزميلاه الى رأس البر حيث تكون فى انتظارهم طائرة يقودها أحد أعضاء خلية الطيران وكان قد أنشئ برأس البر مطار حديث ومن هناك يستقلون الطائرة ويهربون بها من جديد ، ولكن حال دون اتمام هذه الخطة قبض البوليس عليهم وتقديمهم للمحاكمة وكان الوطنيون يعتبرون عزيز المصرى المثل الأعلى لهم لأنه كان يمثل قمة الوطنية والفداء فى مصر وقتئذ فاتجهوا اليه ، وكان

أعضاء التشكيل المدني من شباب الحزب الوطنى أول من سعى لمقابلته وكثيرا ما كانوا يتوجهون فرادى الى منزله بعين شمس ويجتمعون معه حتى ساعات طويلة من الليل يستمعون فيها الى نصائحه وآرائه ولطالما استحشهم على ضرورة القيام بثورة تشمل طوائف الشعب ويسند لها الجيش كما كان يؤمن بأن ذلك لن يتم الا اذا تجمع الشباب المؤمن واتحد ، وكان يطلب رحمه الله أمرين فيمن يتصدى للكفاح الوطنى : أولهما السعى الدائم لانارة العقل بالعلم حتى يعف عما يصرفه عن الهدف من الدواعى المشبطة والتفاهات . والآخر أن يتدرب على اطلاق النار . ولا يتخلى عن حمل السلاح ليكون متأهبا فى كل وقت عندما تدق الساعة .

وقد لجأ كذلك أعضاء التشكيل العسكرى لعزير المصرى وكثيرا ما كانوا يجتمعون معه سرا وبعيدا عن أعين الرقباء لأن الحكومة كانت تتصيد أى شخص يقابله أو يزوره وتزج به فى السجن وتشدد العقوبة على العسكرين منهم بصفة خاصة .

فمن هو عزير المصرى الذى لجأ التشكيلان العسكرى والمدنى اليه طلبا للرعاية والتوجيه ، وماهو العمل القيادى الذى قام به فى العالم العربى وفى مصر على وجه الخصوص حتى أصبح بهذه المنزلة ??

## صورة لكفاح أسد من الجيش (عزير المصرى)

ولد عزير المصرى بالقاهرة سنة ١٨٨٠ حيث أتم دراسته الابتدائية والثانوية ثم سافر الى تركيا ١٨٩٨ والتحق بالكلية الحربية بالقسطنطينية ، وبعد ست سنوات تخرج فيها ضابطا وكان من المتفوقين وعين على الفور فى هيئة أركان حرب الجيش الثالث بمقدونيا ، وكانت الدولة العثمانية من أضخم دول العالم ، فقد كانت تشمل جميع البلاد الحربية بلا استثناء واليونان وبلغاريا وبلاد البلقان وكردستان ، وأرسل الى البلقان لاختاد الثورة التى كانت مشتعلة فيها وقتئذ — ورأى فيه الثوار عدوهم الذى سيقضى عليهم بشجاعته وبسالته فوطدوا العزم على القضاء عليه ، وأسروه تمهيدا لاعدامه ، ولكنه استطاع أن يقتل حارسه وأن يعود الى فرقته . وتمكن

من اخماد الثورة بعد جهد كبير . وبعد أن قضى على ثورة البلقان أرسلته تركيا الى اليونان وكانت تحت حمايتها فى مهمة عسكرية أداها على أكمل وجه . ولما عاد الى القسطنطينية وجد أن الدولة العثمانية تحتضر ، وكان يتربع على عرشها السلطان المستبد عبد الحميد نتيجة ضعف الجيش من جهة وللنوضى والفساد والظلم المنتشر فى جميع الأرجاء من جهة أخرى ، وأبت نفسه المناضلة أن يكون ضابطا فى دولة يسودها كل هذا الفساد، فعقد الرأى على مقاومة الظلم والفساد وكون مع بعض زملائه من الضباط جمعية ( تركيا الفتاة ) التى سميت بعد ذلك باسم جمعية : ( الاتحاد التركى ) واتخذت القاهرة مركزا لنشاطها ، وكان من أهم أهدافها منح الحكم الذاتى لجميع الدول العربية الخاضعة للدولة العثمانية والحد من استبداد السلطان عبد الحميد ووقف تيار الفساد ونجحت جمعية الاتحاد والترقى نجاحا كبيرا وانضم للوائها المناضلون من العرب من جميع البلاد العربية — وأجبرت السلطان عبد الحميد على منح الشعب الدستور والافراج عن المعتقلين والغاء الرقابة وطرده بطانة السوء ورجال الحاشية الذين كانوا يديرون دفة الحكم ولقد بيت السلطان النية على التكيل بزعماء هذه الجمعية بعد هذا النجاح . وتم له ما أراد فقبض على زعمائها وعلى رأسهم عزيز المصرى . ولكن قائد الجيش التركى سالونيك وكان يدعى محمود شوكت زحف بجيشه الى القسطنطينية وأفرج عن عزيز المصرى ورفاقه وتوجهوا الى بلدة يلدز حيث كان يقيم السلطان وأعلنوا خلعه وتنصب أخيه الأمير رشاد أو السلطان محمد الخامس سلطانا على الدولة العثمانية . وعندما شعر عزيز المصرى بتطرق الفساد الى جمعية الاتحاد والترقى انفصل عنها وكون جمعية جديدة من العسكريين العرب سماها بجمعية العهد ، هدفها تحرير الدول العربية من يد الحكم التركى .

ولما تنازلت تركيا لاطاليا عن سيادتها على طرابلس وبنى غازى ١٩١١ بمقتضى معاهدة ( اوشى ) ثار العرب على الحكم التركى ورأت تركيا أن توفد عزيز المصرى على رأس قوة من لجيش لتهدئة الحالة . ولكن عزيز المصرى رأى أن الفرصة مواتية لتحقيق أهدافه ومبادئه فساعد الثوار



والسنوسيين على محاربة الأتراك والايطاليين واشتدت الحركة وانضم اليها الكثير من المصريين . تذكر منهم عبد الرحمن عزام الذى كان أميناً للجامعة العربية فى وقت من الأوقات . وصالح حرب رئيس شرف جمعية الشبان المسلمين .

وعندما عاد عزيز المصرى الى استانبول سنة ١٩١٣ اتهمه الأتراك بالخيانة ومساعدة السنوسيين وقبضوا عليه وأودع السجن وشكلت محكمة مخصوصة لمحاكمته برئاسة عوده أنور باشا وقضت فى ١٥ أبريل سنة ١٩١٣ بإعدامه رمياً بالرصاص .

وثار جميع البلدان العربية لهذا الحكم الجائر وقامت المظاهرات فى أكثر من عاصمة وتدخلت بعض الدول بساع جديّة لدى السلطان لتخفيف الحكم ونجحت هذه المساعي برفع عقوبة الإعدام الى السجن ١٥ سنة . ثم رأت تركيا بأن تعفو عن عزيز المصرى ترضية للشعور العام فى داخل تركيا وخارجها . وأمرته بمغادرة البلاد فوراً فتركها غير آسف الى مسقط رأسه مصر . لبدأ فيها كفاحه ضد الاستعمار وليطبق بها مبادئه التى آمن بها من أجل العرب والعروبة .

رجع البطل كما كانوا يلقبونه فى مصر اليها وكانت الحرب العظمى الأولى قد بدأت سنة ١٩١٤ وأعلنت انجلترا زوال سيادة تركيا على مصر ووضعتها تحت الحماية بعد انضمام تركيا لمعسكر ألمانيا ضد الحلفاء . وكانت انجلترا فى حاجة لارضاء العرب مدة الحرب على الأقل وبدأت فى الاتصال بهم وكان عزيز المصرى أول من اتصلوا به وذكره بفضلهم عليه عنده! ساهموا لدى تركيا فى العفو عنه . وحاولوا استمالته لجانبهم ولكنه وهو الوطنى الثائر رفض التعاون مع المستعمرين ومضى قدماً فى تنفيذ مبادئه — وعاد فاتصل بأعضاء جمعية العهد وقابل زعماء الدول العربية كالملك فيصل ملك العراق فيما بعد والشريف حسين شريف مكة وغيرهم واضطرت انجلترا تحت ضغط العرب وعدم دخولهم الحرب بجانب تركيا وحلفائها أن تصدر قرار مكماهون فى اكتوبر ١٩١٥ وفيه تعترف رسمياً باستقلال الدول العربية وقد أوغر نشاط عزيز المصرى صدور

الانجليزية فأبعدوه عن مسرح السياسة فى مصر حتى عين مديرا لمدرسة البوليس فأحدث بها انقلابا كبيرا .

ثم عين بعد ذلك مفتشا عاما للجيش المصرى وحاول أن ينفث فيه من روحه ما يريد له من نهضة وتححر ، ولكنه اصطدم بالبعثة العسكرية الانجليزية مرارا وحطم أوامرها واقتراحاتها وأوقف رئيسها الجنرال مكريدى عند حده ومنعه من التدخل فى شئون الجيش . فطالبوا بإخراجه وعزله وتم لهم ذلك ، وكانت الحرب قد أعلنت بين الحلفاء وألمانيا فى سبتمبر ١٩٣٩ ، ولم يكتفوا بذلك بل ظلوا ومن ورائهم البوليس السياسى المصرى يضيقون الخناق عليه حتى فى حياته الخاصة ولم يستكن البطل للاضطهاد أو الظلم بل وقف كالطود أمام الأحداث التى مرت به يساعد الوطنيين ويثتعالىه فيهم ثم خاض معهم بعد ذلك معارك كثيرة ضد المستعمر فى محاولات بطولية لنيل الحرية والاستقلال .

## المحاولة الاولى :

كان أعضاء التشكيل يراقبون الحرب الدائرة فى الصحراء الغربية بين الانجليز من ناحية وبين الألمان والايطاليين من ناحية أخرى بعين القلق والترقب يترقبون الوقت المناسب ليسهموا فى المعركة بما يتفق مع صالح الوطن ورأوا أنه لو تيسر لهم الاتصال فى هذه الظروف لأمكنهم الحصول على اتفاق يحقق للبلاد استقلالها من جهة وليشبعوا رغبتهم فى الانتقام من الانجليز الأعداء الحقيقيين للمصريين من جهة أخرى ، واختبرت فكرة الاتصال بالألمان وأصبحت الشغل الشاغل للأعضاء . لأنهم وجدوا أن الاغتيالات والمنشورات لن تحقق أغراضهم . وعرضوا الأمر على عزيز المصرى فوافق على الفكرة على أن يكون هو أول من يسافر فى هذه المهمة . ولكنه عدل الخطة . ورأى أن يتجه أولا الى العراق حيث كانت ثورة الجيش بقيادة رشيد على الكيلانى رئيس الوزراء وقتئذ محتدمة ضد الانجليز وقال انه سيتصل بالألمان من هناك حيث وعدوا بمساعدة العراقيين فى ثورتهم ضد الانجليز وبهذا يضرب عصفوريين بحجر واحد - فيساهم

فى الحرب بجانب زملائه وأصدقائه من رجال جمعية العهد من العراقيين ضد الانجليز - كما يسعى الى الاتفاق مع الألمان لتنسيق المقاومة بالزحف نحو الشام ومصر من الشرق وبذلك تصبح قوى الجيش الانجليزى بين شقى الرمح .

ورأى الخطة الحربية التى عرضها الرجل الخبير للأعضاء ووافقوا عليها واتفصوا على أن يبدأوا فى تجهيز الطائرة التى ستقل القائد الكبير ومراقبيه .

## الطائرة رقم ٢٠٥ :

ظل الأعضاء يدرسون طريقة السفر والاستيلاء على الطائرة التى تقل عزيز المصرى ومراقبيه أياما طويلة . حتى استقر رأى على أن يرافق عزيز المصرى فى رحلته كل من الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى ( نائب وزير الخارجية ) الآن ، والطيار الأول - عبد المنعم عبد الرؤوف وكانت الطائرة انسون رقم ٢٠٥ من طائرات سلاح الطيران الملكى المصرى هى التى اختارها القدر لنقل الضباط الثلاثة فى سفرهم الى العراق - وفحصت الطائرة . وجربت آلاتها وقام بالتحليق بها أحد الضباط فى جولة فوق القاهرة وقدم تقريره بصلاحياتها للطيران ، وقبل الغروب ملئت خزانات الطائرة بالبنزين وكانت تتسع لمائة وأربعين جالونا وأخطر الضباط بالتأهب بالسفر فى نفس هذا اليوم .

## ثلاثة أشباح :

بعد منتصف ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤١ كانت هناك ثلاثة أشباح تتجه الى الطائرة رقم ٢٠٥ الواقفة بأرض مطار أوماظه العسكرى - بينما كان يحمل آخرون احدى عشرة حقيبة تحوى ملابسهم ومعداتهم .

وركب الضباط الثلاثة الطائرة ودارت محركاتها وحلقت فى الجو وكانت قلوب كثيرة على الأرض تخفق وتدعو لهم بالتوفيق - حتى اختفت الطائرة وراء الأفق . وتفرق باقى الرفاق الى منازلهم يتعجلون طلوع

النهار ليطمئنوا الى وصول الطائرة بسلام . وما دروا أن القدر كان يخبىء  
للحركة أمرا هو آخر ما كان يدور فى أذهانهم . فما كادت الطائرة تقطع  
بضعة كيلومترات حتى أصاب محركاتها عطب لم يعرف سببه وبدأ أن  
الطائرة تكاد تسقط نتيجة لهذا الخل . ولم يكن أمامهم لتجنب الكارثة  
سوى الهبوط بها فى أى مكان بأقل ضرر ممكن وتمكن حسين ذو الفقار  
من انهبوط بها فى حديقة فاكهة بجوار بلدة قليوب دون أن يصاب أحد  
منهم وتنبهوا الى الموقف الحرج الذى وقعوا فيه ولكن عزيز المصرى الذى  
تعود على مثل هذه المواقف رأى أن يتصرف وبسرعة .

كانت الساعة قد جاوزت الثالثة من صباح يوم ١٦/٥/١٩٤١ والظلام  
يخيم على المنطقة المحيطة ببلدة قليوب عندما ترك الضباط الطائرة المنكوبة  
محطته بين أشجار حديقة الفاكهة واتجهوا الى بلدة قليوب وسأل عزيز عن  
منزل مأمور المركز أو من ينوب عنه واعتقد زميلاه أن رئيسهم ينوى تسليم  
نفسه الى البوليس . وطرق عزيز المصرى منزل مأمور مركز قليوب ومعه  
زميلاه ، وخرج اليهم أحد الضباط وكان النوم لا يزال يغالبه ولكنه عندما  
شاهد عزيز المصرى لم يصدق عينيه - وبدأ يفيق وسأله « أوامرك يا باشا »  
وبكل هدوء أجاب الباشا « أنه كان مدعو وزميليهِ فى حفلة زفاف باحدى  
العزب القريبة من قليوب وتعطلت السيارة التى كانت تقلهم ويطلب منه أن  
يحضر أى عربة ليعودوا بها الى القاهرة وعلى الفور أمر الضابط باحضار  
سيارة المركز الخاص « البوكسفورد » واستقلها الضباط الهاربون وسط  
ترحيب ضباط البوليس وسروره لأدائه هذه الخدمة للرئيس السابق لمدرسة  
البوليس . ووصلوا القاهرة وصرفوا عربة البوليس وكانت تبشير الصباح  
قد بدأت تلوح - وكان عليهم أن يختفوا بسرعة لأن البوليس سوف  
يجد فى البحث عنهم ان لم يكن قد بدأ بالفعل . واستقر الرأى على أن  
يجد فى البحث عنهم ان لم يكن قد بدأ بالفعل . واستقر الرأى على أن  
الجميلة فى ذلك الوقت ، وكان يقيم بمفرده فى امبابة . وفى هذا المنزل  
أقام الضباط الثلاثة متوارين عن الأعين عشرين يوما .

## الصدمة :

خرجت صحف الصباح تحمل فى صفحاتها الأولى نبأ سقوط الطائرة وهروب الضباط الثلاثة . وهاج الانجليز وطالبوا باجراء التحقيق وتجنيد البوليس لصبط الضباط الهاربين ورصد البوليس السياسى الكثير من رجاله لهذه المهمة كما وعدوا بتقديم مكافأة كبيرة لمن يدلى بمعلومات هامة تؤدى الى القبض على الضباط الثلاثة . وكان أعضاء التشكيل يسمعون ويفرأون هذه الأخبار وهم فى ذهول من هول الصدمة التى فاجأهم بها القدر — وكأنه بدخر تنفيذ خطة الخلاص ليوم آخر لم يحن بعد . ومع ذلك فان هذه الصدمة لم تل من عزيمتهم ولم توهن من ارادتهم — واجتمعوا كى يواجهوا الموقف الذى جد بسقوط الطائرة وفشل محاولة الاتصال بالألمان .

## المطار الجديد :

كان لابد من اعادة تهريب الضباط الثلاثة من جديد والحيلولة دون القبض عليهم ، ولكن كيف السبيل الى ذلك والبوليس السياسى منتشر فى جميع الأرجاء — ورجال المخابرات الانجليزية يتقنون فى كل ناحية والسفير البريطانى يستحث حكومة حسين سرى لكى يسرع فى القبض على الهاربين . وعلى ضوء هذه الاعتبارات رأى أن يبحث عن منطقة بعيدة نوعا عن أعين الانجليز وأعوانهم من رجال البوليس . وكان هناك مطار جديد قد أنشئ فى رأس البر ولم يكن من المطارات العسكرية الهامة التى يهتم بها الانجليز . ومن ثم اتجه التفكير فى البحث عن أى طائرة حتى لو كانت تستعمل فى الأغراض المدنية — لاستعمالها لهذا الغرض ووجدت الطائرة ووضع الوطنيون خطة جديدة لتهريب الضباط الثلاثة .

وكلف التشكيل أحمد سعودى بهذه المهمة وشوهد برأس البر فى ذلك الوقت بعض الشبان الذين جاءوا لوضع الترتيبات النهائية للمغامرة الجديدة ، ولكن القدر كان لهم بالمرصاد فقد نوى الى رجال البوليس السياسى

أن الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة — وكان معتقلا وهرب —  
يختبئ في منزل الأستاذ عبد القادر رزق بامبابه ، وفي يوم ١٩٤١/٦/٤  
توجه امام ابراهيم الذي أصبح رئيسا للبوليس السياسى بعد ذلك ومعه  
قوة من رجال البوليس وداهم المنزل الذي اعتقد أن رئيس حزب مصر  
الفتاة يحتوى به . ولشد مدهش اذ رأى أمامه وجها لوجه عزيز المصرى  
ورفيقيه !! وقد أطلقوا لحاهم توطئة للهرب الذي كانوا ينتظرونه ، وقبض  
عليهم وأودعوا السجن ووجهت اليهم تهمة الخيانة العظمى وعقوبتها الاعدام.  
وضربت الحركة الوطنية فى الصميم لهذا الفشل . وران السكون على  
رجال التشكيل بعض الوقت حتى تهدأ العاصفة وينقشع الضباب

## الحاكمة :

اضطرت الحكومة تحت ضغط الرأى العام الذى كان يطالب بالافراج  
عن عزيز المصرى الى تشكيل محكمة عسكرية عليا ومحاكمته مع زميليه  
بعد أن قضوا أكثر من خمسة أشهر فى السجن ، وفى صباح يوم ١٩٤١/١٠/٩  
عقد المجلس العسكرى جلسته الأولى بالكلية الحربية بمنشية  
البكرى واستمع المتهمون الى فرار الاتهام ، وأهم هذه الادعاءات هو الادعاء  
الأول وكان كما يلى :

المتهم الفريق عزيز المصرى باشا من المعاش والخاضع للأحكام العسكرية  
مدعى عليه بما يأتى :

### الادعاء الأول :

اغراؤه شخصا خاضعا للأحكام العسكرية بالهروب من خدمة جلالة  
الملك ، وذلك أنه بجهة القاهرة بتاريخ المدة الواقعة من ٩ مايو ١٩٤١ و ٦  
يونيو ١٩٤١ أغرى كلا من الطيار حسين ذو الفقار صبرى والطيار الأول  
عبد المنعم عبد الرؤوف من سلاح الطيران الملكى المصرى على الهروب من  
خدمة صاحب الجلالة الملك ومبارحة القطر المصرى . فاستقل ثلاثهم طائرة  
حربية فى ليلة ١٦/١٥ مايو من المطار العسكرى خلسة حتى هبطت بهم

اضطرابيا بجوار قلوب فى الليلة نفسها - ثم فروا واستمروا هاربين حتى فبض عليهم بـعرفة السلطة المدنية وهم مرتدون ملابس مدية ومختفين بمنزل المدعو عبد القادر رزق بجهة امبابه .

أما باقى الادعاءات فكانت خاصة بسرقة الطائرة الحكومية والاهمال فى اطاعة الأوامر ، وقد أثبت عبد الرحمن الطوير النائب العام فى التحقيق الذى أجراه عند تفتيش حقائب الضباط الثلاثة وجود خرائط للوجه البحرى ومديرية الفيوم - وطرق المواصلات من القاهرة والاسكندرية الى مرسى مطروح وكذلك خريطة لواحة سيوه والطرق المؤدية لها حتى العلمين ومرسى مطروح . وتطوع للدفاع عن المتهمين كثير من المحامين نذكر منهم حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى ، ومصطفى الشوربجى وزير العدل الأسبق ، وقد دفع المحامون بعدم قانونية تشكيل المجلس العسكرى لتكوينه من أعضاء أقل رتبة من رتبة الفريق عزيز المصرى كما دفعوا ببطالان قانون الأحكام العسكرية لعدم صدور مرسوم ملكى به وعرضه على مجلس الوزراء كما أنه لم ينشر فى الجريدة الرسمية للبلاد . وكانت جميع الدفوع التى أثارها الدفاع هى دفوع فى حقيقتها سليمة وقانونية - أدت الى احراج المحكمة التى رأت أن تؤجل المحاكمة الى أجل غير مسمى ومعنى هذا أن يظل الضباط الثلاثة فى السجن دون أن يصدر ضدهم حكم .

ونكن حكومة النحاس التى فرضها الانجليز بقوة السلاح فى ٤/٢/ ١٩٤٢ رأت أن ترضى الوطنيين فقررت الافراج عن عزيز المصرى ورفيقه ، وتم ذلك بعد شهر من تأليف وزارة النحاس أى فى مارس ١٩٤٢ ، اعتقادا منها أن هذا الافراج قد يخفف بعض الشئ من وقع حادث ٤ فبراير على المصريين وليكسب النحاس بعض المواقع التى فقدتها بسبب اشتراكه فى هذا الحادث المشنوم . فما هى ملابسات حادث ٤ فبراير وظروف حدوثه ؟؟

بقتضى الأمر أن نعود الى الوراء قليلا لتعرف حالة مصر وقتئذ ولن نذهب بعيدا ، بل سنرجع الى شهر واحد سابق على الحادث ، أى الى شهر يناير من سنة ١٩٤٢ .

## هروب الانجليز :

كاذ. لحوادث الاغتيالات التى قام بها الوطنيون ضد الجنود والضباط الانجليز وقع سيىء عليهم ، كما أشاعت الذعر فى نفوسهم فقللوا من الظهور فى الشوارع ودور اللهو وكانت غارات الألمان تشتد وطأتها فى ذلك الوقت على مواقع القوات البريطانية فى الإسكندرية ، والعباسية والقناى تقصفها من الجو باحكام يدعو الى العجب متجنية قدر الامكان المنشآت المدنية والمدن المفتوحة . ولم يسع وقتئذ أن قنبلة قد ألقيت على غير الهدف العسكرى الا فيما ندر . واذا ما أخطأ الألمان فى بعض الأحيان وطاشت منهم قنبلة فان معلقهم العسكرى سرعان ما يعتذر عن هذا الخطأ غير المقصود ويعيد بمحاكمة المتسبب .

وحدث فى شهر يناير ١٩٤٢ أن قام الألمان بقيادة الجبرال روميل — الداهية العسكرى الذى دوخ الحلفاء — بهجوم على القوات البريطانية فآتسحهم وفروا أمامه بطول الساحل الأفريقى على البحر الأبيض المتوسط . أكثر من ألفى كيلو متر وجنود بريطانيا تلهت أمام روميل حتى وصل حدود مصر ودخلها وتحصن فى مرسى مطروح ليعيد تنظيم صفوفه — ولينتظر النزول والمؤن من ألمانيا ليضرب ضربته الأخيرة وعاد الجنود الانجليز الهاربون الى مصر يحملون معهم الهزيمة والاجهاد والذعر . وكانت قطارات الهلال الأحمر تفد بالليل والنهار تحمل جثث القتلى والجرحى حتى غصت بهم المستشفيات وعند ذلك لاحت بواذر الهزيمة وعزم الانجليز على الهرب الى جنوب أفريقيا أو الى غيرها من المستعمرات ، وبدأت العربات والطائرات والسفن تحمل الجنود والضباط وبعض أمتعتهم ومؤنهم الى خارج البلاد . وكان المصريون يسمعون ويشاهدون هذا الهروب بغبطة وسرور بالغين . وفى هذا الجو المكفهر كان الوطنيون يجتمعون باستمرار لمتابعة سير الأمور . وأخبرا رأوا أن يتصلوا بالألمان . وأعدوا بيانا الى روميل أظهروا فيه رغبتهم فى التعاون معه ضد الانجليز للتخلص منهم ومن الاستعمار على أن يكون مفهوما أن المصريين لا يقبلون استبدال استعمار بآخر وعلى أن تنال مصر حريتها كاملة ثم يحمله أحد الضباط الطيارين ويسافر بطائرته الى مرسى



مضروح ليقابل روميل ويتفاهم معه على كافة الموضوعات التى تهم الجانبين ويحيط بكل التفاصيل حول استقلال مصر بعد خروج الانجليز ، ومن تجنب ضرب القوات الألمانية للمدن والمنشآت المصرية — مقابل أن يساعدهم الوطنيون ، وقد تأخرت فكرة الاتصال بالألمان بعض الوقت وان كانت قد تمت بعد سبعة أشهر أى فى شهر أغسطس من نفس العام .

ولما لم يعد هناك من شك فى خروج الانجليز من مصر فرحت طوائف الشعب واستبشروا وتطلعوا الى الحرية التى انتظروها ما يقرب من ستين عاما قضوها فى احتلال بغيض — فخرجوا من ديارهم وتجمعوا فى كل مكان ، فى الأزهر ، والجامعة حتى فى الأحياء الشعبية وساروا فى مظاهرات يعبرون فيها عن شعورهم بالغبطة والفرح — والتشقى فى نفس الوقت لقرب خروج الانجليز من جهة ولهزيمتهم أمام الألمان من جهة أخرى — ورأوا الانجليز يثشفون من نفس الكأس التى شرب منها المصريون — وقد بلغ من كراهيتهم للانجليز أن الهتافات لم تقتصر على المناداة بسقوطهم ، وانما كانت تدعو لروميل بالنصر — وكنت تسمع « الى الأمام يا روميل واتصار الألمان اتصار لمصر » وغير ذلك من الهتافات التى كانت تعبر عما كان يعتمل فى نفوس المصريين من كراهية وحقد على الاحتلال . ولم تكن هذه المظاهرات مدبرة أو من تدبير حزب بعينه كما أن أحدا من المسؤولين المصريين لم يستنكرها أو ينتقدها اللهم الا أعوان الاستعمار ، حتى أن حسين سرى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت لم يحاول اخمادها — مما أوغر صدور الانجليز عليه وطالبوا بوقف هذه المظاهرات بالقوة فرفض حسين سرى — فما كان من السفير البريطانى سير مايلز لامبسون وكان يمثل ذروة الاستعمار ( مصر وقتئذ ) الا أن توجه الى منزل حسين سرى بالزمالك وطلب منه الاستقالة فورا فرفض لأمره واستقال فى ٢/٢/١٩٤٢ وما كان له أن يستمع الى ممثل بريطانيا حتى ولو أدى الأمر الى اعتقاله ولم يكتف الانجليز بذلك بل أقدموا على أمر ان دل على شىء فانما يدل على مقدار ما وصلوا اليه من نرق وطيش وانفجار فى الأعصاب وبقتضى الأمر قبل أن أسرد واقعة ٤ فبراير أن ألمح الى الحالة فى مصر فى هذه الفترة .

## ٤ - الكفاح الشعبى أثناء الحرب العالمية الثانية :

صورة لمصر خلال الحرب :

رسم الميثاق صورة واضحة مفصلة لأحوال مصر الداخلية خلال الحرب العالمية الأولى وهذه الفترة من الفترات الخطيرة فى تاريخ مصر لأنها أدت الى « بدأ التآهب النفسى لثورة يوليو ١٩٥٢ » كما جاء فى الميثاق . وهذه الفترة يمكن أن نسميها بفترة « الأزمة الكبرى » ، وحفلت بصور مؤلمة كان من الممكن أن تدعو الى اليأس والقنوط والخنوع ، لولا « صلابة الشعب ومعدنه الأصيل » .

تحدث الميثاق عن هذه الفترة فقال : « ان هذه الفترة كانت قادرة ، لولا صلابة الشعب ومعدنه الأصيل أن تحمل البلاد الى حالة من اليأس تخفق كل حوافز الرغبة فى التغيير أو تلحق بها الشلل الذى يمنعها من الحركة . ان هذه الفترة التى يمكن أن ننظر اليها الآن باعتبارها فترة الأزمة الكبرى كانت حافلة بالواجهات المضللة التى تخفى وراءها الأطلال المتهاوية من بقايا ثورة سنة ١٩١٩ » .

تميزت هذه الفترة بحرمان مصر من القيادات الشعبية ، وحلت مكانها أحزاب سياسية تتألف من رجال من طبقة الاقطاعيين والرأسماليين والاقتهازيين ، وشغلوا جميعا بالصراع والتكالب على مكاسب الحكم ، ونسوا جميعا القضية الوطنية وواجبهم نحو الكفاح الشعبى . ووصف الميثاق هؤلاء بقوله : « لقد كانت القيادات الباقية من ذكريات الثورة ما زالت واقعة فى المقدمة ، ولكن هذه القيادات فقدت كل طاقاتها اشورية ، وأسلمت كل الشعارات التى رفعها الشعب سنة ١٩١٩ الى كبار ملاك الأرض الذين كانوا

دعامة التنظيمات الحزبية القائمة ، وأشركوا فيها بعض الانتهازيين الذين اجتذبتهم عملية تقسيم الغنائم بعد انتكاسة الثورة .

وتسربت الى الحركات القومية ( فئات طفيلية ) عملت توجيه هذه الحركات لصالحها ، وبدا ذلك واضحا كلما هب الشعب يطالب بالجلاء وخروج المقتصب من البلاد ، اذ كان دعاة السوء والانتهازيون يعملون على استغلال هذه الحركة لصالحهم مما يؤدي الى فسادها . قال الميثاق : « ولقد ظهرت في هذا الجو فئات طفيلية ، لقد استطاع هذا الانحراف أن يمهّد لفئة من الرأسماليين ، ورثوا في حقيقة الأمر نفس دور المغامرين الأجانب في القرن التاسع عشر ، بكل سطحيته التي لا تهتم بتطوير الوطن ذاته قدر اهتمامها باستغلال أكبر جزء من ثروته ونزحها في أقل وقت ممكن » .

ارتمت هذه الأحزاب السياسية في أحضان الانجليز والقصر ، وحرمت مصر من الزعامة الصالحة والقيادة الشعبية ، ولم يقدر لمصر في هذه الفترة ظهور زعيم شعبي يكرس حياته وجهوده لصالح الشعب ، ويقود الأمة المصرية على طريق الكفاح والنضال . وأصبحت الأحزاب والانجليز والقصر يهدمون مصالح الشعب ، وهم كلهم في الحقيقة يخافون من سيادة الشعب المصري . فقال الميثاق : « ثم انتهى المطاف بهذه الأحزاب جميعا الى الحد الذي دفعها للارتقاء في أحضان القصر تارة ، وفي أحضان الاستعمار تارة أخرى . وفي الواقع كان القصر والاستعمار بحكم مصالحهما في صف واحد ، وإن بدت الخلافات السطحية بينهما في بعض الظروف ، لكن الحقيقة الكبرى أن كليهما كان يقف في الصف المعادي لمصالح الشعب ، والمضاد لاتجاه التقدم . إن سلطة الشعب كانت خطرا على أوضاعهما الدخيلة ، واتجاه التقدم كان محققا أن يجرفهما معا الى نفس المصير » .

اعتمد الانجليز على قواتهم الحربية الموجودة في القناة ومدن مصر كلها للضغط السياسي على مصر ، والتدخل في جميع الشؤون الداخلية ، وتحويل رغبات الأمة المصرية وآمالها ، واستجابات الحكومات والقصر لهذا الضغط دائما ، وأصبح الانجليز أصحاب السلطة الحقيقية ، وبات الشعب المصري

يتربقب الفرص ليكون هو مصدر السلطات ، وأن يتمتع بالديموقراطية الحقيقية ، وليس بالديموقراطية المزيفة ، ولكن هذه المظالم كلها أثارت مشاعر الشعب المصرى وهياته لمرحلة جديدة من الكفاح .

صور الميثاق هذه الحقائق كلها تصويرا كاملا فقال : « ان الديموقراطية بالطريقة التى جرت بها ممارستها فى مصر فى تلك الفترة كانت ملهامة مهينة . ان الشعب لم يعد صاحب السلطة ، وانما أصبح الشعب أداة فى يد السلطة أو بمعنى أصح ضحية لها . ولم تعد أصوات الجماهير هى التى تقرر خط السير الوطنى ، وانما أصبحت أصوات الجماهير تساق وفقا لارادة السلطات الحاكمة وأصدقائها . ولقد كان ذلك نتيجة طبيعية لاغفال الجانب الاجتماعى من أسباب ثورة الشعب سنة ١٩١٩ ، ان الذى يحتكر رزق الفلاحين والعمال ويسيطر عليه ، يقدر بالتبعية أن يحتكر أصواتهم وأن يسيطر عليهم ويملى ارادته ، ان حرية رغيف الخبز ضمان لا بد منه لحرية تذكرة الانتخابات . ان هذه الأزمة العنيفة فتحت أمام سلطات الأسرة المالكة أبوابا جاهد النضال الشعبى طويلا لكى يسدها » .

## القصر يناهض الكفاح الشعبى

ان أسرة محمد على هى ربيبة الاستعمار ، وأداته الأولى ، وطريقه الى احتلال مصر . وقد عمل القصر على مناهضة الروح الوطنية والكفاح الشعبى، وتدخل فى شئون الحكم ، وولى الوزارات الضعيفة الموالية له ، وأصبحت هذه الوزارات العوبة فى يده ، تعمل لصالحه ولصالح الانجليز ، وكثر تغيير هذه الوزارات ما لم يوفر أسباب استقرار الأداة الحكومية وجعلها غير صالحة لتحقيق رخاء ومطالب وآمال الشعب .

صور الميثاق موقف القصر من كل من الانجليز ومن الشعب تصويرا دقيقا فقال : « لكن امتكاسة الثورة شجعت الأسرة المالكة على تجاوز كل الحدود . وفى جو الأزمة لم يعد الدستور الذى رضيت به القيادات الثورية منة من اللخيل الا مجرد قصاصة ورق ، بهتت عليها الحقوق الشكلية التى كانت قد ألقيت للشعب لينشغل بها ويتلهى .

ولقد استسلمت القيادات التي تصدت للنضال الشعبى أمام سلطة القصر المتزايدة بسبب ضعفها المتزايد . وركعت جميعها تلتمس الرضى الذى يصل الى مقاعد الحكم . وتخلت بذلك عن الشعب وأهدرت كل قيمة له ، ناسية بذلك أنها تتخلى طواعية عن مصدر قوتها الوحيد ومنبعها الأصلى .

وانتهى الأمر الى حد أنهم هانوا على الشيطان الذين باعوه أرواحهم ، فوصل بهم الهوان الى حد أن تغير الوزارات أصبح له ثمن معلوم يدفع للقصر ولوسطائه .

ان القيادات الوطنية حين تطلع جذورها من التربة الشعبية ، تحكم على نفسها بالذبول ، وبالموت . ولسوف يبقى الوطن زمانا طويلا يشعر فى حلفه بمرارة الذل الذى أحسه فى هذه الفترة المتأزمة من جراء استهانة الاستعمار بنضاله استهانة فاقت كل حدود للاحتمال البشرى .

## موقف الانجليز من آمال الشعب خلال الحرب :

لم يكد يمضى على عقد معاهدة ١٩٣٦ ثلاث سنوات حتى قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، وأصبحت هذه المعاهدة الزائفة سندا يستند عليه الانجليز فى السيطرة التامة على مصر . فقد طلبت السفارة البريطانية من الحكومة البريطانية تنفيذ مواد المعاهدة اعلان الأحكام العرفية ووضع الرقابة على المطبوعات ، فكان لها ما أرادت . كما أرغمت انجلترا الحكومة المصرية على قطع علاقات مصر السياسية مع ألمانيا وحلفائها . واستغلت انجلترا شروط معاهدة ١٩٣٦ أسوأ استغلالا ، فاحتلت القوات البريطانية معظم المدن المصرية ، وسيطروا على محصولاتها الزراعية وحرموا الشعب من أقواته الضرورية ، فارتفعت الأسعار ، وقلت المواد الغذائية .

تقدمت الهيئة الوفدية ، وكانت حينئذ بعيدة عن الحكم ، الى السفارة البريطانية بمذكرة فى أبريل سنة ١٩٤٠ ، تطلب فيها من الحكومة البريطانية أن تتعهد بسحب قواتها من الأراضى المصرية عند انتهاء الحرب ، وكان رد البريطانيين على ذلك أن قرارات الوفد انما هى « محاولة مقصودة للعب دور فى السياسة الداخلية » .

وخلال الحرب العالمية الثانية أعلنت عهود ومواثيق دولية كان لها أثر في نشاط الحركة الوطنية وازدياد الوعي القومي في مصر ، اذ رأت الأمة في هذه العهود والمواثيق حججا جديدة لمطالبها وسندا دوليا لقضيتها . وأهم هذه العهود تصريح الرئيس روزفلت الأمريكى فى يولييه سنة ١٩٤٠ عن الحريات الأربع ، وهى حرية القول ، والرأى ، وحرية العقيدة ، وحرية التحرر من البؤس والحرية التى تنتج عن التحرر من الخوف . ثم صدر ميثاق الأطلنطى الذى وقعه روزفلت وتشرشل فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤١ وأعلنا فيه أنهما يريدان ألا يقع أى تبدل اقليمى يخالف رغبة الشعوب صاحبة الشأن ، وأنهما يحترمان حق جميع الشعوب فى اختيار شكل الحكومات التى تدير شئونها وأنهما يرغبان فى أن تسترد الأمم المغلوبة على أمرها حقوقها وحكوماتها الحرة ، فكان ذلك حجة للقضية الوطنية .

واقتهز زعماء الأحزاب المعارضة فى مصر فرصة اجتماع روزفلت وتشرشل وشياح كاشبىك زعيم جمهورية الصين الوطنية فى مؤتمر بالقاهرة للتباحث فى شئونهم وقدموا مذكرة لهم طالبوا فيها برفع القيود التى أوجدتها معاهدة سنة ١٩٣٦ والتى جاءت نتيجة الظروف الدولية ، وطالبوا بانسحاب القوات الأجنبية عن مصر بعد انتهاء الحرب العالمية ، والاعتراف بالاستقلال التام لمصر ، وبالروابط التى تربط مصر بالسودان مما يجعلهما وحدة غير منفصلة ، وقد منعت وزارة الوفد التى كانت فى الحكم آنذاك نشر هذه المذكرة أو الإشارة إليها فى الصحف .

وقد جاءت هذه الوزارة الوفدية على أسنة حراب الانجليز فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقد استخدم الانجليز قوتهم العسكرية من أجل تعيين وزارة وفدية تخدم مصالحهم السياسية والعسكرية .

## حادث ٤ فبراير :

لم يجد الانجليز أمامهم بعد هزيمتهم أمام روميل وتأكدهم من كراهية المصريين لهم الا أن يقدموا على عمل يخنمون به اقامتهم الطويلة بمصر قبل هربهم الى جنوب أفريقيا كما كانوا يدبرون ، ففى صباح يوم ٤ فبراير

سنة ١٩٤٢ توجه اللورد كيلرن السفير البريطاني الى مكتب أحمد حسنين رئيس الديوان وسلمه انذارا هذا نصه :

« اذا لم أسمع قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف وزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج ».

والنص الانجليزي كان كما يلي :

unless I hear by 6 p.m. that M. Nahas pasha has been asked to form a Cabinet, his Majesty King Faruk must accept the consequences.

وكان فاروق قد سبق له في يوم ٢/٣ أن اجتمع مع الزعماء للتشاور معهم بشأن تأليف وزارة قومية تضم جميع الأحزاب لنواجه الموقف الشائك المتخلف من استقالة وزارة حسين سرى وقيام المظاهرات المناوئة للانجليز وليحقق رغبة اللورد كيلرن التي أبداهها قبل الانذار بتأليف وزارة برئاسة النحاس باشا أو أى وزارة أخرى يوافق عليها .

ثم عاد واجتمع بهم مرة أخرى يوم ٢/٤ وأثناء اجتماعهم أخبرهم أحمد حسنين بما دار بينه وبين السفير البريطاني وتلا عليهم الانذار وناشدهم بوطنيتهم أن يتداولوا الأمر وقرر الجميع تأليف وزارة قومية فيما عدا النحاس باشا الذي أصر على أن تكون الوزارة من حزب الوفد وازاء ذلك الرفض رأوا أن يردوا على الأقل على الانذار فكتبوا احتجاجا وسلموه الى أحمد حسنين لتوصيله الى السفير (١) وكانت صيغته كما يلي :

« ان توجيه التبليغ البريطاني اعتداء على استقلال البلاد ومساس بمعاهدة الصداقة ولايسع الملك أن يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة » .

---

(١) وعدد الزعماء الذين كتبوا الاحتجاج ستة عشر وهم :

شريف صبرى ، مصطفى النحاس ، على ماهر ، حسن سرى ، محمد محمود خليل ، احمد ماهر ، احمد ريبور ، اسماعيل صدقى ، عبد الفتاح يحيى ، محمد حسين هيكل ، محمد توفيق رفعت ، على الشمسى ، حافظ عيسى ، حافظ رمصا ، بهى الدين بركات ، احمد محمد حسين محمود حس .

وما من شك فى أن الانذار البريطانى بصيغته ولهجته كان عملا عدوانيا ضد استقلال البلاد — ذلك الاستقلال الذى كانت تؤكد معاهدة ١٩٣٦ ، وما من شك كذلك فى أنه وقد صدر بلمجة بعيدة كل البعد عن آداب السياسة كان مقصودا منه كل حرف فيه ، فالسفير الذى يوجه الى الملك أى ملك بأنه اذا لم يسمع قبل الساعة السادسة بأن النحاس قد دعى لتأليف الوزارة فان الملك يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج هذا الأمر المصحوب بالتهديد يعنى أن مصر مازالت محنة ولم تكن المعاهدة التى طبل لها النحاس وهلل سوى حبرا على ورق .

وصدور الانذار ورفض النحاس تأليف وزارة قومية يحملان معنى خطيرا يفيد بأن الأخير كان على علم بمطلب الانجليز — والا فما الحكمة فى فرض شخص معين رئيسا للوزارة ، وما هو الشأن اذا ما رفض هذا الشخص قبولها . بل ان فرض الانجليز لشخص النحاس فيه مساس بسمعته واساءة لمركزه وكان الأولى بالنحاس أن يرفض هذا الأمر وأن يبادر هو وحده قبل غيره من الزعماء بالاحتجاج على تكليف الانجليز له بتأليف الوزارة ولكنه صمم بأن تكون الوزارة وفدية وظل على موقفه حتى بعد الانذار البريطانى وتخرج الموقف وآثر مساندة الانجليز ورضى بأن يتولى الحكم عن طريقهم لا بالطريق الذى رسمه الدستور . ولو أن النحاس رفض الانذار وقبل الوزارة القومية لمرت العاصفة ولا ارندت الضربة التى وجهوها الى نحورهم . ولكنه كان قد اتفق معهم على تنفيذ ما يريدون فكيف يتراجع . وعندما تسلم السفير البريطانى الاحتجاج الموقع عليه من الزعماء المصريين ألقى به جانبا ثم التفت لأحمد حسين بعد أن رأى توقيع النحاس على الاحتجاج وسأله عما اذا كان متأكدا من أن هذا التوقيع هو توقيع النحاس حقيقة فلما رد أحمد حسين بالإيجاب ، قال السفير ما معناه انه أصدر أمرا والأمر لا يكون الرد عليه بالاحتجاج وانه سيفابل الملك الساعة التاسعة من مساء اليوم ليوضح الأمور كما بينها فى انذاره ، ومعنى ذلك أن رغبة الانجليز يجب أن تنفذ كاملة والا تحمل الملك نسجة ما يحدث .



وبعد أن تجاوزت الساعة الثامنة بعشرين دقيقة حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع جهاته ووجهت مدافعها الى البهو الذى يقيم فيه الملك السابق وكان وقتئذ مجتمعاً مع الزعماء — ومنع الجنود البريطانيون دخول أو خروج أحد من القصر بعد أن جردوا الحرس من أسلحتهم . وفى تمام الساعة التاسعة حضر السفير ومعه الجنرال استون القائد العام للقوات البريطانية ومعهما بعض الضباط الانجليز وكانوا يشهرون مسدساتهم فى وجهه من يقابلهم من رجال القصر .

ولما أراد أحد رجال القصر التوجه بهم الى احدى القاعات دفعه السفير قائلاً : أنا أعرف طريقى I know my way. واتجه رأساً الى الغرفة التى كان فيها الملك وسلمه ورقة ليوقعها ، وكانت وثيقة بتنازله عن العرش !! فتصفحها الملك جزأ جزأ وبسرعة التفت الى السفير وأجابه بأنه سينفذ أوامره — ودخل على الزعماء وكان قد اكتمل جمعهم وقال لهم «اعتبروا كل ماوقع اليوم وماسبق أن قررتموه كأن لم يكن . والتفت الى النحاس قائلاً : وأكلفك يا نحاس باشا بتشكيل الوزارة » أى أن تكون وزارة وفدية كما صمم عليها وكما أرادها الانجليز ! .

كان الغيظ يملأ نفوس الزعماء والأسى باد على وجوههم والحزن يرين عليهم لذا لم يتمالك أحد ماهر أكثر الزعماء حماسة وجاهر النحاس بخطئه قائلاً : « كنت أظن أن النحاس باشا وهو يدعى بأنه زعيم للبلاد والرئيس الجليل وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال أن يرفض تشكيل الوزارة . أما وقد قبلها فانى أعلن فى حضرة ملك البلاد بأن النحاس باشا يتولى الحكم الليلة مستنداً الى أسنة الرماح الانجليزية » .

وهنا استشاط النحاس غضباً أو افتعل الغضب ، ورد قائلاً بأنه ليس هو الذى يستند الى أسنة الرماح — وانما غيره الذى يحتاج الى هذه الأسنة .. فتدخل صدقى باشا ووجه الكلام الى النحاس ساخراً — « أظن رفعتكم وصلتكم الى هنا بعد انصراف الدبابات » — ويقصد أنه برىء من مسألة التدخل بالسلاح ، أو لعله كان يعنى علمه بتهديد الانجليز ، وأنه حضر

لتلقى الأمر بتشكيل الوزارة حسب اتفائه مع السفير وترك للنحاس تفسير أى هذين السؤالين حسب هواه وكلاهما مر . وعلى أى حال كان صدقى باشا يقول الجملة التى تحمل أكثر من معنى . وقد هم غيره من الزعماء بالحديث لينفس عما فى صدره ولكن الملك أوقف المناقشة وقال للنحاس عليك أن تتوجه للسفير وتخبره بأنك قبلت تأليف الوزارة — فأجاب بالإيجاب . وواقع الأمر أن موقف النحاس من الأزمة كان موقفا غير سديد بل غير وطنى على الإطلاق لأنه موقف لا يثير الشكوك فحسب وإنما يدين النحاس ويصمه بما لا يرضاه فقد باع بلده باتفائه مع الانجليز أو على الأقل بموافقتهم على تحقيق رغبتهم ضد ارادة البلاد وبقوة السلاح . ولم يكن فى المقصور أن بشكل النحاس الوزارة قبل أن يلغى الانذار والا وصمت وزارته رسميا بممالاتها للانجليز وبأنه قبل الوزارة فى ظل التهديد وعلى أسنة الرماح كما قال أحمد ماهر وكان يتعين القيام بإجراء يحى أثر الانذار فاتفق مع السفير على أن يتبادلوا آياهم خطابين — يحتج النحاس فى أولهما على الانذار البريطانى وبأنه لا يمكن أن يقبل الوزارة الا بالطريق الدستورى لا عن طريق الانجليز أو السفير البريطانى . وعلى السفير أن يرد بما يؤيد هذا المعنى وفيما يلى صيغة الخطابين اللذين حرروا فى يوم واحد وهو يوم ١٩٤٢/٢/٥ :

## خطاب النحاس

ياصاحب السعادة :

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية ، وليكن مفهوما أن الأساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو أن لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية، وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها .

وانى آمل ياصاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد ما فى خطابى هذا من المعانى وبذلك تنوطد صلاة المودة والاحترام المتبادلين وفقا لنصوص المعاهدة.

وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول فائق الاحترام .

## خطاب السفير

وأجاب السفير :

يا صاحب المقام الرفيع :

لى الشرف أن أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم وانى أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائسه على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها .

وانى لأتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى .

هذه هى المهزلة التى أراد النحاس أن يختم بها مأساة الانذار البريطانى - وكان هذين الكتاين قد محوا كل أثر من آثار اعتداء الانجليز - أو صححا الوضع الدستورى لحكومة النحاس من أنه يتولى الوزارة طبقا للأوضاع الدستورية لا استنادا الى أسنة الرماح الانجليزية .

وقد صدر هذان الخطابان وتبودلا فى يوم واحد هو يوم ٥ فبراير سنة ١٩٤٢ وعلى أثرهما ألف النحاس الوزارة وذهب السفير الى النحاس فى نفس اليوم ليهنئه فتهف أعضاء الوفد الذين كانوا مجتمعين وقتئذ بحياة اللورد كيلرن وبحياة بريطانيا العظمى وحملوه على الأعناق وخرجوا به الى شرفة مجلس الوزراء وأطلوا على الشعب المنتظر - الذى رأى عجبا - قائد الشعب وعدوه فى تألف وعناق . فكان ذلك مثار سخطه .

## موقف الشعب المصرى من الانجليز أثناء الحرب :

أعلنت الحكومة المصرية بأمر من الانجليز الأحكام العرفية ، وكسب أفواه الوطنيين ، وقيدت الحريات ، واعتقلت الآلاف . ولكن هذا الارهاب لم يفض على روح الكفاح الشعبى ، ولم يخمد الروح الوطنية المشتعلة فى قلب كل مصرى وطنى مخلص . وظهر هذا الكفاح فى صور عديدة ، علنبه

أحيانا وسرية أحيانا أخرى ، وقد أدرك الجميع فساد الحكومات المصرية ، والقصر الملكي ، وتحالفهم مع الانجليز ، ضد مصالح الشعب وآماله .

لم ترهب القوات البريطانية الكثيرة العدد الشعب المصرى ، بل مضى على طريق الكفاح ، وبدأ الشعب ينظر الى عملاء الاستعمار فى مصر نظرة ازدراء واحتقار ، وأصبح شباب الجيل الجديد هو أمل الشعب المرتقب .

صور الميثاق هذه الظروف ، وهذه الآمال ، فقال : « ان الشعب المصرى بدأ يتأهب لاستئناف دوره التاريخى حتى قبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية ، وقبل أن تتزاح الأشراب الكثيرة لدبابات الاحتلال عن مدنه الكبرى . ولقد عبر الشعب المصرى عن نفسه برفضه العنيد أن يشترك فى الحرب التى لم تكن فى نظره الا صراعا على المستعمرات والأسواق ، بين العنصرية النازية ، وبين الاستعمار البريطانى الفرنسى الذى سيجر على البشرية كلها ويلات لا حدود لها من القتل بالجملة والدمار الشامل » .

لقد رفض الشعب المصرى كل الشعارات التى رفعها المتحاربون أعلاما فوق رؤوسهم ليخدعوا بها الشعب . وسحب الشعب المصرى كله البقايا الباقية من تأييده للذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال طمعا فى مكاسب السوق السوداء التى فرضتها الحرب وظلالها القاتمة .

وعمت الشباب المصرى موجة من السخط والغضب على كل الذين مدوا أيديهم للاحتلال ، وقبلوا وجوده ، ولقد ترددت فى مصر فى ذلك الوقت أصدااء طلقات الرصاص ، وتجاوبت أصدااء انفجارات القنابل ، وكثرت التنظيمات السرية بمختلف اتجاهاتها وأساليبها .

لم تكن تلك هى الثورة وانما كان ذلك هو التمهيد لها . كانت تلك هى مرحلة الشعب التى تمهد لاحتلالات الثورة ان الغضب مرحلة سلبية . ان الثورة عمل ايجابى يستهدف اقامة أوضاع جديدة . ان غضب الشعب المصرى الممهّد للتغيير بدأ يجاوز النطاق الفردى الى النطاق الجماهيرى » .

## النسور يواصلون كفاحهم :

رأى الوطنيون أن يسرعوا فى الاتصال بالألمان بعد أن تأخروا مدة طويلة كانوا يتحينون الفرصة المناسبة وكلفت شعبة الطيران أحمد سعودى برسم تخطيط دقيق لجميع معسكرات الانجليز ومطاراتهم فى القاهرة والقنال والاسكندرية - وبعد مجهود كبير صورت جميع المواقع الهامة ، ثم وضعت خطة السفر واقتنعوا على من يسافر ليتصل بالألمان فكان ذلك من حظ أحد الضباط فبكى أحمد سعودى لضياع ذلك منه ثم تكررت القرعة ثلاث مرات ارضاء له بعد طلبه ذلك فوقعت عليه أخيرا للقيام بهذه المهمة الخطيرة بعد أن تأخرت عن ميعادها سبعة شهور ، وكان أهم مايعترض التشكيل هو اختيار الطائرة ولم يكن ذلك بالأمر اليسير . لأن مصر كانت فى حالة حرب والانجليز يهيمنون على مرافق البلاد ولم يكن يسمح لأية طائرة بالتحليق فى الجو الا بعد بحث وتدقيق وكان كل طيار مسئول عن طائرته وقائد السرب مسئول عن هم تحت امرته .

وأخيرا وقع الاختيار على طائرة أحدهم ، وكانت تحمل رقم ٩٠٣٦ ماركة جلاديتير وهى من السرب الخامس وملئت الطائرة بالليل بالنزين ، واتفق الأعضاء مع صاحب الطائرة على أن يتأخر ١٥ دقيقة عن ميعاد العمل الرسمى فى الصباح وهو يبدأ الساعة السادسة صباحا ليتيح الفرصة للطيار أحمد سعودى للخروج بها واستلم الأخير الحقيبة السوداء التى تحمل مواقع المعسكرات والمطارات الانجليزية والبيان الذى سبق أن كتبوه الى روميل خاصا باتفاقنا معهم ومساعدتنا لهم مقابل الحصول على الاستقلال وزوده بالتعليمات الخاصة عن كيفية الاتصال بهم عن طريق الراديو وأعطوه كذلك بعض الاسلحة الخفيفة وآلة ارسال واستقبال .

وفى الساعة السادسة من صباح يوم ٧/٨/١٩٤٢ اتجه سعودى الى الطائرة رقم ٩٠٣٦ ومعه الحقيبة السوداء التى تحمل السر الرهيب ، وكان مجرد الاشتباه فيه كفى بأن يسلم رقبته الى جبل المشنقة فضلا عن تشريد باقى الجماعة وسجنهم ووأد الحركة .

وكانت التعليمات تقضى بأن يتجه سعودى بطائرته الى السلوم ، ولكن  
الألمان كانوا يعسكرون فى العلمين فى ذلك الوقت فرأى أن ينزل فى الضبعة  
ودار المحرك وارتفعت الطائرة وعيون الجماعة تتطلع اليها وكلها أمل ورجاء  
وهى تحلق فى الجو متجهة الى الصحراء .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٩٤٢/٨/٧ أذيع بأن هناك  
طائرة مفقودة ، واقلبت الدنيا رأسا على عقب وخرج سرب من الطائرات  
للبحث عن الطائرة ومسح منطقة القاهرة والصحراء المحيطة بها حتى اليوم  
ولكن دون جدوى وهاج الانجليز وهددوا وطالبوا باجراء تحقيق لمحاكمة  
المستولين ، وأمر أحمد حمدى سيف النصر وزير الحرية فى حكومة النحاس  
الجديدة بتشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة المستولين من الضباط .

## الشهيد الاول

بعد سفر أحمد سعودى تنفس الوطنيون الصعداء وهدأت خواطرهم  
ولم تكن محاكمة الضباط الثلاثة أعضاء التشكيل وتشريد باقى الضباط  
ووضع الرقابة الشديدة عليهم يساوى شيئا بجانب نجاحهم فى تهريب سعودى  
لأن هذه الخطوة كانت فى نظرهم فاصلة وعلى جانب من الأهمية ونقطة تحول  
كبير فى مستقبل الحركة والبلاد . فالتحالف بين الألمان والوطنيين لازم  
لكليهما ضد العدو المشترك تجسعهما مصالح مشتركة فالألمان يرغبون هزيمة  
الانجليز ويحتاجون لمن يحمى ظهورهم والوطنيون يتطلعون الى الاستقلال  
والحرية .

ولم يكد يمضى يومان على سفر سعودى حتى قامت القوات الألمانية  
بضرب شديد ومركز على موقع المعسكرات والمطارات الانجليزية وكانت كما  
بينتها الوثائق والخرائط التى حملها سعودى فى حقيبتة فتأكد الوطنيون بأن  
سعودى قد وصل ، ودليل هذا الضرب المنظم الذى قام به الألمان . ولكن  
الشك ساورهم عندما تأخر سعودى من الاتصال بهم كما اتفقوا معه . فاجتمع

الضباط وقرروا ارسال صول وطنى آخر هو الصول محمد رضوان ليستطلع أخبار سعودى وليؤكد للألمان ماسبق واتفقوا عليه معهم . فسافر محمد رضوان بطائرة زودوها به الى الصحراء الغربية عن طريق واحة سيوه واتصل بالألمان وعرف منهم أن سعودى هبط بطائرته بجهة الضبعة التى كان الألمان قد لغموها ، فنسفت الطائرة وأصبح سعودى أول شهيد للتشكيل العسكرى . والعجيب أن سعودى كان له اثنا عشر أخا مات بعضهم فى حوادث متفرقة ، كما غرق اثنان فى مياه البحر بالاسكندرية حيث نشأت أسرته ، وكان هو آخرهم ، وكان الموت كان لهم جميعا بالمرصاد .

أما الصول محمد رضوان فظل مع الألمان يحارب بجانبهم حتى سافر معهم عندما انسحبت قوات المحور الى أوروبا وقبض عليه بعد هزيمة ألمانيا وحوكم أمام المجلس العسكرى الذى قضى بسجنه ١٥ عاما بالأشغال الشاقة قضاها بأبى زعبل يحطم الصخور ويتعثر فى السلاسل والأصفاد .

وقد كانت الضربة شديدة على الوطنيين فقد خسروا وشردوا وفرضت الرقابة على جميع الضباط وكانت ترصد عليهم كل حركة، أماعزيز المصرى القائد الروحى للثورة فلم يكن حظه بأسعد من حظ الضباط .

فقد كان الانجليز يتوجسون منه خوفا ولا يطمثون اليه لمبادئه الوطنية ولآرائه التحررية التى كان يجاهر بها أمامهم ، وعندما شدد الألمان الضغط على الانجليز ولاحت بوادر هزيمتهم دعا الانجليز الى عقد اجتماع مشترك فحضره من الجانب المصرى صالح حرب وزير الحرية وقتئذ وعزيز المصرى بصفته رئيس هيئة أركان الجيش ومن الجانب البريطانى الجنرال ولسون والسير مايلز لامبسون سفير بريطانيا واقترح الجانب البريطانى انسحاب الجيش المصرى وكان عبارة عن فرقتين الى سيوة لمواجهة قوات المحور اذا لزم الأمر ويترك الساحل بأكمله للقوات البريطانية مع ترك جميع الأسلحة والعتاد التى كانت بالجيش المصرى للقوات البريطانية ، فرفض عزيز المصرى الموافقة على نقل الجيش المصرى الى سيوة وبدون سلاح لأن ذلك على ما فيه

من امتهان ، فانه يعرضه للإبادة فى حالة هجوم الألمان ، لأن القوات المصرية ستكون معزولة تماما ، وعندما وجد أن الانجليز مصممون على رأيهم تقدم باستقالته للوزارة ، ولكن على ماهر أعطاء أجازة طويلة والى أجل غير مسمى ، وعندما سمع الضباط ذلك اتفقوا على عدم تسليم أسلحتهم وثاروا وعقدوا العزم على اخلال بعض المواقع الاستراتيجية الهامة ومقاومة الانجليز وكان من بين هذه القوات بعض أعضاء التشكيل فى ذلك الوقت ولكن الانجليز عادوا وتساهلوا وسمحوا للجيش المصرى بالعودة الى القاهرة ومعه أسلحته وعتاده ، واعتبر الوطنيون أن رضوخ الانجليز انتصار لهم .

وظل عزيز المصرى بعيدا عن الجيش حتى قرر الهرب وما استتبع ذلك من فشل وسقوط الطائرة ، واعتقاله ومحاكمته مع زميليه حتى أفرجت عنهم حكومة النحاس فى مارس سنة ١٩٤٢ كما ذكرنا من قبل .

ولم يستمر هذا الافراج طويلا اذ أعيد اعتقال عزيز المصرى فى ١٣/٨/١٩٤٨ بعد أن قبض على أنور السادات وحسن عزت لأن الانجليز عرفوا أن لعزيز المصرى ضلعا فى الحوادث التى كانت تحدث فى تلك الأيام . كما كانت الأصابع تشير اليه بسبب الطفرة الجديدة التى ظهرت بين ضباط الجيش .

ولم تكن هذه الضربات التى توالى على الوطنيين فى هذه الفترة سررا بالشىء السير فقد كانت كفيلة بأن تؤدى بأى حركة وتخمدتها الى الأبد ولكن الوطنيين لم يفقدوا الأمل ولم يزيدهم الفشل الا اصرارا ، حتى فى أخرج أوقاتهم لم ينسوا مصر ولا الفكرة التى آمنوا بها .

### **الشعب يرفض الاشتراك فى الحرب :**

عندما تولى أحمد ماهر الوزارة فى ٨/١٠/١٩٤٤ كانت فكرة اعلان الحرب على المانيا وايطاليا واليابان لاتزال تراوده وهى الفكرة التى نادى بها سنة ١٩٤٠ ورفضها البرلمان وكان المصريون لا يريدون اعلان الحرب لا عن خوف أو رهبة وانما لكراهيتهم للانجليز ولكن أحمد ماهر أعد فعلا يسانا بهذا المعنى ليلقيه فى البرلمان .



وفى مساء السبت ٢٤/٢/١٩٤٥ ألقى أحمد ماهر بيان اعلان الحرب على ألمانيا واليابان بجانب اقبليترا ، وفى أثناء اجتيازه للبهو الفرعونى الذى يفصل مجلس النواب عن مجلس الشيوخ تقدم اليه محمود العيسوى وأطلق عليه الرصاص فسقط قتيلًا .

ومحمود العيسوى كان ضمن الشعبة المدنية التى ألفت لمقاومة الانجليز وأذئابهم وقد ولد فى قرية « بنى غربانة » التابعة لمركز قويسنا بمديرية المنوفية ونال اجازة الحقوق سنة ١٩٣٩ ، وحصل على دبلوم القانون الخاص سنة ١٩٤٠ ، ودبلوم القانون العام سنة ١٩٤١ بتفوق ، وأعد رسالته لنيل الدكتوراه فى الحقوق موضوعها مركز مصر الدولى بعد ابرام معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وكان من أشد المعارضين لها والناقمين على موقعها ، وعمل بعد تخرجه بمكتب الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى — ولم يكن يباشر القضايا أو الدعاوى التى تتداول بالمكتب وإنما تفرغ تفرغًا تامًا الى كل ما يخص مصر من مشاكل سواء أكانت داخلية أم خارجية . وكان رحمه الله مثال الخلق الكريم المتواضع المخلص — يفيض علما ويتوقد ذكاء — جرىء فى الحق ، حدث عندما قبل حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى الاشتراك فى الوزارة فى ٢٨/٦/١٩٤٠ وكانت وزارة ائتلافية برئاسة حسن صبرى أن ثار شباب الحزب لأن مبادئه كانت تحرم على أعضائه الاشتراك فى الحكم ما دام الاستعمار جاثمًا على أرض الوطن ، فذهب اليه محمود العيسوى مع بعض الشباب ليسألوه : كيف خرج على مبادئ الحزب وقبل الوزارة ؟ فلم يجب بما يقنعهم واعتذر لهم بمرضه ، وكان يلزم فراشه فعلا ، فما كان من محمود العيسوى الا أن قال له : « جئنا اليك لنقول لك انك خرجت على مبادئ الحزب ، وإن جهادك القديم قد دنسته بدخولك الوزارة فعليك أن تستقيل — وكان أولى بك أن تعتذر لهم بمرضك خير من اعتذارك لنا الذى نراه تهربًا من الاجابة ! ! ثم انسحب وزملاءه » .

ومن دلائل جرأته أنه كان أكثر أعضاء الجماعة السرية نشاطا فى توزيع المنشورات التى كانت تطبع فى منزل واحد منهم بالدقى . وحدث فى أواخر سنة ١٩٣٩ أن تسلم دفعة لتوزيعها بأفحاء متفرقة بالقاهرة فظل يقوم بالتوزيع

الى ما قبل الفجر بقليل ، وكانت الأماكن التي اختارها أخطر الأماكن ، ومنها  
رياضة مجلس الوزراء والسفارة البريطانية ووزارة الحرية وغيرها وعندما  
أوشك على الانتهاء من توزيع هذه المنشورات قبض عليه وسجن ، وعلى  
الرغم مما لاقاه من عنت وتعذيب فانه ظل صامتا ولم يفتح فمه .

وعندما قبض على محمود العيسوى بعد مقتل أحمد ماهر كان كعادته  
رابط الجأش صامتا ولم تنجح وسائل التعذيب القاسية التي قام بها البوليس  
السياسى ومنها اقتلاع أظافره ، ولم يستمع الى الوعد الذى منوه به بأن يعطوا  
أهله ١٠ آلاف جنيه اذا اعترف على شركائه ، ولكنه تحصن بالايمان والعقيدة  
وأسلم أمره الى الله الذى اليه مرد كل الأمور . ولما أعيت الحيل البوليس  
السياسى قدموه الى المحاكمة ، وكان فى محاكمته مثالا آخر فى الشجاعة  
وهدوء الأعصاب والايمان العميق .

وبعد أن قتل أحمد ماهر أسنلت الوزارة الى محمود فهمى النقراشى  
يوم ٢٤/٢/١٩٤٥ — وكان النقراشى باشا يحضر التحقيق كما كان يستدعى  
محمود العيسوى الى مكتبه أحيانا أخرى لعله يحصل منه على اعتراف  
يطمئن قواده .

ولهذا طلب المتهم من المحكمة فى احدى الجلسات استدعاء رئيس  
الحكومة لسماع أقواله كشاهد تفى . وذلك لثلاثة أسباب : « أولها أن دولته  
يعلم أن الحرب كانت ستعلن هجومية وترسل قوات مصرية الى الشرق  
الأقصى وأوروبا وأن هذا الوضع قد تغير بعد ارتكاب الحادث .

وثانيهما أن اعلان الحرب كان بناء على تدخل الانجليز وكان أحمد ماهر  
والنقراشى عند السفير البريطانى يوم الحادث مما يدل على أن هناك تدخلا  
من الانجليز فى شئون مصر الداخلية .

والسبب الثالث — أن النقراشى باشا قال لى شخصيا ان الحكم فى  
هذه القضية سيكون رادعا . وقال المتهم ولهذا أصمم على استدعاء رئيس  
الحكومة لسماع شهادته كما أطلب للشهادة كذلك مصطفى النحاس وحافظ  
رمضان » .

وعارضت المحكمة هذا الطلب وكانت مشكلة برياسة محمود منصور  
مما حدا بالأستاذ على بدوى عميد كلية الحقوق والأستاذ السابق للمتهم  
ومحاميه الى طلب التحدى عن الدفاع وقال للمحكمة :

« ائنى رجل لم أحترف السياسة ولم أخض غمارها ، ولكننى أنظر الى  
الأمانة التى فى عنقى وأخشى أن يطاردنى ضميرى اذا لم يعط للدفاع حرية  
مطلقة ومهما تكن النتائج فانى لن أسمح لنفسى بتسليم عنق المتهم الى حبل  
المشنقة قبل أن تستوفى جميع وسائل الدفاع » .

ثم احتج على ما جاء فى مرافعة الاتهام وكان يمثل عبد الرحمن الطوير ،  
عندما قال : « وقضية اليوم هى قضية الشهيد والبغيض — أما الشهيد فهو  
أحمد ماهر ، وأما البغيض فهو هذا الشقى المائل أمامكم » .

« وأستغفر الله أن أذكر اسميهما معا . غير أن التاريخ سيفرق بين  
الاسمين فبرفع اسم أحمد ماهر الى السماء وسيضع التاريخ هذا المعتدى  
القاتل يوم ولد ويوم يموت بين المجرمين الآثمين » .

فرد عليه الأستاذ على بدوى منفعلا ( لسنا هنا فى مقام تقدير الفضائل  
الشخصية لكل واحد من الناس ولا لبيان العيوب الشخصية ولسنا أمام  
قضية تعيس وشهيد أو شقى وسعيد ، انما نحن أمام قضية تتعلق بأمر  
خطير — قضية آمن بها المتهم واذا كان أحمد ماهر صاحب رسالة فان المتهم  
اعتقد وآمن بفكرة تسلطت عليه واعتقد المتهم وأعتقد أنا أيضا معه أن مبعثه  
وحى الانجليز ) .

وقد استجابت المحكمة لطلب الدفاع بشأن سماع الشهود .

وشهد النقراشى ببعض ما أثاره المتهم فاعترف بأنه استدعاه الى مكتبه  
أكثر من مرة وان أنكر ذهابه مع أحمد ماهر الى السفارة البريطانية كما سمعت  
المحكمة شهادة كل من على ماهر ومكرم عبيد اللذان قررا بأن أحمد ماهر  
قابل السفير فى بيته كما قرر المتهم — كما شهد حافظ رمضان بأنه استقال  
من الوزارة عندما علم بمسألة اعلان الحرب .

وأثناء شهادة الشهود شعر المتهم بأن المحكمة تهاجمه فثار وطلب الطعن بالتزوير فى محضر الجلسة كما طلب رد المحكمة لأنه لا يستطيع أن يطمئن الى الحكم الذى ستصدره دون ميل منها ، وانه لن يبدى أى دفاع أمامها . وازاء ذلك أثبت الرئيس طلب الرد وأمر المتهم بكتابة أسباب الرد ، فلما طلب أجلا لكتابه رفضت المحكمة هذا الطلب وكلفته بكتابة الأسباب فوراً وفى قفص الاتهام ، فطلب قلماً وورقة وكتب أسباب الرد وهو فى القفص وبعد المداولة رفضت المحكمة الطلب .

وهنا وقف المتهم وقال : وأنا أعفى أستاذى على بك من المرافعة ، ولكن الأستاذ على بدوى وقف بجانب تلميذه ولم يخذله وظل يدافع عنه طوال المحاكمة .

وبجلسة ٢٨/٧/١٩٤٥ قضت المحكمة باعدام محمود العيسوى شنقاً وفى الصباح الباكر من يوم ١٨/٩/١٩٤٥ اقتيد محمود العيسوى الى المشنقة فطلب أن يسمح له بالصلاة ، فتوضاً وصلى صلاة الصبح . وكما تقدم ابراهيم الوردانى الى المشنقة بشجاعة فقد توجه محمود العيسوى بقلب ثابت وبايمان عميق الى حيث كان يتدلى جبل المشنقة وقبل أن توضع الطاقة السوداء على رأسه قال كلمته المشهورة :

« أنا لا يهمنى الا حكم التاريخ . وأرجو الصحفيين ألا يشوهوا سمعتى كما شوهوا القضية ، وكلمتى لهم ألا تفتروا على ميت » . وذهبت روح الشهيد الوطنى محمود العيسوى الى بارئها .

## الشعب يوالى كفاحه :

مهمل قتل فى مقتل أحمد ماهر — فان قاتله رأى أن الزعماء يلعبون بالشعب ويلهون به وكل همهم بريق الحكم ومتعة السلطان وجميعهم دون استثناء أذئاب الاستعمار ومطايه ومنفذى أغراضه وكان يتردد بعد مقتل أحمد ماهر سؤال وجيه لماذا لم توجه هذه الضربة لصانعى يوم ٤ فبراير وهم الذين طعنوا الوطن فى الصميم وأذلوا مصر فى شخص الملك وكان الملك فى ذلك الوقت لم ينحدر الى ما انحدر اليه بعد ذلك من خيانة وفساد واستهتار.

والحقيقة أنه لم يفت على التشكيلات الثورية في مصر ضرورة الانتقام لهذا اليوم الأسود ولكن الظروف لم تكن تسمح وخاصة بعد القبض على بعض أعضاء التشكيل وفشل البعض الآخر من تنفيذ الخطط التي وضعوها . وعندما بدأت الحالة بعض الشيء وضعت الخطة لاغتيال النحاس باشا بطل يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . وفي مساء يوم ٦/١٢/١٩٤٥ وقف ثلاثة من الوطنيين بشارع رستم باشا ينتظرون قدوم النحاس أثناء توجهه الى النادي السعدي للاحتفال بعيد الهجرة وكان يستقل سيارة فؤاد سراج الدين ولما شوهدت السيارة هم أحد الثلاثة بالقاء قبلة يدوية على العرية ولكن السائق شاهد الوطنيين الثلاثة يتحركون ورايه الأمر فما كان منه الا أن انحرف بسيارته وأسرع بها وكانت القبلة قد ألقيت خلفها وسمع لها دوى هائل ولكن أحدا لم يصب بسوء لسرعة بديهة السائق وفطنته التي أنقذت النحاس من موت محقق .

وأما الوطنيون الثلاثة فقد تفرقوا كل في ناحية الى حيث يقيمون وظل مرتكبو هذه الحادثة مجهولين ولم يستدل البوليس عليهم حتى وقع حادث الاغتيال الثاني من سلسلة الاغتيالات التي وقعت في هذه الأيام .

## العمل الاول للانجليز

وكان وراء حادثة ٤ فبراير صديق للانجليز ظل وراء الكواليس ولم يظهر على المسرح لا قبل ولا بعد الحادثة بل انه لم يشترك في الوزارة التي ألّفها النحاس في ٦/٢/١٩٤٢ ولكن الشعب كان يعرفه ويعرف الدور الذي قام به ذلك العميل هو أمين عثمان الصديق الحميم للانجليز وسفير الوفد لديهم وكيف لا يكون كذلك وهو الذي شرب التعاليم الانجليزية في مدارسهم وجامعاتهم واختلط بهم واتخذ من قادتهم وزعمائهم أصدقاء له وهو صاحب الجملة المشهورة بأن مصر وانجلترا متزوجان زواجا كاثوليكيًا ، ثم تزوج منهم وأنشأ ناديا أسماه «رابطة النهضة» في شارع عدلى باشا يرمى الى دعم الصداقة بين المصريين والانجليز وتوطيد الصلات بين انجلترا ومصر وضم هذا النادي كثيرا من المصريين من ذوى الزلفى وأصحاب المصالح والمتملقين كما

كان يذهب اليه السفير البريطاني ورجال السفارة وبعض الضباط الانجليز ولقد كان في انشاء هذه الرابطة وخاصة في ذلك الوقت تحد لشعور المصريين واستهتار لعقائدهم ومحاولة لقتل الروح الوطنية وافساد ذمم وتقوس السياسة والحكام من طالبى الحكم فلم يكن من بد أن يتجه اليه أنظار الوطنيين من الشباب وهكذا عزموا على ازاحته من طريقهم على أن يكون ذلك فى النادي الذى أنشأه وفى مساء يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٦ كمن ثلاثة من الوطنيين أمام النادي وفى تمام الساعة السادسة والنصف مساء أقبل أمين عثمان فى عربة أجرة الى مقر النادي الذى كان يحج اليه كل يوم تقريبا وعندما بدأ يصعد درجات العمارة التى بها مقر الرابطة ركض أحدهم خلفه وناداه باسمه .

فلما توقف والتفت اليه أطلق عليه رصاص مسدسه اذ كان يحمل مسدسين ويخفى معه قبيلتين فأرداه قتيلا .

ثم هرب الثلاثة كل الى داره .

يصف أحدهم (١) شعوره فى هذا الوقت فيقول « لم يكن معظمنا ليكثرث بما سيصيب أنفسنا فى عملية التدمير أو الخلاص التى تقوم بها ولكننا كنا نجد فى نوع من التفكير الصياني وكأن المشنقة أو السجن أهون من مقابلة أو مواجهة آبائنا الذين لم يكونوا يعرفون عنا شيئا — ولم نكن أشجع من غيرنا ولم نكن نقبل فكرة الموت بأسهل علينا من غيرنا ولم يكن الخروج الى العمليات يخلو من الخوف الطاغى. الذى يتحتم علينا أن نروضه وتتحكم فيه ولكن ربما كان معظمنا أكثر احساسا بالام الغير واستجابة لها واستيعابا لبؤس شعبنا كله » .

ولم يقتصر تكوين الجمعيات السرية على القاهرة وانما كانت هناك جمعيات أخرى تكونت فى الاسكندرية ففى أثناء نظر قضية مقتل أمين عثمان انتفضت الاسكندرية وتكونت بها جماعة من الطلبة تعاهدوا فيما بينهم على مقاومة الانجليز وبمواردهم الضئيلة اشتروا بعض القنابل الايطالية وبعض

---

(١) من كتاب الكفاح السرى لوسيم خالد .

المسدسات من مخلفات الجيش التى كانت ترد مع التجار من الصحراء الغربية وعندما توفر لديهم السلاح هاجموا مواقع الانجليز وتجمعاتهم وارتكبوا أربع حوادث هامة كبدت الانجليز خسائر جسيمة فى الأرواح حتى بلغ عدد القتلى والمصابين منهم ١٣٨ شخصا وهذه الحوادث الهامة حسب ترتيب وقوعها هى حادثة الأتقوشى ، وحادثة الشلالات وحادثة اسحاق نديم وأخيرا حادثة النادى البريطانى وظلت جميع هذه الحوادث لا يعرف مرتكبوها وكان لها دوى كبير فى مدينة الاسكندرية وسائر البلاد حتى أصبحت حديث الناس فى كل مكان إلى أن وقع أسوأ حادث خيانة فى تاريخ التشكيلات الوطنية ، ذلك أن أخ أحد الوطنيين من أعضاء الجمعية وابن عم آخر تطوع بافشاء سرهم طمعا فى الحصول على مكافأة مالية كان البوليس قد وعد بها لمن يدلى بمعلومات تؤدى الى القبض على الجناة . وتفاصيل المأساة أن شقيق فاروق كامل وكان يدعى محسن كامل وهو فى الوقت نفسه ابن عم عبد الرحمن موسى وصديق باقى أعضاء الجمعية اتصل برجال البوليس وأخبرهم أنه يعلم سر الحوادث ومرتكيها فرسوا له طريقة القبض عليهم وتلخص فى أن يرسلوا لهم أحد التجار ليتفاوض معهم لشراء بعض الأسلحة حتى يتمكنوا من معرفة المكان الذى يخبثونه فيه ، واستحضر البوليس من كان يدعى اسماعيل أحمد حسين باعتباره المشتري المزعوم وتوجه محسن كامل ورجال البوليس الى منزل عبد القادر محسود عامر الذى أحضر له ثلاثة مسدسات من حجرة نومه ، وعندئذ هاجم البوليس المنزل وضبط به بعض الأسلحة والقنابل ثم قبض على باقى المتهمين ، واستعمل البوليس معهم القسوة والتعذيب وقد بين هذه الأساليب أحد المحامين فى مرافعته فقال فيها ( اننى أدافع ببطلان الاعترافات التى أدلى بها المتهمون لأنها أخذت بطريق الاكراه وأنها جاءت نتيجة التعذيب بعد ارهاق أعصاب المتهمين وأنها كانت تؤخذ منهم فى منتصف الليل وكانوا يشربون الماء ممزوجا ببول الخيون ويحرمون من الطعام أياما ) .

وفى أثناء نظر القضية نجح ثلاثة من المتهمين فى خلع نافذة غرفة السجن بالحدراء وهربوا وهم : عبد القادر عامر ، وعبد الرحمن قرشى ، ومصطفى

الدفراوى ، وجميعهم من الطلبة وقد صدر عليهم الحكم غيايبا بحبس الأولين عشر سنوات والأخير خمس سنوات فى ١٠/٦/١٩٤٧ ، وهكذا كانت المادة ووسائل الاغراء التى اتبعها البوليس وضعف أخلاق الخائن محسن كامل سببا فى القضاء على الحركة التى قامت بالاسكندرية . وجعلت الأخ يناصب أخاه العدااء — بل دفعته الى أن يسلمه ومن معه الى السجن لقمة سائغة دون وازع أو ضمير وكان المحامون وهيئة المحكمة على السواء يستتكرون موقف محسن كامل ، وقال أحدهم فى مرافعته : « تصوروا معى كيف قضى محسن كامل مع أخيه ليلة الجمعة يباحثه ويلطفه وهو ينوى فى الصباح أن يسلم عنقه للجلاد » فما كان من رئيس المحكمة الا أن أجابه ساخرا وكله أسى ، هناك مثل آخر وهى مأساة قايل وهابيل .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ صدر القانون رقم ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ بالعفو الشامل عن الجرائم التى ارتكبت بسبب أو بغرض سياسى وبذلك كشف الوطنيون الهاربون عن أنفسهم وخرجوا من أماكنهم التى كانوا يختفون بها وجدير بالذكر أنهم كانوا قد توجهوا الى القنال بعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واشتركوا فى عمليات المقاومة .





**الكتاب الخامس  
الكفاح الشعبي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية**

- ١ - الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية**
- ٢ - كفاح الشعب المصري من أجل فلسطين العربية**
- ٣ - مأساة شعب وخيانة ملك .**



## ١ - الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية

### عودة الكفاح الشعبى :

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أعلنت الحكومة المصرية سنة ١٩٤٥ انتهاء الرقابة على الصحف والمطبوعات ، والغاء الأحكام العرفية . وظهرت بين أبناء الشعب المصرى رغبة تحقيق الآمال الوطنية ، وألف رئيس وزراء مصر هيئة أطلق عليها اسم ( الهيئة السياسية ) تتألف من بعض زعماء الأحزاب والمستقلين ، لتكون هيئة استشارية للحكومة . وأصدرت هذه الهيئة بيانا عبرت فيه عن مطالب الشعب فى جلاء القوات البريطانية ووحدة مصر والسودان ، وطالبت باتخاذ الوسائل لمفاوضة انجلترا على أساس هذه المبادئ والمطالب . وأقر مجلس وزراء مصر هذا البيان وطلبت الوزارة من الحكومة البريطانية التفاوض لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ .

رغم تستجب الحكومة البريطانية لطلب حكومة مصر، وأصرت على تنفيذ شروط معاهدة سنة ١٩٣٦ ، مما أثار مشاعر الشعب المصرى ، فعمت المظاهرات القاهرة وبعض المدن ، ولكن الحكومة المصرية للأسف فضت هذه المظاهرات بالعنف ، وسقط عدد من الشهداء ، مما جر السخط على وزارة النقراشى فاضطر الى الاستقالة ، وخلفه اسماعيل صدقى .

وتوالى قيام المظاهرات فى الأيام الأولى من حكم وزارة اسماعيل صدقى ، وتصدى الجنود البريطانيون لهذه المظاهرات الوطنية ، وسقط عدد من المصريين قتلى ، وكان من المنتظر أن تؤدى هذه الحوادث الدامية الى توحيد الصفوف ، كما حدث سنة ١٩٣٥ ، وسعى الشباب سنة ١٩٤٦ كما سعى أسلافهم سنة ١٩٣٥ فى التقريب بين الأحزاب ونوحيد جبهة المقاومة الوطنية لكنهم أخفقوا بسبب أنانية الأحزاب .

كفر شباب مصر بهؤلاء الزعماء الحزبيين ورأوا أن يعتمدوا على أنفسهم فى تحقيق المطالب الوطنية ، واجلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية ، وأدركوا أن أقوال وأفعال هؤلاء الزعماء ما هى الا تسكينا لخواطر الشعب ، وتخديرا لثورته الجامعة ، بينما هم فى الحقيقة يمالئون القصر ويخشون

الانجليز ، ليحتفظوا بكراسى الحكم ، وهم فى كل ذلك يقسمون الأسلاب ومغانم الحكم بينهم بالعدل والقسطاس .

### **كفاح شباب الجامعة :**

كانت مظاهرات الطلبة قد قامت تأييدا للوزارة فى طلبها بشأن اعادة النظر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ عقب الحرب العالمية الثانية ، وجاء الرد بأن أسس المعاهدة لا يجوز تغييرها فى الوقت الحالى . ويرى الانجليز عوضا عن ذلك البحث فى وسائل دعم التعاون الوثيق بين الدولتين .

وقد أرسلت الحكومة البريطانية ردها السابق بذكره الى الحكومة المصرية فى ٢٦/١/١٩٤٦ وعندما علم طلبة الجامعة بذلك ورأوا عزم الانجليز فى عدم تحقيق مطالب البلاد غضبوا وثاروا وحددوا يوم ٩ من فبراير سنة ١٩٤٦ ميعادا للاجتماع لبحث الموقف واتخاذ ما يرونه من قرارات ، وفى صباح هذا اليوم اجتمع أكثر من خمسة آلاف طالب وتداولوا الرأى وأصدروا البيان التالى : « وهو موجه الى الملك » .

### **مولانا صاحب الجلالة :**

يود الألاف من طلبة الجامعة المؤتمرين فى الحرم الجامعى صباح يوم ٩/٢/١٩٤٦ لبحث الموقف الحاضر أن يرفعوا الى مقام جلالتك السامى ما استقر عليه رأيهم الثابت وما انتهى اليه عزمهم الأكيد . فقد أعلن طلبة الجامعة عند ابتداء هذا العام أنهم لن يرضوا بالدماء والأرواح فى سبيل تحقيق الجلاء التام ووحدة وادى النيل وقد ترك الجامعيون الفرصة الكافية للحكومة لمطالبة بريطانيا بهذه الحقوق المغتصبة وأنهى الطلبة البيان بمطلبهم . بأنهم يرون أنه يجب على الحكومة المصرية أن تبلغ الحكومة البريطانية تبليغا رسميا أن الجانب المصرى لن يقدم على المفاوضة الا على أساس الجلاء ووحدة وادى النيل ) .

ثم خرج الطلبة من حرم الجامعة قاصدين ميدان عابدين لا بلاغ رغباتهم وقراراتهم وعندما أرادوا عبور كوبرى عباس وجدوه مفتوحا فنزل بعض الطلبة تحت الكوبرى ونجحوا فى قفله وأثناء عبورهم فاجأهم البوليس

واعتدى عليهم اعتداء وحشيا وحاصر الكثير منهم ممن لم يتمكنوا من الوصول الى حي الروضة حتى أن الطلبة كانوا يلقون بأنفسهم في النيل هربا من هذا الاعتداء المفاجيء ويروى شاهد عيان بأن النوتية كانوا يتلقون من يسقط من الطلبة في النيل ويلتقطونهم في قواربهم أما الذين نجحوا في عبور الكوبري فقد ظل البوليس يتعقبهم واعتدى عليهم اعتداء وحشيا. مما حدا بالطلبة الى اللجوء للمنازل القريبة يحتمون بها من هذا العسف وكان أصحاب الدور يفتحون لهم منازلهم ويأوونهم ويضمّدون جراحهم وقد أصيب أثناء ذلك ٨٤ طالبا باصابات بالغة ونقلوا الى القصر العيني للعلاج .

وفي اليوم التالي تجددت المظاهرات وخرج الطلبة ييغون الوصول الى رئاسة مجلس الوزراء وقصر عابدين لينهوا الى المسئولين برغباتهم وما اتخذوه من قرارات ولم يفل من عزمهم مالا قوه بالأمس ولكن قوات البوليس حاصرتهم أمام حديقة الحيوان من كل ناحية واعتدوا عليهم بقسوة وتعقبوهم في كل مكان حتى أن بعض الطلبة استقلوا المراكب الشراعية فما كان من رجال البوليس الا أن تعقبوهم وقبضوا على بعضهم وكانت مطاردة من نوع فريد ولم تكن مظاهرات القاهرة وحدها التي قامت يومى ٩ و ١٠ بل حدثت مظاهرات أخرى في الاسكندرية والمنصورة والزقازيق وأسيوط وأسوان ، واستشهد بها سبعة من الشهداء عدا الكثير من الجرحى .

وظلت البلاد من أفصاها الى أقصاها تتأجج بفورات السخط والغضب ولم يهدأ الطلبة في الأيام التي تلت يومى ١٠ و ٩ من فبراير بل ظلوا يوالون الاجتماعات ويصدروا القرارات وتمكنوا من الوصول أكثر من مرة الى قصر عابدين وقدموا للسلك مذكرتهم الثانية وقالوا فيها ( اليوم يخرج الطلبة متحدين مالا قوه بالأمس من القوة العاشمة والعسف والارهاب فى سبيل الوصول اليك يرفعون ما اجتسعت اليه كلمتهم ودفعهم اليه اخلاصهم من عزمهم على الجهاد والكفاح حتى ينال النيل حريته واستقلاله وحتى يجلبوا الجنود الأجنبية عن وادى النيل ) وأعادوا فى هذه المذكرة ما سبق أن أبدوه من ضرورة الحصول على تصريح بريطانى يعترف بالجلاء ووحدة

وادی النيل كأساس للمفاوضة والتمسك بدولية القضية المصرية .  
ومطالبة الحكومة بعدم الخروج على هذا الأساس وأخيرا التحقيق  
مع المسئولين عن حوادث يومى ٩ و ١٠ فبراير .

ولم يجد النقراشى ازاء الخطأ الجسيم الذى اقترفته وزارته فى حق  
طائفة من الشعب تعتبر بحق أخلص طائفة فيه — الا أن يستقيل فاستقالت  
الوزارة فى يوم ١٥/٢/١٩٤٦ كما نقلت انجلترا سفيرها اللورد كيلرن من  
مصر بطل مسرحية ٤ فبراير وبذلك هدأت النفوس بعض الشيء .

### مزید من الضحايا .

كانت فكرة الجلاء ووحدة وادی النيل التى نادى بها الحزب الوطنى  
منذ بدء نشأته هى التى سادت بين طلبة الجامعة وقتئذ ، وذاع هذا المبدأ  
واتشر بينهم حتى آمنوا به ودعوا له وكفروا بفكرة المفاوضة بعد أن لمسوا  
فشلها ، وقد اتخذ الطلبة هذا المبدأ شعارا لهم ورمزوا له بشارة برنزية نقشوا  
عليها كلمة الجلاء وعلقوها على صدورهم — واتشرت هذه الشارة بين  
المواطنين جميعا وأصبح مبدأ الجلاء على كل لسان . واتفقوا على أن  
يخصصوا يوما كل عام يسمونه يوم الجلاء يحتفلون فيه بهذه الذكرى .

وانعقد رأيهم على أن يكون يوم ٢١ فبراير هو هذا اليوم ، وفى يوم  
الخميس الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ خرج طلبة الجامعة والعمال للاحتفال  
بهذا اليوم وأضربت جميع الطوائف الأخرى كما اشترك الموظفون فى  
المظاهرة وطاقفوا بشوارع القاهرة ينادون بالجلاء وبالوحدة وبأن ( لاجزية  
بعد اليوم ) وكان اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء قد رأى ألا يتعرض  
لهذه المظاهرات الوطنية فأمر رجال البوليس بعدم مناوأتها طالما كان النظام  
رائدها والسماح لها بالسير كيفما شاءت .

وكانت المظاهرات التى مرت فى شوارع القاهرة فى ذلك اليوم غاية  
فى النظام واتسمت بطابع وطنى قومى لا أثر للجزية فيه وأثبت اسماعيل  
صدقى بعد نظره فى عدم مقاومتها أو التعرض لها كما فعل سلفه النقراشى  
ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ( وبدأ الطابع القومى على هذه الحركة

الشعبية اذ كان مما تنادى به ألوف المتظاهرين ( لاحزية بعد اليوم ) .  
وأعادت الى الأذهان ذكرى مظاهرات سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ ولم يكن  
يشوبها أى شىء من الهتافات والتدابير الحزبية ( بل كانت تعم الجميع  
روح وطنية عالية لا أثر فيها للحزبية المفقوتة . وكان الطلبة والوطنيون من  
طوائف الشعب قد وجهوا نداء الى المواطنين يستحثونهم على الجهاد  
وطالبونهم بالتمسك بالمبادئ الوطنية السليمة وأن لا يعتمدوا الا على  
أنفسهم وقالوا فى ندائهم ( ان مستقبل الوطن وكرامته وحرية فى الميزان  
وليس من قوة تحررنا الا قوتنا الشعبية وإيماننا بحقوقنا وكرامتنا . ) وكاد  
هذا اليوم الرائع يمر بسلام لولا أن الاستعمار عز عليه ذلك وساءه أن  
يرى نجاح يوم الجلاء دون أن تراق الدماء أو يمضى هذا اليوم من غير أن  
يعتدى رجال البوليس المصرى على اخوانهم من المواطنين كما تعود ذلك من  
قبل .

فما كانت المظاهرات السلمية تصل الى شارع سليمان باشا حتى  
واجهتها أربع سيارات بريطانية كبيرة محملة بالجنود ( لورى ) قادمة من  
قصر النيل وتسير بسرعة فائقة فأفسح الوطنيون لها الطريق ، ولكن احداها  
اخرقت صفوفهم متعمدة فقتلت وأصابت الكثيرين ..

وبدأ الانجليز الذين يستقلون هذه العربات يطلقون النار على  
المتظاهرين مما حدا بالمصريين بأن يدافعوا عن أنفسهم فأحرقوا السيارتين  
اللتين كاتا تقلالان الانجليز ، ومن فندق سميراميس أطلق بعض الضباط  
الانجليز عدة طلقات أصابت بعض الوطنيين ، فما كان من الطلبة الا أن  
أشعلوا النار فى الدور الأرضى من الفندق كما أحرقوا سيارة بريطانية ،  
كانت تقف خارجه وظل الرصاص يتجاوب فى أنحاء شوارع القاهرة وعند  
غروب الشمس كان رقم الشهداء قد ارتفع الى ٢٤ شهيدا وأكثر من ١٣٠  
جريحا عدا الضحايا الذين سقطوا فى باقى مدن القطر .

واتفق الوطنيون بعد ذلك على تحديد يوم ٤ مارس لاعلان الحداد  
العام على أرواح شهداء يوم ٢١ فبراير وفى هذا اليوم أضربت جميع المدن  
فأغلقت المتاجر والمدارس والمقاهى والمحال العامة واحتجبت الصحف وبدأت



القاهرة وقد ران عليها حزن رهيب بعد أن أفقرت الشوارع من الأهالى ولزموا منازلهم وهدأ ضجيج العربات والسيارات وغدت القاهرة وكأن سكانها قد نرحوا منها ومر يوم الحداد فى جميع المدن كما مر بالعاصمة فى حزن وصمت وهدوء فيما عدا الاسكندرية وقد تصدى الانجليز للمتظاهرين المسلمين وبدءوا يطلقون النار عليهم من الأماكن التى كانوا يقيمون بها أو يعسكرون فيها ، فعندما مر الوطنيون بشارع سعيد الأول أطلق الانجليز القاطنين بالعمارة رقم ١٤ منه النار عليهم وفى ميدان سعد زغلول خرج البوليس الحربى البريطانى الذى كان يعسكر هناك وأطلق النيران على جموع الشباب فقتل منهم ٢٨ شهيدا بينما وصل عدد الجرحى الى ٣٤٢ جريحا وقتل من الانجليز جنديان وجرح أربعة فقط .

هذه هى الحوادث المؤسفة التى وقعت فى تلك الأيام وذهب ضحيتها بعض الأهالى والطلبة الذين أرادوا أن يظهروا شعورهم الوطنى وقاموا يطالبون بالاستقلال والجلء فكان جزاؤهم الضرب والتشكيل والقتل وان كانت جهود الشباب لم تفلح فى سنة ١٩٤٦ فى توحيد الصفوف كما أفلح زملاؤهم سنة ١٩٣٥ بسبب تعنت الوفد الا أن كفاحهم المنزه عن الغرض ونضالهم الخالص لوجه الله والوطن وتضحياتهم المستمرة فى سبيل الجلء والوحدة جعلت الشعب يؤمن بنداياتهم ويتخذ منها نبراسا اضاء له الطريق .

على أن الانجليز ظلوا يلوحون بين الحين والحين بالمفاوضة تمهيدا للجلء حتى اذا ما اجتمع الساسة المصريون معهم تنكروا لكل حق لمصر وضنوا عليها بالحرية .

## مشروع معاهدة صدقى - بيفن :

تفاوض اسماعيل صدقى رئيس وزارة مصر مع «المستر بيفن» وزير خارجية بريطانيا ، وعقد الطرفان مشروع معاهدة فى أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، اشتهر باسم ( معاهدة صدقى - بيفن ) وجاء فيها :

١ - انتهاء العمل بمعاهدة سنة ١٩٣٦ .

٢ - جلاء القوات البريطانية التام عن الأراضي المصرية فى موعد أقصاه أول سبتمبر ١٩٤٩ .

٣ - اتفق الطرفان على أنه فى حالة الاعتداء المسلح على مصر أو اشتباك المملكة المتحدة ( انجلترا ) فى حرب نتيجة وقوع اعتداء مسلح على البلاد المتاخمة لمصر فانهما يتخذان بالتعاون الوثيق وبعد المشاورة أى اجراء يتبين ضرورته .

٤ - تحقيقا للتعاون بين الطرفين ، تنسق تدابير الدفاع المشترك ، فتتكون لجنة دفاع مشتركة من السلطات الحربية المختصة لدى الحكومتين لدراسة المسائل الخاصة بالدفاع المشترك عن الطرفين المتعاقدين فى البحر والبر والجو .

٥ - الاحتفاظ بمعاهدة سنة ١٨٩٩ المتعلقة بالسودان انتظارا لأن يستطيع الطرفان المتعاقدان بالاتفاق بينهما وبعد استشارة السودانين تحقيق رفاهية السودانين وتقديم مصالحهم وتهيئتهم تهيئة مجدة للحكم الذاتى ومزاولة ما يترتب عليه من حق اختيار نظام الحكم فى السودان مستقبلا .

عرض اسماعيل صدقى مشروع المعاهدة مع هيئة الوفد الرسمى للمفاوضات ، فقبول بالرفض من معظمهم ، وقاموا باصدار بيان الى الشعب فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٦ شرحوا فيه أسباب رفضهم لهذا المشروع وجاء فيه :

١ - يمكن جلاء القوات البريطانية فى فترة قصيرة ، والفترة التى حددها المشروع وهى ثلاث سنوات مبالغ فيها .

٢ - ان قبول مصر مبدأ الدفاع المشترك ينتج عنه اتخاذ مصر قاعدة لأعمال حربية ، وتزايد عدد القوات البريطانية فى مصر وعودة الاحتلال ، وجر مصر الى خلافات مع دول أخرى .

٣ - يحتفظ المشروع بالأحوال الراهنة فى السودان ، بل ان هذا المشروع يمهّد لفصل السودان عن مصر .

استقال اسماعيل صدقي بعد اخفاق مشروع المعاهدة ، وخلفه محمود فهمى النقراشى ، واستأنف المفاوضات مع السفير البريطانى فى مصر ، ولم تجد هذه المفاوضات شيئاً ، وقررت الحكومة المصرية عرض القضية على مجلس الأمن ، والمطالبة بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان وانهاء النظام الادارى القائم بالسودان ، لأن هذا كله يتعارض مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة . ولكن المؤامرات الاستعمارية جعلت مجلس الأمن يمتنع عن الاستجابة لمطالب مصر العادلة ، وترك القضية المصرية معلقة دون حل حاسم .

وبدأت انجلترا تتخذ خطوات سريعة نحو فصل السودان عن مصر ، وخذعت السودانين بايجاد حكم ذاتى مزيف قوامه انشاء جامعة تشريعية ومجلس تنفيذى بالسودان .

## ٢ - كفاح الشعب المصرى من أجل فلسطين العربية :

### اغتصاب فلسطين العربية :

كان يطلق على الجزء المستد من حدود تركيا شمالا الى حدود مصر جنوبا بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط بلاد الشام حتى سنة ١٩١٦ الى أن جاء الاستعمار الغربى فقسمها الى ثلاثة أقسام ، هى : سوريا ، ولبنان ، اللتان كانتا من نصيب فرنسا ، وفلسطين — وقد اعتبرت منطقة (١) دولية وسعى اليهود بما لهم من تفوذ لدى المحافل الدولية — لكى يجعلوا منها وطنًا قوميا لهم . وتذرع اليهود فى سبيل الوصول الى هدفهم بكافة الوسائل والطرق — وجندوا رجالاتهم ورصدوا أموالهم ليحققوا هذه الأمنية وعلى رأسهم المليونير اليهودى روتشيلد صديق الوزراء الانجليز — وقد تمكن من الحصول على وعد منهم بتأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين — وجاء الوعد فى صورة خطاب من مستر بلفور وزير خارجية انجلترا الى روتشيلد فى ٢/١١/١٩١٧ يزف اليه هذه البشرى ويقول فيه ( يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته — بأن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن للشعب اليهودى فى فلسطين — وستعمل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر الحقوق المدنية أو الدينية التى تستع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتستع به اليهود فى البلدان الأخرى ) .

ولم يخرج وعد بلفور المشثوم الى الوجود بناء على سعى اليهود ونفوذهم فحسب وانما جاء بعد موافقة الانجليز ورضائهم عنه وعملوا على تنفيذ وتمكين اليهود من فلسطين. وقد تجلى ذلك فى جميع خطواتهم

(١) اتفاقية سايكس بيكو .

ويقول حاييم وايزمان أول رئيس لإسرائيل عن مساعدة الانجليز وشعورهم نحو الصهيونية ( بينما كنت أنتظر خارج مكتب الوزارة البريطانية أثناء انعقادها لكي تصدق على النص النهائي لوعده بلفور وإذا بستر سايكس يسعى الى هاتفا : (انه غلام (١) يادكتور وايزمان) يقصد وعد بلفور — وبذلك ( أعطى من لايسلك فلسطين لمن لا يستحق ) وبعد هذا الوعد بما لايزيد على ثمانية أشهر وبالتحديد في ٤ يوليو سنة ١٩٤٨ أصدر الرئيس الأمريكي ويلسون تصريحه المعروف ويشمل أربعة مبادئ ، وقرر أن الحلفاء بحاربون لتحقيقها ومن بين هذه المبادئ مبدأ حق تقرير المصير الذي يتضمن ( بأن حل المسائل الاقتصادية والسياسية يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً لا على المصالح المادية أو لفائدة أى دولة أو أمة أخرى ترغب فى حل آخر لنفوذها الخارجى أو لسيادتها ) واعتقد العرب أن باباً من الأمل قد فتح عقب صدور هذا التصريح وأنه لن يتاح لليهود لكي يغتصبوا فلسطين طالما أن الحلفاء وضعوا نصب أعينهم تحقيق رغبة الشعوب فى تقرير مصيرها ومن أن حل كل مسألة يجب أن يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولاً حراً ورأى العرب أنه يستحيل استناداً لذلك المبدأ فرض أقلية يهودية تمثل عشرة فى المائة من سكان فلسطين وإقامة وطن لهم دون إرادة التسعين فى المائة الباقية وهم من المسلمين والمسيحيين أيجوز أن تتصور تشريد ما لا يقل عن مليون ونصف مليون عربى من بلادهم وديارهم لكي يتربع عليها ما لا يزيد على مائة وخسين ألف يهودى . ومع ذلك فقد ضرب العرب بتصريح ولسون عرض الحائط وما حوى من أهداف ادعوا أنهم حاربوا من أجل تحقيقها — فعقب انتصار الحلفاء فى الحرب العظمى الأولى على ألمانيا أصدروا قراراً فى ٢٠/٤/١٩٢٠ بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى بعد أن ظلت أربعة أعوام منطقة دولية . وعينت بريطانيا هيربرت صمويل اليهودى مندوباً سامياً لها فى فلسطين . ليحقق أمل الصهيونية العالمية ليضع وعد بلفور موضع

---

(١) من كتاب التجربة والخطأ لحاييم وايزمان .

التنفيد . وفام يعلن هذا الأخير سياسته فى البلاد فى صراحة ودون خجل  
وقال : ( ان سياسة حكومة جلالة الملك التى جاء لتطبيقها هى تشجيع  
اليهود الى أن تصبح السيطرة لهم على البلاد - ويمكن انشاء حكومه  
يهودية ) وعلى أثر ذلك تدفقت افواج اليهود من كافة أنحاء العالم على  
فلسطين حتى وصل عددهم فى سنة ١٩٤٥ الى نصف مليون مهاجر .  
وفى أوائل سنة ١٩٤٧ أصدرت هيئة الأمم المتحدة قرارا بتقسيم  
فلسطين واقامة دولتين فيها أحدهما عربية والأخرى يهودية ورفض  
الجانبا ن اليهودى والعربى هذا القرار وعندئذ وطبقا للخطة التى وضعها  
العرب قررت انجلترا أنها لن تنفذ قرار التقسيم بالقوة وانها ستسحب قواتها  
من فلسطين فى يوم ١٤/٥/١٩٤٨ وقد أصدرت هذا القرار بعد أن اطمأنت  
على قوة اليهود وبعد أن أصبح عددهم يزيد على المليون شخص لهم  
مقاتلون مارسوا الحرب فى ألمانيا وفرنسا وبولندا وغيرها .

ومكذا شاء الاستعمار الغربى أن يعطى فلسطين لقمة سائغة لليهود  
مهدرا كل القيم الانسانية والسماوية معا .

## النضال الشعبى فى فلسطين

عقب صدور قرار التقسيم فى سنة ١٩٤٧ تكونت فى جبل الجليل  
بفلسطين نواة من الفدائين بقيادة الشهيد البطل عبد القادر الحسينى  
سميت بقوات الجهاد المقدس وكان لها شعب فى القدس وحيفا والناصرة  
وحنين وغيرها من البلاد ، وعلى أثر تكوينها التحت فى معارك كثيرة مع  
اليهود وكانت الغلبة فى كثير منها للفدائيين العرب وحتى المعارك القليلة  
التي رجحت فيها كفة اليهود كانت بسبب تدخل الانجليز ومساعدتهم  
ليهود وكانوا يتدخلون كلما لاح لهم بؤادر الهزيمة كما حدث فى واقعة  
بيت صفافا وهى قرية هامة تقع جنوب القدس مباشرة وتكاد تعتبر من ضمن  
أحيائها وهى قائمة على تل مطل على سكة حديد تربط بين القدس ويافا  
وتل أبيب ، ومن يهيمن عليها يؤمن الطريق بين هذه المدن الثلاث فضلا عن  
أنها موقع استراتيجى غاية فى الأهمية فقد حدث أنه عندما اشتبك اليهود  
والفدائيون العرب فى هذه القرية أن تدخلت القوات الانجليزية وأوقفت

القتال وتعهدت للعرب على لسان قائدهم الكولونيل هاربر بأنها لن تسمح لليهود بدخولها أو تسليمها لهم واطمأن العرب للوعد البريطاني ولكن ما حدث كان يناقض هذا الوعد فقد غدر الانجليز كعادتهم وخانوا العهد الذي قطعوه للعرب وأخذوا المدينة بعد سبعة أيام فقط من الوعد وسلموا القرية لليهود الذين استولوا عليها بعد أن نسفوا الكثير من المنازل بمن فيها من الأهالي العزل وقد تسكن اليهود بعد استيلائهم على هذه القرية من السيطرة على القطاع الجنوبي بأكمله ، هذا مثل من الأمثلة العديدة على خيانة الانجليز وممالأتهم لليهود .

ومن العراق دخل فلسطين بعض الفدائيين بقيادة فوزى القاوقجي وعسكر في بلدة جبع بناحية حنين وشاركوا في كثير من المعارك الناجحة منها معركة بيت شوريك التي قتل فيها أكثر من أربعين يهوديا ومعركة كفار عصيون التي غنم فيها العرب كثيرا من الأسلحة والمؤن .

وكانت النفوس ثائرة في مصر تطالب بالتطوع لمحاربة اليهود في فلسطين فأسرع القائممقام الشهيد البطل أحمد عبد العزيز بتكوين كتيبة من الفدائيين سافر بها لبشارك اخوانه العرب في الكفاح ودخلت كتيبة أحمد عبد العزيز فلسطين وبها بعض التشكيل العسكري ، ولقد أبلت هذه الكتيبة بلاء منقطع النظير وشاركت في الكثير من المعارك المجيدة وتعر اليهود بوطأة الفدائيين المصريين فبدأوا يستجدون بالانجليز ، وقد ساهمت كتيبة أحمد عبد العزيز بالجانب الأكبر في معركة صور باهر وهي قرية جنوب القدس عندما هاجم اليهود ساحة الحرم وأطلقوا النار على المصلين ونسفوا المنازل القائمة بأطراف القرية كما هاجمت الكتيبة المصرية اليهود المعسكرين في تبة اليمن وأخرجوهم منها بعد أن كبدهم خسائر كبيرة .

كما أبلى الفدائيون المصريون في بيت لحم ورأس جالا والصليب وعند الطنطور بلاء رائعا .

وقد استشهد البطل أحمد عبد العزيز بعد جهاد طويل مرير في موقعة عراق المنشية في يوم ٢٢/٨/١٩٤٨ ونولى القيادة بعده محمد علي فكرى وعبد الجواد طباله وسبف اليزل وكان المصريون في كفاحهم مثالا للفداء والتضحية .

كما أسهم الفدائيون السوريون بنصيب كبير فى مقاومة العصابات الصهيونية ودحروهم فى مواقع عديدة بالحى القديم وفى القسطل والقطمون .

وكانت هناك فى فلسطين جماعات أخرى من شباب الأردن ولبنان والسعودية تحاول انقاذ فلسطين بجوار الوطنيين من شباب مصر وسوريا والعراق وفلسطين ، ولكنها فشلت لأسباب خارجة عن ارادتها كما فشلت جيوش الدول العربية مجتمعة عندما دخلت فلسطين بعد ذلك أمااليهودفانهم عندما رأوا تكتل شباب الدول العربية — سارعوا الى تنظيم صفوفهم وجلبوا أحدث الأسلحة من انجلترا وفرنسا وسلموا قيادتهم الى قواد مهرة ذو خبرة ودراية مارسوا فن الحرب عمليا فى الحرب العظمى وكون اليهود جمعياتهم الارهابية والحربية على أحدث الطرق وأدقها وفى سرية تامة ولطالما سمعنا عن جمعيات شتيرن والهاجاناه والبالماخ والارغون تستأى لثومى ورأينا كيف انضوى تحت لوائها شباب اليهود من جميع أرجاء العالم ووطدوا العزم على الرغم من قتلهم على احرار النصر ، كل ذلك بمعاونة الانجليز لهم فاحتلوا القسطل ذات الموقع الهام فى طريق القدس بعد معارك دامية قتل فيها كثير من الطرفين ، كما استشهد فى هذه المعركة البطل عبد القادر الحسينى الذى كان فى الشام يستحث رجالات العرب كى يمدوا يد المساعدة لفلسطين وللفدائيين الذين يدافعون عنها وكان مجتمعها بها ببلدة القادسية فى ذلك الوقت الحاج أمين الحسينى وعبد الرحمن عزام ورياض الصلح واللواء اسماعيل صفوت وغيرهم . ولما جاءتة الأنباء بمحاصرة اليهود لبلدة القسطل ورأى عدم جدوى ضباع الوقت مع قادة العرب الذين كانوا يبحثون طريقة انقاذ فلسطين على الورق عاد على الفور ليقود كتيبته . وقد تمكن ومن معه من طرد اليهود من القسطل وعند مشارف البلدة استشهد برصاص اليهود وكان لموته وقع أليم فى نفس المحاربين. والشهيد عبد القادر الحسينى ولد فى استانبول وتخرج فى الكلية الأمريكية بالقاهرة وشاهد اضطهاد الانجليز واليهود للعرب عندما كان أبوه رئيسا لبلدية القدس ورأى بعينى رأسه ماكانوا يقتربونه من جرائم فى حق مواطنيه فكروهم كرها شديدا وعزم على أن يسهم فى المعارك التى كانت تدور وقتئذ وخاض ، بجوار والده الكثير



منها حتى لمع اسمه يسعى الانجليز جاهادين للقبض عليه ولكنه تسكن من السفر الى العراق والتحق بالكلية الحربية ببغداد وتخرج منها برتبة ضابط واشترك في ثورة على الكيلاني ضد الانجليز سنة ١٩٤١ وعندما فشلت الثورة اعتقله الانجليز وظل مسجوناً في سجون بغداد والعسيرة ما يقرب من أربع سنوات، سافر بعدها الى وطنه فلسطين ليواجه شراذم اليهود ومؤامرات الانجليز حتى استشهد في معركة القسطل بعد أن انفق كل ثروته التي تركها له والده وكانت كبيرة على حركة النضال . وكان رحمه الله يفيض غيرة وحماسة ويتعجب من موقف رجالات العرب من فلسطين — حدث عندما

طالبهم بـالمجاهدين بالسلاح عقب سقوط القسطل أن وجد منهم تواكلاً يشير الدهشة — ويقول عارف العارف في كتاب النكبة . وبدلاً من أن تعطيه اللجنة ما يريد من سلاح قال له اسماعيل صفوت باشا رئيس اللجنة العسكرية : ( ها قد سقطت القسطل وعليك أن تسترجعها يا عبد القادر ، وإذا كنت عاجزاً عن استرجاعها فقل لنا لنعهد بهذه المهمة الى القاوقجي ) فغضب عبد القادر وأجابه ( القسطل يا باشا مأخوذة من كلمة Castle ومعناها الحصن وليس من السهل فتح الحصن بالبنادق الايطالية والذخائر القليلة ، التي بين أيدينا ، واليهود أصبحوا يملكون المدافع والطائرات ) .

فقال له الباشا ( شونو عبد القادر ؟ ما أكو مدافع ، أي ليس معكم مدافع — وعندئذ استشاط عبد القادر غيظاً وألقى بالخارطة التي كانت معه في وجه الباشا وزملائه ، وقال لهم بصوت مسموع أقم خائنون ، سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين — سأحتل القسطل وأموت أنا وجميع اخواني المجاهدين ) . وعاد عبد القادر ليحتل القسطل كما قال ، واستشهد كما أراد وكما أرادت له القيادة العربية . وعندما سري خبر استشهاد عبد القادر بين زملائه تركوا مواقعهم بالقسطل ليشاركوا في تشييع جنازته — واستغل اليهود الموقف وكروا على من بقى فيه وأجلوهم عنه — ثم احتلوا بعد ذلك قرية ديرياسين واقترفوا فيها من الجرائم ما تقشعر له الأبدان . فبعد أن دخلوها واستتب مقامهم بها ذبحوا ثلث أهلها أي حوالي ٢٥٠ شخصاً من بينهم ٢٥ امرأة حبلى و ٥٢ طفلاً قطعت أيديهم وأرجلهم أمام

ذويهم الذين اجتزت رؤوسهم هم أيضا ومثل بها ، ويروى مناحم  
بيجين رئيس الأرجون عن معركة دير ياسين فيقول ( لقد سيطر الرعب على  
عرب اسرائيل نتيجة لمذبحة دير ياسين — وفي أنحاء القطر ابتداء العرب يفرون  
هلعاً قبل الاصطدام بالقوات اليهودية — ليس بسبب ما حدث لدير ياسين  
بل لما حيك حول دير ياسين من دعاية ساعدتنا على ان نشق طريقنا الى  
المعارك الفاصلة في الميدان ) ، وتوالى سقوط القرى والمدن العربية في يد  
اليهود الواحدة بعد الأخرى فسقطت طبريا التي فتحها صلاح الدين والقطمون  
وصفدويسان وكفار عصيون ويافا وغيرها — حدث كل ذلك والدول العربية  
تشاهد هذه المآسى — مكتوفة اليدين — تهز كتفيها وكأن شيئاً مما يجرى  
لا يعنيها .

## الدول العربية تتحرك

ولم يكن أمام الدول العربية الا أن تدخل فلسطين لتحارب بجانب  
المتطوعين العرب الذين كانوا يحاربون وحدهم شراذم اليهود وقوات  
بريطانيا ، فدخلتها في ١٥/٥/١٩٤٨ دون سلاح وبذخيرة فاسدة وبلا  
تدريب أو تنسيق أو مقاومة أو خطة حتى ان بعض رؤساء الوزارات لم  
يكونوا على علم بقرار الحرب — وكان النقراشي رئيس حكومة مصر أحد  
الرؤساء الذين عرفوا ذلك من الصحف التي خرجت تحمل أنباء الحرب ولم  
يكن على علم بها وقد صرح بذلك لبعض أعضاء وزارته حتى أنه فكر في  
الاستقالة — الا أنه رأى أن الاستقالة في هذا الوقت تعتبر طعنة للجيش وهو  
في الميدان وقال لزميل له انه لا يريد أن يقف موقف النحاس عندما هاجمه  
وهو يدافع عن قضية البلاد أمام مجلس الأمن عندما أرسل برقيته المعروفة  
للانجليز يقول لهم فيها ، « لا تصدقوا النقراشي .. انه لا يمثل الشعب » ثم  
يعلق النقراشي على ذلك بقوله : « ومع ذلك فهناك فارق كبير بين الموقفين »

## أخطاء وخيانات

ودخلت الجيوش العربية فلسطين فاستولى الجيش اللبناني على النافورة  
والزيت ونهاريا — كما استولى الجيش السوري على مدينتي سح وصفد

والجيش العراقي على حنين وطولكروم وقلقلية .  
أما الجيش المصري فقد تفرع الى فرعين : الأول سار بمحاذاة الساحل  
فاحتل غزة والمجدل وأسدود على بعد ٢٠ كيلومترا من تل أبيب . وأما  
الجزء الثانى من الجيش المصري فقد توغل داخل فلسطين نحو بير سبع  
والخليل وبيت لحم حتى وصل القدس .

وكان سلاح الطيران المصرى يضرب المدن اليهودية وتل أبيب ضربا  
محكما ويهدك حصونها ، وحارب جنودنا وضباطنا ببسالة فى ظروف غاية فى  
القوة وبدا أن ساعة الصفر قد اقتربت — وأن يوم تحرير فلسطين قد جاء —  
فضلا عن نقص السلاح وفساده ووقوف الدول الاستعمارية فى جانب  
اسرائيل ، وتلاقى الجيش المصرى مع الجيش الأردنى بعد ان استولى الأخير  
على القدس ورام الله واللد والرملة واقترب الجيشان من تل أبيب حتى لم  
يعد يبعدان عنها سوى ثمان كيلومترات ، وهنا ظهرت الخيانة سافرة فى  
موقف الجيش الأردنى ، ذلك أنه عندما أعلنت الحرب تولى الملك عبد الله  
ملك الأردن القيادة العليا للجيش العربى وترك زمام الأمر كله فى يد قائد  
الجيش الأردنى جون جلوب باشا الانجليزى الذى كان يتلقى أوامره من  
لندن رأسا وبذلك أصبحت الجيوش العربىة فى يد الانجليز واليهود ، ولذلك  
— تلكا جلوب فى احتلال القدس ليتمكن اليهود من احتلالها فهو يتلقى  
الأوامر من انجلترا لا من الدول العربىة . وانجلترا بطبيعة الحال لم تكن  
تسح للجيش العربىة بالانتصار على اليهود ، ثم انسحب جلوب من اللد  
والرملة حتى يتيح الفرصة لليهود لاحتلالها ، كما وضع جلوب هذا الجيش  
العراقى فى مركز دقيق عندما أمره بالتوجه الى منطقة محصنة تحصينا قويا .  
فتكبد بذلك خسائر كبيرة كل هذا كان متوقعا ما دامت القيادة فى أيدي  
الانجليز

## مأساة شعب وخيانة ملك

ساعد الانجليز اليهود بكل الطرق — حتى طرّبق الخيانة لجأوا اليه وسخروا له جلوب الانجليزى القائد العام للقوات العربية فى فلسطين لتحقيق أغراضهم .

ولم تكن خيانة جلوب فى فلسطين وحدها السبب فى النكبة وانما هناك خيانة أخرى كانت تدبر فى مصر ضد جيش مصر . وكان بطلها الملك السابق فاروق . فقد وضع بعد أن سافر الجيش المصرى الى فلسطين أنه لم يكن يملك السلاح ولا الذخيرة اللازمة لحرب طويلة . وهنا وجد الملك وحاشيته الفرصة سانحة للاتجار فى السلاح والذخيرة وبدأت الحاشية تجمع القنابل والذخيرة من الصحراء الغربية وتصنع الخوذات الحربية وتوردها لجنودنا وضباطنا فى الميدان وتدفقت الملايين الى جيوب صاحب الجلالة ومن معه فى الوقت الذى سقط الشهداء بالمئات . لأن هذه الأسلحة وتلك الذخيرة التى وردها الملك لجنوده كانت أسلحة فاسدة .

### الإسلة الفاسدة :

عندما وصل الأمر الى هذا الموقف — لم يكن هناك بد من وضع حد لهذه الحرب الفاشلة التى أحاطتها الخيانة من كل جانب — وخاصة وبعد ان اعترف أمربكا باسرائيل فى ٢٤/٥/١٩٤٨ وبعد ان اجتمع مجلس الأمن وأمر بوقف القتال وعقد الهدنة .

ففى يوم الجمعة الموافق ٢٩/٥/١٩٤٨ (١) عقدت الهدنة بعد ١٤ يوما فقط من دخول الجيوش العربية فلسطين لتحريرها وعاد جنودنا وضباطنا من فلسطين مشحنين بالجراح ، وكانت قد سبقتهم بمدة طويلة — اشاعة فساد الأسلحة — والقنابل التى تتفجر قبل القائها فتصيب الصديق قبل العدو والأسلحة التى لا تصلح للحرب ولاينطلق منها الرصاص وانماترتد لتردى مصوبها ، وكأنه هو الهدف المقصود وكثر اللغظ وتزايد الهمس حول الملك

---

(١) توقف الأعمال رسميا فى ٧ يناير سنة ١٩٤٩ .

وحاشيته من أنهم يتاجرون فى السلاح ويرسلونها فاسدة الى رجالنا فى خطوط القتال فيصابون بها لا برصاص العدو . ويستقنون صرعى الخيانة والغدر والجشع . وخرج الحديث من رجل الشارع الى الصحف والى البرلمان ، وبذلك أصبحت المسألة اتهاما صريحا موجها مباشرة الى الملك ، وطالب الرأى العام بالتحقيق عن المسئول أو المسئولين عن هذه الجريمة . فكيف تكشف حقيقة الأسلحة الفاسدة ؟ وكيف سار التحقيق فيها وما هو دور الملك فى هذه القضية وما المصير الذى آلت اليه ؟ هذا ما سوف تكشف عنه الصفحات التالية . وان كانت محكمة الثورة قد أوضحت بما لا مزيد عليه ولكننى أجد استكمالا لهذا البحث أن أتناوله بإيجاز لأوضح أثر الأسلحة الفاسدة على رجال التشكيل وما تتج عنها من آثار هامة غيرت تاريخ مصر وأطاحت بالنظام القائم بها بأكمله .

## استجواب ومقال :

بدأت فضيحة الأسلحة الفاسدة فى الظهور الى المحافل السياسية على أثر استجواب فى مجلس الشيوخ ومقال فى مجلة روز اليوسف .

أما الاستجواب فقد تقدم به الأستاذ مصطفى مرعى المحامى وكان عضوا فى مجلس الشيوخ الى رئيس المجلس فى ٢٩/٥/١٩٥٠ وهذا نصه :  
« أتشرف بأن أنهى اليكم أننى أريد أن أستجوب حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الحكومة فى تصرفات بدت من الحكومة كان لها أثرها فى استقالة الرئيس ( السابق لديوان المحاسبة ) » .

والاستجواب وان كان ظاهره البراءة الا أنه كان يعنى أمورا غاية فى الخطورة ، فالمعروف أن رئيس ديوان المحاسبة كان قد استقال استقالة غير مسببة لمخالفات مالية ارتكبها رجال الحاشية وكانت هذه الأمور قد بدأت تنتشر فى جميع أرجاء البلاد ، ولكن أحدا لم يكن يجرؤ على التحدث عنها خوفا من بطش الملك وغضب وزارة النحاس التى كانت تغترف من خزائن الدولة لتغدق على المحاسيب والأقارب . وأفادت حكومة النحاس على صوت مصطفى مرعى بدوى فى أرجاء المجلس أثناء مناقشة استجوابه . قائلا : « ان هذه أمور يشيب من هولها الوليد — نحن الآن فى حالة حرب قانونا —

فكيف نسكت على أن تقدم لرجال الجيش الذين يقاتلون ذخيرة عفنة —  
ويعلم ذلك المسئولون ها — حتى ل يبدو أن هناك مؤامرة مدبرة لتعطيل  
جهودنا الحربية » ثم لمح في كلامه عن الملك السابق عندما ذكر « ان واجب  
الولاء المجالس على العرش نفسه وواجب الولاء للبلد التى تطع فى أن ترى  
قوانينها تسود الكافة لا تسود فردا دون فرد أن تتبين الأمر ويلزمنا أن  
نصارحهم بأن التصنيف للجريسة لا ينفى كونها جريمة وأن الاعجاب بالمجرم  
يؤثم المعجب ولا يبرىء المجرم » .

واهتز مجلس الشيوخ اهتزازا عنيفا كما قال فؤاد سراج الدين على  
أثر القاء هذا الاستجواب ، كما ارتعدت فرائص الملك وحاشيته — خوفا من  
ظهور الحقيقة ، وتلفت عن مخرج ينتقم فيه من مقدم الاستجواب ومحبذيه ،  
ولما لم يجد أقدم على اتهامك الدستور — وما أكثر ما كان ينتهك —  
فاستصدر فى ١٧/٦/١٩٥٠ ثلاثة مراسيم بزوال عضويتهم وطردهم من  
المجلس وكان من بينهم الدكتور محمد حسين هيكى رئيس مجلس الشيوخ .

هذا ما كان من أمر الاستجواب ..

وأما المقال .. فقد كتبه الأستاذ احسان عبد القدوس فى مجلة روز  
اليوسف فى عددها الصادر بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٩٥٠ وتعرض فيه الى أن  
الأسلحة التى ترسل الى فلسطين فاسدة وقد علم ذلك من بعض الضباط  
العائدين فى أجازات وأن بعضهم قد أصيب نتيجة استعمالها وثمة شخصيات  
هامة وخطيرة فى الجيش والقصر تتاجر فى أرواح الجنود ابتغاء الكسب غير  
المشروع والثراء العاجل .

ولم يكن من الممكن أن تسكت حكومة النحاس على هذه الجرائم التى  
ترتكب أمام بصرها وعلى أرواح رجال الجيش وهى تختطف غدرا وهم  
يحاربون العدو فى الميدان .

فأبلغ وزير الحرية مصطفى نصرت النائب العام محمود عزمى بأجراء  
التحقيق فى موضوع الأسلحة ، وبأشر رجال النيابة التحقيق فى ٢٠/٦/١٩٥٠  
، وتكشف التحقيق عن أمور مشينة وجرائم دنيئة دمغت الملك ورجال

القصر ، وألصقت بهم التهم التى كان الشعب يهمس بها فى الشوارع والمنازل والمنتديات .

واتضح أن الجيش ما كاد يدخل فلسطين حتى بث الملك رجله وسماسته فى كل ناحية يجمعون السلاح ويتجرون فيه . ابتغاء الكسب الحرام المخضب بالدماء وعلى أشلاء جثث الضحايا ، ووضعت النيابة يدها على الأدلة التى تدين الملك وحاشيته وهم : أحمد بد رالياور الخاص له ، وعبد الغفار عثمان مدير متحف السراى وأدمون جهلان مدير حسابات السراى وحسن عاكف قائد طائرتة الخاصة وحلمى حسين مدير الركائب الملكية وبوللى السكرتير الخاص وعباس حلیم وهو من الأسرة المالكة السابقة .

أما عبد الغفار عثمان فقد أرسله الملك الى ايطاليا وتعاقد مع شركة تدعى شركة كونستر كزيونى ميكانيكا على صنع مائتين وخمسين ألف قنبلة بسعر ٧٥ قرشا للقنبلة وتسليمها المتهم دون فحص وبسعر يزيد عن مثيلاتها بأكثر من النصف اذ أنها لا تساوى أكثر من ٣٠ قرشا وبديهي أن الفرق فى السعر دخل جيب صاحب الجلالة مع باقى أفراد الحاشية .

ولم تكن هذه القنابل مرتفعة السعر فحسب وانما كان أكثرها غير صالح وبه عيوب يجعل من الخطورة استعمالها .

وكان اليهود يعلمون سر هذه القنبلة ويسرون عندما كان الضباط المصريون يطلقونها - وحدث فى موقعة رفح فى يوم ٤ يناير ١٩٤٩ ولم يكن لدى الجيش المصرى من الأسلحة سوى هذه القنابل المشتومة فاضطر لاستعمالها وألقى منها الكثير على اليهود ولكن للأسف لم ينفجر منها سوى القليل - وحتى تلك التى انفجرت لم يكن لها أى أثر يذكر حتى ان اليهود كانوا يتصايحون متهكسين : « ارم يا مصرى من ده كمان ! » وكأنا كنا نلقى عليهم لفافات الحلوى أو باقات الزهور ، وهزم المصريون فى رفح وقبض وأسر بعضهم واستشهد بعض آخر ، لا برصاص العدو وانما بالقنابل والأسلحة التى كان يوردها الخائن عبد الغفار عثمان وأدمون جهلان وغيرهما من سماسرة الملك .

وكما حدث فى موقعة رفع حدث فى غيرها من المواقع — وتسببت هذه القنابل فى أسر وقتل الكثير من المصريين فى موقعة العوجة التى وقعت فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وكانت بعض القنابل تنفجر فى أيدي الضباط المصريين وقبل الثائها وانها كانت تنطلق الى الخلف لا الى الأمام ، وقد كان أثر هذه الأسلحة الفاسدة على رجال الجيش وهم يحاربون فى فلسطين سيئا الى أبعد الحدود . وقد شعر الجنود والضباط — بعد أن تكشفت لهم الأمور بعض الشيء ولاحت بوادر الخيانة — أنهم قد وقعوا فى الكمين الذى أعد لهم وأنهم وقعوا فى هوة سحيقة لا قرار لها ، وكانوا يتصورون أى شىء الا أن يسدهم المسئولون بأسلحة فاسدة ، بندقية لا تنطلق أو قنبلة لا تنفجر أو تنفجر بلا سبب أو رابط أو ميعاد ، لتصيب حاملها قبل أن تصيب الهدف ، ولا أبجد أصدق من شعور جمال عبد الناصر فى هذا المقام عندما حوصر بالقالوجة هو وباقى فرقته من قوله « ها نحن هنا فى هذه الجحور محاصرين — لقد غرر بنا دفعنا الى معركة لم نعد لها — لقد لعبت بأقدارنا مطاعم ومؤامرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح » .

ضع نفسك مكان الصاغ أحمد مختار الدسوقي الذى كان يحارب فى رفع فى يوم ٤ يناير سنة ١٩٤٩ واستمع اليه وهو يقول يصف هذه المعركة : « حدث هجوم نهارى يوم ٤ يناير سنة ١٩٤٩ وكان هذا الهجوم بمصفحات ودبابات تلقاها اليهود من المساعدات الخارجية واستطعننا بما لدينا وكان عندنا مدفع واحد ان نصد الهجوم النهارى وفى الليل هجم علينا اليهود كما توقعنا وكان ساعتها ليلة عاصفة وظلام حالك والأسلحة الصغيرة كانت تتعطل من الرمال ولم يكن أمامنا غير القنابل اليدوية وكانت جديدة وكنا عاملين اعتمادنا عليها — ولما شفنا اليهود جايين فاليوزباشى فراج وأنا والعساكر كان معنا القنابل فقذفناها فدهشنا لأن بعضها لم ينفجر وبعدين سمعنا لفظ من اليهود يقولون : « احذف كمان ! » « احذف كمان يا مصرى ! » « سلم يا مصرى ! » واحنا استرينا فى قذف القنابل وكانت عديمة الفائدة وقنبلة انفجرت فى يدي ، واليهود لما شعروا بفساد أسلحتنا اقتحموا الموقع وأنا نقلت الى المستشفى .



واستمع معى الى قائد معركة العوجة الصاغ فتحى رمضان عندما استعمل هذه القنابل اذ يقول : « استخدمنا القنابل فى معركة العوجة فى يومى ٢٦ و ٢٧ ديسمبر بعد انتهاء الجبخانه واليهود أثناء تقدمهم رمينا عليهم القنابل ولكنها لم تنفجر واستمروا فى التقدم » .

ماهو موقف ضابط الجيش وماهو شعوره وهو يشاهد جنوده وزملاءه يستشهدون ويؤسرون بسبب أسلحة زودهم بها رؤساؤهم فى مصر — ما هو شعور الضابط الذى يصاب بالقنبلة التى كان يحملها معتقدا انها الدرع الذى يحميه فيجدها تنفجر فيه ثم ينقل الى المستشفى من أثر الانفجار لا بسبب رصاص العدو ؟؟ .

وبروى احسان عبد القدوس فى مقاله المؤرخ فى ٦ يونيو سنة ١٩٥٠ عن الأسلحة الفاسدة فيقول : « وأذكر أننى سألت المرحوم القائمقام أحمد عبد العزيز قائد الكوماندوز فى حرب فلسطين عن اليوم الذى لا ينساه من أيام القتال ، فأجابنى والدموع تملأ عينيه — انى لا أستطيع أن أنسى يوم كان الباشجاويش يطلق مدفعه على مواقع العدو وقد وقف من حوله طاقم المدفع من الجنود ، فاذا باحدى القنابل تنفجر الى الوراء لتحطم المدفع وتقتل الباشجاويش وجميع رجاله فيخسرون صرعى فوق حطام المدفع وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم » .

ومع ذلك فقد ظل ضباطنا وجنودنا يحاربون العدو بشجاعة منقطعة النظير . وفى هذه الظروف العصيبة ، وعلى الرغم من تآزر قوى الشر والخيانة من الداخل والخارج ، بعد قرار مجلس الأمن بوقف القتال وعقد الهدنة بأكثر من أربعة شهور .

هذه هى القنابل التى تعاقد عليها عبد الغفار عثمان بدون وازع من ضمير — ولا عجب فقد كانت حياته كذلك ضربا من الخيانة والفساد . وفيما يلى نبذة عن حياته كما جاءت بسحاكمات الثورة .. « عندما أراد الزواج بحث بادىء الأمر عن احدى الانجليزيات ليتخذ منها زوجة وبعد طول تنقيب راقى له احدى الموظفات اللاتى ترسلهن انجلترا الى البلاد المحتلة كى يعملن بها

كسوظفات وكجاسوسات فى نفس الوق وتزوج عبد الغفار عثمان الضابط  
بالجيش المصرى بالانجليزية فبوليب الموظفة فى قسم الامدادات والتعويضات  
بالجيش الانجليزى — ولم يكن يملك سوى مرنبه لأنه لم يرث عن والده  
شيئا — ورشحته هذه الزيجة لأن يعمل فى السراى كمدير للمتحف  
ولما قامت حرب فلسطين تهيأت له وللسراى الفرصة الذهبية للاثراء فتاجر  
فى أرواح الضحايا — وتدققت الأموال من كل جانب حتى بلغ رصيده وحده  
فى البنوك فى مدة تقل عن سنة مبلغ ٣٦ ألف جنيه واقتنى الأراضى والعقارات  
وركبت فيوليت الانجليزية السيارات الفاخرة — وسكنت بحى الزمالك بعد  
أن كانت تقيم فى حى السيدة زينب وأصبحت من سيدات المجتمع اللاتى  
يسار اليهن بالبنان بصفتها احدى نجومه وزوجة الضابط المسيطر على  
امدادات الجيش المصرى وحياة ضباطه وجنوده .

هذه عينة من ضباط الملك وساسارته الذين أطلقهم ليعيشوا فى الأرض  
فسادا وليجسعوا له المال من كل جهة وبأى وسيلة . فهل كان عبد الغفار عثمان  
وحده فى هذا المضمار ؟ ؟ أيتحمل بمفرده وزر الجرائم الشنيعة التى ارتكبت  
فى حق البلاد والجيش ؟ ؟ كلا كان معه باقى أفراد الحاشية وعلى رأسهم  
المدير والمستهر الأكبر الملك فاروق .. فبينما كان عبد الغفار عثمان يقوم بعقد  
صفقات القنابل التالفة من شركة سكورزيونى ميكانيكا من ايطاليا والمدافع  
الاسبانية عن طريق شركة أورليكون السويسرية بزيورخ . كان هناك عملاء  
آخرون للسلك يوردن الدمار والهلاك للجيش المصرى الذى يحارب عصابات  
اليهود فى فلسطين ، فأرسل فاروق من يدعى آدمون جهلان وهو يهودى  
الجنسية وكان يعمل كرئيس حسابات للمصروفات والايرادات الخاصة للملك  
— الى الصحراء الشرقية حيث تراكت ملايين القنابل الايطالية المختلفة من  
الحرب وبدأ فى جسعها لبيعها الى الجيش المصرى الذى أرسلها بدوره الى  
الجبهة — ٢ مليون قنبلة فاسدة لا تساوى ثمن حبلها نباع بمئات الألوف  
من الجنيهات . ولتساعد العدو فى الحاق الهزيمة بالجيش المصرى . أهو طمع  
أم خيانة أم كل هذه الموبقات مجتمعة ثبت بعد ذلك أثناء التفتيش أن وجدت  
عقود محررة بين آدمون جهلان وشخص يدعى كوهين وهو يهودى كذلك

على توريد مهمات باسم الملك ، ودائما الملك قاسم مشترك أعظم فى جميع الصفقات .

تصوروا معى الى أى مدى بلغت الخيانة - يهودى يورد الذخيرة الى الجيش المصرى الذى يحارب أهله اليهود فى فلسطين .

وكانت أسماء آدمون جهلان وكوهين وبوللى ومحمد حسن الخادم وحلمى حسين السائق والنيل عباس حلیم الى آخر قائمة حاشية الملك هى التى كانت تنشر الفساد والانحلال وتتعاون مع العدو لتضرب الجيش فى الظهر وهو فى الميدان ، هذه الحاشية وتلك القائمة هى التى كانت تحكم مصر فى تلك الفترة العصيبة من تاريخها .

## دوفيل واكس لبيان :

الموائد معقودة والكؤوس مرصوفة — والغانيات من كل لون يجلسن في شبه حلقة — وأوراق اللعب تختلط مع أوراق البنكنوت والضحكات المخمورة تردد صداها القاعدة الفاخرة التي يجتمع فيها الملك مع أهوائه ومبازله . لقد كان الملك وهو قائد الجيش الأعلى يلهو في دوفيل (١) . كما كان رئيس وزرائه مصطفى النحاس يصطاف في اكس لبيان — في الوقت الذي كان فيه الجنود والضباط يستشهدون في فلسطين ، الألوف تجتمع هنا من حصيلة الأسلحة والقنابل الفاسدة وترسل هناك الى الملك في دوفيل وتبعثر ذات البمبن وذات اليسار على موائد القمار وتحت أقدام الغواني .

أيجوز أن نستمع الى براءة الملك من هذه الصفقات الملعونة ؟ كما كان يذيع رجال حاشيته ؟ وهل يصح أن نوجه الاتهام الى رجال الحاشية دون الملك ؟

كثيرا ما حاول رجال السراى دفع الاتهام عنه دون جدوى ، فقد كانت جميع الأنظار تنجه اليه — واليه وحده . حتى أصبح الشك حقيقة — وظهرت الجريمة سافرة تعلن عن نفسها . فقد ثبت من التحقيقات التي أجراها محمود عزمى النائب العام عندما أراد أن يتحقق من الأموال التي أودعت البنوك في فترة حرب فلسطين بأسماء رجال الحاشية من شركات أجنبية وخاصة التي ننجر في السلاح واتضح أن هناك مبالغ كبيرة أودعتها شركات الأسلحة البلجيكية باسم الملك في البنك الأهلي ، كما أن مبالغ أخرى تزيد على ١٥٠ ألف جنيه أودعت البنك البلجيكي في ١٥/٩/١٩٤٨ باسم الملك نتيجة عمليات بيع الأسلحة الفاسدة، وعندما تعاقد عباس حليم على توريد المدافع الأسبانية في ٦/٤/١٩٤٩ أودع النبيل السابق باسم الملك مبلغ ١٠٠ ألف جنيه لموافقة على اتمام هذه الصفقة . هكذا أدين الملك السابق في صفقات الأسلحة وانكشف ما حاولوا اخفائه . ومع هذا فلم نزل هناك خبابا في كثير من الزوايا .

(١) توى ماروق الملك السابق في ملهى ليلي بإيطاليا أثناء إحدى حفلاته الماجنة في ليلة

١٨ مارس سنة ١٩٦٥ .

## قرارات هامة

ذلك أنه عندما وضح أن آدمون جهلان مدير حسابات الملك هو الوسيط فى شراء الأسلحة البلجيكية ، وأن الشركة أودعت قيسة العسولة بالبنك لحساب الملك ، أمرت النيابة بالقبض على آدمون جهلان ، وبتفتيش منزله ومكتبه . وعلى الرغم من أن أمر التفتيش كان سريا الا أن وزير الداخلية (١) استدعى النائب العام ثانى يوم صدور هذا الأمر أى فى يوم ١٠/٩/١٩٥٠ وأبلغه أن الملك يطلب عدم اجراء التفتيش ، لأن بخزائن آدمون جهلان أوراقا للملك وعلى النيابة أن تنتظر حتى يحضر آدمون من دوفيل وتفتح الخزائن بوجوده وبحضور نجيب سالم مدير الخاصة بالنيابة . وبعد أسبوعين حضر جهلان وكان أمر القبض قد أخطر لجبمع الجهات المسؤولة بما فيها المطارات ، وكان المفروض أن يقبض عليه بمجرد نزوله من الطائرة ويسلم للنيابة لاجراء التحقيق ، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل فماذا تم فى أمر القبض ؟ وما هو دور وزارة الداخلية المكلفة بذلك ؟

وصل آدمون جهلان فى مساء يوم ٢٦/٩/١٩٥٠ ، وكانت تنتظره عربية من عربات السراى الحمراء الفاخرة وبها بعض رجال الحاشية وتحت أنظار رجال البوليس خرجت السيارة من مطار فاروق الدولى . واتجهت الى مكتب آدمون جهلان وفتحت الخزائن وسرقت المستندات الباقية التى تدين الملك وحاشيته ثم توجه آدمون الى باقى الأماكن والمخابىء التى يخفون فيها جرائسهم وأحرق جميع الأوراق الهامة التى تفيد التحقيق .

والى هنا كانت مهمة آدمون جهلان قد انتهت فعاد الى دوفيل يزف البشرى الى سيده — وكأن شيئا لم يحدث . كيف وقع كل هذا أمام بصر الحكومة ورجال البوليس . ولماذا لم تنفذ أوامر النيابة ويحترم القانون ؟!

هنا يبرز لنا دليل آخر على ادانة الملك ، ان كانت المسألة تحتاج الى دليل آخر ذلك أنه لما كان الثابت أن بخزائن جهلان الوثائق الدامغة على

---

(١) فؤاد سراج الدين

جريمته فقد كان لا بد من أن يتصرف الملك بسرعة لاختفائها ، ومن القاعة الحمراء وبين الغوانى التقط الملك التليفون ليتصل بوزير الداخلية مشل الحكومة ليخطره بأن جهلان سيحضروا الى القاهرة وعلى الوزير أن يسأل له جميع طلباته ويمكنه من الهرب ثانية الى دوفيل بعد أن يفتح الخزائن ويأخذ منها ما يشاء . وهكذا سارت الأمور — وهرب جهلان وانتصرت الجريمة ولكن الى حين .

## تاجر الدواجن :

لم يكتف الملك بكل هذه الاحتياطات وانما سعى جاهدا الى ضياع معالم الحقيقة وتشويهها وببرئة رجال السراى مما نسب اليهم — واطهارهم بسطهر من اعتدى عليهم بدون وجه حق ، وبعد تفكير رأى أن أقرب طريق الى ذلك هو شراء ذمم رجال النيابة بأن يمنهم بالمناصب الرفيعة والترقيات العاجلة السريعة . لقاء أن يطهروا معالم القضية ويحفظوا التحقيق .

وفى أمسية من لىالى يناير سنة ١٩٥١ الباردة ، كان يجلس فى محل تاجر للدواجن بميدان العتبة يُدعى الشيمى شخصان هاما وان كانت طبيعة عملهما تجعل من وجودهما معاشيا غير طبيعى ، أولهما محمد حسن خادم الملك ، وأمينه الخاص ، وثانيهما محمد كمال قاویش رئيس نيابة الصحافة فى ذلك الوقت ، وطالب الأول من الثانى أن يتصل بالنائب العام ليحفظ التحقيق ، وأنه يتحدث باسم الملك وأضاف بأنه يعد بأن يعين القاویش نائبا عاما ومحمود عزمى وزيرا للعدل . اذا حفظ التحقيق . وتم الاتصال بين القاویش ومحمود عزمى وعرض عليه طلبات الملك .

وتشكك النائب العمومى فى كلام القاویش واستبعد أن يكون موفدا من قبل الملك ، ولكن القاویش جاءه بدليل قاطع يؤكد هذا الاتصال فقد أخبره بأن سراج الدين سيتصل به الساعة الساعة من مساء يوم معين ليخبره برغبة الملك فى حفظ التحقيق وسيردد على مسامعه نفس الكلام الذى رواه له القاویش — واتصل سراج الدين بالنائب العام فى اليوم الذى عينه القاویش وأبلغه رغبة الملك وبذلك تحقق النائب العام من صدق رسالة القاویش .

وعلى أثر ذلك تم لقاء آخر بمحل تاجر الدواجن بين النائب العام والقائش وكان ينتظرهما فيه خادم الملك محمد حسن .

وبعد ذلك بقليل حفظ التحقيق في قضية الأسلحة الفاسدة بالنسبة لجميع المتهمين وبذلك اكتملت الحلقة وأقام الملك بنفسه الدليل على ادائه هو ومن معه ، فلم يكن حفظ التحقيق سوى الدليل الأخير من الأدلة العديدة التي أوردناها على ادانة الملك وحاشيته .

ولقد كشفت ثورة ٢٣ يوليو الكثير عن هذه الأسرار أثناء محاكمتهم أمام محاكم الثورة التي شكلت سنة ١٩٥٣ وأمسكت برقاب المتهمين فقدموا للمحاكمة من جديد وحاسبتهم على الجرائم التي اقترفوها في حق البلاد وكانوا يعتقدون أنهم أفلتوا من العقاب وأصبحوا بمنجاة من يد العدالة . وما دروا بأن عين الله ساهرة لا تغفل وإن أمهلتهم الى حين . وقد شكلت المحكمة التي سميت محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادي وعضوية حسن ابراهيم وأنور السادات وقضت في ٧/١١/٥٣ على عبد الغفار عثمان بتجريدته من رتبته العسكرية والنياشين والميداليات الحاصل عليها وسجنه ١٥ عاما ومصادرة كل ما زاد من أمواله وأملاكه هو وزوجته شقيقه ( الأولى ) وفيوليت ( الثانية وهي انجليزية ) عما كان لديهم قبل أول يناير سنة ١٩٤٦ لصالح الشعب أي قبل حرب فلسطين أما حلمي حسين السائق الخاص للملك والذي رقى حتى وصل الى رتبة الأميرالاي فقد جردته المحكمة من رتبته العسكرية وصادرت ما قيمته ٧٠٦٧٢ جنيه من أمواله وأموال زوجته وأعفته من عقوبة السجن لمرضه . كما قضت على كريم ثابت مستشار الملك الصحفي وصادرت كل مازاد من أمواله هو وزوجته عما كان يمتلكانه قبل ٢٧/٥/١٩٤٦ وقضت على أحمد النقيب وهو طبيب الملك الخاص وأحد أعوانه المقربين بسجنه ١٥ عاما ومصادرة مازاد من أملاكه بعد سنة ١٩٣٩ .

أما محمد كامل القائش فقد قضت بسجنه ١٥ عاما مع وقف التنفيذ وتجريدته من شرف المواطن ، كما سجلت المحكمة في حكمها وهي في شدة الأسف المسلك المعيب الذي سلكه النائب العام الأسبق محمود عزمي

وموقفه من تحقیقات الأسلحة والذخيرة الفاسدة واذعانه لأمر فؤاد سراج الدين بحفظ التحقيق ، وكان الملك وبطاقته يعتقدون أن النيابة بحفظها التحقيق سيسدل الستار على جريمتهم الى الأبد وأذخياتهم ستظل على الكتمان ، ولكن عين الله التي تنام لم تغفل عنهم فلم يسكد تضي ثلاث سنوات من قرار النيابة بحفظ التحقيق حتى بعث من جديد بعد قيام الثورة وجيء بالمجرمين في الأصفاد واقتص منهم الشعب في محكمة الثورة .

وكان حفظ النيابة للتحقيق وهي السلطة القضائية المستقلة التي لاسلطان لأحد عليها — وبأمر الملك يعد غاية الفساد . ويعنى ذلك أن الدولة قد تنازلت للملك وحاشيته عن آخر ما كان لها من سلطات . فلم يعد الملك يفعل ما يشاء فحسب بل صار يرتكب الجرائم ويستتر على مقترفيها من عملائه ، وإذا وجد الرجل الحر النزيه الذى يحاول أن يقر العدل ويطبق القانون لم يزل يغويه أو يقربه اذا لم ينفع التهديد والوعيد ، وبذلك كان الملك يزداد قوة فى نظر نفسه وهو فى الواقع يزداد قربا من الهاوية حتى أصبح على شفا جرف هار منها وعميت بصيرته ، عن ادراك ما هو مقبل عليه بسبب ما كان غارقا فيه من مبادئ وشهوات حتى أفاق على دقات الثورة التي أطاحت بعرشه فى قرار سحيق من الهاوية .





**الكتاب السادس  
كفاح الشعب المصري في القتال  
بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦**

- ١ - الشعب يجبر الحكومة على إلغاء المعاهدة**
- ٢ - كفاح الفدائيين الوطنيين في القتال**
- ٣ - موقعة كفر أحمد عبده**
- ٤ - معركة التل الكبير :**
- ٥ - كفاح الشباب والشرطة**



## ١ - الشعب يجبر الحكومة على إلغاء المعاهدة

### مجلس الأمن يخلد القضية المصرية

تحدثنا آتقا عن مشروع معاهدة صدقي - بينن ، ولأسنا مدى تشبث الانجليز بقائهم في مصر وعدم اعترافهم بحقها في الجلاء ، بل انها تقضت من جانبها معاهدة سنة ١٩٣٦ بنفسها وجلبت آلاف من الجنود لسبب الحرب وأبقنهم في مصر ، حتى بعد أن توقف اطلاق النار باستلام ألمانيا ولم تحترم المعاهدة التي لم تجز لهم الا البقاء في منطقة القنال وبفوات محدودة لا تزيد على عشرة آلاف جندي ، ولذلك لم يجد النقراشي باشا أمامه عندما ألف الوزارة في ١٩٤٦/١٢/٩ الا أن يتقدم بمطالب مصر الى مجلس الأمن بعد أن وضحت له نوايا انجلترا الخبيثة وعدم جدوى المفاوضة كطريق للجلاء . وسمعت الدول صوت النقراشي يدوي في أرجاء المجلس يوم ١٩٤٧/٨/٥ قائلا : « نطلب اليكم أن تقررُوا اجلاء القوات البريطانية جميعها عن وادي النيل ، وأن يكون هذا الجلاء كاملا غير مشروط .

« وقرر نحن المصريين بأن معاهدة سنة ١٩٣٦ لا تعبر عن رضائنا ، وأنها جاءت مناقضة لأحكام اتفاقات دولية فضلا عن كونها لا تتلاءم مع أحكام الميثاق . وأود أن أكرر أنه مادام الاحتلال باقيا فلن يكون في الطوق الحد من سخط الشعب ، ولا هناك سبيل الى اخماده اذا اشتعل ، وأن زمام الأمر ليفلت بسهولة في مثل هذه الأحوال . وحينئذ فلن تغني النيات السلمية لحكومتى شيئا » .

ولكن مجلس الأمن تردد في اصدار قرار الجلاء ارضاء للدول الاستعمارية ، ورفضت انجلترا أن تتقدم خطوة واحدة للوزارات التي جاءت بعد وزارة النقراشي وظلت على موقفها العدواني من مصر حتى جاءت حكومة النحاس في يناير سنة ١٩٥٠ بعد استقالة وزارة حسين سري في ١٢-١-١٩٥٠ . ورأت أن تحقق ما عجزت عنه الوزارات السابقة من مطلبى الجلاء والوحدة بصفتها حكومة الأغلبية ولكنها فشلت تماما عن الوصول الى أي اتفاق . بل ان الانجليز رفضوا صراحة الجلاء على لسان المارشال سليم رئيس أركان

حرب الجيش البريطاني ، ولم يكتفوا بهذا بل ضاعفوا من عدد جنود الاحتلال وكانت تصرفاتهم تتطوى على اعتداء مستمر على مصر وعلى وحدة وادي النيل . وقد حاول النحاس أن يصل الى اتفاقية قريبة من اتفاقية صدقي — ينفن التي عارضها وبيننا شطرا منها فيما سبق ، ولكن الانجليز ضنوا عليه بها . وهو صدقهم القديم والأثير لديهم ، والمنفذ لطلباتهم والمحقق لرغباتهم ، لأن الانجليز لا يعرفون سوى مصالحهم أولا وقبل كل شيء ، وما كان الوزراء الذين يعضدونهم ويأتون بهم غير أدوات لتحقيق مطالبهم وللوصول بها الى أهدافهم . ولهذا تنكروا حتي للنحاس ! ورفضوا أن يعقدوا معه أى اتفاق يرقى لمشروع معاهدة صدقي — ينفن ! ورفضوا الجلاء . وكان النحاس يستعطفهم قائلًا لهم :

« لقد اتفقتم مع صدقي باشا على أن يتم الجلاء التام في سبتمبر سنة ١٩٤٩ فكيف يمكن أن أقول للشعب غير ذلك ؟! وقد كنا ضد صدقي في ارجاء الجلاء الى ذلك التاريخ ، وطلبنا الجلاء الناجز ، ولو أن اتفاق صدقي — ينفن قد أبرم في ذلك الحين لما بقيت الآن في مصر قوات بريطانية » .

وكان رد الانجليز يجيء دائما بالرفض وأنه لا جلاء . ثمانية عشر شهرا والنحاس يتسبح بأعتاب الانجليز يستجدي حقوق مصر وهو يعلم بأن المفاوضات ما أجدت في أى فترة من فترات الاحتلال الطويلة . وانما ثبت فشلها . وما كانت المفاوضات سوى وسيلة الى الحكم ومخرج للمساومة على حقوق البلاد يكسب فيها دائما الطرف الأقوى . فلما فشل النحاس في التفاوض مع الانجليز . وكانت الحالة السياسية والداخلية غاية في السوء لانتشار الفساد والمحسوبية والاستغلال ، وكأف فضيحة الأسلحة الفاسدة تزكم الأنوف ، شعر أن الأرض تמיד من تحت قدميه ، وأن كرسى الوزارة يهتز وهو فوقه ، ورأى أن يهدىء النفوس الثائرة ويطمئن الرأي العام القلق ويثبت وزارته قبل أن تطيح بها كل المساوىء والمباذل والفضائح التي ارتكبتها فأقدم على اجراء حقق له الهدف الذي سعى اليه ..

**من أجل مصر :**

وفي يوم ٨/١٠/١٩٥١ وقف النحاس في البرلمان ليعلن قطع المفاوضات والغاء المعاهدة . وقال كلمته المشهورة أثناء القاء البيان : ( انه من أجل مصر

عقدت معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أعلن اليوم الغاؤها ) . وبهذا أصبحت القوات الانجليزية فى مصر بدون سند قانونى يعضدها أو يبرر وجودها ، ولم تعد تتمتع بالامتيازات والحقوق المستمدة من معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وأصبح بقاءها بعد الالغاء بمثابة اعتداء مستمر على الأراضى المصرية ، يتحتم على الحكومة والشعب مقاومته وعدم مهادنته . وكان المفروض أن الحكومة التى قررت الغاء المعاهدة قد اتخذت كل الاجراءات والتدابير لمواجهة الحالة التى تنشأ بعد هذا الاجراء — وأنها استعدت لحماية الشعب من اعتداء القوات البريطانية ، ورتبت احتياجات الشعب فى نضاله ضد هذه القوات . وقد صرح النحاس باشا عقب الغاء المعاهدة بأن الحكومة أعدت لكل شئ عدته منذ وقت طويل قبل أن تقدم على خطوة الالغاء ، واستقبل الشعب بجميع طوائفه وهيئاته خبر الغاء المعاهدة بمزيد من الحماسة والسرور واستعدوا منذ الساعة الأولى للكفاح وانتظروا اشارة الحكومة ببدء النضال ضد القوات البريطانية الغاصبة ، ولكن الانتظار امتدت ساعاته وطالت أيامه والحكومة لا تزال تصطاف فى الاسكندرية ولم تقم بأى اجراء لتهيئة الجو للكفاح أو لدفع حركة المقاومة الى الأمام أو حتى لاتخاذ أى اجراء لوقف اعتداء القوات البريطانية . على أفراد الشعب فى منطقة القنال .

### **دور الشعب :**

ولم ينتظر الشعب خطوة الحكومة التالية بعد الغاء المعاهدة ، وإنما هب من تلقاء نفسه وبوحى من شعوره ووجدانه لأداء الواجب الذى يتطلبه الموقف الوطنى فى تلك الآونة فانسحب العمال الذين كانوا يعملون بالمعسكرات البريطانية منها وكانوا يقدرون بحوالى ٦٠ ألف عامل وموظف ، وامتنع سائقو وعمال القطارات من نقل الجنود والمعدات البريطانية ، كما رفض عمال الشحن والتفريغ عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية بمنطقة القنال ونم يكتف المصريون بذلك بل امتنع المتعهدون والموردون الذين كانوا يمولون القوات البريطانية بمواد التموين — رغم ما كانوا يربحونه نتيجة لذلك ، وكانت هذه المقاطعة الاجماعية الرائعة دليلا على وعى الشعب وتصميمه الراسخ على مقاومة الاستعمار وعدم معاونته والصمود فى وجهه ومحاربه بكل الطرق والوسائل مهما تكبد من خسائر .

وقد سببت مقاطعة المصريين للقوات الانجليزية فى منطقة القنال عرقلة مواسلاتهم واشاعة الفوضى فى حياتهم اليومية وكبدتهم ملايين الجنيهات مما اضطرهم الى جلب موظفين وعمال آخرين من انجلترا والبلاد الموالية لهم ، كما استعانوا للتغلب على مشكلة التموين التى وضعهم فيها الموردون المصريون الى استيراد بعضها من الخارج بمبالغ كبيرة وأسعار مرتفعة من ناحية ، عدا ما كانت القوات الانجليزية تسلبه وتستولى عليه كرها من المحال التجارية والمناطق الزراعية المتاخمة للمعسكرات من ناحية أخرى .

ولم يكن الشعب ليرضى أو يقتنع بمقاطعة القوات البريطانية وعدم التعاون معها ، بل كان يتطلع الى مقاومتها ايجابيا ومواجهتها فى حرب سافرة ، وعدم السماح للجنود البريطانيين بالتمتع بالراحة والطمأنينة التى كانوا يتمتعون بها فى ظل معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وتحويل منطقة القنال الى جحيم مستعر لا يهدأ أواره ، وبذلك تنعدم القيمة العسكرية لهذه المنطقة التى يعتمد عليها الانجليز كل الاعتماد ، ويصبح بقاؤهم فيها مهددا من الداخل والخارج بخطر بالغ .

## اعتداءات وحشية :

أدى العمال والموظفون والموردون بالمعسكرات البريطانية دورهم الوطنى كاملا ، وانتظر الشباب دعوة الحكومة لتدريبهم وتسليحهم استعدادا للمقاومة دون جدوى وحرار الشباب بين موقف الحكومة المتواكل وبين واجبه الوطنى ولم يجد أمامه سبيلا ل اظهار شعوره سوى التنفيس عنه بالمظاهرات .

فقامت فى يوم ١٦/١٠/١٩٥١ جماعات من الأهالى والطلبة والعمال فى مدن القنال بمظاهرات تؤيد الغاء المعاهدة وتطالب بالسلاح وتنادى بتشكيل كتائب التحرير التى وعدت بها الحكومة .

ولم ترق هذه المظاهرات للانجليز ، فأمر الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية باخسائها بقوة السلاح . وعلى الفور نزل السيارات المصفحة المزودة بالمدافع الرشاشة ، واعترض الجنود طريق المتظاهرين ، وأطلقوا عليهم

الرصا ص لا للارهاب بل بقصد القتل .. وساد الذعر والفوضى مدن القنال ، وسقط ثمانية من القتلى فى مدينة الاسماعيلية ، وخمسة فى مدينة بورسعيد ، عدا الجرحى الذين بلغوا أكثر من تسعين جريحا تخضبت بدمائهم شوارع المدينتين ، واحتلت القوات الانجليزية جميع المكاتب والمصالح الحكومية بمنطقة القنال ، وطردت الموظفين المصريين ، كما قامت القوات البريطانية فى يوم ١٧/١٠/١٩٥١ بهجوم على القوات المصرية التى كانت تعسكر بجوار « كوبرى الفردان » واعتدت عليها واستولت على هذا « الكوبرى » بعد أن قتلت بعض الجنود وأسرت باقى القوة ! ولم تقف الأعمال الوحشية للقوات البريطانية عند هذا الحد ، بل احتلت منطقة القنال بأكسائها وفرضت ستارا حديديا عليها ، وعزلت المدن والقرى بمنطقة القنال عن باقى مدن القطر ، وبدأت الدوريات تقبض على الموظفين والجنود وتستبعد من تغضب عليه وتستبقى من ترضى عنه . وتضطهد الأهالى وتعتدى على الآمنين من السكان — وتنهب البضائع من المحال والمتاجر — وتستولى على الأراضى المنزرعة خضر وفاكهة — وتسلب ما يقع تحت يدها من مواد التموين الخاصة بالأهالى وتحرمهم قوتهم ، وبذلك ساد منطقة القنال حالة من الفوضى والذعر والارهاب لم يسبق لها مثيل من قبل .

## قبيل المعارك :

كان ضباط الجيش المصرى يراقبون الحالة بقلق زائد ، وكانت قد تكونت منهم منذ سنة ١٩٣٨ جماعات سرية صغيرة — كما بينا فيما سبق — وكانت تسمى بالتشكيل العسكرى . كما كانت هناك أيضا جماعات من شباب الشعب المثقف كونت فيما بينها خلايا سرية تهدف لنفس الغرض الذى يسعى اليه جماعة الضباط وكانت هذه الجماعات من الشبائب تسمى بالتشكيل الشعبى . ويذكر السيد « أنور السادات » ذلك فى كتابه « صفحات مجهولة » اذ يقول :



« وكنا قد رسمنا على أن تنشئ تشكيلا شعبيا وتشكيلا عسكريا يعملان جنبا الى جنب كل بوسائله وكل بخطه ولا يرتبط أحدهما بالآخر بأي ارتباط ظاهر حتى تأتي اللحظة المناسبة » . وقد سمي التشكيل العسكري بعد ذلك باسم الضباط الأحرار ، وسنين الدور الهام الذي قاموا به طوال هذه السنين حتى قيامهم بالثورة عند الكلام عن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

والواقع أن التشكيل العسكري بمجرد الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ بدأ في العمل واتصل بأفراد التشكيل الشعبي رغبة منه في تنسيق الكفاح وتوحيد حركة المقاومة وبدأ الجميع في دراسة الموقف واستعراض المشاكل والصعاب التي سيقابلونها ليجدوا لها الحلول — ويتفهموا طبيعة المعركة الجديدة — والظروف المحيطة بها من مالية وسياسية وعسكرية واجتمع الرأي على أن يتوجه الى منطقة القنال وقد يمثل التشكيلين لوضع الأسس الأولى لحركة المقاومة دون انتظار لمعاونة الحكومة أو توجيهاتها ..

ورأت الجماعة أن توجه منشورين الى القوات البريطانية : أحدهما الى الجنود والضباط ، والثاني الى أسرهم المقيمة خارج المعسكرات . يعلنون فيها بداية الكفاح ، ويبينون لهم دقة مركزهم وخطأ موقفهم تجاه شعب يريد الحرية والاستقلال وقد تم طبع هذين المنشورين ووزع المنشور الأول الموجه الى الجنود في ١٩/١٠/١٩٥١ وهو باللغة الانجليزية . وهذا نص المنشور الأول :

What a terrific show you are putting up. Shooting down defenceless civilians, you are to be applauded for your gallantry. How would you like a taste of your own medicine ? for that is exactly what you are going to get according to an old law which says an eye for an eye, and a tooth for a tooth.

This is not your fight keep out. This is not your country get out.  
You have been warned.

## وترجمة المنشور :

( أيها الجنود الانجليز . أية مهزلة تمثلونها في مصر وأنتم ترمون بالرصاصة العزل من أهل البلاد !! انه لعمل مشين يحط من كرامة بلادكم —

هل تريدون أن تذوقوا من قس الكأس ؟ ان هذا سيكون لكم قريبا . بناء  
على القانون الطبيعي : العين بالعين والسن بالسن . ليس هذا رسالة جهادكم  
فابتعدوا . هذه ليست بلادكم فاخرجوا ، ولقد حذرناكم . وان المسؤولية في  
رقاب قوادكم عن كل ماسوف تذوقونه منا ) .

ولم يكن توزيع هذه المنشورات داخل المعسكرات بالأمر اليسير ، لأن  
الانجليز كانوا قد قطعوا الاتصال بين منطقة القنال وباقي مدن القطر وفرضوا  
رقابة دقيقة على المسافرين . ولكن الفدائيين عرفوا أنه لا يزال يعمل  
بالمعسكرات بعض العمال الذين يقومون بجمع القمامات . وعن طريق هؤلاء  
العمال الذين كان الانجليز يعتقدون أنهم مسالمون الى حد ما وليسوا بذوى  
خطر عليهم ، تم توزيع المنشورات التي رأت الجماعة أن تبدأ بها الكفاح .  
وشرعت الجماعة بعد ذلك في اعداد الشباب للكفاح المسلح واختيار  
المدرين منهم للتفرغ الكامل لتحمل عبء المسؤولية الجسيمة ، فسافر بعضهم  
الى الاسماعيلية والتل الكبير ، وسافر آخرون الى السويس ، وقد روعى  
أن يكون بجانب الشباب المثقف بعض الأهالي ممن تكون لهم دراية تامة  
 بالمنطقة . وعلى الرغم من صعوبة الاختيار وما واجهته من ملاحظات ، فانه تم  
تكوين فرق للمقاومة في مدن القنال في مدى أيام قليلة .

ففى الاسماعيلية كانت هناك كتيبة التدمير التي قامت بالكثير من الأعمال  
الجليلة — وبالتل الكبير كتيبة تكونت أطلق عليها خالد بن الوليد — وأما في  
السويس فقد كانت هناك كتيبة باسم الشهيد أحمد عبدالعزيز ، وكان ينقصها  
المال والسلاح ، فأعيد تنظيمها ووجدت مع غيرها من الكتائب التي كانت  
تعمل منفردة . وقد حملت هذه الكتيبة وحدها العبء كله في مقاومة الانجليز  
بالسويس .

ثم تكونت بعد ذلك كتيبتا مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكاتتا عملا في  
بمنطقة التل الكبير وأبى حماد (١) . وأمرت هذه الكتائب بالعمل فورا على

(١) من هؤلاء الوطنيين نذكر الدكتور عصمت سيف الدولة وحسن البسيوى المحاميان بالتل  
الكبير ، ومصطفى لجيار ومحب السباعى وعبد الهادى نجم الدين بالسويس ، والطيار حسن  
عرت وسعد رطلول فؤاد ، ومحدث فخرى ، وعمر الدين كامل ، وعلى رمزى بالتل الكبير  
وركريا صلاح الدين ، وعبد الرؤوف بدير ، ومحمود هدهد بالاسماعيلية .

أن تركز عملها في أمرين : أولهما الاستيلاء على الأسلحة من الجنود أثناء تنقلاتهم وابتعادهم عن معسكراتهم .

وثانيهما اللقاء القنابل على المواقع الهامة والحيوية كمحطات البترول ومخازن الذخيرة وعلى ما يصادفهم من عربات ولوريات أو مصفحات .

ويهمنى أن أبين هنا مصادر المال والذخيرة التي أمد بها التشكيل هذه الكتاب في نضالها ، فقد جمع أعضاء التشكيل المال من بعضهم ، كل بحسب قدرته . وتجلت روح البذل والكرم بدرجة كبيرة حتى أنهم جمعوا في يومين ٣٢٠ جنيها . أما السلاح فكانوا يحصلون على بعضه بالشراء من تجار الأسلحة وبعضه الآخر من الجنود الانجليز ومن الأهالي في الريف ، ومما كان يجلبه الضباط المصريون من الجيش ، وبخاصة القنابل اليدوية ومواد التدمير كلجلجنيت ومادة T.N.T. - وقد صنع الاخصائيون منهم قنابل محلية وزجاجان حارقة شديدة الانفجار سميت بقنابل مولوتوف . وكان لها أثر كبير في المارك التي دارت بعد ذلك .

## ماهية الحركة :

سنذكر في هذه الصفحة والصفحات التالية - شطرا من كفاح الشباب في القنال كما وقع وبكل صدق وأمانة . ويهمننا أن نبرز الدور الذي قام به الفدائيون في نضالهم المجيد ضد القوات البريطانية ، وأن نبين ماهية المارك التي قامت في تلك الفترة الدقيقة من فترات مصر . لأنه على الرغم من أن الصحف كانت تذكر بعض تلك المواقع في حينها إلا أنها لم تكن تشير الى أعمال الفدائيين دون تحيز أو محاباة ، ولم تحاول كذلك أن توضح هذه المارك وتتحقق من وقوعها في تواريخها ، وإنما كانت تشر ما يملأ عليها من مندوبها الخاص في تلك المدن أو القرى ، وبذلك خرجت صور أعمال الفدائيين مشوشة ومهزوزة وغير واضحة .

كما أن الكتاب الذين أرخوا لهذه الفترة لم يذكروا لنا شيئا عن سير هذه المارك وتطورها الحقيقي .

ويهمنى وأنا أكتب عن هذه الفترة أن أبرز كفاح الشعب في القنال ونضاله ذلك النضال المتأصل جذوره في تربة مصر والذي لم يخمد أبدا على مدى السنين الطويلة .

## ٢ - كفاح الفدائيين الوطنيين فى القنال

### العمليات الأولى :

بدأت المعارك فى أول الأمر بالاستيلاء على الأسلحة من العربات أثناء وقوفها أو سيرها من الجنود الذين كانوا يتقلون بين أرجاء المدينة ، وكان الوطنيون يسلكون فى سبيل ذلك طرقا شتى ، منها أن يستقل وطنيان دراجتيهما ويتجولان بالمدينة حتى اذا لاح لهما جندى انجليزى ومعه بندقية أو مسدس يتقدم الأول ليصدمه بالدراجة ، بينما يخطف الثانى السلاح منه وقت الارتباك ثم يوليان الهرب . ومن ذلك أيضا خطف السلاح من سائقى سيارات الجيش البريطانى أثناء وقوفها ، بأن يتقدم أحد الوطنيين من سائق السيارة محاولا أن يعرض عليه أى شىء بينما يكون الآخر قد فتح باب العربة وخطف البندقية التى تكون بجواره . وفى بعض الأحيان عندما يتخرج الموقف كان الوطنيان يقتلان الجندى ويسرقان بندقيته .

ثم تطورت المعارك بعد ذلك لأن القيادة البريطانية أمرت بأن يستصحب السائق جنديا آخر كحارس له ، وقد قابل الوطنيون هذا الاجراء بشراء عربة يكمن فى مقدمتها أحدهم ، وتسير خلف سيارة الانجليز حتى اذا ما اقتربت منها ففز الفدائى الذى فى مقدمة السيارة الى سيارة العدو ويوقف العربة بقوة التهديد ويأخذ الوطنيون مابها ويلقون العربة فى ترعة الاسماعيليه ان كانت قريبة ، أو فى أى جهة أخرى بعد قتل السائق والحارس .

وعادت القيادة فأصدرت أمرا بأن يكون فى كل عربة أربعة جنود أو ثلاثة على الأقل : جندى بجوار السائق ، وجندى أو جنديان فى العربة نفسها ، ويكون اتجاهاهما عكس سير السيارة لمراقبة الفدائيين .

كانت هذه أولى العمليات ، ثم تحول العمل الى شىء آخر ، ففى الليل كان الفدائيون يرابطون حول المعسكرات يطلقون النار عليها ويتدربون على اصابة الكشاف الذى كان يضىء المنطقة المحيطة ، وقد أشعرت هذه العمليات

الأولى للفدائيين الانجليز بأن المقاومة الايجابية قد بدأت بالفعل والمهمة التي كان يؤديها جندي واحد جندت لها القيادة أربعة من الجنود . وكان اطلاق النار على أى معسكر يعنى بقاء جميع جنوده على أهبة الاستعداد لئلا يؤخذوا على غرة وبهذا يظل الجنود محرومين من النوم أو الراحة طول الليل ، وهذا وحده اقلق ما بعده اقلق .

ونجحت الخطوة الأولى للفدائيين وبلغ جملة ما استولوا عليه من الاسلحة ١٨ قطعة مختلفة الأحجام ، وشعروا أنهم يزدادون قوة ، ورأوا أن يقوموا بهجوم ليلي مدروس على أحد معسكرات الانجليز لينقلوا المعركة من خارج المعسكرات الى داخل خطوطهم .

## المعركة الاولى :

وقع اختيار الفدائيين على محطة بترول نفيسة ، وهي تقع بجوار مدينة الاسماعيلية ، وهذه المحطة تمتد جميع المعسكرات المحيطة بمدينة الاسماعيلية بالمؤن كمعسكر الطيران والجيش - وتعتبر من أكبر المحطات لدى الجيش البريطانى . ففيها مخازن ضخمة تحت الأرض تحوى الآلاف من صنفائح البنزين المعبأة والعدة لسد حاجة الطائرات والدبابات والسيارات .

ووضعت الخطة بعد دراسة هذا المعسكر دراسة وافية على أن يكون الهجوم من ناحية ترعة الاسماعيلية وطريق الانسحاب عبر عزبة أحمد عطا الله التي كانت تجاور المعسكر من الجهة الشرقية . والتي كان صاحبها على صلة وثيقة بالانجليز، لأنه كان يمدهم بالمؤن من خضراوات وفاكهة ولحوم ويقبض منهم آلاف الجنيهات ، حتى أنه أنشأ لهم حظيرة كبيرة لتربية الخنازير لسد حاجياتهم منها . واتفق الفدائيون على تنفيذ هجومهم بعد منتصف الليل . وقسموا أنفسهم قسمين وكانوا تسعة . يكمن ستة منهم فى مكانين متباعدين على جسر الترعة المرتفع ، الذى كان بمثابة ساتر لهم من رصاص الانجليز ، والثلاثة الباقون مهمتهم وضع المتفجرات فى مخازن البنزين وصنفائح البترول وعبر الفدائيون الثلاثة الترعة ومعهم المتفجرات وزجاجات مولوتوف ورشاش واحد من طراز استن ، ثم تسللوا عبر الأشجار المحيطة بالمعسكر ، وعندئذ

بدأ الفريق الم رابط على جسر التربة فى اطلاق النار فى اتجاه الأنوار التى كانت تضىء المعسكر . وزد الجنود الانجليز على الفدائيين بسيل من الرصاص ، ثم سلطوا الكشاف الضخم الذى يتوسط المعسكر للكشاف عنهم وركز الفدائيون تصويهم نحو الكشاف حتى أصابوه ، وأفسدوا مفعوله . وفى أثناء اطلاق النيران نجح الفريق المهاجم فى عبور الأسلاك الشائكة واتجه كل فرد منهم الى ناحية معينة ووضعوا المتفجرات فى عيون المخازن الأرضية وبين بعض الصفائح ، وكانت هذه المتفجرات تعمل بعد ٢٠ دقيقة من وضعها .

وعند انسحابهم تنبه لهم بعض الانجليز فأطلقوا عليهم نيران مدافعهم الرشاشة ، وعندئذ ألقى الفدائيون الثلاثة ما كان معهم من زجاجات مولوتوف على صفائح البنزين وخيام الجنود ، وكانت هذه الزجاجات تنفجر وتشتعل بمجرد ملامستها لجسم صلب ، فلم تلبث النار أن اشتعلت فيه وأخذت صفائح البنزين تنفجر وتتطاير فى الجو فأحدثت دويًا كبيرًا ، وهب الانجليز من كل مكان لوقف النيران ومكافحتها ومحاولة الحد من انتشارها ، وامت القوضى المعسكر وفى خلال ذلك الهرج تمكن الفدائيون من الانسحاب عن طريق عزبة عطا الله وتلاقوا مع زملائهم الذين كانوا يربطون على جسر تربة الاسماعيلية واتجهوا جميعًا الى الاسماعيلية عن طريق عزبة على عبد وقد أصيب فى هذه المعركة أحد المواطنين ، وهو من أهالى المنطقة ، برصاصه فى قدمه . وعندما عادوا الى منازلهم كانت تبشير الصباح قد بدأت تلوح ، ولكن النجاح الكبير الذى حققوه واعتراف راديو فايد بهذه المعركة ووصفه لها بأنها أول معركة جديّة منظمة للفدائيين خفف من اصابة الزميل المصاب وشجعهم على المزيد من العمل .

## منشور الاسر الانجليزية :

رأت الجماعة بعد معركة نفيسة أن ترسل منشورا الى أسر الضباط والجنود على غرار المنشور الذى وجه الى الجنود ، وكان بعنوان « الى العائلات البريطانية » .

## وترجمته العربية كما يلي :

( سبق أن حذرنا الجنود والضباط الانجليز من بقائهم في مصر لأن مصر ليست بلادهم والقضية التي يحاربون من أجلها هي قضية خاسرة لأنها قائمة على الظلم والعدوان .

« ولقد وطدنا العزم على القتال والمهلة التي منحناها لكم قد انتهت سنحارب . وسنقاتل . وسنذبح ما يقابلنا من الضباط والجنود بالبنادق والقنابل والخناجر . سيدتي ستفتحين عينيك ذات صباح وإذا برأس زوجك أو أخيك أو ابنك أو أهلك في تابوت والدماء الساخنة تسيل منه .

« حذرنا الجنود والضباط — ونعود الآن فنحذرك باعتبارك أنت وحدك التي ستواجهين الفجيعة أمام الجثث التي سنوافيك بها تباعا ومن الآن . »

ووزع القذائيون هذا المنشور على جميع الأسر الانجليزية في صبيحة يوم ١٩٥١/١١/١ في الاسماعيلية والسويس ولم يلق القذائيون جهدا كبيرا في توزيعه كما سبق أن لاقوا في توزيع المنشور الذي وجه الى الجنود ، واتبعوا في ذلك وسائل عديدة ، فكانوا يضعونه في صناديق البريد المثبتة على واجهات منازل الأسر ، أو بوضعه تحت الأبواب ، أو بإلقائه من النوافذ أو بتسليمه لصغار الأطفال ، أو بتركه في عربات الأتوبيس الخاصة بهم حتى أن بعض القذائيين كان يسلم هذه المنشورات للسيدات الانجليزيات يدا بيد أو بوضعها في سلال الخضر التي كن يحملنها . وعلى كل فقد وزع المنشور في المدينتين على كثير من الأسر بكل سهولة ويسر ، وكان له أثر كبير في نفوس السيدات الانجليزيات فأشاع الذعر في قلوبهن ، وبث في نفوسهن الرعب ، وقد انعكس ذلك على أعمالهن وفي طرق تصرفهن في حياتهن بعد ذلك ووقع كثير من الحوادث الطريفة أثر توزيع هذا المنشور ، منها أن إحدى السيدات استصعبت طفلها وتوجهت به الى الحي الذي يقطن فيه الأهالي وأبدت رغبتها في أن تعيش بينهم لأن في هذا ما يضمن حياتها وحياة وحيدها ، ولم تعد لمنزلها الا بعد حضور البوليس الحربى البريطانى على

رأس قوة من الجيش واتزعها قسرا ! وكان خوفهن دائما على أساس من الواقع ، ذلك لأن الانجليز يخافون على الأخص من طريقة القتل بالخنجر والمدى التى كانوا يعتقدون أن العرب يجيدونها ، كما أن المنشور جاء بعد الحوادث والمعارك التى قام بها القذائيون فى ذلك الوقت فوضح لهن أن الفكرة خرجت الى حيز التنفيذ ، وأن المسألة لم تعد هزلا كما كانوا يتوقعون ، وأنه من غير المستبعد أن ترى المرأة الانجليزية ابنا أو أخاها أو زوجها مذبوحا وقد أرسلت اليها جثته فى تابوت كما حذر المنشور ، وبذلك كثر الجدل فى المنزل الواحد وتعدى الى مناقشات مستمرة كان يثيرها النساء عن طبيعة وجود الانجليز فى مصر وهل هم على حق أو على باطل ، وما جدوى مقاومة الانجليز للمصريين بلا طائل ودون هدف .

ولم يكن أمام الانجليز ازاء ذلك الموقف سوى أن يقرروا ترحيل العائلات البريطانية من مصر ، واجتمعت القيادة وأمرت عائلات الضباط بالتوجه فورا وسيداتهن وزوجاتهن الى بورسعيد حيث كانت فى انتظارهن السفينتان البريطانيتان اتلاتس ولاند فورى كاسل اللتان نقلتهن الى بلادهن .

ومهما قيل فى هذا الاجراء الاجبارى فان الوطنيين اعتبروه اقتصارا لهم واعترافا من القيادة البريطانية بجدية النضال الشعبى وازدياد وطأته كما أنه نوع من الحرب فقد طار صواب الضباط نتيجة لابعاد أسرهم عنهم ، وطاش رشدهم لهذا الفراق وتبدل الحال من استقرار عائلى شامل الى قلق وحيرة .

وقد كتب مراسل أخبار اليوم من انجلترا الرسالة التالية تعليقا على ترحيل العائلات البريطانية :

( وصل الى بلاك بول عدد من عائلات الضباط والجنود الانجليز فى قيادة السويس وقالت بعض الزوجات الانجليزيات انهن تلقين منشورات مكتوبة بلغة انجليزية صحيحة جاء فيها : احرقى حقائبك وعودى الى وطنك وحاولى أن تقنعى زوجك بأن يحذو حذوك واصحبيه معك ، أما اذا رفض زوجك



النصيحة فنشحنه لك في قابوت . وقالت زوجات الجنود ان هذه المنشورات وزعت بنظام دقيق ، وانها أثارت الرعب في قلوبهن .. )

## منشورات بريطانية :

وقد رأى الانجليز أن يقاوموا المنشورات - أى منشورات القذائيين بمنشورات مضادة تهدف الى زعزعة الثقة فى نفوس المصريين وبث روح التشكك والتخاذل فى نفوسهم واشاعة بغض المحكوم للحاكم،حتى انهم نادوا بضرورة ثورة الطبقات المكدمة التى لاتملك شيئا علو. تلك التى تملك كل شئ وما كانوا يعرفون أن هذه الثورة فى طريقها الى الوجود ، كما كانت هذه المنشورات تهدف الى طمأنة جنود الامبراطورية الذين بدءوا يتشككون فى عدالة ما يحاربون من أجله بعد أن أصبحت حياتهم وحياة أولادهم وزوجاتهم فى كفة القدر ينامون ولا يعرفون هل سيطلع عليهم النهار أم ستوارىهم أرض الفراغة .

ومن هذه المنشورات « نشرة أنباء القتال » بالعربية Canal gone, Anew وبالانجليزية

ولقد جاء فى احدى هذه النشرات ما يلى :

« لقد انخفض دخل الحكومة المصرية من الجمارك بحوالى ٥٠٪ فماذا هى فاعلة ؟ هل تتخذ خطوة سريعة لفرض ضرائب باهظة على الأغنياء ، ويقول المسئولون فى مصر ان فرض ضرائب جديدة يكاد يكون مستحيلا لان ذلك سيسبب غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار يوما بعد يوم ، وقد تسلك الحكومة طريق الاسنسلام ومجابهة الفاقة والقنوط وذلك بطبع أوراق نقدية اضافية وطرحها للتداول .

كما نشرت القوات البريطانية فى احدى نشراتها فى سبيل اثاره طبقات الشعب ضد الحكومة والأغنياء فقالت : « ذكرت الصحف المصرية أن قسم الميزانية التجارى لوزارة التجارة والصناعة وضع كشفا بما استوردته مصر من الخارج خلال العام المنتهى أمس الأول وقد جاء فى هذا الكشف ما يلى : عشرة ملايين من الجنيهات ثمن مجوهرات وأحجار كريمة .

تسعة ملايين جنيه ثمن سيارات ملاكى .

ستمائة ألف جنيه ثمن روائع عطرية .

٥٠٠ ألف جنيه ثمن أسلحة وذخائر .

ولا حاجة بنا الى التعليق على هذا النبا فأرقامه تتكلم عن نفسها وتعطينا صورة واضحة عن حياة الرفاهية التى ينعم بها ثروة مصر وتعكس لنا صورة قاتمة عن حياة الفاقة التى يحياها الفقراء وهم السواد الأعظم من الشعب »

وقال الانجليز فى نشرة أخرى : « لقد ارتفع كل شىء ، وحسب تقرير الحكومة بلا استثناء فى جميع مواد الغذاء كاللحوم والعجن والمسلى والزيت والبيض والزبدة والسكر والفلفل والبن والثوم والبصل والسردى والبطاطس واللوى والليمون والبلح الابرى فماذا يفعل الموظف الذى لا يكاد مرتبه يكفى لطعام شخص فما بالك به وهو يقتات به هو وأولاده » — بهذه النشرات كانت تحاول بريطانيا الرد على منشورات القذائين فى محاولة لاثارة الفتن والفتاقل بين الطوائف ضد الحكومة من جهة ، وهى من جهة أخرى محاولة لتثبيت الثقة فى قلوب جنودها الذين ملأهم الخوف والفرق .

وقد قام الوطنيون بتوجيه منشور آخر ضد من ظل يعمل مع الانجليز من المصريين حتى ذلك الوقت وكان يتزعم هذه القلة من يدعى محمود صبرى الذى كان يتجسس على المصريين ويقبض من الانجليز الثمن وقد لاقى جزاءه على يد القذائين .

كما كتب أحدهم نشيدا للثورة لحنه الموسيقىار مدحت عاصم ، وكان يعمل فى حركة المقاومة ونشر وحفظه الكثيرون وكانوا يرددونه كثيرا فيما بينهم وقد أدخله مدحت بعد ذلك فى فيلم مصطفى كامل وسطوره الأولى هى :

الثورة يا مصر الثورة      ع المذل والاستعمار  
بالدم لآخر قطرة      بالروح بالمال بالنار  
يا نعيش فى مصر الحرة      يا نموت مسوت الأحرار

الثورة يا مصر الثورة

قلوبنا فى ايدنا ورءوسنا أهيه فى كفوفنا  
ولمصر تكون النصره وبلادنا تصبح حرة  
الثورة يا مصر الثورة  
حصون الطفلة حصون قبح قبح  
ودم الغسالة حصى حصى بحور  
وراية النيل الخضرة بتنادى بلادنا الحرة  
الثورة يا مصر الثورة

### حوادث ثلاث

فى أوائل شهر نوفمبر سنة ١٩٥١ قام الفدائيون بهجمات ثلاث فى يومين متعاقبين أولها تسلل بعض الوطنيين من بلدة القرن ليلا - وهى قرية من قرى مديرية الشرقية وتجاور معسكرات القوات البريطانية - وقتلوا ثلاثة من الجنود الانجليز الذين كانوا يتناوبون الحراسة فى ذلك المعسكر ، وقد أصيب فى هذه المعركة الزميل « على رمزى » بالرصاص فى ساقه اصابة بالغة أتلقتها ، وقد كرمته الثورة بعد ذلك فعولج على نفقة الدولة .

وثانى أعمال الفدائيين هو قيامهم بالقاء بعض زجاجات مولوتوف على الطائرات التى كانت بمطار كسفرى الكبير المجاور للاسماعيلية فاشتعلت فيه النيران وأحرقت طائرتين حريتين . ولولا أن أسرع الانجليز الى اطفاء النار لأتت على سائر ما كان بالمطار من طائرات .

أما ثالث هذه الأعمال فهو عمل جرىء قام به اثنان من الفدائيين ، على الرغم من أنه كان محظوظا بالمخاطر والصعوبات ، وهذا العمل هو نسف مخازن ومستودعات البترول فى منطقة العجرو ، وهى تقع فى مكان ناء عن عمل الفدائيين بالقرب من السويس . ولم يكن الانجليز يعتقدون أنها ستكون هدفا لأعمال الوطنيين التى تركزت فى ذلك الوقت فى مدينة الاسماعيلية وما جاورها . وقد حمل الفدائيان معها مادة T.N.T. وزجاجات مولوتوف وقنابل الميز لاستعمالها وقت الهروب ، وكذلك أصابع الجلجنايت وأنايب انفجار خاصة أمد رجال الجيش بها الفدائيين .

وهى عبارة عن زجاجة داخل أخرى تحمل مواد مشتعلة وتنفجر بعد عشرين دقيقة من خلط المواد التى فى داخل الأنبوبة بالمواد الموجودة فى الفلاق الجلجنايت ومادة

وقد فجع الفدائيان فى التسلل الى معسكر العجروء بعد أن قطعاً الأسلاك الشائكة المحيطة به بمقص خاص ، ووضعاً الأنابيب المتفجرة ومواد الجلجنايت ومادة T. N. T. فى أسفل الخزانات الضخمة وأشعلا القليل وانسحباً ، وكانت تنتظرهما عربة جيب فى الصحراء وبجوار تبة من الرمل يخفيها عن الأنظار وعلى بعد غير قليل من المعسكر . ولم تكد العربة تسير حتى سمعا انفجاراً مدوياً ولم تلبث النيران أن شبت فكانت تشاهد من على بعد سحيق وعلى طول الطريق الوعر الذى سلكه الفدائيان عند رجوعهما الى القاهرة ..

## موقف الحكومة من الفدائيين

اضطرت الحكومة ازاء الحماسة الوطنية الجارية أن تشكل لجاءاً لمقاومة الانجليز ، وانفالت التبرعات لهذه الجماعات ، ولكن هذه الأموال لم تصل أبداً الى الوطنيين والفدائيين الحقيقيين الذين كانوا يكافحون فعلاً فى القنال معتمدين على أنفسهم وبما كانوا يجمعونه فيما بينهم . وقد كان من نتيجة العمليات التى قام بها الفدائيون فى القنال أن وضعت جميع هذه الجمعيات فى حرج كبير وتخطتوا كثيراً وظلوا مدة طويلة يبحثون عن يقوم بهذه العمليات ، حتى أن بعض هذه التكوينات نسبت لنفسها قيامها ببعض هذه الأعمال ، وكان أكثر الجهات بحساً عن الفدائيين الحقيقيين الحكومة وعلى الأخص وزير الداخلية (١) ، ولم يكن من العسير عليه معرفة أولئك الوطنيين فأرسل الوزير اليهم يطلب مقابلة مندوبين عنهم ليتعاون معهم ، وكان يرمى من وراء ذلك الضغط على الانجليز لكى يتفاوضوا مع الوفد ولكن الفدائيين اشترطوا شروطاً ثلاثة (٢) :

(١) عدم ذكر أسماء الفدائيين .

(١) فؤاد سراج الدين .

(٢) وقد اجتمع وزير الخارجية المصرى مع مستر ايلس فى ١٨/١٢/١٩٥١ - تمهيداً للمفاوضة

(٢) مساعدة الحكومة لهم بالأسلحة .

(٣) بقاؤهم كوحدة منفصلة وعدم اندماجهم فى أى هيئة أو جماعة

أخرى .

ووافق وزير الداخلية على هذه الشروط إلا أنه اشترط من جانبه شرطا واحدا هو أن يقوم الفدائيون بعملية واحدة ليتأكد بعدها من أنهم فعلا هم الذين يقومون بالمعارك فى القنال ثم يحقق لهم بعد ذلك مطالبهم . واجتمع الوطنيون ووافقوا على هذه الشروط ولم يكن الوزير قد باح حتى ذلك الوقت بالعملية التى جعل تحقيقها رهنا بموافقته لشروط الجماعة ..

وتعجب الوطنيون عندما علموا بشرط الوزير ، فقد قال لندوب الفدائيين : « أريد أن تدمروا محطة مجارى نقيشة بالاسماعيلية ! ووجه العجب أن محطة المجارى لم تكن هدفا عسكريا هاما . وكان التشكيل يعتقد أن الوزير سيطلب منهم طلبا عسيرا .. لهذا فقد سر الفدائيون لقيامهم بهذه العملية وشعروا أن مطالبهم ستتحقق وأن الصعاب التى طالما قابلتهم ستذلل ، ولذلك فقد صمموا على القيام بتدمير هذه المحطة فى أسرع وقت ممكن وشدوا الرحال الى الاسماعيلية ودرسوا الموقع وحددوا يوم ١٦/١١/١٩٥١ موعدا للتنفيذ .

وفى الساعة الثانية عشرة تسلل ثلاثة من الذين تخصصوا فى التدمير الى المعسكر بعد أن عبروا ترعة الاسماعيلية من ناحية مزارع عزبة على عيد ، بينما رابطت باقى الفرقة فى مواجهة المعسكر لمناوشة قط الحراسة البريطانية ولحماية الثلاثة المهاجمين الذين تسللوا داخل المعسكر بعد أن قصوا الأسلاك الشائكة وأوجدوا ثغرة تكفى لمروهم زحفا ، وتمكنوا من وضع الديناميت بين الآلتين الضخمتين الخاصتين بالمجارى ، ثم أشعلوا القليل وانسحبوا دون أن يقابلهم أو يراهم الجنود الانجليز . وفى أثناء عبورهم ترعة الاسماعيلية انفجر اللغم الكبير وأحدث دويا هائلا ، وكان يدخل المعسكر أثناء ذلك رتل من السيارات فأصلتهم باقى الفرقة المرابطة فى اتجاه المعسكر بوابل من نيران بنادقها فقتل سائق السيارة الأولى والحارس الذى بجواره وساد المعسكر هرج ومرج وانبعث الرصاص من جميع الجهات من داخل المعسكر

ومن خارجه — وهب الجنود من النوم على صوت الرصاص ليواجهوا مشكلة فادحة لم تطرأ لهم على بال ، وهى انفجار محطة المجارى وتدفق المياه والقاذورات منها الى المعسكر .. وبهدوء رجع الفدائيون كل الى داره ولم يصب منهم سوى أحدهم برصاصة (١) فى عينه بعد أن حققوا الهدف الذى سعوا اليه .. وفى الصباح أذاع راديو فايد :

«ان جماعة من الوطنيين هاجموا محطة المجارى بمعسكر الاسماعيليه وألقوا بداخله لغما أحدث انفجارا مدويا وقد تسبب عن ذلك قتل سائق سيارة وجندي واحد .»

وبمناسبة اصابة الزميل الفدائى فى عينه تحضرنى هذه الواقعة . فقد كانت اصابة الفدائى فى عينه على شئ من الخطورة ، فسافر به اثنان من الفدائيين أحدهما ضابط طيار ، والثانى محام شاب الى الزقازيق لعلاج عند دكتور عيون ونائب وفدى مشهور طالما تشددت بمساعدته للفدائيين ، وكان على شئ كبير من اليسار ، وأجريت للمريض عملية جراحية بسيطة أكد الطبيب بعدها أن الوطنى سيشفى فى مدى يومين أو ثلاثة ، وفرح أصحابه لنجاح العملية واعتقدا أن الدكتور الوطنى الكبير لن يتقاضى منهما أجرا مساهمة منه فى الكفاح . وعندما هموا بالانصراف طالبهما الدكتور بمبلغ جنيهين أجر العملية قائلا لهما بأنه راعى الظروف وخفض الأتعاب من خمسة جنيهات الى جنيهين فقط !! ولم تكن قيمة الأتعاب هى التى كانت تشغل بال الوطنيين وانما لأنه لم يكن معهما وكذلك المريض سوى مائة وأربعين قرشا دفعوها له وخرجوا خالى الوفاض !! واذا كان هذا هو موقف الدكتور مدعى الوطنية ، فقد كانت هناك مواقف أخرى كريمة من أناس أقل يسارا بكثير من هذا الدكتور .

وأذكر على سبيل المثال أنه فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٥١ كان الشاب المحامى يقود سيارة جيب بها بعض الفدائيين متجها بهم الى بلدة التل ، وعند أول ضاحية المطرية وقف لتموين العربى بالبنزين والزيت ، ولما هم بدفع الحساب أخبره العامل أن هناك من قام بسداد المطلوب ، ولما سأله

(١) عبده نفس من اهالى الاسماعيليه .

عن يكون هذا الشخص ، أشار الى رجل يلبس جلبابا بلديا فذهب اليه وحاول أن يعطيه قيمة ما دفعه ولكنه أبى ورفض — ولما سأله عن اسمه لكى يرسل له ما دفعه أو حتى للتعارف أبى وقال باللغة العربية الدارجة ( دا أقل الايمان ، لا بنحارب ، ولا نساعد حتى فى حاجة بسيطة زى دى روحوا . ربنا يسترها فى طريقكم ) .

والواقع أن النجاح الذى حققه الفدائيون من نفس مجارى نفيشه قد فاق كل ما تصوره ، ذلك لأنه لم يقتصر على تحقيق شرط الوزير فحسب ، وانما تعدى أثره الى داخل المعسكر ، فلم تمض بضع ساعات على انفجار المحطة حتى تدفقت القاذورات فعمرت جميع أرجاء المعسكر وتسربت داخل المخيمات ، وأصبح النقل من مكان الى آخر غاية فى الصعوبة ، وبطبيعة الحال أصبحت الإقامة فيه بهذا الوضع ضربا من المستحيلات وكان يقيم فى هذا المعسكر عدا الجنود عددا من الجنود الزوج ( الموريشان ) والذين كانت تجلبهم انجلترا من أواسط أفريقيا ومن جنوبها ليحاربوا باسم الامبراطورية ، فأرادوا أن يسخروهم فى تنظيف المعسكر ولكنهم رفضوا وتحرشوا بالجنود الانجليز وما لبث الموقف أن تطور فتبادل الفريقان اطلاق النار وقتل كثير من الجانبين .

لهذا كانت هذه العملية من أنجح العمليات التى قام بها الوطنيون فى تلك الفترة ولم يكن الوطنيون فى حاجة الى أن يرهنوا للوزير أنهم قعدوا العملية عندما قابله مندوبهم صبيحة يوم ١٧/١١/١٩٥١ لأنه كان قد عرف بها من اذاعة راديو فايد ، واستمع لمطالبهم وأمر بتنفيذها وحصلوا من وراء ذلك على عربة جيب وعربة لنقل الجنود وخمسين بندقية جديدة لى انقيلد وصندوقين كبيرين من الذخيرة سلمت اليهم من مخازن البوليس بالقلعة ، وكان ذلك بمثابة انتصار جديد للوطنيين فى كفاحهم ضد الانجليز .

وقد ضاق الانجليز من عملية نفس مجارى محطة نفيشة ، وملا الغضب صدورهم لما سببه لهم من ضيق وللخسارة التى تكبدوها فى الأرواح . فلا عجب اذا فقدوا أعصابهم وبيتوا النية على القيام بعمل انتقامى يردون به على أعمال الوطنيين التى كانت قد انتشرت فى كل مكان .

## الانجليز يفقدون أعصابهم :

كانت أعصاب الانجليز مشدودة بعد رحيل أسرهم ، ونتيجة لأعمال الفدائيين المتزايدة ، وبخاصة بعد عملية نسف مجارى تقيشة ، فعاودوا الاعتداء على الأهالي والمواطنين ، وكانوا يطلقون النار لأبسط الأسباب محاولين بذلك استفزاز شعور الأهالي واثارتهم ، قفى بلدة القرين سلط الانجليز مدافعهم عليها وأمطروها بوابل من قنابل الهاون والفيكرز فأصابوا المستشفى الوحيد بالبلدة المقام فى مواجهة المعسكر كما هدموا بعض بيوت الفلاحين مما حدا بقيادة الفدائيين الى نقل المرضى منه الى مستشفى أبو حماد ، ثم اتخذ الفدائيين مركزا لهم بعد ذلك يوجهون منه الضربات للانجليز الذين كانوا يشاهدون بسهولة من هذا المكان أثناء غدوهم ورواحهم وقد ساهم أهالى القرين فى الكفاح الوطنى واشترك الكثيرون منهم فى محاربة الانجليز كما تحملوا الخسائر التى أصابتهم من هدم منازلهم واتلاف مزارعهم بنفس راضية ، وكانوا يقفون جنبا الى جنب مع الفدائيين كلما حاول الانجليز تطويق البلدة أو حصارها وما أكثر ما حاولوا . وعندما كان يشتد اطلاق النار كانوا يتركون أعمالهم ويهجرون مزارعهم ويخرجون بنادقهم العتيقة من أماكنها ويظلون الساعات الطويلة يطلقون الرصاص على الانجليز المحتمين وراء دباباتهم جنبا الى جنب مع الفدائيين . وحدث عندما علم أهل القرين بوجود « عزيز المصرى » القائد العام للوطنيين بها أن ترك الجميع بيوتهم ، وهجروا فراشهم ، وقد كانت الساعة تزحف نحو الثانية عشرة مساء وذهبوا ليلتقوا بالقائد العظيم فى المستشفى عارضين عليه أنفسهم وأصروا على أن يتبرعوا بما لديهم من أموال — كل على قدر حاله — مساهمة منهم فى معركة النضال الشعبى .

هذا ما كان من أمر بلدة القرين ، أما ما فعله الانجليز فى الاسماعيلية فهو يصور بجلاء مدى توتر أعصابهم وفقدانهم لرشدتهم ، فقد صبوا جام غضبهم على المدينة وقاموا بالاعتداء على المواطنين ورجال البوليس اعتداء وحشيا ينم عن الضغينة والحقد ويتفق تماما مع ما جبلوا عليه من غدر وخيانة .



فقد أصدرت القيادة البريطانية الأمر لجنودها بأن يتحرسوا برجال بلوكات الخفر الذين كانوا يقيمون بمبنى المحافظة بالاسماعيلية بعد أن جلبتهم الحكومة لحفظ النظام والأمن بالمدينة .

وفي صباح يوم السبت الموافق ١٧/١١/١٩٥١ أطلق بعض الجنود النار على رجال البوليس دون سبب ، فأصابوا اثنين منهم ، ولكن جنود البوليس جمعوا شملهم وحصنوا أنفسهم وردوا على هذا العدوان المفاجيء الذى لا مبرر بالمثل . ولكن الانجليز طلبوا النجدة وسرعان ما جاءت قوات كبيرة من الجنود تؤيدها الدبابات وحاصروا مبنى المحافظة وظلوا يطلقون النار من كل جهة على جنود بلوكات النظام الذين كانوا يدافعون ببنادق قديمة ، وبذخيرة ضئيلة، ومضى يوم ١٧/١١، وفي اليوم التالى عادوا الى ضرب المبنى بقوة أشد ، وحلقت الطائرات الانجليزية فوق أرض المعركة لالتقاء الرعب فى قلوب المحاصرين ، وتقدمت الدبابات بمدافعها تحاول اقتحام الموقع ولكن رصاص جنود بلوكات النظام كان يردهم على أعقابهم خاسرين فينسحبوا ليقابلوا رصاص الفدائيين الذى كان ينهال عليهم من كل صوب وحذب ، من المنازل ، ومن الشوارع ، ومن الحارات الضيقة المحيطة بالمنطقة ، فيصيبهم الهوس لهذه المقاومة الجريئة وتتهار أعصابهم لعدم تمكنهم من الاستيلاء على مبنى بسيط مكشوف يدافع عنه أشخاص غير حربيين ولا مدربين ، ويحاربون بأسلحة بدائية وبذخيرة محدودة ، وهم الذين يملكون المعدات الحربية الحديثة بشتى أنواعها ! وعلى الرغم من ذلك فقد عجزوا عن اقتحامه يومين كاملين واضطروا الى احتلال مبنى الاسعاف المواجه لمبنى ثكنات بلوكات النظام بعد أن طردوا من فيه من جرحى ومرضى ، وألقوا بهم الى عرض الطريق بما استتبع ذلك من عسف وتكيل وما فى ذلك العمل من اهدار لأبسط مبادئ العدل والقانون الدولى . وبعد جهاد مرير يزيد على أربعين ساعة نفدت ذخيرة المدافعين واقتحم الأوغاد أبطال دنكرك مبنى بلوكات النظام ، ومع ذلك فقد كانت الخسارة متعادلة تقريبا ، فبينما كان عدد القتلى من المصريين ثمانية جنود وخمسة من المدنيين نجد أن القتلى من الانجليز . ثمانية منهم خمسة ضباط ، أما الجرحى فحوالى ٣٠ من الطرفين .

وبعد هذه المعركة اتصلت القيادة البريطانية بالحكومة المصرية تطلب  
الانذار لها بنقل باقى أفراد الأسر البريطانية من داخل المدينة الى المعسكرات  
البريطانية توطئة لترحيلهم الى انجلترا ..

وقد وافقت الحكومة على ذلك بشرط انسحاب الجنود الانجليز من  
المدينة وعدم ظهورهم بها ، وأن يوكل الى المصريين أمر المحافظة على الأمن  
وتم الاتفاق على ذلك فى يوم ١٩ / ١١ / . وتغذى كل من الطرفين ، وسى هذا  
الاتفاق باتفاق أرسكين غزالى لأنه تم بين القائد البريطانى أرسكين ومحافظ  
القنال عبد الهادى غزالى . وتمكن الانجليز بواسطة الاتفاق من ترحيل باقى  
أسرهم ، وبذلك وصل عدد الأفراد الذين رحلوا من مصر الى انجلترا حوالى  
٤٥٠٠ سيدة وطفل .

## معارك السويس :

لم تكن بالسويس حتى ذلك الوقت معارك تذكر بين الوطنيين والانجليز  
لأن القوات البريطانية كانت قد فصلت منطقة القنال عند الكيلو ٩٩ من طريق  
القاهرة السويس فصلا تاما وضربت عليه ستارا من حديد .

وهنا قد يتساءل البعض : كيف لم يواصل الفدائيون أعمالهم فى منطقة  
السويس بعد فصلها باغلاق الطريق عن الكيلو ٩٩ من طريق : القاهرة —  
السويس مع أنهم واصلوا العمل بعد اغلاق الطريق عند الكيلو ٩٠ من طريق  
القاهرة — الاسماعيلية — وللإجابة على ذلك قول : انه كانت هناك عدة طرق  
يسلكها من يريد الذهاب الى الاسماعيلية ، بينما لم يكن هناك الا طريق واحد  
يصل بين القاهرة والسويس ، ولذلك فقد تأخرت العمليات بعض الوقت  
بالسويس ، ومع ذلك فقد قام الوطنيون بتنظيم فرقة بها بعد أن وحدوا جميع  
الكتائب وضموها اليها وأمدوها بالسلاح والمال ، وكان من أعضائها كثير من  
حاربوا فى فلسطين تحت قيادة المرحوم البطل أحمد عبد العزيز ولذلك سميت  
بكتيبة أحمد عبد العزيز ، وكان أول ظهورها واشتراكها الفعلى يوم ١٢ / ٣ /  
١٩٥١ وتفصيل ذلك انه بينما كان عدد من بلوكات النظام لا يتعدى العشرين  
جنديا وعلى رأسهم ضابط صغير برتبة ملازل أول ( ألفى عثمان ) يستقلون

سيارة من سيارات نقل الجنود في طريق السويس أن تعطلت فترجلوا وحاولوا دفعها ليصلوا بها الى أقرب مكان يصلحونها فيه ، واذا بهم يفاجأون بالجنود البريطانيين يطلقون عليهم النار دون سبب ، ونشبت معركة غير متكافئة، وهب أهالي مدينة السويس وعلى رأسهم كتيبة أحمد عبد العزيز ، واشتركوا في القتال الذي انقلب في لحظات الى معركة كبيرة سميت بمعركة السويس الأولى .

والواقع أن الانجليز لم يطلقوا النار على جنود بلوكات النظام بلا سبب بل انهم كانوا قد يبتوا النية للاستيلاء على المدينة ورصدوا لذلك سبعين سيارة من سيارات نقل الجنود تتقدمهم الدبابات والمدافع وما كان اطلاقهم النار على رجال البوليس الا تمهيدا لهذا الاستيلاء .

وأعود لأبين كيف سارت المعركة الغادرة التي رسم خطوطها الانجليز الغادرون ، فقد بدءوا يطلقون النار على جنود بلوكات النظام حوالى الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٥١/١٢/٣ وانضم الأهالي الى رجال البوليس ، وخرجت كتيبة أحمد عبد العزيز تنظم القتال وتوزع السلاح . ولما شعر الانجليز بشدة كفاح شعب السويس توجهت خمس عربات محملة بالجنود البريطانية الى طريق الزيتية لتطويق الأهالي ، ولكن أفراد كتيبة أحمد عبد العزيز تسهوا لذلك وقطعوا عليهم الطريق المؤدى الى الزيتية ، ونشبت معركة أخرى رجحت فيها كفة الوطنيين ، وأحرقوا أربع عربات من الخمس التي كان بها الانجليز ، وقتلوا ما يزيد على عشرين جنديا منهم ضابط برتبة ميجر وجرح حوالى سبعين جنديا آخرين ، وولى باقى الجنود الانجليز الفرار ، وكأنما خجلوا من هذا الفشل .. فأصدرت القيادة البريطانية لقواتها التي أعدها من قبل ، والتي كانت تستعد لاحتلال المدينة ، أوامرها بتأديب أهالي السويس ، فتوجهت السيارات السبعون بمن فيها من جنود مسلحين بالمدافع الرشاشة والبنادق الى المدينة وصبت عليها وابلا من الرصاص ، وقد قابلهم الأهالي بالمثل ، وانضم رجال البوليس الى الشعب ، واستمر اطلاق النار حتى غربت الشمس فانسحب الانجليز حاملين معهم قتلاهم وجرحاهم وقد قتل منهم زيادة على العدد السابق حوالى اثني عشر قتيلا ، وجرح ما يربو على

أربعين جريحا ، وبذلك بلغ عدد قتلاهم يوم ١٩٥١/١٢/٣ بين جندي وضابط سبعة وثلاثون وجرح منهم مالا يقل عن مائة وعشرة جرحى ، وقد استشهد من الوطنيين ٣٤ شهيدا كما جرح ستون وعندما خيم الظلام كانت المدينة الحزينة يجللها السواد حزنا على شهدائها وجرحاها ، ولكنها لم تتم هذه الليلة فقد ظل أبناءها طوال الليل يقيمون الاستحكامات وينظمون وسائل المقاومة ويوزعون السلاح على الأهالي . وفي الصباح - وهو يوافق يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر سنة ١٥١ عاود الانجليز هجومهم على السويس بقصد الانتقام لما أصابهم في اليوم السابق وكانوا قد أعدوا لهذا الهجوم فرقة لواء المظلات السادسة عشرة ، وهي من خيرة جنودهم ، وكان هذا اللواء مزودا بمدافع الهاون والفيكرز السريعة وظلوا يطلقون النار على المدينة زهاء ساعة أو ما يقرب من ذلك ثم بدأوا في الزحف ولكنهم ما كادوا يقربون المدينة حتى تصدى لهم الأهالي وأطلقوا عليهم نيران بنادقهم من نوع ( لى افيلد ) وكانت كتيبة أحمد عبد العزيز قد زودت بالكثير من قنابل الميزل وزجاجات كوكيل مولوتوف فاستعملها أفرادها وألقوا بالكثير منها على السيارات البريطانية فاشتعلت النيران في عدد منها ، وقد ألفت هذه القنابل الرعب في قلوب الانجليز الذين لم يكونوا ليتصوروا أن شعب السويس قد استعد كل هذا الاستعداد حتى أنه بدأ في صنع القنابل ، ولذلك انسحب لواء المظلات عندما رأى شدة مقاومة أهالي السويس ، وكان الغيظ يملأ نفوس أفرادهم وأثناء عودتهم شاهدوا بعض الأهالي يشيعون جنازة أحد الشهداء وهو المرحوم حنفي زهران ، وقد شيعه شعب السويس دون باقي الشهداء تمهيدا لنقله الى بلدته بالقازيق وعندما وصلت الجنازة الى كوبرى السويس رأى لواء المظلات أن فرصة الانتقام من الوطنيين قد حانت فهاجموا المشيعين العزل الآمنين وأطلقوا عليهم النار ، وانضم للواء المظلات القائد العام لمنطقة القتال الجنوبية البريجادير جون كولفيلد بقواته وبدأوا في تنفيذ عملية لآبادة المشيعين ، وهي إحدى العمليات التى يجيدها الانجليز تماما كلما رأوا أمامهم رجالا عزلا .

وبذلك ازداد عدد الشهداء وارتفع رقم الجرحى . ولكن الانجليز خسروا كذلك خسارة فادحة على الرغم من استعدادهم الفائق ، وذلك أنه

عندما حاول لواء المظلات اقتحام المدينة بعد اقتصاره على فلول المشيعين .  
قابلهم رصاص الأهالي فسقط منهم ٣١ قتيلا ، وبلغ عدد جرحاهم ثمانين أى  
انهم فى نصف يوم خسروا ٦٨ قتيلا و ١٩٠ جريحا . وهذه الأرقام قد راعيت  
فيها الدقة التامة ، وهى بطبيعة الحال خسائر جسيمة بالنسبة للانجليز لم تكن  
فى حساباتهم لأنهم لم يتوقعوها . ولكن هل يسكت الانجليز على هذه الهزيمة  
التي حاقت بهم على يد شعب أعزل ؟ وهل يقنع أرسكين وإكسهام  
وكولفيلد بهذا الوضع المشين الذليل ؟ الواقع أنهم لم يرضوا ولم يسكتوا  
وانما سهروا أربع ليال لا يغمض لهم جفن ، والحقد الأسود يفرى قلوبهم ،  
وخرجت القيادة البريطانية بعد هذا السهر الطويل لتعلن على الملأ أنها ستزيل  
حيا بأكمله من السويس ، وجندت اثنى عشر ألف جندى بدباباتهم ومصفحاتهم  
ومدافعهم وطائراتهم لتنفيذ هذا القرار الهمجى البعيد كل البعد عن أبسط  
مبادئ الانسانية ، ولم يكن له من دلالة سوى الانتقام واستعراض عضلات  
الأسد البريطانى الجريح ، لأن هذه المنطقة لم يكن لها أية قيمة عسكرية والحى  
الذى أرادت بريطانيا أن تجعله مسرحا لمهزلتها الجديدة هو كفر أحمد  
عبده .

### ٣ - موقعة كفر أحمد عبده

#### انذار بريطاني

احتتمت القيادة البريطانية ووجهت انذارا للسيد ابراهيم زكى الخولى . محافظ السويس تذكر فيه أنها قد عازمت على هدم كفر أحمد عبده فى صباح يوم ١٢/٧/ ١٩٥١ ، وازالته من الوجود بمقولة أنه يقع بين وابور المياه المملوك للقوات البريطانية وبين باقى المعسكرات ، والقيادة البريطانية لايعجبها أن ترى منازل الأهالى وعددها ١٥٦ منزلا تقع فاصلا بين منشئاتها . واجتمع المحافظ بكتيبة أحمد عبد العزيز ونائب الدائرة وبعض الوطنيين وتباحثوا فى أمر هذا الطلب الغريب ، ورأوا أن يتصلوا بوزير الداخلية الذى رفض الانذار ومقاومة القوات البريطانية بكل وسيلة ، ولكن الانجليز عززوا انذارهم الأول بانذار آخر قالوا فيه انهم أجلوا عملية الهدم ٢٤ ساعة ، وانهم مصممون على احتلال هذا الحى وهدمه وازالته من الوجود وضمه لأملاك الامبراطورية فى الساعة السادسة من صباح يوم ١٢/٨ ، ومنذ الساعة الرابعة من مساء يوم الجمعة ١٢/٧ بدأت القوات البريطانية تتدفق حول مدينة السويس حتى أحاطت بها من جميع الجهات ، وتقدمت البوارج البريطانية من الميناء حتى أصبحت على مقربة منه ، وظلت الطائرات تحلق طوال الليل فى سماء المدينة المنكوبة ، ولم تهدأ الدبابات ولا السيارات المصفحة طوال يوم الجمعة ٨ ديسمبر . .وقد رأى المحافظ ومن معه من الوطنيين أن المقاومة لن تجدى ، بل هى ضرب من الانتحار ، فاتصلوا بوزير الداخلية مرة أخرى ليطلعوه على الموقف فأجابهم بأن مجلس الوزراء اجتمع بمنزل رئيس الوزراء مصطفى النحاس وقرر رفض الانذار ومقاومة الانجليز وشعر المجتمعون أن مجلس الوزراء يهزل ، وأن أهالى مدينة السويس هم الذين يقدرون الموقف حق قدره ، فالمقاومة معناها إبادة سكان كفر أحمد عبده على بكرة أبيهم ، فضلا عن الخسائر الأخرى التى تصيب أهالى المدينة فأخذوا على عاتقهم عدم تنفيذ قرار مجلس الوزراء وأمروا سكان الكفر بمغادرته .. وحسنا فعلوا .

## تنفيذ الانذار :

وفى الصباح الباكر من يوم ٨ ديسمبر زحف ١٢ ألف جندي بريطاني تتقدمهم الدبابات والسيارات المصفحة والمدافع وترفرق فوقهم على ارتفاع بسيط ستون طائرة حتى وصلوا الى كفر أحمد عبده وبدأت الموقعة التاريخية التى هياها لهم وهم قادة بريطانيا الأفذاذ فوضعوا المواد المتفجرة والديناميت فى البيوت فنسفوها ، فى حين كانت الدبابات تتم باقى العملية بتسوية الأتقاض المتخلفة من النسف والحريق حتى أتوا على الحى بأكمله ، وبهذا انتصرت بريطانيا العظمى على عدد من المنازل . انتصرت حسب خطتها الموضوعه باتقان ، وضعها قواد الحرب الانجليز الجنرالات أرسكين واكسهام وكولفيلد .

ومهما قيل فى أمر هذا العمل الهمجى الوحشى فان له دلالة واحدة هى أن الامبراطورية أرادت أن تتقم لضحاياها الذين سقطوا فى كل مكان وانها لم تكن تتصور أن المقاومة الشعبية ستصل الى درجة أن يخسر الانجليز هذا العدد الضخم من الضحايا .

ولقد انعكس ذلك على أقوال المسئولين منهم فيما بعد فقد قال السير أنطونى ايدن صراحة بعد ذلك عندما اجتمع بوزير الخارجية المصرية محمد صلاح الدين يوم ١٢/١٨ أن بريطانيا لا يمكنها مفاوضة مصر فى الوقت الذى تتوالى فيه الهجمات على القوات البريطانية .

وقد أذاعت السفارة البريطانية بيانا رسميا يردد هذا المعنى فى ١٢/٢٠ اذ قالت : ( وينبغى ألا يغيب عن البال أن الشرط لتحقيق أى تقدم فى هذه المباحثات ( يقصد مباحثات صلاح الدين - ايدن ) هو أن توقف الحكومة المصرية اتخاذ التدابير ضد المصالح البريطانية فى مصر ، وأن تتوقف عن أعمال الارهاب والتهديد فى منطقة القنال .

ولا يهمنى بعد ذلك ما تكبدته مصر من خسائر فى الأرواح والمال قدر اهتمامنا بأن المقاومة الشعبية كانت تزداد وطأتها شدة يوما بعد يوم باعتراف الانجليز أنفسهم حتى أنهم جعلوا وقف نشاطها أول شرط من شروط الاتفاق

على الجلاء . بل تعدى أثر ذلك خارج نطاق مصر وانجلترا فقد كانت أمريكا تتابع بقلق واضح سير الأمور في مصر .

اذ ألقى مسئول أمريكي بيانا قال فيه : ( بلغت الدوائر العسكرية الأمريكية بنيويورك تقارير سرية تدل على أن عدم التعاون الذي أظهره الشعب المصري ضد القوات البريطانية في قنال السويس أصبح يكلف انجلترا عشرات الملايين من الجنيهات عدا النفقات العادية للقاعدة البريطانية والخسائر المادية الأخرى . وقد بحث القواد في عدة اجتماعات عن قواعد في الشرق الأوسط يمكن أن تحل محل قناة السويس ) . ولعل هذا ما حدا بالقوات البريطانية بأن تطلب من المسئولين في مصر طلبا ساذجا وغريبا، فقد طلب أحد القواد الانجليز من وزير الخارجية المصري بأن تبيع مصر لبريطانيا منطقة القنال .. ويذكرنا هذا القائد المخمور بذلك الساذج الذي أتى مصر لأول مرة ، وعندما رأى الترام وركبه وأعجب به أراد أن يشتريه .. وقد تجلّى حق البريطانيين على حركة القذائيين عندما حضر الجنرال بريان روبرتسون قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط الى مصر في ٣١/١٢/١٩٥١ وأدلى ببيانه المعروف الى الحكومة المصرية ، اذ قال : « ان التصريح الذي أدلى به الآن هو متفق عليه من رئيس الوزراء ونستون تشرشل ، وأقول انه لخطأ كبير أن يتخيل أى انسان أن أعمال الضغط والارهاب وما يتلوه من نتائج لا مفر منها تؤثر بأى شكل من الأشكال في عزمنا ، واذا اقتضت الضرورة ذلك فانا سنستمر في أعمال المقاومة شهرا في اثر شهر بل وشهورا عديدة اذا احتاج الأمر وسنقابل القوة بالقوة مستخدمين من جانبنا ما لا يزيد على الحاجة ، ولدينا القوة الكافية تحت تصرفنا كما لدينا التأييد من عدة بلاد أخرى فلا يخدعن امرؤ نفسه بالتفكير في أننا سنغير سياستنا على مر الوقت أو نتيجة للارهاب » .

ومن يسمع أو يتصفح هذا البيان دون أن يعرف من أصدره ، فانه سيقدر على الفور أنه صدر من الجانب المصري ، فلقد صورت القوات البريطانية موقفها كمن يعتدى عليها ووضعت نفسها موضع المظلوم المضطهد الذي يدافع عن نفسه ويرد العدوان ويقاوم الغاصب ولا تصدر جملة « أننا



سنستمر فى أعمال المقاومة شهرا فى اثر شهر وسنقابل القوة بالقوة « الا من شعب مضطهد يرنو الى الحرية ويحاول مقاومة غزاة طغاة معتدين ،ومهما يكن من أمر فان الانجليز قد شعروا بوطأة الكفاح الشعبى وبدأوا يشكون ويثنون منه وهذا أقصى ما كان يرنو اليه ويتمناه الوطنيون فى مصر .

## معارك فى كل مكان :

لم يتمكن الوطنيون من الوصول الى بورسعيد لبعدها ولذلك بدأت وكأنها بمعزل عن باقى مدن القنال حتى أخبارها كانت منقطعة عنا ولا يعنى ذلك أن شعب بورسعيد لم يحاول مقاومة الانجليز بل على العكس فإنه منذ الاعتداء الوحشى الأول على الاسماعيلية والوطنيون ببورسعيد يتوجسون خيفة فكونوا فرق المقاومة التى قامت ببعض العمليات المتفرقة على الرغم من قلة السلاح والذخيرة وبعد الشقة بينها وبين القاهرة مصدر التنظيم والوحى، وقد حدث أن أذاعت وزارة الداخلية البيان الرسمى اتالى من بورسعيد . فى ٩/١١/١٩٥١ أى فى أوائل أيام الكفاح .

« حضر لقسم القنطرة أمس ضابط انجليزى برتبة بكباشى ومعه بعض الضباط البريطانيين وأبلغوا أنهم فى الساعة الثامنة والنصف صباحا بينما كانوا يستقلون سيارتهم فى طريق بورسعيد القنطرة اعترضتهم عربة جيب وأطلق عليه أحد الأشخاص الذين يستقلونها ٢٥ عيارا ناريا من مدفع أشتن وأصاب الجندى البريطانى الذى يقود سيارتهم وقد طلب الضابط القبض على السيارة والفدائيين الذين كانوا بها وهددت القوات الانجليزية بالقبض على الضابط رئيس نقطة القنطرة .

وقد كان من أثر مقاطعة المصريين للانجليز وعدم التعاون معهم وما كان يعمل فى قلوبهم من كراهية كانت تتزايد يوما بعد يوم أن وقع احتكاك بين الوطنيين والقوات البريطانية فى حى العرب ما لبث أن اتسع نطاقه والتحم الطرفان ونشب معركة استعمل فيها الوطنيون بجانب البنادق المدى والسكاكين والحجارة ، وظلت المعركة دائرة الى ما قبل غروب الشمس عندما انسحبت القوات البريطانية الى ثكناتها وقد رأى الوطنيون فى بورسعيد بعد

هذه المعركة أن من واجبهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد . والتأهب لمقاومة الانجليز في أى وقت وقد قاموا بعدة عمليات متفرقة منها مهاجمة مخازن « النبى » واحراقها كما قاموا بإشعال النار فى مخيمات الانجليز على حدود المدينة وقد استشهد فى احدى هذه الغارات الطالب الصغير نيسل منصور وكان قد استفزته الأعمال الارهابية التى قام بها الانجليز فصمم على الاشتراك فى النضال حتى استشهد وذهبت روحه الى بارئها .

أما باقى مدن القنال فقد كانت تقاوم كذلك ، وفى يوم ١٢/١٢/١٩٥١ حدث أن نسف الفدائيون محطة مياه معسكر التل الكبير بعد أن اشتبكوا مع نقطة الحراسة .

وفى يوم ١٤/١٢/١٩٥١ هاجموا ميناء فنارة وأشعلوا به النار .

وفى يوم ١٦/١٢/١٩٥١ هاجموا محطة لاسلكى الفردان وتمكنوا من وضع ألغام الديناميت تحت الصوارى العالية ونسفوها واشتعلت النيران فى المحطة وقد نتج عن هذا الهجوم خسائر مادية كبيرة اعترفت بها اذاعة فايد اذ ذاك .

وفى يوم ٢٨/١٢/١٩٥١ هاجم الوطنيون نقطة المحجر التى تقع بعد أبى حماد فى طريق التل الكبير واشتبكوا مع القوات البريطانية التى كانت تعسكر بها .

وفى ليلة عيد الميلاد أى فى يوم ٣١/١٢/١٩٥١ مساء شن الوطنيون بالاسماعيلية هجوما عاما على القوات البريطانية أثناء احتفالها برأس السنة الميلادية فاتخذ بعض الوطنيون مواقعهم فى منتزه بشارع محمد على أمام محطة ترشيح المياه المجاورة لنادى الضباط وكن البعض الآخر فى الفضاء المجاور للترعة المؤدية الى بورسعيد فى مواجهة معسكر الطيران وأما باقى الوطنيين فكنوا فى أماكن متفرقة فى شارع الثلاثين أمام هيرت هاوس وبجوار كوبرى سالا فى مواجهة القوات البريطانية ، وفى تمام الساعة الثانية عشر مساء هاجم الوطنيون الانجليز فى جميع هذه الأماكن فى وقت واحد، وقد روع الانجليز من هول المفاجأة وتحولت الحفلات الصاخبة الى فزع

ورعب وحاولوا الهرب فتصيدهم الفدائيون برصاص بنادقهم ، وجاءت امدادات الانجليز تترى والتحمت مع الوطنيين وأطلقت قنابل مدافعها على المدينة واستمر الرصاص يدوى فى كل مكان حتى الفجر وقتل من الانجليز فى هذه المعارك ١٢ قتيلًا وجرح ١٨ وقد علق راديو فايد . على هذه المعركة فقال : ( أن بعض الارهابيين حاولوا بقوة منظمة ، وبخطة مدروسة الهجوم على معسكرات طيران الاسماعيلية ونادى الضباط وترائست كامب ولكن قواتنا ردتهم على أعقابهم وكبدتهم خسائر ) .

وفى يوم ٣ يناير نسف الوطنيون مخزن الذخيرة الواقع على بحيرة التمساح الواقع بالقرب من الاسماعيلية بعد أن تمكنوا من الدخول الى سرداين من سراديب الذخيرة عن طريق الأبواب البحرية . وقد اعترف راديو فايد بهذا الانفجار ، وهددت القيادة القرى المجاورة التى يأوى اليها الوطنيون بهجوم شامل ، وقد أرسل أرسكين بعد ذلك الى وزير الحربية البريطانية باقتراحين للانتقام من الوطنيين : أولهما القبض على الوطنيين وارسالهم الى انجلترا أو استراليا لمحاكمتهم أمام محاكم عسكرية ، وثانيهما فرض غرامات فادحة على المدن والقرى التى تقع فيها أو بجوارها الحوادث ولكن كلا الاقتراحين رفضا .

وفى ١٢ يناير هاجم الوطنيون معسكر أبو صوير وقتلوا اثنين من الانجليز وقامت قوات كبيرة من البريطانيين لتتقب الفدائيين لتقبض عليهم ، وتبعثهم حتى عزبة عبد الحميد صادق المحامى ، أحد المحامين الذين كانوا يساهمون فى الكفاح، والواقعة فى الضفة اليمنى لترعة الاسماعيلية واقتحمت الدبابات العزبة من ثلاث جهات وحاصرتها ودخلت منزل المحامى وأتلفت أثاثه وقبض الانجليز على بعض الوطنيين كما عثروا على بعض الأسلحة وتمكن المحامى ومن معه من الوطنيين من الهرب عن طريق الصحراء الى القاهرة وباختصار كانت المعارك تدور فى كل مكان وقد أحال الوطنيون حياة القوات البريطانية الى ما يشبه الجحيم فلا عجب اذا عبر قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط عن شعوره ازاء هذه العمليات وبدأ يصرخ ويكى من ظلم المصريين له ولقواته عندما أدلى بتصريحه الذى سبق الإشارة اليه مهددا

« بأنا سنستمر فى أعمال المقاومة شهرا فى اثر شهر وسنقابل القوة بالقوة  
( بيان الجنرال روبرتسون فى ٣١/١٢/١٩٥١ ) ..

## اللغم :

كان الوطنيون يحاربون الانجليز فى كل مكان ، وكانوا يبحثون عن كل ما من شأنه اطلاقهم وتكبيدهم أفدح الخسائر . وقد رأوا أثناء نضالهم اغراق أية باخرة انجليزية أثناء عبورها لقناة السويس ، ففضلا عما يصيب الانجليز من وراء ذلك من خسائر فى الأرواح والأموال فإن هذا العمل سيكون له أثر بالغ فى المجال الدولى ، لأنه يعنى قفل القناة أمام جميع السفن على اختلاف جنسياتها ، ومن ثم يأخذ الكفاح مظهرا دوليا ويخرج من الحيز الضيق الى المحافل الأجنبية .

وقد فكر الوطنيون بادىء الأمر فى التريص بالسفينة الانجليزية على الشاطئ ثم ضربها بمدفع من نوع بازوكا . وقد خشى من فشل هذه العملية ، لذلك رأى اغراق السفينة بواسطة لغم بحرى زيادة فى الحيلة ، وأعد التشكيل العسكرى للغم ، ولكن بعد جهد ، وكان من الضخامة بحيث أن الوطنيون عجزوا عن نقله الى منطقة القنال فقسموه الى أربعة أجزاء وضعوها فى عربة جيش لتوصيلها الى أعضاء التشكيل المقيمين برفح ، على أن يعاد تركيبه فى رفح ثم يرسل الى القنطرة لاتمام العملية هناك ، وتم نقل اللغم دون تركيب وسار بالصيد الثمين الى القنطرة حيث تسلمه الضباط الأحرار أعضاء التشكيل العسكرى وأعادوا تركيبه هناك ثم أخفوه الى حين تنفيذ العملية وكان ذلك فى آخر ديسمبر سنة ١٩٥١ . وقد حال دون تنفيذ هذه العملية المعارك العنيفة التى خاضها الوطنيون ضد الانجليز وخاصة معركة التل الكبير وسلسلة المجازر التى أقدمت عليها بريطانيا بعد ذلك والتحام الوطنيون فى هذه العمليات مما اضطرهم الى تأجيل عملية اللغم أو التيتل كما كانوا يسمونه وقتذاك زيادة فى الحيلة والحرص .

## الملك والمقاومة :

منذ إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وقيام الوطنيون بالكفاح فى القنال والملك السابق فاروق ينظر بعين المتوجس المتربص الخائف ، فهو بين أمرين ، اما

أن يساعد الحركة ويباركها وفي ذلك ما يغضب أسياده الانجليز . واما أن يناهض الحركة ويعادى الشعب والدولة التى يتربع ملكا عليها . وهما أمران أحلاهما مر !! وان كان يفضل عدم اثارة الحاكم ، الأمر الجالس بقصر الدوبارة لأنه لم يكن قد نسى درس ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ واللمظة التى وجهها السفير البريطانى سير مايلز لامبسون لا تزال واضحة المعالم على وجهه .

ولم يكن تحالفه مع الانجليز هو وحده الذى أبعده عن الشعب ، وانما كانت هناك مبادل ، ومساخر ، وخمر ، ونساء — وقد بينا ذلك فيما سبق ورأينا كيف ابتعد فاروق عن الشعب بعد حادثة ٤ فبراير كلية ، بعد أن كان ابتعاده جزئيا خاصة بعد المظاهرات التى قام بها طلبة الجامعة خلال شهر ديسمبر وهتفوا فيها بسقوطه ، وأنزلوا صورته وداسوها تحت أقدامهم ، وسمع فاروق هذه الهتافات لأول مرة فارتعدت فرائصه — ومن أجل ذلك كان يخشى من حركة الوطنيين بالقنال فظل يتابع الحركة ، ويرصد حركاتها ، وبحث عن الأسماء التى وراءها حتى اهتدى الى مركز المقاومة فى مصر ، وكان بمكتب أحد المحامين . وفى أواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ اتصل مصطفى صادق عم الملكة السابقة ناريمان زوج الملك الجديدة بالمحامى وطلب منه الحضور لمقابلته فى مقر عمله بشركة سعيدة للطيران ، ولما استوضحه المحامى عن سبب المقابلة قال له انها هامة وخطيرة للغاية .. فرفض المحامى الذهاب اليه لعدم معرفة سبب المقابلة .. ولما رأى مصطفى صادق تشبث المحامى برأيه طلب منه أن يخطر القائد العسكرى للحركة — وكان ضابطا فى القوات الجوية (١) — بأنه سينتظره فى مكتبه ، وألح فى عدم التخلف ، وبدأت لهجة التهديد التى استهل عم الملكة الحديث بها تخف حدتها وأنهى الحديث بأنه والضابط الطيار زملاء وأصدقاء. واجتمع بعض المسئولين عن الحركة فى القنال وقرروا أن يقابل الضابط الطيار مصطفى صادق لمعرفة ما يريد ، وتمت المقابلة ودارت المناقشة حول موقف الوطنيين من الملك ، وهل حركة الفدائيين فى القنال تشمل برنامجا عدائيا للملك أم لا ؟ وانهى مصطفى صادق الى طلب اصدار بيان من الفدائيين فى الصحف

---

(١) وجيه اباطه

يوضحون فيه موقفهم من الملك ويؤكدون أنهم لا ينتمون الى الشيوعية ، وقد أخرج الضابط الطيار لأنه مهما يكن الأمر فانه يعمل فى قوات صاحب الجلالة ، واجتمع الوطنيون ووافقوا على اصدار البيان بتوقيع مستعار لأنهم رأوا أن هذا البيان لا يضرهم بقدر ما يحميهم من محاربة الملك وهذا نص البيان :

« عندما ألغيت معاهدة سنة ١٩٣٦ هب الشعب بجميع طوائفه للكفاح والنضال ضد الغاصب بالقنال بقصد اجلائه عن أرض الكنانة ، غير آبه بما يعترضه من صعاب أو ما يقابله من عقبات ، ولم ترهبه قوة العدو وجبروته وما يسلك من حديد و نار ، وانما زحف الى القنال فى تصميم ، وهو الأعزل الا من الايسان لمحاربة الانجليز وطردهم من البلاد بوحي من ضميره ووجدانه، وتنوه هنا أن حركة المقاومة فى القنال لا تنتمى الى أى حزب أو أية هيئة سياسية كانت أو دينية أو اجتماعية — كما أنها بعيدة كل البعد عن أية مبادئ يسارية أو شيوعية ، وقصدها الأول والأخير هو محاربة الانجليز ، وأنها تكن كل تبجيل واحترام للسراى والملك الذى يقدر الشعور الوطنى حتى قدره ويضعه فى المقام الأول من اعتباره » . ولقد عدل المنشور بعد ذلك بما لا يخرج عن هذا المعنى ونشر فى أخبار اليوم فى ٢٩/١٢/١٩٥١ . وقد أغضب هذ المنشور جميع الأحزاب والهيئات التى كانت تدعى أنها تمارس أعمال المكافحة فى القنال ، فالأخوان المسلمون الذين كانوا على شئ من التنظيم ، وكانت لديهم جميع وسائل الكفاح من مال وسلاح ، لم يظهر لهم أثر يذكر فى معارك القنال ، ولعلمهم كانوا يتحينون الفرصة الملائمة للاقتضاض على الحكم ، الأمر الذى كانوا يهدفون اليه أولا وأخيرا .. وكذلك كانت حال الشيوعيين وأنصار اليسار الذين وضعوا ضمن برامجهم انتهاز فرص الأزمات لاثارة القلاقل وتوسيع هوة الفوضى ليحققوا من ذلك أى كسب ولو ظهروا بمظهر الغيورين على الوطنية المناضلين من أجل مقاصد سامية .

وأما الشباب الوفدى فكانوا يعتبرون أنفسهم ممثلين للحكومة التى ألغت المعاهدة ، وعلى هذا الاعتبار رأوا أن من واجبهم أن يكافحوا الانجليز، وقد كافحوا فعلا ولكن على صفحات جريدة المصرى بما كانت تدبجه من

قصص خيالية وهمية ، وكانت هناك أيضا بعض هيئات ادعت أنها تحارب في القنال كجماعة عباس حليم والهيئة التي نظمتها الحكومة للكفاح وأرادت أن تهيمن بها على فرق المقاومة ولكن هذه الهيئة لم يظهر لها أى نشاط أكثر من تصريحات طنانة كانت تلقى أثناء ولائم الطعام أو خلال حفلات السمر .

وبمناسبة قرار الحكومة بتنظيم الكفاح ووضع فرق المقاومة تحت اشرافها فقد أبدت لندن ارتياحها لهذا القرار وخرجت الصحف البريطانية تشيد بموقف الحكومة لعلمها بأن ذلك سيؤدي حتما الى انتكاس الحركة التي نبعت من قلب الشعب وبدافع من وجداته .

## ٤ - معركة التل الكبير

### أحقاد الانجليز :

كان الغيظ والحقد يملآن قلوب الانجليز ، والخيبة والفشل يغمران نفوسهم لما لاقوه على أيدي الوطنيين فبيتوا النية على خوض معركة أخرى كتلك التي تقع بين الجيوش في ميادين القنال .

فما كاد فجر يوم السبت ١٢ يناير سنة ١٩٥٢ يبرز حتى كانت المدافع الثقيلة تدك بلدة التل الكبير وما يجاورها من قرى تتقدمها الدبابات الثقيلة والسيارات المصفحة يتبعها الجنود شاكين السلاح وظلت النيران تصب حممها على البلدة الوادعة وعلى أهلها الآمنين فتصيب الأطفال والنساء والفلاحين الوطنيين في مصر ..

بلاذنب أو جريرة بحجة أن البلدة تأوى بعض الوطنيين وقد فوجئ الأهالي بهذا الجحيم الذي أحال البلدة الى لهيب مستعر فهبوا مذعورين وهرولوا ينشدون النجاة بعيدا عن البلدة المشتومة والموت يترصدهم في كل خطوة لأن الرصاص كان ينهمر من كل جانب وفي كل اتجاه .

ومن شاهد هذا اليوم اعتقد أنه يشاهد يوم الحشر فكانت طوائف الأهالي تتسابق في غير وعى النساء يولولن والأطفال يصرخن والفلاحون يهرولون مذعورون على وجوههم دلائل الأسى وآيات الحزن ، جلايب زرقاء وسوداء بطول الطريق المؤدى الى أبى حماد وما بعدها من قرى . والصرخات مع أزيز القنابل ودوى الرصاص .

وبينما كانت هذه الطوائف تهرب من الجحيم الذي فتحت أبوابه دون انذار وبلا مقدمات كانت هناك طائفة أخرى تواجه الحديد والنار بقوة



ايمانها — ظلت تحارب وحدها الانجليز وتخوض المعركة التى أرادوها بعزم وثبات وقد قسموا أنفسهم الى فئتين الأولى لعرقلة تقدم القوات الانجليزية والأخرى للأعمال التى تحتاج الى تضحية وفداية وقد قامت هذه بعملها تحت وابل النيران فنسفت قطار الذخيرة القادم من الاسماعيلية فلم يتمكن الانجليز من استعمال ما به فى المعركة فى الوقت الذى حددوه كما قامت بفتح الكوبرى القائم على ترعة الاسماعيلية وأفسدوه وبذلك تعذر على الانجليز عبوره والوصول الى الضفة الأخرى من التربة حيث كان يقيم الفدائيون .

## **الشرطة الى جانب الشعب :**

ولما رأى رجال البوليس استبسال الفدائيين انضموا اليهم وكونو معا قوة كبيرة بها ظلت تقاوم الانجليز الذين شددوا الضرب من الجو والبر وعبروا التربة بقوارب من المطاط أتوا بها على وجه السرعة وأنزلوا جنودا آخرين من الجو ( بالباراشوت ) وبذلك حاصروا الفدائيين ورجال البوليس من كل جهة فأسروا سبعة من الفدائيين منهم أحمد فهمى المنسى الطالب بكلية الطب وعمر شاهين الطالب بكلية الآداب وعبد الحميد عبدالله كما أسروا ٣٠٠ جندي وضابط من رجال البوليس .

وقد استشهد كثير من الأهالى والفدائيين فى هذه المعركة وجرح كثير منهم وقتل من الانجليز ثمانية عشر جنديا وضابطا وجرح ضعف هذا العدد .

## **اعتراف الصحف البريطانية ببسالة المصريين :**

واستمرت معركة التل الكبير يومى ١٢ و ١٣ من يناير سنة ١٩٥٢ وكانت أولى المعارك المفتوحة التى واجه فيها الفدائيون قوات ضخمة كاملة من البريطانيين ، واستبسلوا فيها استبسالا ذكرته جميع الصحف البريطانية واذاعاتهم .

فقال جريدة التيمس : « ان من المدهش والغريب أن القيادة البريطانية فى مصر تعترف بصراحة بأن جميع الفدائيين المصريين تصدوا لها أثناء معركة

التل الكبير وواجهوا القوات البريطانية بجميع أسلحتها وحاربوا ببسالة  
منقطعة النظير . »

وأيدت ذلك جريدتا الديلى ميرور والنيوز كرونيكل فقالتا : « ان  
معركة التل الكبير تعتبر من أعنف المعارك التى واجهتهم فى مصر اذ أنها تفوق  
فى عنفها جميع المعارك التى خاضوها فى فلسطين وتستطرد الجريدة الأولى  
بأنها تعجب كيف صمد الفدائيون للقوات البريطانية يوم السبت الموافق  
١٩٥٢/١/١٢ يحاربون ببسالة وشجاعة الفرق الميكانيكية والأسلحة الثقيلة  
وجنود المظلات وفرق الكاميرون والهايلاندرز » وهم خيرة جنودهم  
ويحتفظون برجالها ولا يعرضونهم للحرب الا فى المعارك الهامة .

ان هذه الاعترافات لتدل دلالة واضحة على ما أبداه الوطنيون من  
شجاعة نادرة وبسالة منقطعة النظير أثناء معركة التل الكبير .

## وحشية الانجليز :

بعد أن ضرب الانجليز التل الكبير بقنابلهم وصبوا جام غضبهم على  
أهلها وأسروا من أسروا من الجنود المصريين والفدائيين ، بات الشعب بأسره  
ينتظر الخطوة التالية ، والواقع أن الانجليز أعلنوا أنهم أسروا جنود البوليس  
وضباطهم . ولكنهم لم يذكروا شيئاً عن أسرهم للفدائيين السبعة مما جعل  
الوطنيين يتوجسون خيفة ويتوقعون شراً فاتصلوا بالانجليز عن طريق  
الهلال الأحمر لمعرفة مصير الفدائيين المفقودين وبعد أخذ ورد اعترف  
الانجليز بأنهم أسروا سبعة من الفدائيين المفقودين وان أخبارهم سترد الى  
مركز أبى حصاد فى ساعة ما من نهار يوم ١٩٥٢/١/١٤ وعلى الفدائيين أو  
كل من يهمه الأمر أن يترقب هذه الأخبار التى ستوافيهم بها القيادة البريطانية  
من وقت لآخر .

كانت هذه الأنباء التى حصلها الهلال الأحمر من داخل الستار الحديدى  
لا توحى بالاطمئنان وان حملت بين طياتها الكثير من الغموض المشفوع بشيء  
من التهديد مما زاد فى حدة القلق ، وفى نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً

دق التليفون فى المركز ، وكانت القيادة البريطانية فى الجانب الآخر تطلب ارسال عربة اسعاف . ثم انقطعت المكالمة وراى سكون رهيب على من كان فى حجرة المأمور ، وكان بها — عدا بعض الفدائيين — مدير الشرقية محمد صادق الملا وبعض كبار الضباط أتوا لمراقبة ما يحدث بالمنطقة وليطمئنوا على من أسر من الضباط والجنود والوطنيين وليكونوا على اتصال دائم بالوزارة. ومضت الدقائق متثاقلة والجميع ينتظرون بصبر نافذ ما ستحملة عربة الاسعاف من أخبار .

وبعد ساعتين ظهرت العربة وهى تسرع نحو أبى حماد وكأنها كلب يلهث فنزل الجميع ليستطلعوا الخبر وان كانت بواده قد ظهرت على سائق السيارة الذى هبط منها ، ثم أجهش بالبكاء وفتح الوطنيون صندوق العربة ويا هول ما رأوا . الفدائيون السبعة قتلى بطريقة لم يعرف لها التاريخ مثيلا الجثث بعضها فوق بعض وعارية تماما وأطرافها منهوشة مشوشة يختلط فيها الدم مع قطع من أجسام الضحايا فى وضع بشع شنيع يقشعر له البدن ويقف له شعر الرأس هولا وجزا .. فما هى أحداث الليلة الماضية ، وما هى الجريمة الجديدة التى اقترفها الانجليز فى حق الوطنيين .

بدأ الانجليز يحققون مع الفدائيين السبعة فور القبض عليهم ، فظلوا يستجوبونهم وقوفا طوال ليلة ١٣ يناير بلا راحة ولا نوم حتى انصرم جانب كبير من الليل ولاحت خيوط الصباح والفدائيون السبعة صامتون لا ييوحون للمحققين الانجليز بسر ولا يطلعونهم عن أماكن اخوانهم الفدائيين ، وأثار ذلك حفيظة الانجليز وحقدهم .

وعندما بدأ التحقيق معهم للمرة الرابعة محقق كان من أقسى المحققين وأفهمهم بأنه سيسلك معهم وسائل لم يسمعوها عنها من قبل ان لم يذعنوا ويعترفوا بما يطلب منهم ، ولكنهم كانوا قد عاهدوا الله وأنفسهم بأنهم لن يخونوا الرسالة التى حملوها أو يفرطوا فى الأمانة التى وكلت اليهم .

واتظر المحقق ذو الوجه الأحمر اجابة من الفدائيين ، ولكنه لم يتلق سوى الصمت الذى يشبه صمت القبور . عندئذ سيق الشهداء الى قاعة

التعذيب وجردهم الانجليز من ملابسهم ثم أوثقوهم وقفا على أن يرى كل منهم الآخر . وبعد برهة أطلقوا عليهم الكلاب المتوحشة ، وهى كلاب أعدت ودربت خصيصا لاستعمالها فى الحروب وفى مثل هذه العمليات الوحشية التى لا تمت للإنسانية بصلة ، وهاجمت الكلاب الجائعة أجسام الوطنيين وكأنها أسود ضارية وصارت تنهش قطعة من هنا وقطعة من هناك والدم يراق ليتجمع فى وسط القاعة حارا دافقا ثم لا يلبث أن يتجمد من شدة البرودة . والمحقق واقف أمامهم جامد الوجه صارم الأسارير ينتظر الاذعان ليمنع عنهم هذا الهول ، ولكنهم كانوا قد صسموا وعقدوا العزم . ولاعجب فانهم لم يخرجوا من ديارهم الا وهم يعلمون أنهم سيلاقون الموت ، وأنهم وهبوا حياتهم للفداء فسواء عليهم لاقوه فى الميدان أم شاهدوه يقتالهم قطعة قطعة وقطرة قطرة بين الجدران فليضحوا اذن بأنفسهم فى سبيل الآخرين . ولتذهب أرواحهم الى السماء مثلا يضرب فى التضحية والفداء لتتلاقى مع القديسين والملائكة والشهداء .

ظلت الكلاب المسعورة تنهش أجسادهم والموت يقترب منهم شيئا فشيئا ، وعندئذ أمر القائد البريطانى المنتصر بضربهم بالنار ثم القائهم على تل بجوار المعسكر حتى أرسلوا فى طلب عربة الاسعاف فشحنوهم بها شحنة الى أبى حماد .

فهل هذه هى مدينة الغرب التى طالما تشدقوا بها .. وهل يجوز لنا أن نتصور أنه يوجد فى العالم أمة — أية أمة تقترب مثل هذا العمل الاجرامى . لا أظن حتى بين القبائل الضالة التى تعيش فى الكهوف فان لها تقاليدها التى تمنعها من ممارسة الجريمة فى أبشع صورها كما مارسته انجلترا الدولة العريقة كما يدعون مع الفدائيين السبعة .

هناك صورتان من صور الاضطهاد البريطانى لن تنساه مصر على مدى العصور . صورة مشاقق دنشواى وهذه الصورة التى جاوزت كل الحدود . وعلى كل فان بشاعة الجريمة التى أقدمت عليها بريطانيا العظمى لهى البرهان الواضح على أنها فقدت صوابها وطاش رشدها نتيجة للخسائر التى تكبدتها من مقاومة الوطنيين .

## الفدائي

سارب في غيابة الظلماء  
يستحث الخطا لقرب اللقاء (١)  
لبس الليل وامتطى صهوة العـ  
زَم وولى كجنة الصحراء  
وعوى الليل حوله وهو يمضى  
بجناحين فوة ومضاء  
ورأى الموت جهرة فتصدى  
فى تحد وقال فى استعلاء  
أيها الموت امضى عني انى  
صانع المجد خالق الكبرياء  
الجبان الرعديد داس عرينى  
وسيدرى الجبان كيف جزائى  
من أنت  
قلت من أنت أيها الباعث الصـ  
وت رهيب الصدى كصوت القضاء  
أيها الدافع الخطأ وظلام الليل  
والهوى فى طريق الفناء  
قال : انى أنا ابن مصر ومفديها  
وساقى ترابها بدمائى  
والمبى نداءها يوم نادت  
كل حر فكنت رجع النداء  
والمذيق العدو علقم حقدى  
والشراب المرر من بغضائى

---

(١) من قصيدة للأساد أحمد مجير عن الفدائى القى يوم ١٩٥١/١٢/٤ فى السجن الذى  
أقامه المؤلف يسبح الهمم لمقاومة الانجليز وكان حاصرا الاحصاع القائد عربى المصرى ومضى  
رسوان المحامى •

## الانتقام :

صمم الوطنيون على الانتقام للشهداء ، فبينما كانت عربة الاسعاف تتجه الى الزقازيق لتشيع الضحايا كانت هناك ثلاث فرق من الفدائيين تتجه الى معسكرات التل والقرين وكفر حساده .

وقد وضعت الخطة على أثر ما أذاعته القيادة البريطانية بأنها ستحتل بلدة التل الكبير وجميع القرى المحيطة بها ، وذلك فجر يوم ١٥ يناير ، وكان أكثر ما يضايق الجنود البريطانيين حرمانهم من الراحة أو النوم ، وكانت الأوامر بالمعسكرات البريطانية تقضى بأنه عند سماع أية طلقة يتعين أن يكون المعسكر بأكمله فى حالة استعداد من أصغر جندى الى أكبر ضابط . كل فى العمل المنوط به لئلا يؤخذوا على غرة . وكانت هذه هى خطة الوطنيين الأولى لا راحة ولا نوم وليعلموا أنهم اذا كانوا قد اغتالوا سبعة من الوطنيين فهناك آلاف غيرهم على استعداد بأن يضحوا كما ضحى اخوانهم ، وأن جريمتهم لن توقف التيار الذى بزحف عليهم رويدا رويدا وان نكون وحنيتهم سببا فى اخماد جذوة الوطنية أوفتور حساس الكفاح.

وطبقا لهذه الخطة ظل الوطنيون يحيطون المعسكرات الثلاثة : التل، والقرين ، وكفر حساده من كل جهة يطلقون النار ويلقون بالقنابل الحارقة على من فيها والانجليز يجاوبونهم بالرصاص وقنابل الهاون وكشافاتهم وقنابلهم المضئية Flare تضىء المنطقة بأكملها فتحيلها الى نهار شمسه ساطعة للكشف عن الفدائيين . واستمر اطلاق النار حتى الساعة الرابعة صباحا ثم توقف الأزيز الذى ملأ الجو زهاء عشر ساعات لأن الوطنيين كانت لديهم عملية أخرى هامة . عملية الانتقام للشهداء فتسلل أربعة عشر شابا الى مشارف بلدة التل وعند الظاهرية بين حساده والتل نصبوا مدفعين من مدافع البرن القوية فى مدخل البلدة وفى الشارع العام الوحيد بها تفريبا فوق سطح منزلين متقابلين كل سبعة من الوطنيين بجوار أحد المدفعين بفصلهما عن بعضهما الشارع الوحيد بالبلدة لسيطروا على المنطقة ولتسكنوا من رؤية الجنود البريطانيين عند دخولهم البلدة . وبذلك نم اعداد الكمين الذى رسمه الوطنيون بشجاعة واحكام .

وكانت القيادة البريطانية ومن ورائها المخابرات تعلم عن يقين أنه لم يعد ببلدة التل الكبير أو بالقرى المجاورة لها أى كائن حى . انسانا أكان أو حيوانا نتيجة لضرب المنطقة الشديدة بالقنابل وأسر الفدائيين والجنود ونزوح جميع الأهالى منها . فلم يتصوروا أن أحدا من الوطنيين يجرؤ بعد ذلك على أن يدخل هذه المنطقة أو يبقى بها وخاصة بعد أن ظل الوطنيون زهاء عشر ساعات يطلقون النار على المعسكرات وأنهم بذلك قد انتهوا من عملهم اليومى . ولكن فاة الانجليز أن الوطنيين كانوا قد صمموا على الانتقام مهما تكن الصعاب ، وعلى الرغم من كل الظروف .

كان السكون الشامل يخيم على المنطقة والبرد يلفح الوجوه والندى يتساقط على الكون والضباب الكثيف يمنع الرؤية ، والوطنيون قابعون فى أماكنهم فلا همس ولا حركة يترقبون ما سوف يأتيهم به القدر وأنهم لحكم القدر لخاضعون . ثم بدأ النور يزحف ويبدأ رويدا رويدا على جحافل الظلام فيبديدها ، وخفت عتمة الضباب بعض الشيء وما هى الا ساعة أو بعض ساعة حتى سمعت حشرة آلات الدبابات التى بدأت تتحرك فى طريقها الى بلدة التل ، فأفاق الوطنيون وكأنهم يهبون من نوم عميق يترقبون ويترصدون ولاح فى بداية الطريق ثلة من جنود المظلات وفرق الهايلاندرز تتقدم الدبابات يدخلون البلدة المهجورة مطمئين وقد بدا ذلك من أحاديثهم وتسامرهم ، فقد كانوا يتحدثون بصوت مرتفع ويتضحكون ، وعندما أصبحوا على مقربة من الوطنيين انطلق رصاص المدفعين فحصدتهم حصدا وكانوا حوالى ثمانية عشر ضابطا وجنديا لم ينج منهم سوى ستة ولوا الأدبار وأشاعوا الفوضى والخوف فى باقى الفرق التى كانت خلفهم وتمكن بعض الفدائيين من فتح الكوبرى لمنع تدفق القوات البريطانية والدبابات لحين انسحابهم ثم عادوا وغنموا بعض الأسلحة الخفيفة تشمل ثلاثة مسدسات وجهاز لاسلكى كان يحمله أحدهم . والبطاقة الشخصية لقائدهم وهو البريجادير كوريل هول .

ثم انسحب الوطنيون بعد ذلك فى العربتين الفولكس والجيب اللتين كاتا تنتظرهم خارج البلدة . فيما عدا اثنين لم يعرف مصيرهما وقتئذ .

وعندما عاد الوطنيون الى مدينة الزقازيق كانت الساعة نحو الثامنة صباحا . وقد لبست المدينة لباس الحداد على الشهداء وعزمت على أن تشيع جثمانهم قبل أن تشيعهم القاهرة . فأغلقت المتاجر والمحال أبوابها وخرج الطلبة من مدارسهم والموظفون من مكاتبهم وأقمرت البيوت من ساكنيها ما عدا النساء اللائي سددن النوافذ والأبواب بأجسامهن يولولن ويصرخن وكانت الكتل البشرية تملأ الطريق الطويل من المديرية حتى المحطة والنعوش السبعة تتقدم كل هذه الجموع في طريقها الى القاهرة حيث مشواها الأخير .

وكان المشهد فى جملة غاية فى الحزن والأسى ، وما لبث أن أذيع خبر المعركة ، وقبل توديع جثمان الشهداء ، وعند ميدان المحطة ، تحدث أحدهم الى جموع المودعين بأن الوطنيين قد انتقروا للضحايا وقتلوا اثنى عشر جنديا وضابطا منذ ساعة واحدة ، وأن أرواح الشهداء ستلاقى ربها راضية مرضية . وكان لاذاعة هذا الخبر أحسن الوقع على النفوس الغاضبة، وجاء فى وقته كالدواء يوضع على الجرح فيهدأ بعض الشيء .

## الضابط الطيار :

عندما ضرب الانجليز التل الكبير فى يومى ١٢ و ١٣ يناير سنة ١٩٥٢ واشتدت قسوتهم على الأهالى والآمنين ، وخرجت الصحف بأخبار القتل والجرحى من المصريين وأنباء اعتقال الفدائيين وجنود البوليس ، كان هناك شاب ضابط طيار يحرق الحزن قلبه ويأكل الألم صدره هذا الضابط الطيار هو أحمد عصمت الذى لم يكذ يتصفح صحف يوم ١٤ يناير ويعلم أخبار مجازر الانجليز ، حتى هب لتسوية فودع زوجته وأطفاله الثلاثة وحمل مسدسين معبأين بالرصاص واستقل عربته متوجها الى بلدة التل لينضم الى المجاهدين الذين يكافحون الانجليز فى القنال ، ولم يكن متميا الى أية هيئة أو مشتركا مع أية جماعة من الجماعات التى تكافح القوات البريطانية ، أو حتى على صلة بأى مجاهد هناك ، وإنما سافر الى القتال بدافع وطنى نابع من صميم قلبه أهاب به أن قم ودافع عن شرفك وشرف بلادك فلبى النداء دون اجحام أو تردد .



وفى الطريق الى التل قرب أبى حماد شاهد رتلا من العربيات التى تنتظر دورها فى التفتيش ، وجاء دور الضابط ، ولكنه رفض أن يفتشه عدو بلاده ، وعندئذ دعا الجندى البريطانى قائده وكان برتبة بريجادير فحضر معه ياوره وهجم على البطل الشهيد بالقول الجارح ، فلم يتمالك ولم يتوان ، ولم تحتمل أعصابه أن يشاهد قاتلى زملائه يأمرون وينهون وكأنهم أصحاب البلاد وتراءت له جثث ضحايا الأمس السبعة وهم عرايا تنهشهم الكلاب ، فصسم على الانتقام ، ولم لا وقد خرج من بيته عاقدا العزم على الجهاد حاملا سلاحه معه . فسيان عنده الكفاح فى الميدان أو الكفاح هنا ، وفى هذه البقعة بالذات ، ولم لا يقتل هذه الشلة من الجنود وعلى رأسهم قائدهم ، ان حياته لم تعد لها أية قيمة ، فالأجدر به أن يضحي بها مقابل هذا الصيد الثمين .. ولما اختسرت الفكرة فى ذهنه بدأ بتنفيذها على الفور ، وكان فى حافظته مبلغ عشرة جنيهات قذفها الى ركاب سيارة لنقل الركاب ، كما أعطاهم كل ما كان معه من ملابس وماكل سائحا فى عجلة : ؟ أرجو أن تعطوا هذه الأشياء لمن يستحقها .

وواجه الجنود البريطانيين وقائدهم البريجادير ومسدسه فى يده ، وفى لمح البصر أطلق الرصاصات كلها عليهم فسقط القائد وياوره وجندى آخر صرعى .. وتم ذلك بسرعة مذهلة حتى ان باقى الجنود لم يفكروا فى ضرب الضابط الشهيد الا بعد سقوط زملائهم ، واستشهد البطل بعد أن أدى رسالته التى خرج من أجلها — تاركا أولاده الثلاثة الصغار وزوجه — وثلاثين ربيعا هى كل عمره .

وعادت جميع العربيات التى كانت تنتظر دورها فى التفتيش بما فى ذلك عربة الركاب التى أهدى لركابها ما كان معه الى الزقازيق ليروا الأهالى قصة أخرى عظيمة من قصص البطولة النادرة .

وقد يعتقد البعض أن الضابط الشهيد قد اسنفزته أقوال البريجادير، وأنه لولا ذلك لما وقع هذا الحادث ، وأنه كان ينوى العودة الى بيته بعد أن مضى على المجاهدين فى القنال ، أو بعد أن يسدهم بالذخيرة أو العتاد .

والواقع غير ذلك لأن الضابط الشهيد قد بين النية على الفداء وصمم على التضحية بنفسه في سبيل وطنه ، وعندما لاحت له الفرصة اقتنصها دون تردد . وتؤكد ذلك وصيته التي كتبها الى صهره يوم رحيله وهذه نصها :

أخي حسن : (١)

« ان حبي لوطني هو الذي حبب الى سفك الدماء ، دماء الغاصب المستعمر البغيض . فذهبت اليهم غير منتهم الى هيئة أو جماعة . ذهبت اليهم مسرورا فرحا وكأني ذاهب الى رحلة صيد مثل الرحلات التي كنا نقوم بها . فان من فأعلن الى كل مصري أنني شاب متزوج ، ولي ثلاثة أطفال ، ولي أمي واخوتي ، ومع هذا فقد ضحيي بنفسي ليعيشوا هم أحرارا في بلدهم . فالحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات .

فالى اللقاء فى كلتا الحالتين ان مت أو عدت .

أخيك

أحمد

هذه هي كلمات البطل الشهيد الضابط أحمد عصمت الذي لم ينجاوز الثلاثين ربيعا وترك أطفاله وأمه واخوته وضحي بحياته فداء لمصر ، ومن هذا الخطاب نرى أنه لم يذهب للنزهة وانما سافر وكله عزم وتصميم على أن يكافح أولئك الذين وطئوا أرض بلاده وحاولوا أن يذلوا مواطنيه ويقتلوا اخوانه فى الجهاد .

وستبقى ذكرى هذا البطل مثلا نادرا ساميا فى التضحية والشجاعة والفداء ..

---

(١) من كتابه الاساد عبد الحليم الجسسى رئيس ادارة قصايا الحكومة عن الشهيد ،

## ٥ - كفاح الشباب والشرطة

### عربة البرتقال :

عندما اشتدت حركة الوطنيين وزادت وطأتهم على القوات البريطانية أقدموا على عمليات استفزازية كثيرة ، اذ ما لبث الانجليز أن نقضوا تعهداتهم السابقة وتجاهل الجنرال أرسكين في ١٩ يناير ١٩٥٢ اتفاقية « ارسكين — غزالي » والتعهدات الأخرى التي تقضى باعتبار مدن القنال مناطق محرمة على الجنود الانجليز ، وأعلن في تبجح أن القوات البريطانية ستحتل جزءا من مدينة الاسماعيلية ، وبخاصة حي العرب ، بحجة البحث عن الفدائيين المختبئين به .

وقد نفذ الجنود البريطانيون أمر أرسكين بطريقتهم التعسفية المعروفة ، فطردوا الأهالي من بيوتهم وألقوا بالأطفال والشيوخ والنساء الى عرض الطريق واعتقلوا كل شاب قابلوه باعتباره فدائيا — وما لبثوا كعادتهم أن عاثوا في الأرض همجية وفسادا . ومن الطبيعي ألا يقف الوطنيون مكتوفى الأيدي ازاء هذه الأعمال الاجرامية ، فاسنحروا عربة يد من تلك التى يستعملها الباعة الجائلون وملأوها برتقالا ، وتحت البرتقال كان يكمن قبلة زمنية ، وسار أحدهم بالعربة ينادى لبضاعته حتى وصل الى الكوبرى المقام على ترعة الاسماعيلية والذي يفصل المدينة عن المعسكر، وتوقف أمامه وأشار للانجليز الواقفين فى الجانب الآخر عارضا بضاعته ليشتروا منه ، وسرعان ما حضر ليف منهم يربو على اثنى عشر جنديا وصار يساومهم حتى لم يعد على انفجار القبلة سوى أربع دقائق ، فاستأذن منهم ليقضى أمرا من محل البقالة المواجه له . وفى الساعة الثانية من بعد الظهر تماما انفجرت القبلة وتطايرت شظاياها وتساقط الجنود صرعى وجرحى حول عربة البرتقال .. ولما علم أرسكين بهذا الحادث ثار وأراد أن

ينتقم ، ولكن انتقامه كان ينصب دائما على الأهالي العزل الآمنين ، فأمر فرق الجيش والدبابات باحتلال مدينة الاسماعيلية واستعمال القوة مع الأهالي واطلاق النار على المدينة ومن فيها ، وكانت نتيجة ذلك أن كثر عدد انضحايا وسالت الدماء من جديد ، واستشهد كثيرون منهم راهبة أمريكية. حاول الانجليز الصاق تهمة اغتيالها بالوطنيين ، ولكن التحقيق أثبت أن الراهبة قتلت برصاص الانجليز وكان استشهادهما دليلا آخر على انهم اعتادوا

قتل الأبرياء . واليك قصة اغتيالها :

بالاسماعيلية دير يسمى دير سان فانسان دى بول يقيم به راهبات أجنب يودين واجب دينهن بايمان وفى صمت ، وعندما أمر القائد الانجليزى أرسكين باشاعة الفوضى فى المدينة واطلاق النار على الآمنين . ولم يكن الجنود البريطانيون بأقل رغبة فى تنفيذ هذا الأمر الفوضى من القائد ، فاقترحوا المدينة وأسرفوا فى اطلاق النار فى الطرقات وعلى المنازل وفى كل اتجاه ، فكثر القتلى وتناثرت جثثهم فى كل مكان ، وكان من بينهم الراهبة الأمريكية اتتوني المقيمة بدير سان فانسان دى بول فى يوم ١٩ يناير سنة ١٩٥٢ .

وكان لمصرع هذه الراهبة دوى كبير فى جميع المحافل العالمية عامة وفى أمريكا على وجه الخصوص . وتصلت انجلترا بطبيعة الحال من جريمة مقتل الراهبة واتصلت بالسلطات الأمريكية وادعت بأن الفدائيين هم الذين قتلوها والفدائيون من دمها براء . وصورت الموقف بأن الأهالي والفدائيين يعتدون على الأجانب المسالمين حتى أنه لم تسلم منهم الراهبة المتدينة القابعة فى عقر دبرها . ولم يكن من الصعب اثبات مقترف الجريمة فشكلت لجان للتحقيق حضره مندوبون من مصر وانجلترا وأمريكا وأثبتت هذه اللجان بما لا يدع مجالا للشك بأن القوات البريطانية هى التى أردت الراهبة ، فقد وضع من الكشف الطبى أنها قتلت بذات الرصاص الذى أصيب به المصريون . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان القوات البريطانية التى أربت على أربعة آلاف جندي تؤيدهم الدبابات الثقيلة والمصفحات

والمدافع كانت قد اكتسحت المدينة الصغيرة وظلت نطلق النيران فى كل اتجاه حتى خلت المدينة من سكانها كما أن الفدائيين كانوا قد اختفوا تماما من المدينة لأن المقصود هو اغتيالهم ، أو على الأقل اعتقالهم ، وأخيرا فقد ثبت أن الراهبة الأمريكية لم تكن وحدها التى قتلت برصاص الانجليز وهى فى ديرها وانما قتل كثيرون غيرها وهم فى منازلهم أيضا أو فى متاجرهم وذلك من جراء الرصاصات الفادرة . وبذلك أضاف الانجليز الى سجل جرائمهم جريمة جديدة .

## حتى القبور :

بدأ الانجليز بعد ذلك فى القبض على الأهالى وتعذيبهم وقتل كل شاب يقابلونه باعتباره من الفدائيين .

وكان هناك خائن مصرى يسمى ( محمود صبرى ) يعمل مع الانجليز وأثرى من وراء خيائته ، فدلهم على مكان اخفاء أسلحة الفدائيين وذخيرتهم وكانت مخبأة بمنطقة المقابر ، فتوجهت قوة من الجيش تتقدمها الدبابات والسيارات المصفحة الى هذه المنطقة وحاصرتها من كل جهة ، ودكت القنابل والدبابات القبور ونبشها الانجليز وأخرجوا الأسلاء منها بحثا عن الأسلحة والفدائيين وعثرو على بعض الذخائر وعدد من الأسلحة ، منها ١٢ مدفع استن ، وستة آلاف طلقة من عيار ٣٠٣ و ٤٠ مليمترا عدا بعض القنابل والجلجنايب التى كان يستعملها الفدائيون فى صنع المفرقات . وللأسف قبضوا أثناء تفتيشهم ونبشهم للقبور على خمسة من الوطنيين استعملوا معهم نفس الطريقة الوحشية التى استعملوها من قبل مع الفدائيين السبعة الذين قبضوا عليهم ببلدة التل — خلعوا عنهم ملابسهم وأوثقوهم ببعض جذوع الأشجار المقامة بالمقابر وأغروا بهم الكلاب المتوحشة ، ثم أطلقوا عليهم النار ، وقد اعترف الشهيد رفعت على بدر بأنه من الفدائيين ، فلم يكتفوا بكل ما فعلوه به من وحشية وانما أوثقوه باحدى الدبابات التى طافت به المدينة — امعانا منهم فى الاجرام واذلالا للشعب الذى هب يطالب بحقه الطبيعى فى الحياة الكريمة الشريفة .

كان هذا المشهد البربرى الوحشى يذيب الأسى فى القلوب ، ولا يملك من يشاهده الا أن يعتقد بانه أمام أناس قد ابتعدوا عن الانسانية بعدا كبيرا .

## المجازر :

وقعت معركة المقابر فى يوم ٢٢/١/١٩٥٢ واقتصرت الانجليز على الموتى ، فيالها من معركة ، ولكن هل يقف الاستعمار عند حد . أيجوز للمجرم أن يعطف أو يلين — يقول علماء النفس ان المجرم يدور فى حلقة مفرغة — فلا يكاد ينتهى من جريمة حتى يقترب جريمة أخرى قد تكون أبشع من سابقتها . وهذا الرأى أكدته باستمرار معتادو الاجرام من ضباط وجنود بريطانيا العظمى ، فلم يكذب يزغ فجر يوم ٢٥ من يناير حتى أقدم الانجليز على أبشع مجزرة عرفتها الاسماعيلية حتى ذلك الوقت ، بل انها تعتبر من أدنى الجنايات التى أقدمت عليها أية دولة فى هذا العالم وفى القرن العشرين .

فقد استدعى القائد البريطانى اكسهام أحد ضباط البوليس المصرى من منزله الساعة الخامسة من صباح هذا اليوم وألقى فى وجهه بورقة ، ثم أدار له ظهره وتركه وأغلق عليه باب حجرته ، وعندما تصفحها الضابط المصرى قرأ فيها الاذار التالى :

« على جميع قوات البوليس المقيمة فى مدينة الاسماعيلية بما فى ذلك القوات الموجودة بمبنى المحافظة والثكنات أن تسلم جميع أسلحتهم وذخيرتها الى القوات البريطانية ، وأن تجلو عن المدينة وترحل من منطقة القنال فى ميعاد أقصاه الساعة السادسة والرابع » .

ورجع الضابط المصرى ومعه صورة الاذار المهن وقدمه الى قائد بلوكات النظام ووكيل المحافظة ، وقرروا رفضه ، ثم اتصلوا بوزير الداخلية ( فؤاد سراج الدين ) الذى وافقهم على الرفض وعدم التسليم ومقاومة أى اعتداء بالقوة . ولم يبين لهم الوزير طريقة رد القوات البريطانية ومقابلة القوة بالقوة ، ولم يقدم لهم أية معونة أو يرسل على جناح السرعة القوات والذخيرة اللازمين لمواجهة اعتداء الانجليز أو رد عدوانهم . لقد كان من

اليسير على الوزير أن يصدر هذا الأمر وهو قابع فى داره محتتم بحجرته .  
متدثر بأفخر الرياش ، وكأنه بذلك قد أصدر حكما بإعدام جميع جنود  
البوليس المقيمين بمبنى المحافظة .

وفى تمام الساعة السادسة والربع بدأت المدافع تقصف المدينة وتضرب  
المحافظة وثكنات بلوكات الخفر ، وحاصر المدينة عشرة آلاف جندى وضابط  
مسلحين بالدبابات والسيارات المصفحة وقاذفات اللهب ومدافع الميدان ،  
وتساقطت القنابل على المنطقة بغية هدمها ودكها دكا على من فيها فما كان من  
جنود البوليس الا أن تحصنوا فى المباني التى كانوا يقيمون بها وبدأوا  
يردون على العدوان ويقابلون القوة بمثلا ويواجهون المدافع والدبابات  
برصاص الأسلحة الصغيرة التى كانت فى حوزتهم ، وهى من نوع لى اتفيلد،  
والتى لا تقاس بالأسلحة الأوتوماتيكية ومدافع الميدان والدبابات وقاذفات  
اللهب التى يملكها العدو . ولكن هكذا كتب القدر بأن تدور معركة بين  
هاتين القوتين المتفاوتتين فى العدد والعدة .

وأحال الانجليز المنطقة الى شعلة من النار وظل عشرة آلاف جندى  
بريطانى تؤيدهم الدبابات والمدافع يقصفون مبنى بلوكات النظام ودار  
المحافظة مدة ساعتين وبدون انقطاع حتى تهدمت المباني التى كان يحتوى بها  
جنود البوليس ، ولكنهم ظلوا يقاومون ببسالة ولم يتوقفوا عن اطلاق النار  
الا بعد أن قصدت منهم الذخيرة فاقتحمت الدبابات مبنى بلوكات النظام  
وأسروا من بها من جنود وضباط وظل باقى جنود البوليس الذين كانوا  
يعسكرون فى دار المحافظة يطلقون النار على الانجليز ولم يرهبهم استسلام  
زملائهم ولا كثرة عدد القتلى والجرحى ولم يخشوا النيران التى كانت  
تساقط من فوقهم ، ولا تهدم جزء من مبنى المحافظة على بعض الجنود ، بل  
ظلوا ثابتين فى أماكنهم يردون الحديد بالحديد والنار بالنار .

وقد تعجب الجنود الانجليز لهذا الموقف البطولى النادر فما كان منهم  
الا أن أرسلوا لمن بقى حيا فى دار المحافظة انذارا نهائيا يخطرونهم فيه بأنه  
إذا لم يستسلموا فورا فإن الدبابات والمدافع والطائرات ستهدم الدار على

من فيها وبذلك يدفنون أحياء . وإن الضرب سيبدأ بمجرد عدم الموافقة على الانذار بالاستسلام .

وكان يقود جنود البوليس فى هذه المعركة ضابط برتبة يوزباشى هو البطل مصطفى رفعت فجمع شمل جنوده وأطلعهم على الانذار فقرروا جميعا رفضه والاستمرار فى المقاومة ، ورفض الانذار يعنى أن رجال البوليس الأبطال قد قرروا الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن أى جزء من أرض الوطن حتى ولو كان مبنى متهدما كالذى يلوذون به . واستمرت المقاومة —مقاومة مالا يزيد على خمسين جنديا وضابطا من رجال البوليس للجيش البريطانى ممثلا فى عشرة آلاف جندي وضابط تؤيدهم الدبابات والمدافع وقاذفات اللهب وكان المشهد فى جملته يجمع بين البطولة النادرة والسخرية اللاذعة ، وشدد الانجليز الضرب وصمد رجال البوليس ولم يستسلموا حتى فقدت منهم آخر طلقة كانت مع آخر جندي . واقتحم الانجليز أقباض دارالمحافضة، لأنها كانت قد تهدمت تماما وشبت بها النيران كما تهدمت قبلها ثكنات بلوكات النظام ، وأسروا الأبطال من الجنود والضباط الذين كانوا بها وظلوا أحياء .

وقد اعترف قائد الجيش البريطانى أمام الجميع بشجاعة وبطولة رجال البوليس ضباطا وجنودا وأنه لايسعه ازاء ذلك إلا أن يؤدى واجب الاحترام لهم لأنهم أدوا الواجب الملقى على عاتقهم بأمانة . كما أنهم حاربوا بشجاعة منقطعة النظير .

وقد استشهد (١) فى هذه المعركة خمسون جنديا كما جرح أكثر من تسعين أما خسائر الانجليز فتقدر وفقا لتقديراتهم بحوالى ٢٥ قتيلًا وأربعون جريحا ، أما باقى الجنود والضباط المصريين وعددهم حوالى ستمائة وخمسين فقد أسرهم الانجليز فى احدى معتقلاتهم بالقنال .

هذه المعركة كانت نهاية المجزرة التى بدأها الانجليز يوم ٢٢ يناير ١٩٥١ . وإذا كانت مدينة الاسماعيلية التى جللها السواد وخيم عليها الحزن

---

(١) تحتل البلاد سويا بذكرى هذا اليوم .



والأسي قد استكانت يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ وكظمت غيظها فلقد كانت هناك مدن أخرى قد انفجر غضبها ورأت أن تنتقم للضحايا التي سقطت والمدينة التي انتهكت . والدماء التي سفكت ، وكان أول هذه المدن التي قامت تحتج على هذا العدوان الظالم — مدينة القاهرة التي غلى مرجل غضبها غضبا أدى الى أن ينتهز أعداء البلد ، وعلى رأسهم الملك ، هذه المظاهرات وهذا الغليان فاندس منهم من اندس وسط الجماهير المتدفقة الفياضة وحرقوا القاهرة .

وقبل أن أتحدث عن هذا اليوم المشئوم وتسلسل الحوادث ساعة بساعة ودقيقة بدقيقة يهنا أولا معرفة موقف الملك أثناء تلك الأحداث كي نصل الى مرتكبي الحريق أو المحرضين عليه ، وقد سبق أن أشرنا الى الساح الملك في الحصول من الوطنيين على بيان يطمئنه ، وبعد أن حصل عليه لم يقنع به . وخشى من حركة الوطنيين أن تتحول الى ثورة جامعة يؤيدها الشعب بجميع طوائفه يكون هدفها تغير النظام واقتلاع الفساد من أساسه ورأى أنه لا سبيل الى ذلك الا بوقف حركة الفدائيين بأي شكل وبأي ثمن مهما يكن قادحا .

ولكن كيف السبيل الى ذلك . هل يجوز أن يكون باصدار الأوامر الملكية باقصاء الفدائيين ومنعهم من محاربة الانجليز . ومن الذي يستمع الى تلك الأوامر — هذا اذا لم تأت بعكس ما يريد فيتجه الفدائيون الى تحطيم القصر مع الانجليز بعد أن كانت وجهتهم مقصورة على قوات الاحتلال في منطقة القنال .

الباب السابع  
مقدمة ثورة الشعب في يوليو ١٩٥٢

١ - روما الجديدة أو (حريق القاهرة)

٢ - تجمعات في الجيش

٣ - رجال التشكيل في فلسطين

٤ - بداية الانطلاق الثوري



## ١ - روما الجديدة أو ( حريق القاهرة )

### صلى معركة الاسماعيلية فى القاهرة :

لم تكذ أنباء معركة الاسماعيلية ترد الى مدينة القاهرة حتى ثار الشعب وهب يطالب المسئولين بالثار . وما بزغت شمس يوم ٢٦ يناير حتى كان الشعب قد أعرب عن سخطه . فأضرب الموظفون وتركوا مكاتبهم ، وخرج طلبة المدارس ، وزحفت جنود بلوكات النظام من ثكناتهم بكامل أسلحتهم ، واتجه الجميع الى الجامعة مبدئين سخطهم على ما أصاب زملاءهم فى الاسماعيلية ، وكانت مظاهرة رجال بلوكات النظام التى خرجت من ثكناتها بالعباسية حتى حرم الجامعة يزداد علدها من وقت لآخر بانضمام أفراد الشعب اليها . حتى وصلوا الى الجامعة ، وهناك وفى حرم الجامعة الفسيح تبادل الطلبة ورجال البوليس الرأى وقرروا أن يتوجهوا الى رئاسة مجلس الوزراء ليطلبوا من المسئولين السلاح لمحاربة الانجليز ومشاركة الوطنيين القلائل الذين يقفون وحدهم أمام قوات الاحتلال ومؤازرة شعب القنال الذى صمد وحده فى وجه الانجليز ، واضطهادهم .

وسارت جموع الشعب من حرم الجامعة بالجيزة الى رئاسة مجلس الوزراء ، وعند مرورها فى شارع الجمهورية رأى الأهالى بعض الفدائيين بأسلحتهم يخرجون من العمارة رقم ٢٢ ا ليتوجهوا الى القنال ، فحملوهم على الأعناق وساروا بهم الى ميدان عابدين ، وعندما رأى حرس قصر عابدين الشعب الغاضب نصبوا المدافع الرشاشة فوق القصر وتأهبوا لاطلاق النار عند أول بادرة تبدو من هذه الجموع لاقتحام القصر . ولو أن الفدائيين المسلحين المحمولين على الأعناق أشاروا الى هذه الجموع باقتحام القصر ، أو أطلقوا النار فى اتجاهه لتغير الموقف . ولقامت الثورة على الفور ، ولسالت الدماء ، وكثرت الضحايا ولعل الشعب كان قد نصب المشاقق فى الميادين كما وقع قبل ذلك فى فرنسا عندما ثار الشعب ضد لويس والطبقة

الأرستقراطية .. ولكن الفدائيين آثروا السفر الى القنال فى العربات التى كانت تنتظرهم للقيام بعمليات الثأر التى رسموا خطوطها طوال يوم ٢٥ يناير وبذلك تجنبت البلاد ويلات حرب أهلية لا يعرف مداها الا الله حتى قامت الثورة البيضاء التى لم ترق فيها قطرة دم واحدة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

## أين الملك ؟ ! :

كانت الهتافات تملأ الجو ، والشعب الحائق ثائر غاضب ، والموقف يندر بأوخم العواقب ، فما هو موقف فاروق — وماذا كان يجرى داخل القصر ؟

من المفارقات العجيبة — ومن مهازل القدر — أن الملك كان يحتفل فى هذا اليوم بعيد ميلاد ابنه ولى العهد الأمير أحمد فؤاد من زوجته الثانية ناريمان كريمة حسين فهمى صادق سكرتير عام وزارة المواصلات فى ذلك الوقت . والتى اختطفها من خطيبها الدكتور محمد زكى هاشم ، وأجبر الجميع على الاذعان لمشيئته والخضوع الى شهواته ، وقد دعا الملك جميع المسئولين فى الحكومة للاحتفال بهذا اليوم . وكان ضمن المدعوين كبار ضباط البوليس المنوط بهم المحافظة على الأمن ، وكذلك كبار ضباط الجيش . ورفض الملك رفضا باتا تأجيل الاحتفال نظرا لتوقع المسئولين وقوع اضطرابات فى هذا اليوم . وقد احترقت القاهرة فعلا على حين كان الملك ومدعووه يتناولون طعام الغداء ، ولم يحاول مسئول واحد انقاذ الموقف . لقد قبضت الحكومة على رجال مصر الفتاة واتهمت النيابة العامة السادة أحمد حسين رئيس الحزب ومحمد جبر حسن وممدوح عبد المقصود وسليمان زخارى وعلى عبد الحليم هاشم وغيرهم من الأهالى بأنهم فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ اشتركوا بطريق التحريض والاتفاق فى ارتكاب جنایات وضع النار عمدا فى محلات الدولز والأمريكيين وجروبي وشيكوريل الخ . واتلاف ونهب الأمتعة من تلك المحال بالقوة الاجبارية (١) وقد ألح المتهمون أثناء محاكمتهم بأن الملك هو الذى دبر الحريق بالاشتراك مع الحكومة

---

(١) من قرار النيابة العمومية لاعضاء مصر الفتاة .

يذكروا أن مسؤولية الملك السابق عن هذا اليوم وعن تطور حوادثه هي مسؤولية لاشك فيها وهي على أهون أحوالها صورة من صور الاشتراك بالترك وهذا التعبير معناه أن الملك رأى حريق القاهرة وترك المرتكبين ينفذون قصدهم باحتجازه كبار رجال البوليس المسؤولين عن الأمن والواقع أن الأمر لم يكن صورة من صور الاشتراك بالترك ، وإنما هو اشتراك فعلي في الجريمة بعد دراسة وتدير . ولقد تحدث أستاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعي عن حريق القاهرة وأسند الجريمة الى الشعب أو ما أسماه بالعناصر الرديئة من الشعب ، ولكنني أعارضه فيما ذهب اليه لأنه لا يتفق مع تسلسل الحوادث ، ولا مع الأغراض التي تحققت من ورائه . وأسوق فيما يلي رأى الأستاذ الرافعي والأسباب التي دعت الى اسناد الجريمة الى الشعب، وسيؤكد بعدها القارئ أن الأسباب التي تدين الملك والانجليز أرجح بكثير . وهي الأقرب الى العقل والمنطق .

يقول سيادته في كتابه عن مقومات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ تحت عنوان « هل للانجليز أو القصر يد في حريق القاهرة » قرأت في بعض الصحف والمجلات تلميحات تشير الى أن الانجليز هم الذين دبوا حريق القاهرة مثلما دبوا مذبحه الاسكندرية التي وقعت يوم ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ ، وزعم آخرون أن لفاروق يدا في هذا التدير .

وكنت أود أن يسفر البحث والاستقراء عن تدير الانجليز أو فاروق حريق القاهرة . ولقد قضيت عدة سنين وأنا أعاود البحث لعلى أصل الى بيانات أو مجرد قرائن تثبت هذا التدير مثلما انتهى بي البحث والتحقيق الى ثبوت تدير الانجليز لمذبحه الاسكندرية وتبين لي مع شديد الأسف أن حريق القاهرة كان عملا محليا قامت به العناصر الرديئة من الشعب .

فالحقيقة المؤلمة أن هذا الحريق هو عمل محلي محض ، وأصلى صرف، ولقد عشنا في هذه الحقبة من الزمن وشهدنا الحريق بأعيننا ، وأمكنا أن نتبين صورة صحيحة من حقائقه وملابساته . ولقد رأينا الفوغاء يشعلون النار جزافا في المحلات التجارية دون مبالاة أو اكتراث . رأينا اللهب يتصاعد الى عنان السماء دون أن نلاحظ أى مجهود ولو يسير من رجال البوليس

وضباطه فى منع الحرائق . ورأينا بأعيننا الجماهير المحتشدة على الأرصفة وقت اشتعال النيران مبتهجة مغتظة . رأيناها تنظر بعين الحقد الى رجال المطافىء وهم داهبون بسياراتهم لاطفاء الحرائق ، ولم ينجم من الغضب الشعبى الا انحناءات منهم بأنهم لن يعملوا على اخمادها . ولاحظنا أن هذه الايماءات كانت تقابل من الجمهور بالهتاف والتصفيق ، وتحققنا أن بعض المتظاهرين كانوا يقطعون خراطيم المياه ليمنعوا رجال المطافىء من أداء واجبهم وهذه المشاهدات دللتنا مع الأسف على أن الحريق انبعث من النفوس المريضة من بين الوطنيين . وقد عثر على كثير من المنهوبات فى منازل العناصر الرديئة من الشعب وهذا ينفى أن الحريق أو النهب كان بتدبير من الانجليز أو القصر . وصفوة القول أن حريق العاصمة يوم ١٩٥٢/١/٢٦ كان مأساة ينظر لها البلد حزنا وأسفا .

ويقول سيادته عن مسئولية فاروق : « لا نعتقد أن لفاروق يدا فى تدبير هذا الحريق كما أسلفنا الا فى مساعدته على وقوعه بطريق غير مباشر ، فهو شريك فى المسئولية بسبب مأدبة الغداء التى دعا اليها معظم ضباط الجيش والبوليس وأقيمت لهم بقصر عابدين فى يوم ١٩٥٢/١/٢٦ يوم الحريق ابتهاجا بميلاد ولى العهد » .

## من المسئول ؟ !! :

هذا هو رأى الذى ذهب اليه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ، وهو يتلخص فى أن الذى حرق القاهرة هم العناصر الرديئة ذوو النفوس المريضة من الشعب ، استنادا الى أنه قد شوهد بعضهم وهم يحرقون المحلات التجارية جزافا دون مبالاة أو اكتراث . ومن أن البوليس عثر على كثير من المنهوبات فى منازلهم ، وهذان هما الدليلان الوحيدان اللذان ذكرهما سيادته لالصاق تهمة الحريق الى العناصر الرديئة من الشعب . وهما لا يرقيان بحال الى الأسباب التى سأسوقها وهى تؤيد وجهة النظر التى ترجح تأزر الملك والانجليز فى ارتكاب الحريق .

١ — فقد بينت أن الملك كان يخشى من حركة الفدائيين التى كانت تشتد من وقت لآخر ويخاف على نفسه وعرشه من أن يطيح بهما الى

الوطنيين ، وبذلك أرسل مصطفى صادق الى فاده الحركة يطلب منهم الضمان حتى حصل منهم على البيان الذى نشرته الصحف . ولكنه مع ذلك كان دائم القلق وأبدى فى كثير من المناسبات لمن حوله ضرورة وضع حد لحركة الوطنيين فى القنال .

٢ — على الرغم من أن الأخبار قد انتشرت فى جميع الأرجاء عن مجزرة الاسماعيلية وما كان يتوقعه الجميع من مظاهرات واضطرابات احتجاجا عليها لم يحاول المسئولون وعلى رأسهم الملك تلافى ذلك بل ان الاضطرابات قد بدأت بالفعل قبل بزوغ شمس يوم ٢٦ يناير فى الساعة الثانية من صباح هذا اليوم عندما تجمع عمال مطار فاروق وجنوده وموظفوه حول أربع طائرات لشركة الخطوط الجوية البريطانية ومنعوا نزول الركاب منها ، وكان عددهم يبلغ ١٢٠ راكبا، ورفضوا تزويد هذه الطائرات بالوقود وحالوا بينها وبين استئنافها السفر ، وفضلا عن قيام المظاهرات منذ الصباح الباكر فى جميع الجهات فان الملك صمم على احتجاز كبار ضباط البوليس المسئولين عن الأمن لحضور مأدبة الغداء بمناسبة ميلاد ولي العهد « أحمد قواد » ولم يفضل أى نصيحة بارجاء هذه الوليمة أو جعلها للعشاء بدلا من الغداء .

٣ — وما يؤكد كذلك رأى القائل بتسدير الملك والانجليز للحادث أن ( أيا منهما ) لم يطلب نزول الجيش لقمع المظاهرات الصاخبة التى عمت القاهرة ، مع أنه نزل فى ظروف أقل من هذه الظروف خطيرة وكان من اليسير قمع هذه الاضطرابات فى حينها ويؤيد ذلك الاجراء الذى اتبعه مرتضى المراغى محافظ الاسكندرية فى ذلك الوقت فأمر بانزال الجيش الى المدينة للمحافظة على الأمن مع الفارق الكبير بين القاهرة والاسكندرية ، وقد أخطر مرتضى القصر والوزارة بذلك منذ الساعات الأولى من صباح يوم ٢٦ يناير وألح الى خطورة الحالة ولكن القصر ضرب بذلك عرض الحائط وأصم أذنيه . أما الانجليز — لأمر يتوه — فلم ينصحوا كعادتهم بتدخل الجيش ، وكل ما فعلوه



أن اتصل السفير البريطانى بإبراهيم فرج وزير الخارجية بالنيابة وقال له انه يتمنى أن تكون الحكومة قد أعدت نفسها لهذا اليوم دون زيادة أو نقصان .. فما هو السر الذى يكمن وراء كل هذا التراخى والتغاضى والاستهتار . ولم لم يجزع الملك كعادته ويلجأ الى الجيش ليوقف نذر الشر التى لاحت فى الأفق؟ وهنا يرد سؤال طالما ألح على الجميع .. ألم يخش الملك على عرشه أو نفسه من حالة الفوضى التى كانت تلوح فى الأفق . ويأتينا الرد سريعا من ناحية أصدقائه فى القنال . فقد أمر القائد العام للقوات البريطانية الجيش الانجليزى بأن يتقدم نحو القاهرة — ونصب الحرس الملكى المدافع الرشاشة فوق القصر واستعدوا حتى اذا ما فشلت مؤامرة الحريق وتعرض الملك الى أى خطر كان الانجليز على أهبة الاستعداد لدخول القاهرة لاحتلالها ولحماية عرش فاروق والأقليات والمصالح البريطانية التى طالما جعلوها ذريعة لكل تدخل ، هذه هى الحقيقة التى لا تقبل جدلا أو نقاشا .

٤ — واذا تتبعنا سير حوادث الحريق — التى بدأت بعد الساعة الثانية مساء بحريق كازينو أوبرا وانتهت قبل الساعة الخامسة وأتت على ( ٨٥٠ ) مكانا وأحرقتها تماما لما تصورنا أن ذلك من فعل الغوغاء وانما هو تدبير محكم مرسوم له خط سبر معلوم يؤيد ذلك ما أثبتته التحقيق من أن مرتكبي الحوادث كانوا يستعملون مواد غريبة سريعة الالتهاب ( كالكبسولات والكيوبس والأنايب ) التى كانت تلقى فى أماكنها وسرعان ما تشتعل النيران بطريقة لم ير الناس لها مثيلا .

فهل كان الشعب الشائر أو حتى الغوغاء من ذوى النفوس المريضة كانوا يعلمون أنهم سيحرقون هذه الأماكن من قبل ولذلك أعدوا هذه المواد ليستعملوها فى الحريق ، من السذاجة أن نتصور ذلك ولا يعقل اطلاقا أن يتفق جميع طوائف الشعب على الخروج فى مظاهرة يعبرون فيها عن شعورهم ويحرصون قبل الخروج من منازلهم على أن يضعوا فى جيوبهم هذه المواد الغريبة السريعة الالتهاب .

أيجوز لنا أن نتخيل ذلك مجرد تخيل ؟ ليس هناك الا صورة واحدة لحدوث الحريق هي أن عملاء الملك والانجليز من أمثال جماعة اخوان الحرية والبوليس السياسى وأعدوانهم اندسوا وسط المظاهرات والاضطرابات ثم ارتكبوا حوادث الحريق بالقاء هذه المواد فى الأماكن التى شبت فيها النيران .

٥ - ثم ان هناك مسألة جوهرية هامة وهى أن البوليس لم يضع يده على اعتراف صريح أو حتى ضمنى على من ألقى القبض عليهم وهم كثيرون بأنهم اقترفوا جرائم الحريق وان كان البعض قد اعترف بأنه شارك فى أعمال النهب والسلب وهذا يعنى أن مقترفى الحوادث قد اندسوا وسط الجموع الغاضبة وبعد أن أشعلوا النار تواروا عن الأنظار ليبد الأمر وكأنه شىء طبيعى قامت به طوائف الشعب الثائرة .

وأما أعمال النهب والسلب التى تمت بعد الحريق فلا تدل بحال على أن مرتكبيها هم الذين أشعلوا النار ، وانما يحدث ذلك عادة فى الثورات وفى جميع الدول على اختلاف ألوانها . حدث ذلك وأكثر منه بكثير فى الثورة الفرنسية وفى الثورة البلشفية وفى كل الثورات دون استثناء ، ولقد وضع رجال البوليس أيديهم على بعض من اقترفوا جرائم السلب والنهب ولكنه لم يتمكن من الوصول الى شخص بعينه أشعل النار فى مكان بعينه ولم يكن أمام البوليس الا أن يقبض على بعض رجال مصر الفتاة لكى يلصق بهم تهمة احراق القاهرة ظلما وزورا وبعد أن أعيتة الحيل وضاعت به السبل .

ولو أن حريق القاهرة كان حقيقة من فعل طوائف الشعب الثائرة لما عجز رجال البوليس من اثبات ذلك ولوضح الأمر بما لا يدع مجالا لأى شك ولكن الحقيقة على خلاف ذلك تماما .

٦ - ولطالما سعى الوفد الى تأزم الأمور فى القنال وتمنى أن تشتد عنفا وكان يعتمد اظهار موقف رجاله من النضال بأنهم هم وحدهم الذين وراء الحركة يشجعونها ويوجهونها بالمال والسلاح . ويصرحون

بذلك فى صحفهم ومجالسهم . وكان الوفد يهدف من وراء ذلك الى الضغط على الانجليز لحل القضية المصرية وفى سبيل ذلك أيضا سحبت مصر سفيرها فى لندن وصممت بأن تقطع العلاقات مع انجلترا .. وكانت السراى تنظر الى هذه الاجراءات بخوف شديد وشعر الملك بالخطر المحدق بعرشه وتلاقت أهدافه مع أهداف الانجليز ورأوا ضرورة ضرب الحركة الوطنية بوسيلة أو بأخرى . ولاحت لهم الفرصة عندما قامت المظاهرات صبيحة يوم ٢٦ يناير وكانوا يتوقعونها كما سبق وبيننا فاندس بين المتظاهرين جماعة اخوان الحرية الموالين للانجليز ورجال البوليس السياسى (١) الذين كانوا يحتضنهم القصر ويعملون لحسابه وأحرقوا القاهرة . وبذلك سنحت الفرصة للملك باقالة الوزارة لأنها قصرت فى حفظ الأمن والنظام وتحقق له ولأسياده الانجليز ما أرادوا . فأقصى الوفد واتسكت الحركة .

٧ — وأخيرا فانا اذا نظرنا الى النتيجة الحتمية لحريق القاهرة وبحثنا عن الهدف من وراء ارتكابه والفوائد التى سيجنيها مقترفو الجريمة لوجدنا أن الملك والانجليز هم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الحريق ولا يمكن بحال أن يكون الشعب لأنه هو الذى خسر أولا وآخرا ، فقد ضاعت الدفعة الثورية التى كانت تعمل فى نفوس الوطنيين بالقنال والتى كان يتجاوب معها الشعب فى كل الأرجاء .

وقد رجح هذا رأى كثير من الكتاب فأوضح الدكتور سعيد عبد الفتاح فى كتابه « ثورة شعب » بأن الملك هو الذى أحرق القاهرة فقال : ( وقد ساد الاعتقاد بأن فاروق هو المدير الأول لحريق القاهرة لكى يثبت فشل حكومة الوفد فى حفظ الأمن والنظام ويتخذ من ذلك ذريعة لاقتها من الحكم بدليل ما ذكره الملك فى كتاب اقالة الوزارة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ ) من أن الأمور سارت سيرا يدل على أن جهد الوزارة التى

(١) ساعد كثير من المصريين رجال البوليس السياسى وهم يبرون بسياراتهم على المتظاهرين يشجعونهم ويوزعون على بعضهم المواد الحارقة

ترأسونها قد قصر عن حفظ الأمن والنظام ) وبديل أن الملك حرص فى يوم الحريق على أن يقيم وليمة كبرى فى قصر عابدين لضباط الجيش والبوليس ومن جملتهم ضباط المطافىء وذلك احتفالا بمولد ولى العهد مما أضعف قوة الضبط فى العاصمة فى ذلك اليوم ) كما يؤكد الأستاذ أحمد بهاء الدين رئيس تحرير مجلة المصور هذا النظر فيقول ( ولم يكن فاروق مستطيعا أن ينفذ بنفسه خطة الخيانة والغدر فى هذه الظروف فهى مهمة صعبة لا ينهض بها هذا الفاسق الجاهل الذى يعيش فى عالم من الانحلال والقمار ويجالس حثالات هابطة المستوى لا تجيد الا حديث الدعارة مثل بوللى وبترو وحلمى حسين فلم يكن بد من أن يختار رجلا ينفذ له الخطة المرسومة وكان حافظ عفيفى ذلك الرجل وكانت الخطة التى رسمها فاروق والانجليز لطعن القضية الوطنية يستهدف أولا اخراج وزارة الوفد وكانت خطة اخراج الوزارة تتلخص فى الآتى :

١ — تشجيع الحملة على مظاهر الفساد الداخلى فى الوفد والتشهير بالأخطاء والسرقات واستغلال النفوذ لجذب اهتمام الناس الى الوضع الداخلى ولزعزعة ثقة الشعب فى الوزارة التى تجتاز به المعركة .

٢ — نشر الأنباء المختلفة أو المبالغ فيها عن محاربة الوزارة للفدائيين والقبض عليهم وما الى ذلك لزعزعة الثقة بين المقاتلين فى الجبهة والوزارة فى الداخل .

٣ — أن يقوم الانجليز باستفزازات وتحرشات عنيفة لا غرض من ورائها أكثر من تعريض الوزارة لهزات عنيفة .

٤ — مشاورات متصلة للبحث عن الوزارة التى يمكن أن تخلف وزارة الوفد ويجب أن تكون وزارة قادرة على التظاهر بالاستمرار فى مقاومة الانجليز تلافيا لثورة رأى العام من جهة وحتى يمكن تحويل التيار تدريجيا وفى هدوء .

٥ — البحث عن وسيلة للحد من الحريات العامة لأن قتل القضية الوطنية لن يتيسر أبدا وهذه الاجتماعات تعقد والصحف تكتب والناس يقولون ما يشاءون .

وتم الخطة بحذافيرها فقد انتشر احساس غير ملائم بعدم قدرة الوزارة الوفدية على مواجهة الموقف . وأثر الاعتداء الوحشى على محافظة الاسماعيلية فى استفزاز الناس واشعال غضبهم وتمرد جنود بلوكات النظام ذلك الترد الذى لم يكشف الأصابع الخفية فيه بعد وكان تضليل هذا الشعب سهلا نتيجة التوجيه الخاطيء الذى قامت به بعض الصحف موهمة الناس بأن المعركة تكسب بالتخريب الداخلى والتخريض على أرواح الأجانب وممتلكاتهم .

ولما انطلقت كل هذه العوامل وتفاعلت وسنحت الفرصة لعناصر الخيانة كلها أن تعمل على نطاق واسع . البوليس السياسى وعملاء الانجليز من نوع جماعة اخوان الحرية وغيرهما أخذت هذه بعمل على تكميل المأساة وكانت قيادة الجيش الفاسد كالأصابع فى يد الملك فاستطاع أن يمنع من التدخل لحماية الأمن حتى يعم الدمار بشكل جسيم يبرر الاجراءات التى ينوى الملك الاقدام عليها .. واحترقت القاهرة . )

من كل ما سبق يبين بجلاء أن أصبح الملك والانجليز كانت من وراء حريق القاهرة ما فى ذلك شك وستحفظ لهما مصر هذا العمل من بين ما تحفظ لهما فى سجلها المجلل بالسواد والخزى والعار . وستبقى ذكرى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ماثلة كدليل ماضى على أعمال الخيانة وكمثل حى للجريسة فى أبشع صورها .

## انتكاس الحركة :

تحقق الأمل الذى راود الانجليز والملك للقضاء على حركة الوطنيين فى القنال بحريق القاهرة ونجحوا فى طمس أهم معالمها وآثارها الحديثة ماثلة فى الجمال الفنى المعمارى من فنادق جميلة كشرىد والكوستنتال ومينا هاوس وسميراميس ، الى دور السينما التى بنيت على أحدث الطرق كسينما مترو وريفولى وراديو والمتاجر الكبرى كمحلات شيكوريل وشملا وعمر أفندى والمطاعم الفخمة كجروبي والكورسال والأمريكين ومئات المكاتب الأنيقة الأخرى التى كانت تزين العاصمة ثم أصبحت أماكنها خرابا وظل دخان الحرائق يزكم الأنوف حتى اليوم الثالث من وقوع الحريق ، ومن

شاهد القاهرة فى ذلك اليوم المشئوم لىذكرنا بما أنبأنا به التاريخ من حريق روما على يد حاكمها نيرون وسعاداته الفائقة وهو يشاهد النيران وهى تندلع فيها ومنها ، ولعل التاريخ أراد أن يعيد نفسه على يد فاروق أو لعل هذا الأخير أراد أن يقلد نيرون وما أكثر ما كان يقلد غيره من أمور ، خاصة ولو كانت تخالف طبيعة البشر . وعقب الحريق فرضت الوزارة الأحكام العرفية وأصدر الحاكم العسكرى أوامر عسكرية بمنع الأهالى من التجول من الساعة السادسة مساء حتى صباح اليوم التالى ابتداء من يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ كما أصدر أمرا بمعاقبة كل من يضبط ومعه سلاح بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات .

ومعنى ذلك أن على الوطنيين عدم حمل السلاح ، وبمعنى أوضح وقف جميع العمليات بمنطقة القنال ومهادنة الانجليز . وهذا هو ما كان يهدف اليه الملك والانجليز من وراء حريقهم القاهرة .

### **استمرار كفاح الضباط الاحرار :**

ولكن الوطنيين لم يرضخوا لهذا الأمر ولم يسلموا السلاح الذى كان معهم واجتمعوا وقرروا الاستمرار فى الكفاح ، وان كانت مهمتهم قد غدت أصعب من ذى قبل ، اذ كان عليهم أن يحاربوا الانجليز ويستخفوا من الحكومة خشية القبض عليهم ، وفى هذا الوق العصيب ودخان الحرائق لا يزال يتصاعد الى السماء والمدينة يلفها غبار أسود . تحرك التشكيل العسكرى لأنه رأى أن الموقف يحتم عليه أن يعمل ، وبسرعة فائقة لاعدام الترتيبات اللازمة للضربة القادمة القاضية . فقد كان التشكيل العسكرى يعمل جنبا الى جنب بجوار التشكيل المدنى فى القنال يساعد بخبرته وبأسلحته وبذخيرته وبكل امكانياته فى المعركة ، بل ترك بعض الضباط عملهم بوحداتهم واشتركوا فعلا فى عمليات المقاومة ولم يبق منهم سوى القادة الذين كانوا يديرون المعركة من وراء ستار خشية انكشاف أمرهم فكنت ترى وسط المعركة على سبيل المثال السادة كمال رفعت وعصام خليل الضابط الذى كشف مؤامرة الخونة بلبنان بعد أن سلموه نصف

مليون جنيه ليتعاون معهم .. ومجدي حسنين ووجيه أباطة — محافظ البحيرة — وصلاح هدايت وزير البحث العلمى وكان يقوم باعداد القنابل الزمنية ، فهو فوق أنه ضابط جيش الا أنه خريج كلية العلوم .

وتحضرني واقعة طريفة وقعت أثناء اعداد احدى هذه القنابل فقد أحضر له الوطنيون عشر ساعات كانت من النوع الرخيص لاعداد عشر قنابل وتسلمها صلاح هدايت ووعد بصنعها على أن تكون معدة صباح اليوم التالى وكان ذلك فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٥١ وعندما تم تركيبها لم يشأ صلاح أن يسلمها الى الوطنيون الا بعد أن يجرب احداها ، وكانت الساعة الحادية عشرة صباحا فقام باعداد احدى هذه القنابل للتفجير بعد نصف ساعة وتوجه الجميع الى صحراء العباسية وثبت القنبلة تحت أحد الأعمدة الخشبية القديمة وانتظر الجميع انفجار القنبلة دون جدوى حتى جاوزت الساعة الثانية عشر ورأى الوطنيون أن من الحكمة عدم ترك هذه القنبلة فى مكانها لأنه من الجائز أن تنفجر بعد ذلك فتصيب أحد المارة وسناورا على من يقع عليه عبء احضار القنبلة لافسادها فتصدى أحدهم ولكن صلاح هدايت أبى وصمم على أنه هو وحده الذى سيقوم بهذه المهمة ، وكانت القنبلة على بعد حوالى ثلاثائة متر ، وذهب صلاح لاحضارها زحفا لأن انفجارها فى أى وقت معناه اصابة أى شخص فى محيط مساحته ٢٠٠ متر مربع ، ووصل الى مكان القنبلة وأخرجها .

كل هذا والوطنيون يترقبون رجوعه سالما بصبر نافذ وقد أخذ منهم الخوف كل مأخذ وعندما عاد صلاح وجد أن الساعة تسير ببطء وأن القنبلة لا بد لها أن تنفجر لو انتظروا عليها ١٥ دقيقة أخرى ، فأعادها وانفجرت القنبلة .

هذه هى روح بعض الضباط الأحرار الذين كانوا يقودون المعركة وقد سقت هذه الحادثة البسيطة لأدلل على مدى روح الفداء التى كانت تسيطر على الجميع أثناء معارك القنال .

أعود فأقول ان الرئيس جمال عبد الناصر واخوانه من الضباط كانوا يرون فى حركة القنال مرتعا خصبا لاشعال الشعور الوطنى ، ويعتقدون

بحق أن فى ازدياد عدد الوطنيين فى القنال يوما بعد يوم اعدادا للشورة الشاملة جيشا وشعبا ، ولذلك لم يتركوا الوطنيين يحاربون وحدهم بالقنال وانسا أمدهم جسال بخيرة الضباط ولم ييخل عليهم بالسلاح والذخيرة ، ولطالما كان الوطنيون يتوجهون اليه بالعباسية ليتسلموا منه رصاص بنادق لى أنفيلد ( ٣٠٣ ) والبنادق أو مدافع البرن المشهورة التى استعملوها فى معركة ١٤ يناير سنة ١٩٥٢ عندما قتلوا الاثنى عشر جنديا من جنود الكامبيرون والهايلاندورز .

ولذلك فقد ارتاع التشكيل العسكرى لحريق القاهرة وما تبع ذلك من فرض للأحكام العرفية وما تلاه من قوانين مقيدة للحرية منعت الوطنيين من حمل السلاح أو التجول ورأى التشكيل أن الحركة قد اتكست وأن الدفعة التى كانت تسير بها قد توقفت لذلك رأى جسال أن الوقت قد حان لبدأ العمل مع اخوانه لتخليص البلاد من الفساد الذى استشرى فى كل مكان حتى أصبحت مصر بؤرة من بؤر الفساد ، وقد أعرب جمال عبدالناصر عن شعوره ذلك عندما احترقت القاهرة فى احدى خطبه فقال : « احترقت القاهرة وحرقت معها كفاحنا فى القنال ومن ذلك اليوم يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ بدأنا نفقد الصبر وبدأنا نفكر فى العمل الايجابى وآثرنا أن نصرع الفساد قبل أن يصرعنا وأن نحطم الطغيان قبل أن يحطمنا » .

ومنذ هذا اليوم المشئوم والعربة الأوستن السوداء القديسة التى كان يركبها جسال لا تهدأ لها حركة لا فى الليل ولا فى النهار .

## موقف الملك وحكومته من الكفاح الشعبى :

عقب صدور مرسوم اعلان الأحكام العرفية والأوامر العسكرية التى تفرع منه مساء يوم الحريق أى يوم ٢٦ يناير اجتمع الوطنيون وفرروا الاستمرار فى الكفاح ، على الرغم من هذه الأوامر الصارمة لأنهم رأوا أن فى وقف العمليات الدائرة بالقنال لطمة كبرى للحركة وانتصار كبير لفواى الاحتلال وان كان من المتعين عليهم أن يتحركوا فى حست وحيطة وحذر وأن يخفوا ما معهم من ذخيرة وأسلحة لأن قوات البوليس وضعت نصبم



عينيها تعقب الوطنيين والقبض عليهم ، وكان لدى الوطنيين عربة جيب وعربة لنقل الجنود وخمسين بندقية والفي طلقة من عيار ٣٠٣ فرأى الوطنيون أن يخفوا هذه الأشياء تماما عن الأنظار ، وسافروا فعلا وفي إحدى قرى مديرية الشرقية أخفيت العربتان والأسلحة وسحبوا جميع الوطنيين بالقنال فيما عدا كتيبة واحدة في كل من الاسماعيلية والسويس والتل روعى في اختبارها اعتبارات كثيرة (١) وعاد الوطنيون الى القاهرة ظهر يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ وكان البوليس يجد في القبض على من يشتبه فيه تنفيذا للأوامر العسكرية والعجيب أن الملك بعد أن حقق مأربه واتخذ من النحاس مطية للوصول الى الأحكام العرفية وإيقاف حركة الوطنيين التي كانت تقض مضجعه أعد مشروع اقالة النحاس قبل ميعاد تنفيذ الأوامر العسكرية ، فبينما كان النحاس يجلس في داره هادئا مطمئنا حوالى الساعة العاشرة مساء ، اذ برسالة من الملك تصله وكانت تحوى اقالته من الوزارة ، ثم أسند الملك الوزارة الى على ماهر وفرح الناس بعض الشيء وترقبوا تغييرا في السياسة اتقاذا للسوقف المؤسف الذى وصلت اليه البلاد ، ولكنها كانت وزارة بطش وغدر فلم تحقق أمل الشعب فيما انتظره طويلا من أن يرى حاكما على قسط من الشجاعة والغيرة الوطنية يسهم في النضال الوطنى وبدفع المناضلين فى القنال دفعة المؤيد المعضد دون نظر الى أى اعتبار آخر أو النفات الى أية مصلحة شخصية أو ذاتية ولكنها خيبت الآمال وصدمت الشعب . فلم تلبث أن أمرت بالقبض على الوطنيين وزجت بهم فى السجون ثم أرسل على ماهر رسله الى قادة القدائين يطلب مقابلتهم ، وفى يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ قابل اثنان من الوطنيين رئيس الوزارة الذى طلب منهم وقف العمليات فى القنال ، وإطلاعه على أسماء المساهمين فى الحركة وأماكن الأسلحة والذخيرة ، وبطبيعة الحال رفض الوطنيان على الفور كل ماطلبه صاحب المقام الرفيع ولاذا بالصمت وقد دارت فى ذهنيهما وهما جالسان أمام مقامه الرفيع فكرة القبض عليهما ، ولكنها كانت بالنسبة لهما أهون ألف مرة من الاستجابة لطلباته ، وكانا بتساءلان فيما بينهما أثناء فترة الهدوء التى

---

١٨ كسه الحزب الوطنى .

استمرت بعض الوقت ، وهما جالسان ، ألم يعد بمصر وطنى واحد يتجاوب مع الشعب ويتفاعل معه ، هل أقفرت البلاد من ذلك المكافح الذى يضحى بمصلحته وينسى مطامعه من أجل مصر . ولماذا يتغير السياسيون وتختلف وجهات نظرهم ويتصرفون وهم فى الحكم على عكس ماكانوا يقولون وهم بعيدون عنه ؟ ولماذا ينسون بسرعة وهم لاأثذون بكراسى الوزارة تباكيهم على مصر وتصريحاتهم الملتهبة عن الوطنية ووعودهم الجياشة عن الكفاح والنضال ؟ ألا لعن الله ذلك الحرص الذى يذل أعناقهم .

خرج الوطنيان من منزل رئيس الوزارة بالجيزة ليسمعا أخبار القبض على زملائهما وتعقبهم فى مدن القنال والقاهرة وفى كل مكان .

وقد أعقب هذه الزيارة زيارتان أخريان تمتا بناء على طلب على ماهر والحاحه وذلك على أثر قيام الوطنيين بمعركتين فى القنال هما معركتا المحجر والقنطرة للرد على اعتقال على ماهر لزملائهم وقد اعترف بهاتين المعركتين اذاعات الانجليز . وأخرجت وزارة على ماهر لأنه أخذ على عاتقه وقف هذه العمليات اعتقادا منه أنه سيصل عن طريق المفاوضة الى مالم يصل اليه أسلافه .

وقد ذكر موسى صبرى فى كتابه ( قصة ملك وأربع وزارات ) هاتين المقابلتين فقال :

« وفى ظل النك استعد على ماهر لمواجهة الموقف فعرض بنفس الأسلوب ، أسلوب الباب الموارب على بعض الأشخاص التعاون معه واستمع الى آراء كثيرين حتى انه قابل مثلين عن حركة الكتائب فى الشرقية هما عبد الحميد صادق ومدحت عاصم اللذان شرحا له تفاصيل معركة الكتائب وقدا له صورة عن الموقف وسألها على ماهر عن عدد المشتركين فى الكتائب من الحزب الاشتراكى فأجاباه أنهم لا يتجاوزون أصابع اليدين وأنهم يخلعون فى تطوعهم رداء حزيتهم وأن رئيسهم أحمد حسين أبدى أطيّب روح واستعداد للتعاون مع الكتائب قائلا لهم — خذونى معكم كأي مجاهد مصرى بين الصفوف ثم يسألها على ماهر هل يسكن وقف أعمال الكتائب

ولو فترة قصيرة من الوقت اذا دعت الى ذلك مصلحة الوطن .

وعندما طلبا تفسيراً لهذا السؤال قال على ماهر — ان المتحاربين في كوريا ، هذه الحرب التي تشترك فيها جيوش الأمم المتحدة كثيراً ما يعلنون الهدنة ويوقفون القتال في بعض المناطق للوصول الى حلول — فاذا لم يتفقوا على حل قطعوا الهدنة وتابعوا القتال . فليس الهدف هو سفك الدماء فقط بل الوصول الى حل ، وقال ممثلاً الكتائب تؤكد لرفعتك اتنا على استعداد لهذه الهدنة اذا رأيت في المستقبل أن صالح البلاد يقتضى ذلك فقال على ماهر اتنى أقول لفترة قصيرة مؤقتة بحيث اذا لم تجب مطالب البلاد عدنا الى حرب الكتائب حرباً منتظمة قوية تؤتى نتائجها . وبعد أسبوع واحد من اجتماع على ماهر بممثلى الكتائب تولى رئاسة الوزارة ودعاها الى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء وحضر هذا الاجتماع وجيه أباطة بصفته قائد كتائب الكفاح في الشرقية والقنال ونصحهم على ماهر بالتوقف في هدنة » . ويستطرد موسى صبرى بأن الفدائيين المجتمعين مع على ماهر اشترطوا أن تكون الهدنة لأجل محدود مدته ثلاثة شهور وان لا يقبض على أحد من الفدائيين وأن يطلق للكتائب الحرية في المران وقد أجاب على ماهر بقوله سأحاول أن أصل مع الانجليز الى تحقيق مطلب البلاد فان أخفقت ورأيت أنهم يساطلون وعدتكم بنفسى الى استئناف الكفاح ونزلت معكم الى الميدان ) .

وقد رأى على ماهر أن يهادن الفدائيين فوافقهم على جميع طلباتهم وأفرج عن قبض عليه منهم . وتفرغ رئيس الوزراء للحكم محاولاً الوصول مع الانجليز الى حل ولكن العراقيل وضعت في طريق الوزارة منذ اليوم الأول من تشكيلها وكان الملك هو المعول الأول في سقوطها ولم تمكث في الحكم سوى شهرين .. ويرجع ذلك الى أن تفوذ رجال القصر وخدمه كانت قد استفحلت وأصبحوا يتدخلون في شئون البلد ويطالبون بتعيين المحاسيب في المناصب ، من ذلك أن السراى طلبت تعيين كريم ثابت وزيراً في الوزارة وكامل قاویش نائباً عاماً بصفته صديقاً شخصياً للشماشرجى

محمد حسن ومما زاد الموقف سوءا ايعاز السراى الى السفير البريطانى بعدم التفاوض مع على ماهر على أساس أن فاروق سيقيل الوزارة وعندما أراد رئيس الوزارة مقابلة الملك ليستوضح الموقف رفض هذا الأخير مقابلته مما اضطر على ماهر الى تقديم استقالته . وأسندت الوزارة بعد ذلك الى نجيب الهلالي ، وبنفس السياسة والأسلوب بدأت الحاشية تتدخل فى الحكم فاعترضوا على الأسماء النظيفة التى رشحها نجيب الهلالي مثل محمود محمد محمود ومحمد نجيب . وعزيز المصرى ورشحواهم من ناحيتهم محاسيب السراى ، فطلب الملك تعيين أحمد النقيب وزيرا للصحة — وهو صديق الملك — فرفض نجيب الهلالي هذا الأمر قائلا كيف أعين أحمد النقيب وزيرا وهو ضمن الأشخاص الذين سيتناولهم التطهير .

وكانت الوزارة قد وضعت نصب عينها اجراء التطهير فى جميع النواحي حتى بين رجال السراى وكانت هذه السياسة هى السبب الرئيسى للاطاحة بوزارة نجيب الهلالي . فقد أعاد رجال السراى ما سبق أن طلبوه فى وزارة على ماهر من ضرورة تعيين كامل قاویش نائبا عاما أو وكيلًا للوزارة وغير ذلك من الطلبات .

ولم يكن الملك وحده هو الذى يحارب الوزارة وانما يحاربها كذلك حزب الوفد الذى ظل يتربص بالوزارات الأربع المتعاقبة التى جاءت فى الفترة بين حريق القاهرة ٢٦/١/١٩٥٢ حتى قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ، للاستيلاء على مقاليد الحكم ، فقد حدث أنه بعد أن اتفق نجيب الهلالي مع الانجليز على الجلاء ووحدة مصر والسودان ، عادوا ورفضوا هذا الاتفاق وكان وراء هذا الفشل حزب الوفد الذى طلب من الانجليز الاتفاق معهم بشروط أسخى من تلك التى عرضت على نجيب الهلالي . وروى الهلالي فشل المفاوضات فقال : « زارنى عبد الخالق حسونة وزير الخارجية فى منزلى وأطلعنى على ما تلقاه من السفير البريطانى وآويت الى مخدعى لأستيقظ فى الصباح وفى يدي الاعلان بالجلاء والوحدة الذى طلبته . ثم

قابلت السفير في اليوم التالي وتبينت أن النهار قد محا كسلام الليل وإذا بالرجل ( يلحس ) كل ما قاله قبل ذلك وإذا بالموقف كما هو لم يتغير ولم يتبدل فقد اتصل الوفد بالانجليز وعرض عليهم التفاهم . عرض عليهم أن يقبل الورد بشوكه (١) . وكان وسيط الوفد لدى الانجليز هو المليونير عبود باشا الذي كان يمهّد لعودة الوفد ، حتى انه عرض مبلغ مليون جنيه على الملك وحاشيته للاطاحة بوزارة نجيب الهلالي وعودة الوفد . ولم يجد هذا الأخير بدا من تقديم استقالته هروبا من هذا الجو المشحون بالمؤامرات والخيانات . من كل جهة ، وكان عمر الوزارة ثلاثة أشهر لا تزيد ، وجاءت حكومة حسين سري التي ألغىها الملك على مائدة القمار في نادي السيارات بناء على طلبات رجال حاشيته وعلى رأسهم محمد حسن والياس اندراوس وبدأت العراقيل تقام أمام الوزارة الثالثة ، فقد أصدر وزير الحرية قرارا بحل نادي ضباط الجيش ( ونقل اللواء محمد نجيب الى منقباد ، وكان الاعتقاد السائد في ذلك الوقت أن محمد نجيب هو مرشح الضباط الأحرار وربما المتزعم لتشكيلاتهم السرية كما حضر رئيس الديوان حافظ عفيفي الى حسين سري رئيس الوزراء ومعه كشف بأسماء ١٢ ضابطا من الضباط الأحرار وطلب منه نقلهم من وحداتهم الى جهات متفرقة كطلب السراي . وقد اتضح أن هذا الكشف كتب بخط أحد خدم السراي وهو واحد من الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك الوقت (٢) ، وعندما رأى حسين سري أن الحالة تسوء والموقف يتدهور ، وأن تباشير الثورة العسكرية قد لاحت عرض على الملك تعيين محمد نجيب وزيرا للحرية واخراج حسين سري عامر لكراهيته في الجيش ، ولكنه رفض .. ولم يجد رئيس الوزراء سبيلا آخر أمامه سوى الاستقالة بعد أن مكث في الحكم عشرين يوما واتجهت الأنظار مرة أخرى الى الهلالي كمنقذ للموقف المنهار ، وتألّفت وزارته في صبيحة يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ ودخل فيها اسماعيل شرين زوج شقيقة الملك « الأميرة فوزية » مطلقة شاه ايران ، وأذعن الملك الى طلبات الوزارة

---

(١) من كتاب ملك وأربع وزارات لموسى صبرى

(٢) تشماشجى عرنز .

الجديدة وهى ابعاد أصحاب النفوذ فى السراى من أمثال : كريم ثابت ،  
والياس أندراوس ، واستعد نجيب الهلالي لتنفيذ سياسته السابقة وهى  
التطهير ومقاومة الانجليز . ولكن القدر كان يخبىء للبلاد حدثا سعيدا .  
ولم يكن أحد يدرى أن جماعة من الضباط المخلصين قد رسموا مستقبل  
مصر بعد أن يئسوا من الأحزاب والزعماء . فخرجوا من ثكناتهم ليستقوا  
الوزارة التى استمرت يوما واحدا وليطيحوا بالملك ، وليقضوا على الفساد،  
وليبنوا مصر الحديثة القوية .

## ٢ - تجمعات فى الجيش

### فكرة الثورة :

كانت فكرة الثورة تراود كثيرين من ضباط الجيش المخلصين ، ولكنهم كانوا يخشون الخيانة ويخافون العيون التى رصدها الملك ، وسلطان الانجليز الذين كانوا يسيطرون على الجيش فى ذلك الوقت ؛ وكان من الحكمة وبعد النظر والحال كذلك ألا يطسّن ضابط الى زميل له فيبوح له بفكرة سامية خطيرة كهذه خشية ألا يكون من رأيه فيفشى سره ، أو يكون من العيون عليه فيفري به ، وينتهى أمره بعد ذلك الى ما هو معروف من السجن والطرْد والتشريد ؛ وأهم من ذلك تبدد الفكرة وتلاشيها . وكان يسيطر على الجيش جو من الخوف والارهاب ، ولم يكن له من عمل سوى ما رسمه له الاسنعمار طبقا لسياسة خبيثة مرسومة كأن يطلب منه المحافظة على الأمن أو قمع المظاهرات بقوة السلاح اذا لزم الأمر ، وهكذا تحددت مهمة جيش مصر كما فرضها الانجليز . المصرى يعتدى على أخيه بحجة المحافظة على الأمن ، ونجحت سياسة فرق تسد التى كان يطبقها الانجليز فى كل البلاد التى رزئت بهم .

وفى هذا الجو الملبد بالغيوم ولدت فكرة الثورة . وتبناها الملازم جسال عبد الناصر وكان يعمل فى ذلك الوقت بسنقباد وشق طريقه وتبيدا محاذرا فاختر من الأعضاء من يطسّن اليهم اطمئنانا كافيا وبعد اختبار طويل ، وكان يؤمن بالكيف لا بالكم وان عضوا واحدا أفضل من عشرة أعضاء اذا أحسن اختياره .

### النواة الأولى والثانية :

وكون هناك أول سرية (١) فى الجيش وكان من اعضائها الملازم أنور السادات . وكانت هذه النواة البسيطة تفكر فيما آلت اليه حالة البلاد

(١) من كتاب مصحات مجهولة لأنور السادات .

والشعب ومدى طغيان الانجليز ومن سار في فلكهم من المصريين فيحزنون أشد الحزن ويتمنون لو هيات لهم سبل الخلاص ولم يجدوا لذلك من وسيلة الا بثورة يقوم بها الجيش .

ولم تستمر اجتماعات نواة منقباد طويلا اذ لم يلبث أن صدر الأمر بنقل أفرادها الى جهات متفرقة ، وجاء أمر النقل مخيا لآمالهم ، لأن الصلة الجديدة التي جمعتهم كانت قد وثقت بينهم وربطت بينهم برباط وطيد من الصداقة والاخلاص . ولم يدروا أن نقلهم من منقباد الى وحدات متفرقة فيه خير كثير للحركة ، لأن كلا منهم بدأ على الفور في خلق خلية جديدة في منطقة عمله طبقا للتعليمات التي أقسموا أن ينفذوها بالطريقة التي نفذت في منقباد وعلى « تباب الشريف » (١) .

وتفرقت النواة الأولى للتشكيل بنقل أنور السادات الى مرسى مطروح حيث كانت الحرب دائرة بين الحلفاء والألمان . وينقل جمال الى السودان ضمن الكتيبة الثالثة ، وكلا النقلين يحملان قصة ساعدتا كثيرا في تدعيم فكرة الثورة .

فأما جمال عبد الناصر فقد نقل الى السودان بسبب آرائه المتطرفة وبغضه لرؤسائه من الانجليز والمصريين على السواء . لأنهم كانوا يمثلون في نظره أبناء مدرسة واحدة وقبل سفره الى السودان حضر لتوديعه صديقه الصاغ عثمان نصار واستفسر منه عما اذا كان يعرف أحدا هناك . فلما أجاب بالنفي قال له « هناك الملازم عبد الحكيم عامر فاسأل عنه بمجرد وصولك الى الخرطوم ويمكنك الاعتماد عليه كثيرا » وسافر جمال عبد الناصر الى السودان وفي الخرطوم قابل عبد الحكيم عامر وتوطدت بينهما صلات الصداقة التي ظلت تسو وتترعرع حتى أصبحا لا يفترقان . وفي عاصمة السودان تكونت النواة السرية الثانية في سنتي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ويروى لنا أنور السادات أول عوامل توطيد صلة الصداقة بين جمال وعبد الحكيم فيقول : (٢) « وكان أول هذه العوامل قومندان الكتيبة فقد كان قومنداننا

(١) مكان في منقباد كان الصايط يحضرون فيه .

(٢) من كتاب صفحات مجهولة لأنور السادات .



من نوع فريد قل أن يوجد بين الضباط مثله ، فقد عرفنا قومندان ذلك الزمان قططا في ثياب أسود عرفناهم أذلة للضباط الانجليز أعزة علينا نحن أبناء الفلاحين عرفناهم يتحكمون في مصائرنا وأعمالنا وخطواتنا بالباطل أكثر مما يتحكمون بالحق .

بل لعلنا لم نعرفهم يتحكمون بالحق أبدا — ولو كانوا كذلك ما غضبنا ولا اعتبرنا صلتهم من مستلزمات الحياة العسكرية . جهلاء في مناصب القيادة أذلة لأصغر ضابط انجليزى وعلى أكتافهم المزيد من النجوم والتيجان وتحف امرتهم شبان صغار كبر بالعلم وبالعزة والوطنية أنفسهم وقلوبهم . وهكذا كان موقف القومندان منا — أو هذه كانت أسباب هذا الموقف . ولكن قومندان الكتيبة الثالثة فى السودان كان يجب أن يتحكم فى ضباطه الصغار من نوع جديد لم نعرف له فى الجيش مثيلا .

كان الرجل ولوعا بالشراب ما يكاد المساء يقبل حتى يعد عدته لسكرة تذهب بعقله وتريه نفسه أسدا هصورا يملأ زئيره الفلوات ، ولم يكن يحب التراب وحده ، ولم يكن يظفر بفرصة الشراب مع الانجليز ، فكان الحل الطبيعى عنده أن يأتى بضباط بالأمر وأن يكلفهم بمجالسته ومشاركته كلما جاء المساء . ونصوروا شرابا بأمر القائد وفى مجلس الأسد .. لقد كان الضباط جميعا حتى الذين يشربون الخمر منهم يضيقون بهذا التكليف الثقيل . ولكن جمالا لم يكن يضيق فقط بل يضيق ويسخط ويقاوم ويفسد على القائد مجلس الشراب ، وماذا يستطيع أن يصنع وقد امتنع عن المشاركة فى الشراب فصدر اليه الأمر بالمشاركة فى جلسة الشراب ، وكانت ليلته لا ينساها جمال ولا عبد الحكيم ، وحينما حاولا أن يتركا مجلس القائد رفض وزمجر وقام الى أبوابه فغلقتها ، وتلف جبال حوله وانتظر حتى شرب القائد كأسين أو ثلاثا وبدأ يصول فى المكان ويزأر ثم أشار الى عبد الحكيم وقفز من النافذة وقفز عبد الحكيم خلفه وتبعهما الضباط جبهة وعاد القائد الى مجلس الشراب ليجده خاليا خاوبا من السمار ولم يغن صراخه ولا زئيره شيئا .. ومنذ الصباح التالى بدأت حرب باردة بين القومندان وبين جمال وعبد الحكيم وبلغ التنفن بين الطرفين قصده فى هذه

الحرب الباردة ، حتى جاء يوم تنفس فيه القائد الصعداء شيئا ما لأن عبد الحكيم قد هبط الى القاهرة ليلتحق بفرقة دراسية من فرق الجيش . وبعد سفر عبد الحكيم لم يجد القائد كبير عناء فى اقضاء جمال الذى كان يحتقره الى جبل الأولياء .. وبذلك تفرق الصديقان الى حين وفى رأسيهما أفكار جديدة .

وعندما انتهى عبد الحكيم من فرقته الدراسية بالقاهرة عاد ثانية الى السودان ، ولكنه لم يجد جمالا ، ورأى كره القائد وحقده عليه يتأججان فى صدره . وكما تخلص القائد من جمال نقل عبد الحكيم أيضا الى جبل الأولياء كذلك وهناك التقى مرة ثانية بجمال وكانا هما الضابطان الوحيدين اللذين يمثلان كتية جبل الأولياء لا ثالث لهما سوى الجنود ، فكان القومندان هو جمال وضابطه الوحيد عبد الحكيم ، وفى هذه البقعة النائية تفاهم الضابطان أكثر وأكثر ، وتلاقت أفكارهما وتأكدا من أن حل الموقف بأكسله يقع على كاهل الجيش ، وأقسما وتعاهدا ، ولكن اجتماعهما لم يدم طويلا ، اذ لم تلبث القيادة أن أمرت بنقلهما . فنقل عبد الحكيم الى منقباد حيث كان جمال ونقل جمال الى الصحراء الغربية . ولم يلتقيا بعد ذلك الا فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ وكانت قد وقعت خلال هذه الفترة أحداثا كثيرة .

## نواة ثالثة :

هذا ما كان من أمر جمال — أما أنور فقد نقل الى مرسى مطروح ، وكانت قوات المحور تهدد الحلفاء . وكان روميل يضرب بقسوة الجنود البريطانيين فى الصحراء الغربية وأرادت القيادة البريطانية نقل الجيش المصرى الى واحة سيوة فى الجنوب وبدون سلاح لتفرغ لملاقاة روميل لعدم اطمئنانها للجيش المصرى . ولكن عزيز المصرى رفض وقدم استقالته وامتنع من تنفيذ هذا النقل لسببين : أولهما أن تسليم الجيش لسلاحه يحمل معنى الاهانة ، وثانيهما أن فى نقله الى الجنوب ما يعرضه للإبادة فى حالة استيلاء الألمان على مرسى مطروح والعلمين ، لأنه فى هذه الحالة سيقطع الألمان الطريق على الجيش المصرى ، وبخاصة وهو بدون سلاح ،

ولكن على ماهر رئيس الوزراء رفض الاستقالة ، وأعطاه اجازة لأجل غير مسمى بناء على نصيحة الانجليز . وعندما علم ضباط الجيش بما حدث ثاروا وصمموا على عدم تسليم أسلحتهم للانجليز وقرروا مقاومتهم اذالزم الأمر ، بل وفكروا فى أن يعودوا الى مصر ويحتلوا جميع المواقع الهامة أثناءعودتهم ، ولكن الانجليز عادوا ووافقوا على أن ينسحب الجيش المصرى ومع أفرادهم جميع أسلحتهم . واعتبر الضباط هذا التقهقر من الانجليز انتصارا كافيا لهم ، فرجعوا الى مصر بعد أن تكونت نواة ثالثة وقد استقر رأى التشكيل العسكرى على أن يتصلوا بعزير المصرى يستمدون منه الرأى ويلتمسون منه التوجيه ليؤمنوا حركتهم فى نضالهم الطويل المحفوف بالصعاب والمخاطر .

وتوصل الضباط الى عزير المصرى فقابلوه وسعوا اليه فى بيته بضاحية عين شمس — وتكررت المقابلات وكانت توجيهاته ونصائحه صريحة وواضحة كالخط المستقيم — فكان يقول لهم لا تعتمدوا على أحد ، واستلهموا الايمان من داخل أنفسكم ، وتسليحوا بالعلم وتكتلوا واختاروا من بينكم الرجل المؤمن الواثق بنفسه ليقودكم والله لو أن هناك خمسة ضباط مؤمنين فحسب لكنت أنا سادسهم ، ولتقدمت لأحمل لواء الثورة لاقاذ البلاد . هذه كانت عينة من توجيهات عزير المصرى الذى كان يعتبره الضباط مثلهم الأعلى . ومن ثم كانوا يلجأون اليه كلما حزم الأمر أو اكهر الجو .

وتوطدت صلة الضباط بعزير المصرى حتى انه أفضى اليهم بسر اتصال الألمان به عندما أصبحوا على أبواب مصر ليستفيدوا بخبرته وليساهم معهم فى طرد الانجليز ، وكانت خطة الألمان فى بادىء الأمر تقضى بأن يرسلوا له فى يوم من أيام شهر ابريل سنة ١٩٤١ طائرة حربية عليها شارات سلاح الطيران البريطانى تهبط فى مطار الخطاطبة قبيل غروب الشمس ثم عادوا وغيروا الموقع الى جبل رزه على طريق الواحات البحرية ، ولكن شاءت الظروف أن تتعطل العربة التى كانت تقل عزير المصرى فى طريق الهرم ،

وفشلت الخطة وفاتت فرصة اتصال عزيز المصرى بالألمان ، ثم تجددت الفكرة مرة أخرى ، وكانت ثورة رشيد على الكيلانى قد قامت بالعراق ورأى عزيز المصرى ورجال التشكيل أن الوقت قد أوفى للسفر الى العراق لتحقيق هدفين : لمساعدة ثورة رشيد الكيلانى من جهة ، وللاتصال بالألمان من جهة أخرى ، لأن الاتصال من العراق بالألمان سيكون سهلا وميسورا ، ووضعت الخطة واستعد عزيز المصرى للسفر بصحبة الضابطین : حسين ذو الفقار ، وعبد المنعم عبد الرؤوف ، ولكن الطائرة سقطت بهم بناحية قليبوب كما سبق وينا فى مايو سنة ١٩٤١ ، أما فى الطيران فقد تكونت به نواة رابعة عملت منفصلة عن خلايا جمال فترة من الزمن حتى ضمها جمال اليه بعد ذلك . وعرفنا ما قامت به من محاولات للاتصال بالألمان بعد أن رسمت جميع مواقع الانجليز وسافر لها أحمد سعودى الى الصحراء الغربية حتى هبط بطائرته فى منطقة الضبعة الملغمة وانفجرت طائرته واستشهد . كما سافر لنفس السبب الصول محمد رضوان وظل مع الألمان واستصحبوه معهم الى ألمانيا أثناء انسحابهم حتى قبض عليه بعد انهزام المحور وسلمته القوات البريطانية الى مصر فحوكم وقضى بسجنه ١٥ عاما .

### تجمعات أخرى فى الجيش :

ولم تكن هذه الخلايا الأربع وحدها التى كانت تعمل فى تلك الفترة من أواخر سنة ١٩٤٢ وانما كان لحادث ٤ فبراير دوى كبير فى جميع الأوساط سواء منها المدنية أو العسكرية فتكونت جمعيات أخرى عملت منفصلة تماما عن تشكيل الجيش الذى تحدث عنه هنا . فكانت هناك على سبيل المثال جماعة مصطفى كمال صدقى وكان ضابطا بإدارة مخابرات الجيش ورأى بعد أن كون جماعته وكان أكثرهم من ضباط الصف أن ينخلص من ابراهيم عطا الله واعتقد أن عمله كضابط فى المخابرات يجعله بمنأى عن أية مظنة ويبعد عنه التبهات ، وبلغ به الاستهتار أنه كان يطبع المنشورات الثورية فى نفس الادارة التى يعمل بها معتقدا أن رؤساءه لا يمكن أن يتطرق اليهم الشك بان ادارة المخابرات بالذات هى التى تطبع هذه

المنشورات ، ولكن عيون الخيانة كانت تبحث وتتعبق الوطنيين فى كل مكان فأبلغ بعضهم عنه وقبض على مصطفى صدقى وعلى ٢٣ ضابطا وصولا وقدموا للمحاكمة .

وكانت هناك جماعة الضابط الوطنى وجيه خليل التى عملت منفصلة أيضا عن التشكيل العسكرى وقدر له أن يعلم أن بالجيش تشكيلا عسكريا فسعى اليه وعرض على أحد الأعضاء وكان ذلك عقب حادثة ٤ فبراير بأن يتعاون التشكيلان : تشكيل وجيه خليل والتشكيل الذى يرأسه جمال عبد الناصر للقيام بموجة من الاغتيالات فى الضباط الانجليز وبعض الوزراء المصريين ممن كانوا يتعاونون معهم وخاصة بعد حادثة ٤ فبراير .

ولكن جمال رفض الفكرة وقال تبريرا لأسباب هذا الرفض ( بأننا نرى القيام بحملة ارهابية واغتيالات ، ولكننا عندما نصنع ذلك يجب أن نصنعه بأنفسنا وتحمل وحدنا كل مسئولياته ونتائجها فالخط الذى يجب أن نسير عليه كضباط فى الجيش هو ألا تكون آلات ولا أدوات فى يد أحد من الناس ولا جماعة من الجماعات مهما كانت وحدة أهدافنا ومهما كانت درجة اخلاصهم ) .

وبذلك شق التشكيل العسكرى طريقه وحده ببطء وبحذر ودون تعجل ومن غير استعانة بأية قوة أخرى واعتمد أعضاؤه على أنفسهم فى كفاحهم وهذه هى نفس التعاليم التى كان يثبثا فيها عزيز المصرى ورفض جمال وجماعته التعاون مع جماعة وجيه خليل وكان هذا منتهى الحدق وبعد النظر ومع ذلك فقد كان وجيه خليل وطنيا صادقا ومناضلا مخلصا فلم تكذب تعلن الحكومة الحرب على اليهود حتى كان أول من تطوع للجهاد وقدم أروع الأمثلة فى الشجاعة والفداء وقد حدث أن جرح زميل له بالمدفعية وكان لا يزال جالسا بمصفحته لا يستطيع الحراك من أثر الجرح الجسيم الذى أصيب به وكانت المصفحة واقفة تحت مرمى نيران اليهود ولكن وجيه عندما رأى هذا الموقف وشاهد الرصاص ينهال حول زميله وهو يصرخ ويستغيث لم يتوان فتقدم دون باقى زملائه وتوجه الى المصفحة وحمل زميله

وما كاد يسير به بضع خطوات حتى أصابته رصاصة غادرة أردته قتيلا وهكذا  
استشهد بطل من أبطال مصر ..

هذه بعض التجمعات التي كانت بالجيش ولم تكن هي كلها فقد كانت  
تجمعات أخرى ظهرت به نتيجة لروح التذمر والاستياء التي سادت فرق  
الجيش ووحدهاته وقتذاك وقد وصل القلق الفكري والحيرة في ذلك الوقت  
أن التجأ الضباط الى الاغتيالات كطريق الى الثورة . أو وسيلة للتنفيس عما  
في صدورهم من عوامل الكره والغضب ، فخرج كثير من رجال التشكيل  
يمارسون هذا العمل وان كانوا في قرارة أنفسهم لم يستريحوا لسلوك هذا  
الطريق لأنه لم يكن السبيل الجدى المؤدى الى الخلاص . ويحدثنا جمال عن  
مثال من هذه العمليات فيقول في كتابه فلسفة الثورة : « وفكرت في اغتيال  
الكثيرين وجدت أنهم العقبات التي تقف بين وطننا وبين مستقبله ورحلت أفند  
جرائمهم وأضع نفسي موضع الحكم على أعمالهم ، وعلى الاضرار التي  
ألحقتها بهذا الوطن ثم أشفع ذلك كله بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم  
ولم أكن وحدى فى هذا التفكير ، ولما جلست مع غيرى اتقل بنا التفكير  
الى التدبير وما أكثر الخطط التي رسمتها فى تلك الأيام ، وما أكثر الليالي  
التي سهرتها — أعد العدة للأعمال الايجابية المنتظرة — كانت حياتنا فى تلك  
الفترة كأنها قصة بوليسية مثيرة كانت لنا أسرار هائلة وكانت لنا رموز وكنا  
تستتر بالظلام وكنا نرصد المسدسات بجوار القنابل وكانت طلقات الرصاص  
هى الأمل الذى نحلم به ، وقمنا بمحاولات كثيرة على هذا الاتجاه ومازلت  
أذكر حتى اليوم انتقالاتنا ومشاعرنا ونحن تندفع فى الطريق الى نهايته .  
والحق أننى لم أكن فى أعماقى مستريحا الى تصور العنف على أنه العمل  
الايجابى الذى يتعين علينا أن نتقذ به مستقبل وطننا كانت نفسى فى حيرة  
تمتزج فيها عوامل متشابكة . عوامل من الوطنية ومن الدين ومن الرحمة  
ومن القسوة ومن الايمان ومن الشك ومن العلم ومن الجهل .

ورويدا رويدا وجلت فكرة الاغتيالات السياسية التي توهجت فى  
خيالى تخبو جذوتها وتفقد قيمتها فى قلبى كتحقيق للعمل الايجابى المنتظر .  
كنا قد أعددنا العدة للعمل . واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق

ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ووضعنا الخطط بالتفاصيل ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطلاق النار ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم ورتبنا فرقة تنظيم خطة الافلات الى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح . وجاءت الليلة الموعودة وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ . وسار كل شىء طبقا لما تصورناه . كان المسرح خاليا كما توقعنا ، وكنت الفرق فى أماكنها التى حددت لها وأقبل الواحد الذى كان يجب أن يزول وانطلق نحوه الرصاص وانسحبت فرقة التنفيذ وغطت انسحابها فرقة الحراسة وبدأت عملية الافلات الى النجاة وأدرك محرك سيارتى وانطلقت أغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه .

وفجأة دوت فى سمعى أصوات صريخ وعويل وولولة امرأة ورعب طفل ثم استغاثة متصلة محمومة وكنت غارقا فى مجموعة من الانفعالات الشائنة والسيارة تتدفع فى سرعة ثم أدركت شيئا عجيبا . كانت الأصوات مازالت تمزق سمعى ولم أنم طول الليل . بقيت مستلقيا على فراشى فى الظلام أشعل سيجارة وراء سيجارة وأسرح مع الخواطر الشائنة ثم تبدد كل خواطرى على الأصوات التى تلاحنى أكنت على حق — وأقول لنفسى فى يقين — ودوافعى كانت من أجل وطنى أكنت تلك هى الوسيلة التى لا مفر منها وأقول لنفسى فى شك ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل — أيسكن حقا أن يتغير مستقبل بلدنا اذا خلصناه من هذا الواحد أو من واحد غيره أم المسألة أعمق من هذا — وأقول لنفسى فى حيرة أكاد أحس أن المسألة أعمق اننا نحلم بمجد أمة فما هو الأهم ؟ أيمضى من يجب أن يمضى أم يجرى من يجب أن يجرى وأقول لنفسى واشعاعات من النور تتسرب من الخواطر المزدهمة . بل المهم أن يجرى من يجب أن يجرى ، اننا نحلم بمجد أمة ويجب أن يبنى هذا المجد . وأقول لنفسى وما زلت أقلب فى فراشى فى الغرفة التى ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات — واذن ؟ أسمع هاتفنا يرد — واذن ماذا ؟ وأقول لنفسى فى يقين هذه المرة — اذن يجب أن يتغير طريقنا ليس ذلك هو العمل الايجابى الذى يجب أن تتجه اليه . فالمسألة أعمق جذورا وأكثر خطورة وأبعد غورا — وأحس براحة نفسية صافية ولكن الصفاء ما يلبث

أن تمزقه هو الآخر أصوات الصراخ والعيول والولولة والأستغاثة — تلك التي مازالت أصدائها ترن في أعماقي ووجدت نفسي فجأة أقول — ليت لا يموت وكان عجيباً أن يطلع على الفجر وأنا أتمنى الحياة للواحد الذي تمنيت له الموت في المساء وهرعت في لهفة الى إحدى صحف الصباح وأسعدني أن الرجل الذي دبرت اغتياله قد كتبت له النجاة » .

هذه هي إحدى الطرق التي لجأ إليها أعضاء التشكيل في إحدى مراحلها عندما كانت الطريق لم تكن قد مهدت بعد . وكان الضباب يحجب الأنظار عن تبين معالم المسالك والدروب بوضوح .

هذه كانت بعض التيارات والتشكيلات الثورية بالجيش . ولكن التشكيل العسكري الذي بدأ ينظم صفوفه من جديد كان هو التشكيل الأدق نظاماً والأثبت جناحاً ، والأقوى إيماناً . فكيف تم له ذلك ؟

## تنظيم التشكيل :

بدأ التشكيل ينظم صفوفه في سنة ١٩٤٤ وسط الجو القائم الذي كان يخيم على الجيش . فتكونت به ثلاثة لجان هي اللجنة الاقتصادية التي كانت تحصل على المال مما كان يتبرع به الأعضاء . ومن يعجز عن المساهمة كان يقترض بضمان مرتبه . وكان لعزیز المصري حديفة مانجو مشرة حول منزله بعين سمس ، وباعها وقتئذ بمبلغ خمسين جنيهاً ، وسأهم بها كلها . والواقع أن المال من أسباب نجاح التشكيلات السرية . وبدونه تصبح فرص النجاح ضئيلة . وقد تتعثر خطة العمل بأكملها أو تفشل .

واللجنة الثانية كانت لجنة التشكيلات وتنظيم الخلايا واختيار الأعضاء وحرصت الجماعة على أن يضم إليها ضابط من كل سلاح بالجيش يكون مسئولاً عن سلاحه أمام التشكيل وهذه اللجنة كانت تحت إشراف جمال عبد الناصر لأهميتها ، إذ يتوقف على حسن اختيار الأعضاء نجاح التنظيم وتثبيت أركانه . والا فماذا يكون الحال لو انضم إليه ضابط ممن لهم صلة بالسراي أو الوزارة أو كان مزعزع الإيمان ضعيف العقيدة .



وكانت اللجنة الثالثة والأخيرة هي لجنة الدعاية وكان من عملها الدعوة الى الجهاد بين الضباط أثناء اجتماعاتهم سواء أكانوا في النادى أو في مكاتبهم . كما أنها حاولت بشتى الطرق الاتصال بالهيئات الشعبية الوطنية كالحزب الوطنى والشباب الوطنى الثائر لايجاد تشكيل شعبى خارج الجيش يسير جنبا الى جنب مع تشكيل الجيش . يعاونه ويؤازره .

ويتحدث جمال عبد الناصر عن المراحل التى مر بها التشكيل فيقول : « ولقد مرت على حركتنا ثلاث مراحل . الأولى التى كانت خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٢ و ١٩٤٥ سنة وهى فترة صعبة قمنا خلالها بنشر مبادئنا واشعال الروح الوطنية وتقوية الجيش .

والمرحلة الثانية كانت خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٤٥ وشهر مايو سنة ١٩٤٨ ، وقد بدأت الحركة تأخذ خلالها شكلا منظما وأصبحنا مجموعة كبيرة ، ولقد اعترضت طريق المرحلة الثانية عقبات كان من أهمها عدم وجود الثقة بين النفوس ، فالفرد لا يثق بنفسه ولا بزميله .

وكانت المرحلة الثالثة للحركة هى التى بدأت عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢ وهى المرحلة الفاصلة التى بدأت الحركة فيها تتطور وتتخذ لانجاحها شكلا محددا لتحقيق خطتها فى القضاء على أعوان الاستعمار .

وبدأت مشكلة فلسطين فسارع الضباط الأحرار فى التطوع مع البطل أحمد عبد العزيز ، وكان أغلب المتطوعين من الضباط الأحرار ، وعدنا من فلسطين فى مارس سنة ١٩٤٩ وبدأنا نجمع صفوفنا بعد أن تفرقت جموعنا وقتل فى الحرب عدد كبير من الضباط الأحرار » .

هذه هى مراحل الحركة حتى حرب فلسطين كما رواها جمال عبد الناصر فماذا حدث فى فلسطين . وما هو أثر النكبة التى وقعت هناك فى نفوس الضباط الوطنيين .

### ٣ - رجال التشكيل فى فلسطين

#### من أجل فلسطين العربية :

استعد التشكيل العسكرى ليبدأ الكفاح الايجابى من أجل تحرير مصر وبناء مجدها ثم ظهرت مسألة فلسطين ، فرأى الضباط الأحرار أن يجاهدوا من أجل تحرير فلسطين العربية أولا .

ولم يتردد الكثير من ضباط الجيش فى تقديم استقالاتهم مع أحمد عبد العزيز ، وكانت جامعة الدول العربية قد حددت القطاع الذى يذهب اليه المتطوعون المصريون بالجزء الجنوبى من فلسطين وعينت لقيادته اللواء سليمان عبد الواحد سبل قبل أن يتوجه أحمد عبد العزيز الى فلسطين ، ولم يمكث سبل هناك الا فترة وجيزة ، وكون بعدها أحمد عبد العزيز كتيبة من بعض الضباط الذين استقالوا من الجيش أو طلبوا احالتهم الى الاستيداع وسافروا الى فلسطين بعد أن لاقوا الأمرين فى الحصول على الأسلحة والذخيرة ، لأن الحكومة كانت تعارض فى مدهم بالأسلحة الحديثة ولم تصرح لهم ببعض المدافع الا بعد أخذ ورد مما أياس البعض فعادوا الى الجيش ، وفى القطاع الجنوبى الذى حددته الجامعة للمتطوعين المصريين بدأت كتيبة أحمد عبد العزيز تقاوم عصابات شترين والهاجانا المدربة والمسلحة بأحدث وأقوى الأسلحة . وقد قامت هذه الكتيبة بالكثير من المعارك الناجحة وضربت المثل الأعلى فى الشجاعة والتضحية ، وستظل معارك بيت لحم ، ورأس جالات ، وعراق المنشية ، شاهدة على ما قامت به هذه الحفنة من الأبطال .

وعندما تأزمت الأمور فى فلسطين وازداد الشعور الوطنى فى البلاد العربية وبدأ يفور غيظا من تغاض وتلكؤ الحكومات فى معالجة قضية فلسطين قررت الدول العربية اعلان الحرب ، ودخل الجيش المصرى فلسطين

فى ١٥/٥/١٩٤٨ لىواجه التفكك والخبائة ، وءارب بأسلءة فاسءة ءء ءىاءاء مءضاربة ءاهلة ، فلم يكء الءىش المصرى ىصل الى أرض المءسركة ءءى امءءع الانءلىز عن مءه بالأسلءة وقء وءء الملك وءاشىءه وقءءذ أن الفرسة سائءة للاءراء فءاءروا فى الأسلءة والءخبرة والءوءاءاء ءرلسة ومءوا ءنوءنا وضباطنا بأسلءة فاسءة وءخبرة ءالفة وءوءاء لا ءصلء وعرفنا كىف ءائ ءنفءر القنابل فى أىءى الءنوء والضباط قبل القائها ، وءى ءى ءائ ءسءمل فى المءركة لم ءكن لها أية ءأىر ءى أن الءهوء ءانوا ىهءفون مهللن : ( ارم ءمان ىا مصرى ) .

ومع ذلك فقد ءائ الروح الوطنىة ءهمن على الءنوء والضباط وءاربوا بشءاعة واقءام وفءائىة ، ولم ىقف الأمر عنء هءا الءء ، بل ءائ المءارك ءءار وقفا لمشىئة الانءلىز ، فقد عىن الملك عبء الله قاءءا للقسواء العربىة الذى أسنء القىاءة بءوره الى ءلوب الانءلىزى ، ولم ىكن ىءصور اءلاص ءلوب هءا فى قىاءة للعرب لأن ءءلىماء ءى صءرء الىه من شارع ءوئء سءرىء بلنءن ءائ صرىءة فى مساعءة الءهوء واءءام الءطة لاءراء الءىوش العربىة وءءبؤها ءى ءءىق بها الهزىمة وما ءىاءة فى اللء والرملة الا اءءى نماءء الخبائة ءى وقء فى فلسطين ، وشعر الءنوء والضباط وهم فى المىءان بأنهم ضءىة مؤامرة واسعة مءءمة لءشرىءهم والقضاء علىهم ، وفى هءه البقة العزىزة من أرض الوطن العربى وأءناء ءلك الأوءاء ءءرءة الءامىة ءان ىءءمع بعض أعضاء ءءكىل العسكرى ىسءرضون الموقف العصىب الذى وضءتهم فى القىاءاء الخائئة والمؤامراء الءنىئة وىروى ءمال عبء الناصر بعض ذكرىاءه فى هءه الأيام فىقول :

« ءنا نءارب فى فلسطين ، ولكن أءلامنا ءلها ءائ فى مصر ، ءان رصاصنا ىءءه الى العءو الرابض أمامنا فى ءناءقه ، ولكن قلوبنا ءائ ءءوم ءول وطننا البعىء الذى ءرءناه للذئاب ءرءاه . وفى فلسطين ءائ ءلاىا الأءرار ءءرس وءبء وءءءمع فى الءناءق والمراكز . فى فلسطين ءاءنى صلاح سالم وزكرىا مءىى الءىن واءءرقا الءصار الى القالوئا وءلسنا فى الءصار لا نعرف له ءسىءة ولا نهایة وءان ءءىشنا الشاعل وطننا الذى ىنعىن

علينا أن نحاول اتقاذه ، وأنا أذكر أيام كنت أجلس فى الخنادق وأسرح بذهنى الى مشاكلنا - كانت الفالوجة محاصرة وكان نركيز العدو عليها بالمدافع والطيران تركيزا هائلا مروعا ، وكثيرا ما قلت لنفسى ( ها نحن فى هذه الجحور محاصرين . لقد غرر بنا ودفعنا الى معركة لم نعد لها . لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح . »

ويقول الرئيس جمال فى موضع آخر : ( لقد خلوت الى نفسى مرات كثيرة فى خنادق عراق المنشية وفى جحورها ، وكنت يومها أركان حرب الكتيبة السادسة التى كانت تقف فى ذلك القطاع وتدافع عنه أحيانا وتهاجم فى أكثر الأحيان ، وكنت أخرج الى الأطلال المحيطة من حولى بفعل نيران العدو ثم أسبح بعيدا مع الخيال . وأحيانا كانت الرحلة مع الخيال تمضى بى بعيدا الى آفاق النجوم ، فأطل من هذا الارتفاع الشاهق على المنطقة كلها ، وكانت الصورة تبدو فى ذلك الوقت واضحة أمام بصيرتى .. هذا هو المكان الذى تقبع محاصرين فيه هذه مواقع كتيبتنا وهذه مواقع الكتائب الأخرى المشتركة معنا على الخط وهذه قوات العدو تحيط بنا هذه هى جيوش اخواتنا جيشا كلها هى أيضا محاصرة بفعل الظروف التى كانت تحيط بها والتى كانت تحيط بحكوماتها ، لقد كانت جميعا تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها أيدي اللاعبين . وكانت شعوبنا تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة مذبوحة أخفيت عنها عمدا حقيقة مايجرى وضللتها حتى عن وجودها نفسه وأحيانا كنت أهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الأرض فأحس أتنى أدافع عن بيتى وعن أولادى ولا يعينى أحلامى الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ .

وكان ذلك عندما ألتقى فى تجوالى فوق الأطلال المحيطة ببعض أطفال اللاجئين الذين سقطوا فى براثن الحصار بعد أن خربت بيوتهم وضاع كل ما يملكون . وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى مثل عمر ابنتى ، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر والرصاص الطائش مندفعة أمام سياط الجوع والبرد تبحث عن لقمة العيش أو خرقة قماش . وكنت دائما أقول لنفسى قد يحدث هذا لابنتى . وكنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن

يحدث وما زال احتمال حدوثه قائما لأى بلد فى هذه المنطقة مادام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكم (١) الآن تحت وطأة هذه الظروف القاسية وفى داخل المصيدة الكبيرة التى رسم خيوطها الانجليز واليهود كان بعض أعضاء التشكيل يجمع ويتكتل أكثر اخاء وصحبة لرسم خيوط الثورة ، وكان الضباط يتوقون الى العودة الى مصر كي يحققوا هذه الفكرة التى اختمرت فى أذهانهم عن أى وقت مضى ، وبعد أن شاهدوا بأعينهم المؤامرات ندبر والخيانات ترسم وتحاك .

---

(١) من كتاب فلسفة الثورة للرئيس جمال عبد الناصر

## ٤ - بداية الانطلاق الثورى

### خطوط العمل الثورى :

وما كادت تعقد الهدنة فى ٧ يناير سنة ١٩٤٩ ويعود الجيش الى أرض الوطن حتى بدأ التشكيل العسكرى يضع خطة الثورة موضع التنفيذ ، وكانت تركز الى أساسين الأساس الأول ايجاد قاعدة للعمل ظاهرة ويكون مقرها العاصمة تتمثل فى بعض أعضاء التشكيل الذين كان عليهم رسم خطوط النورة بهدوء ، واتزان أثناء قيامهم بأعبائهم العادية وعلى رأس هذه القاعدة كان الصاغ جمال عبد الناصر المدرس بمدرسة الشئون الادارية بالجيش ، والأساس الثانى اخراج فكرة الجهاز السرى بما يحويه من خلايا دقيقة التنظيم الى حيز الوجود ، وكانت عبارة عن خلايا خماسية تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة الذى يكون من نفسه نواة لخلية ثم تتسلسل الخلايا على هذا الوجه كل عضو من أعضاء الخلية الأولى هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعرف أعضاؤها غيره ، وكانت القاعدة الأولى ترسم خطوط العمل أثناء قيام الأعضاء بأعبائهم العادية ومن وراء مكاتبهم الحكومية فى هدوء وثقة واطمئنان بينما يقوم الجهاز السرى بالتنفيذ فكان يطبع المنشورات ويوزعها على ضباط الجيش فى وحداتهم المختلفة وكانت تصدر هذه المنشورات أسبوعيا كما كان يحاول الجهاز كذلك أن يضم اليه من يثق فيهم من الضباط من جميع الوحدات مع فرض اشتراكات شهرية يدفعها أعضاء التشكيل وبصفة منتظمة لمواجهة التكاليف التى يواجهونها ، ثم اشترى أعضاء التشكيل ماكينة رونيو لطبع المنشورات من مبالغ التبرعات التى كانوا يجمعونها ، وشكلت لجنة للاشراف على طبعها وتوزيعها بصفة مستمرة وفى سرية تامة . وقد تكونت هذه اللجنة من الصاغ خالد محيى الدين والبكباشى حمدى عبيد واليوزباشى جمال منصور ، واليوزباشى عبد الحميد كفافى ،

واليوزباشى مصطفى نور ، والصاغ عثمان فوزى ، والصاغ ثروت عكاشة وهم من سلاح الفرسان . وكان يتعاون معهم أحد القضاة فى ذلك الوقت وهو الأستاذ أحمد فؤاد عضو مجلس إدارة بنك مصر الآن ، وجدير بالذكر أنه عندما كون جمال عبد الناصر هذه اللجنة ودار البحث عن اسم للضباط القائمين بالحركة أن اقترح أحدهم اسم الضباط الأحرار عليها ، وهو يعمل الآن سفيرا لمصر فى بون ، ومن هذا اليوم أصبح يطلق على أعضاء التشكيل العسكرى اسم الضباط الأحرار . وقد أعيت الحكومة الحيل فى الوصول الى كاتبى أو موزعى هذه المنشورات ، على الرغم من العيون التى رصدتها للكشف عنهم وقد حدث أن قبض على الضابط حسن علام وهو متلبس بكتابة منشور ثورى وعندما علم وزير الحرية بذلك اعتقد خطأ بأنه قد وضع يده على الخيط الذى يوصله الى الضباط الأحرار ، وكان واهما لأن حسن علام لم يكن من الضباط الأحرار وإنما كتب المنشور الذى ضبط معه بوحى من وطنيته دفعه الى ذلك سوء الحالة التى كانت تمر بها مصر فى ذلك الوقت وقد وجد أعضاء التشكيل فى هذا الاتهام ما يبعد التهمة عنهم ، ويصرف الأنظار الى غيرهم . وقد ساعدتهم القبض على حسن علام فى أن يعملوا بمنأى من عيون القصر والحكومة بعد أن اتجهت أبصارهم الى حسن علام وأصدقائه ومن يلوذ بهم ، وهكذا خدعت الظروف الضباط الأحرار مرة أخرى .

ولم يكن شراء ماكينة الرونيو بالأمر الهين فى ذلك الوقت لأن الرقابة كانت شديدة وكان يتعين لمن يرغب فى شراء ماكينة طبع أن يكشف عن شخصيته والغرض الذى من أجله يريد شراءها ، وبطبيعة الحال كان من المتعذر أو فى حكم المستحيل أن يتقدم أى ضابط فى الجيش لعقد هذه الصفقة . وأخيرا عرض اليوزباشى جمال منصور على زملائه اسم أحد أصدقائه الأوفياء من المدنيين ممن يعتمد عليه فى شراء ماكينة الرونيو ، وهو السيد شوقى عزيز الموظف بالسكة الحديد ، فوافقوا واشترى شوقى آلة الرونيو ووضعها فى منزله ، ومنه صدر المنشور الأول فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٠ وكان بعنوان ( نداء وتحذير ) وموقع عليه بامضاء الضباط

الأحرار . وقد جاء فيه أن الضباط الأحرار جزء لا يتجزأ من الشعب ، وإذا كان الشعب يحكم حكما مستبدا فإن الجيش هو الآخر يخضع لنفس الظروف ، فقد سيق الى مجزرة فلسطين دون رأى ودون استعداد وفرضت عليه الخطط الفاسدة والأسلحة الفاسدة ويروى أحد رجال الثورة جانبا من قصة المنشورات فيقول :

« وكنا قد وضعنا قائمة بأسماء جميع ضباط الجيش وعناوين منازلهم حصلنا عليها بعد أن كلفنا كل ضابط من جماعتنا بكتابة عناوين زملائه في وحدته ، وطبعناها هي الأخرى على آلة الرونيو ، واجتمعنا في منزل أحدنا حيث قمنا بتطبيق المنشورات بطريقة خاصة ، ووضعنا على كل منها عنوانا مطبوعا وطابع بريد من فئة الأربعة مليمات ، ثم قمنا بتوزيع هذه الكمية التي وصلت الى ألف منشور على جميع صناديق البريد في القاهرة ووصل المنشور الأول الى أيدي الضباط ، وكان ذلك في أكتوبر سنة ١٩٥٠ وبدأنا نعد المنشور الثاني ووجدنا أن سلامة العمل تقتضى عدم وضع آلة الرونيو في مكان واحد بصفة مستمرة فكنا نقلها من منزل الى منزل حتى طبع المنشور الثاني ، وقامت لجنة برئاسة البكباشي جمال عبد الناصر بتوزيعه على صناديق البريد . وحدثت مفاجأة ، فقد قام البوليس السياسى بمصادرة جميع نسخ هذا المنشور من صناديق البريد ، وكان لابد لنا بعد ذلك أن ندخل شيئا من التغيير على تفاصيل الخطة فنقلنا آلة الرونيو الى منزل البكباشي حمدي عبيد ، وكلفنا أحد أصدقائنا المدنيين بكتابة العناوين بخط اليد على ظروف عادية وضع عليها طابع بريد من فئة العشرة مليمات .

## منشورات الضباط الأحرار :

وقد وضع الضباط نصب أعينهم مبادئ ثلاثة طالما كانوا ينشرونها فيما بينهم وكثيرا ما كانت تتضمنها منشوراتهم ، وهى : القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ، وتكوين جيش وطنى قوى ، وأخيرا ايجاد حكم نيابى سليم .

وعقب حريق القاهرة عندما اشتدت حركة الوطنيين بالقنابل كتب الضباط الأحرار المنشور التالى :



( توالى مؤامرات الاستعمار الانجلو أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال الى مشاكل داخلية فى القاهرة فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات والغاء المعاهدة ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعى الاستعمارى وتكوين الكتائب الوطنية واشتدت جذوة الوطنية فى البلاد حتى اذا كادت أن تصل مصر الى حقوقها الكاملة دبر الاستعمار وأذنا به انقلاب ٢٦ يناير الماضى وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيرا من على ماهر التسليم تسليما كاملا بمطالبهم بقبول الحلف الرباعى وحل البرلمان واعتقال الآلاف من الوطنيين واستعمال الأحكام العرفية للتكيل تنكيلا واسعا بالشعب ولكن خاب رجاءهم ولم يجبههم على ماهر الى مطالبهم فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية السابقة وتحويل الحركة الى الداخل والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدير سابق وقد جاء الهلالى وأعلن برنامج الوزارة بصراحة وأن مهمتها الرئيسية هى التطهير وقد تناسى أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وانه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى الا اذا أفضى على أسبابه ومصدره . ان من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ ولكن لا يجب أن تتجه الى ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار ) . وبعد تكوين الجهاز السرى قوى التشكيل وتحددت أهداف الضباط الأحرار واكمل الهيكل العام للتنظيم ولم يعد أمامهم غير تحديد ميعاد التنفيذ .

## قبل الثورة :

كان الضباط الأحرار قد حددوا ميعاد قيام الثورة فى سنة ١٩٥٥ حتى يتم استعدادهم ، ولئلا يتركوا أية ثغرة قد يكون من الجائز أن يتسلل منها مغرض أو جاسوس أو خائن ، وكان قادة الضباط الأحرار أو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار كما سميت وقتئذ وعلى وجه التقريب فى سنة

١٩٥٠ يعملون فى مقار وحداتهم بالقاهرة ، ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا فما كادت تقبل سنة ١٩٥١ حتى صدر الأمر بنقل بعض رجال الثورة الى سيناء ، ورأت اللجنة التأسيسية وكان عدد أعضائها ١٤ ضابطا أن هذا النقل فيه تشيت للجهود قد يكون مدعاة لتشيط هم البعض الأمر الذى يقلل من سرعة اندفاع الثورة نحو هدفها ولذلك رأوا أن ينتخبوا فيما بينهم رئيسا عليهم يكون مسئولاً عن تنفيذ قرارات اللجنة التأسيسية كما يكون له الحق فى البت والتصرف فيما يعن من مشاكل وأمور تهمهم .

وفى يناير سنة ١٩٥١ اجتمعت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار وانتخبوا ولأول مرة جمال عبد الناصر رئيسا لهم ، ثم أعيد انتخابه مرة ثانية فى أوائل شهر يناير سنة ١٩٥٢ . ثم عادت اللجنة واجتمعت مرة أخرى بمنزل بمصر الجديدة ولم يكن قد مضى على الاجتماع الأول أيام قليلة . وأثار أحدهم فى هذا الاجتماع فكرة وجوب البدء فوراً فى اتخاذ موقف الاستعداد الكامل للعمل فى أى وقت وعلى أن تعطى مهلة شهر على الأقل قبل تنفيذ خطة العمل ، وكلفت اللجنة أحد الأعضاء لبحث الموقف من كافة نواحيه العسكرية والشعبية والسياسية والتأكد من مدى قوة الضباط الأحرار . وقد جاء تقريره بعد ذلك مطمئناً . وعندئذ حاول التشكيل أن يتعرف رأى الوفد بصفته صاحب الأغلبية الشعبية وصاحب السلطة الحاكمة فى ذلك الوقت . وما هو موقفه فى حالة قيام الجيش بالثورة . وأرسل التشكيل أحمد أنور للوفد وتقابل مع وزير الداخلية وأفهمه بأنه موفد من قبل الضباط الأحرار وأنه يتحدث معه على هذا الأساس ويعرض عليه صداقة الجيش والرغبة فى تحالف التشكيل العسكرى مع حزب الأغلبية الشعبية والتعاون معه ضد العوامل والظروف الخارجية ، ولكن الوزير دار حول الموضوع ولم يعط أحمد أنور (١) أى رد حازم فى هذا الشأن ، وكان همه الأول والأخير معرفة أسماء الضباط وعددهم ولكن مندوب التشكيل لم يمكنه من ذلك . ولما علمت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بما دار بين مندوب الثورة والوزير كفروا بالوفد وتفضوا أيديهم منه كما سبق لهم أن تفضوا أيديهم من مداورات الاخوان وسلبيتهم ، وقرروا أن يعملوا دون الاستعانة بأية

(١) سفيرنا فى اسبانيا

هيئة أو حزب أو جماعة ، وقد تابعت الحوادث بعد ذلك في سرعة مذهلة فقد تأمر الاستعمار والملك على حرق القاهرة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ في الوقت الذي وقعت فيه معركة نادي ضباط الجيش وهي معركة تحدد خاض غمارها الضباط الأحرار وأعلنوها حربا سافرة ضد الملك الذي كان يعتقد خطأ هو ومن معه من رجال القصر والحكومة أن محمد نجيب على رأس الضباط الأحرار فأبعدوه عن رئاسة سلاح الحدود وعينوا مكانه أحد أعوانهم وهو حسين سري عامر ، ولم يقتصر الملك على ذلك بل أبدى رغبته في أن يكون هذا الأخير رئيسا لنادي الضباط ، وعندئذ قرر الضباط الأحرار ترشيح محمد نجيب لرئاسة النادي ضارين برغبة الملك عرض الحائط ، وعندما شعر الملك بأن مرشحه سيفشل في الانتخابات لتكتل الضباط وبعد أن لاح في الأفق فوز محمد نجيب مرشح التشكيل أمر وزير الحرية بإلغاء الانتخابات وتأجيلها الى أجل غير مسمى وكان هذا القرار في شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ .

في هذا الوقت بالذات وكان الضباط الأحرار بدأوا يتحسسون مواقع الأرض التي يقفون عليها وشعروا بأنهم من القوة بحيث يستطيعون القيام بعمل ايجابي ، اجتمعوا وقرروا الاقدام على حركتهم في مارس سنة ١٩٥٢ بدلا من سنة ١٩٥٥ ، ورأوا بادىء ذي بدء ألا ينفذوا قرار تأجيل الانتخابات ، ودعوا الضباط لاجتماع غير عادي ليقرروا رأيهم في هذه المشكلة وفي اجتماع وافق الضباط على تحديد موعد للانتخاب وتحديد الميعاد بالفعل وفي أثناء الانتخاب رفض الضباط أن يمثل سلاح الحدود في المجلس ونجحت خطة التشكيل وفاز ممثلوا الضباط بأغلبية ساحقة وأبعد حسين سري عامر وانتصر التشكيل العسكري وانهزمت جبهة الملك ، ولكن اللطمة التي أصابته كانت قاسية فاستدعى اليه وزير الحرية وقال له اما أن يمثل حسين سري عامر بالمجلس أو يحل فوراً وبدأ الوزير يساوم الضباط ويعرض عليهم الحلول دون جدوى وأخيرا أمر الوزير بحل نادي الضباط . وكان ذلك في عهد حسين سري الذي تولى الوزارة في أول يوليو ، ولم يكبد يمضي على توليه الوزارة أيام قليلة حتى جاءه حافظ عفيفي وطلب منه

باسم السراى قتل ١٢ ضابطا من الضباط الأحرار الى أماكن متفرقة وكان  
حسين سري يشعر أن الجيش على وشك الاقبحار ، وان الثورة العسكرية  
وشبكة الوقوع ، فاستقال ولم يمكث فى الوزارة سوى عشرين يوما ، ثم  
خلفه الهلالى ولم يمكث بالحكم سوى ٢٤ ساعة اذ فاجأته الثورة وأطاحت  
بوزارته كما أطاحت بالملك وبكل النظم الفاسدة التى كانت سائدة وقتئذ .



البيان الثامن  
الكفاح الأعظم: ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

- ١ - مشرق النور في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ •
- ٢ - خاتمة ملك ونهاية أسرة •
- ٣ - بناء مصر العظمى •
- ٤ - تأميم القنساء •
- ٥ - كفاح الشعب يهزم ثلاث دول •



## ١ - مشرق النور في ٢٣ يوليو ١٩٥٢

### خيوط الفجر الجديد :

تولى فاروق عرش مصر سنة ١٩٣٦ ، وكان حدثا ضئيل الخبرة والتجربة ، وحكم فترة قصيرة بواسطة مجلس الوصاية ، وما لبث أن أنهى الوصاية في سنة ١٩٣٧ ، وأقسم اليمين أمام البرلمان على احترام الدستور والقوانين ولكنه طالما حث في هذا اليمين . وتصارعت الأحزاب السياسية حول الحكم ، وتقربت الى الملك لتفوز بأسلاب السلطة ، وأغمضت عيونها عن انحرافات الملك وأخطائه . وترك الملك وحكوماته القوات البريطانية تمرح في الأراضي المصرية . وعملوا جميعا على تقييد الحريات ، ومصادرة الصحف وتكسيم أفواه الوطنيين ، وامتلات السجون بالأحرار .

وأصبح الحكم في مصر اقطاعيا في جميع جوانبه ، فالملك وزعماء الأحزاب من الاقطاعيين والرأسماليين المستغلين ، وشغل الاقطاعيون أيضا مقاعد البرلمان ، وأصبح الفلاح المصري يشكو الفقر والجهل والمرض ، وعاش الفلاحون في مصر كما كان الفلاحون في أوروبا في القرون الوسطى . وزيفت الحكومات الانتخابات ، حتى لا يصل الوطنيون الى البرلمان . وأصبحت وظائف الحكومة سلعا تباع وتشتري بالمال ، وانتشرت المحسوبية والرشوة . واستغل بعض الوزراء نفوذهم واشتغلوا بالتجارة وحازوا ثروات كبيرة . وأقبل الملك على حل البرلمان والعبث بالديموقراطية ، وكثر تغيير الوزارات ، وزالت ثقة الشعب تماما في الملك والحكومة والأحزاب والبرلمان ، وأصبحت مصر على فوهة بركان .

واضطرب توزيع المصدر الرئيسي للثروة وهي الأراضي الزراعية ، وسيطر الاقطاعيون على الأراضي الزراعية ، وأصبح الفلاحون المصريون أجراء يعملون بما يشبه السخرة في مزارع هؤلاء الاقطاعيين ، وأصبح ٧٠٪ من ملاك الأرض يملكون أقل من فدان ، ولا يتجاوز ما يملكون من الأراضي



١٢٪ من مساحة الأراضي الزراعية ، بينما كان ٣٧٪ من هذه الأراضي يملكها ٤٪ من الملاك الذين كان يملك الواحد منهم أكثر من ٥٠ فدانا ، ومنهم من ملك أقطاعات واسعة تتألف من ألوف الأفدنة . وتدهور الانتاج الصناعى تدهورا واصحا ، وأصبحت مصر تعيش على المصنوعات الأجنبية ، كسا أضحت سوبا رائجة للسلع البريطانية المختلفة ، وكان العمال المصريين محرومين من الرعاية الاجتماعية والصحية ، حتى أصبحوا شموعا تحترق من أجل الرأسماليين من الأجانب أو من المصريين والاقطاعيين المستغلين ، ولذا انعدمت كل صور العدالة الاجتماعية .

ولكن روح الكفاح لم تخمد ، فكثيرا ما أعلن الفلاحون ثورتهم على الاقطاعيين ، فيقول الميثاق : « ان ثورات الفلاحين ضد استبداد الاقطاع وصلت الى الاشتباك المسلح بين الذين ثاروا على عبودية الأرض وبين سادة الأرض المتحكمين فيها ، وفى أقدار الذين ارتبطت حياتهم بها منذ أقدم العصور ، وان كانوا منذ أقدم العصور قد حرّموا منها » .

وأين كانت الفئة الحاكمة .. ويجب الميثاق على هذا التساؤل: « ان الفئة المتحكمة فى العاصمة لم تكن تشعر باحتياجات الشعب ، وكانت غارقة فى حياتها المترفة ، لا تشعر بعذاب الجموع أو آلامها » .

## **الجيش والشعب فى الليلة الخالدة :**

خرجت قوات الجيش ، جيش الشعب ، فى ليلة عظيمة خالدة ، لتعبر عن رغبات الشعب وآماله ، ولتؤيد النضال الشعبى ، وكانت القوى الحاكمة تريد دائما عزل جيش الشعب عن هذا النضال ، وفتح الجيش الطريق أمام تصحيح الأوضاع ، وأمام ارادة التغيير .

وصف الميثاق هذه الليلة الخالدة ، ومغزاها ومدلولها ، وصفا رائعا فقال : « ان أعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن القوات التى خرجت من الجيش لتنفذها ، لم تكن هى صانعة الثورة ، وانما كانت أداة شعبية لها .

لقد كانت المهمة الكبرى للطلائع الثورية التي تحركت فى الجيش تلك الليلة الخالدة ، هى أنها استولت على الأمور فيه ، واختارت لها المكان الذى لا مكان له غيره ، وهو جانب النضال الشعبى .

انها قامت بعملية تصحيح أوضاع بالغة الأهمية والخطر فى تلك الظروف متحدية بذلك ارادة كل القوى الحاكمة التى أرادت عزل الجيش عن النضال الشعبى .

ان الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش الى مكانه الطبيعى تحت قيادة الشعب وفى خدمة أمانيه . ان الجيش فى تلك الليلة أعلن ولاءه للنضال الشعبى ، ومن ثم فتح الطريق أمام ارادة التغيير .

ان انضمام الجيش الى النضال الشعبى صنع أثرين هائلين فى نفس الليلة ، ولقد سلب قوى الاستغلال الداخلى أدواتها التى كانت تهدد بها ثورة السعب ، كذلك فانه سلح النضال الشعبى فى مواجهة قوى السيطرة الأجنبية المحتلة بدرع من الصلب قادر أن يصد عنه ضربات الخيانة والغدر .

ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ، ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة » .

قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتحقيق احتياجات الوطن ، ورسم الميثاق الخالد صورة لهذه الاحتياجات وطريقة تحقيقها فقال : « ان احتياجات الوطن لم تكن تكنفى بترميم البناء القديم المتداعى وصلبه بقوائم تسنده وبعيد طلاءه . وانما كانت احتياجات الوطن تتطلب بناء جديدا ثابت الأساس صلبا شامخا . ان سقوط النظام الذى كان سائدا قبل الثورة ، هذا السقوط الكامل السريع ، كان يقطع بعدم جدوى محاولات الترميم . لكن سقوط النظام القديم لم يكن هدف التطلع الثورى . ان التطلع الثورى بكل آماله ومثله العليا يهتم بالبناء الجديد أكثر من اهتمامه بالألقاض التى تداعت »

عندما اشتدت أزمة نادى الضباط بعزل مجلس ادارة النادى ، اجتمع الضباط الأحرار وقرروا التحرك فورا ، وكانت أمامهم خطتان مدروستان :

الأولى أن يقوم الجهاز الخاص باغتيال جميع الضوثة المصريين ، والخطة الثانية هى أن يقوم الضباط الأحرار بالعمل لتغيير النظام بأجمعه .

وفى يوم ١٨ من يونيو كانت الخطه الأولى هى الراجعة وحددتتنفيذها يوم ٢٠ يوليو .

## أحداث الليلة العظيمة :

اجتمعت اللجنة التأسيسية مرة أخرى يوم ١٩ يوليو لدراسة عملية يوم ٢٠ ووجدوا أن عملية الاغتيالات لن تغير من النظام السائد شيئاً ، فضلاً عما يصيب البلاد من وراء تنفيذها من أضرار . وقرر الضباط فى هذا الاجتماع إلغاء الخطه الأولى وتنفيذ الخطه الثانية (١) وقام جمال عبد الناصر بوضع الخطه التنفيذية . بعد أن اطمأن على قوات الجيش بالاسكندرية عقب عودته منها فى ١٢ يوليو . وبعد أن قدم أحد رجال الثورة تقريراً وافياً عن حالة الجيش وموقف الضباط من الحركة . وعلى أثر ذلك حددوا يوم ٢٤ يوليو موعداً للقيام بالحركة ، ولكنهم عادوا وجعلوا الميعاد يوم ٢٣ يوليو على أثر ما أشيع من تسرب بعض أنباء الحركة للمستولين . واجتمع الضباط الأحرار مرة أخرى بمصر الجديدة فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٢ يوليو لوضع الخطه النهائية للحركة ، وكان بعض الضباط من أعضاء اللجنة لا يعلم بتقديم هذا الميعاد ، وكانت التعليمات تقضى بوجود جميع الضباط يوم الخميس ٢٤ يوليو بالقاهرة وطبقاً للخطه التى وضعت بأحكام خرج أعضاء اللجنة التأسيسية الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٢ يوليو ومعهم ما يزيد على تسعين ضابطاً من الضباط الأحرار الى وحداتهم وأماكن تجمعهم انتظاراً لساعة الصفر ، ولزم جمال منزله ومعهم عبد الحكيم يراقبان سير الحوادث ، وجاءهما أحد الضباط الأحرار وأخبرهما بأن القصر قد تسرب إليه نبأ الحركة ، وان رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد دعا الى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة مساء بمقر رئاسة الجيش بمنشية

(١) من حديث للرئيس جمال عبد الناصر .

البكرى مع بعض اللواءات لاتخاذ الاجراءات المشددة ضد الضباط الأحرار ولم يجد جمال بدا من محاولة اخطار باقى الزملاء بهذا الخطر الجديد الذى يهدد الحركة . وتوجهوا ثلاثتهم الى مركز تجمع الضباط بثكنات العباسية ولكنهم وجدوا أن الوحدات بدأت فى التحرك قبل ميعادها ، وأن البوليس الحربى قد أغلق ثكنات العباسية والفرسان ( وبدا للحظات أن الخطة كلها فى خطر ولم يبق على ساعة الصفر الا تسعون دقيقة ولاح أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندما تتدخل قوى أكبر منها لتوجيه الحوادث . ولقد تأكد لى من تطور الأمور أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا (١) ) وعندئذ لم يجد جمال وزمليه سوى التوجه الى ثكنات الماظه لعله يتمكن من الاتصال بوحدات الجيش التى به ، وفى أثناء سيرهم اعترضت طريقهم فرقة من الجنود تابعة للكتيبة الأولى وأنزلتهم من العربّة الأوستن الخاصة بجمال بالقوة وألقت القبض عليهم، وكانت التعليمات تقضى بالقاء القبض على كل ضابط لا ينتمى الى الضباط الأحرار مالم يثبت شخصيته ، ولم تجد جميع المحاولات التى بذلت مع هذه الكتيبة أوالقائمين عليها للافراج عن جمال وزمليه وتجاهلوا جميع الأدلة التى ساقوها على أنهم من كبار الضباط الأحرار ، وذهبت مساعيهم أدراج الرياح .

وكانت كل دقيقة تمر بمثابة ثقب كبير فى بناء الثورة يوشك أن يودى بها ، وبعد عشرين دقيقة جاء قائد الكتيبة البكباشى يوسف منصور صديق على صوت الضجة التى أثارها جمال وزملاءه ونعرف عليهم فقد كان جمال رئيس الضباط الأحرار والمنظم الأول للثورة وعرف منهم الخطر الذى يحيق بهم جميعا وقرروا أن يتجهوا فوراً الى مكان اجتماع رئيس هيئة أركان حرب وباقى اللواءات بالقيادة ، وفى الطريق قبضوا على بعض قادة الجيش ، ثم اقتحمت الكتيبة الأولى مبنى القيادة وحدثت مقاومة أثناء ذلك قتل خلالها جنديان أحدهما من حرس القيادة وآخر من الكتيبة الأولى ، وهذان الجنديان هما (٢) الشهيدان الوحيدان فى ثورة ٢٣ يوليو سنة

(١) من حديث لجمال عند الناصر لمندوب صابى تاييس فى يوليو سنة ١٩٦٢ .

(٢) الحيدان الشهيدان هما عطية سيد أحمد من حرس حسين فريد وعبد الحكيم محمد المشرفى من الكتيبة الأولى .

١٩٥٢ البيضاء ، وفوجىء المجتمعون بمبنى رئاسة الجيش بجمال عبدالناصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق ومعهم باقى القوة يحيطون بهم بعد أن اقتحموا عليهم حجرة الاجتماعات وكان على رأس المجتمعين حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش يرسم مع أركان حرب خطه اعتقال رجال الثورة فقبضوا عليهم وأودعهم مبنى الكلية الحربية ، وعلى أثر ذلك انتقل مجلس قيادة الثورة الى مبنى رئاسة الجيش واتخذوه مقرا لقيادتهم ، وكان حيدر مصطفى مع الوزارة والملك فى الاسكندرية وعلم بوجود حالة التذمر، فاتصل بحسين فريد الذى كان يعتقد أنه مجتمع مع بعض لواءات الجيش بالقيادة، وكان قد تم القبض عليهم فرد عليه جمال عبد الناصر وتحدث معه على أنه حسين فريد وأخبره بأن الحالة هادئة ومطمئنة ، وأن الموقف مستتب بالجيش ولكن حيدر عاد بعد نصف ساعة وطلب مكالمة اللواء حافظ بكرى مدير سلاح المدفعية ، وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة ، فرد عليه أركان حرب جمال وطمأنه مرة أخرى وقال له : ان كل ما بلغه من قيام الضباط بالتمرد إنما هو مجرد اشاعة ولا أساس لها .

وفى حوالى الساعة الثالثة ، وكان الضباط قد هيمنوا على الموقف ، عاد حيدر واتصل مرة أخرى بقيادة الجيش فطمأنه رجال التشكيل كما فعلوا فى المرتين السابقتين . بما جعله يقول للملك عندما أراد أن يستفسر عن الحالة فى ثقة و يقين : « يا مولاي انها مجرد عاصفة فى فئجان » . وكان مجلس قيادة الثورة قد قسم القاهرة الى أربعة مناطق يتولى أمر كل منطقة بعض الضباط الأحرار على أن يبادر الضباط الى احتلال المراكز الهامة فى الجيش وبعض الهيئات والمصالح الحكومية كالاذاعة والتليفونات والتلغرافات والسكك الحديدية والكبارى وغيرها وكان يقع على عاتق سلاح الفرسان عبء كبير ، وقد وضعت القيادة على رأسه أربعة من الضباط وفى تمام العاشرة من مساء يوم ٢٢ يوليو توجهوا الى مقر سلاح الفرسان . ودخلوا القشلاقات من الأبواب الخلفية غير المطروقة ، وحدث فى ذلك الوقت بالذات أن أطفئت جميع أنوار المعسكر فظن الضباط أن هذا الحادث قد يكون متعمدا توطئة للقبض عليهم ، ولكن هذا الخاطر زال بعد فترة وجيزة

مرت وكأنها ساعات وعلى ضوء البطاريات والشموع بدأوا فى تنفيذ العمليات وتجهيز الدبابات الكبيرة من نوع السنوتوريون والمصفحات الضخمة ، بينما كان أحدهم يفتح أبواب مخازن الأسلحة والذخيرة لتموين الفرق الميكانيكية . وعندما كانوا يستعدون للخروج نعى اليهم أن قائد قسم القاهرة ، وكذلك قائد اللواء المدرع ، حضرا بالقشلاق فقبضوا عليهما وأودعوهما مبنى الكلية الحربية وتوجه الآلاى الثانى وحاصر شارع الخليفة المأمون من جهة مصر الجديدة وكوبرى القبة والعباسية ، وعزل منطقة الشكنات عن باقى مناطق أحياء القاهرة . وفرض الآلاى الثانى ستارا حديديا على المنطقة ، ومنع دخول أو خروج أى شخص سواء آكان مدنيا أم عسكريا الا بعد التحقق من شخصيته .

أما الآلاى الأول . فقد قام بالقبض على بعض لواءات الجيش وأودعهم الكلية الحربية ، وكان يدخر آلايه لعملية أخرى لم يحن وقتها بعد ، وان كانت قد حددت ضمن خطة العمليات التى وضعها من قبل جمال عبد الناصر، وهى العمليات الخاصة بمدينة الاسكندرية .

كما توجه بعض الضباط على رأس القوات الميكانيكية والمدرعة فاحتلوا الاذاعة والتليفونات والسكك الحديدية والمرافق العامة جميعها وقاموا على حراسة البنوك والمصالح الأخرى الهامة وعندما اقتربت الساعة من الرابعة كان سلاح الفرسان قد انتهى من مهته التى رسمت له .

وقد بين الصاغ ثروت عكاشة خطة الحركة كاملة فيقول : « ان أمامى خطة الحركة كاملة . والذى يراها اليوم قابعة فى ست صفحات من الفولسكاب وبخط ليس جيدا جدا وفيها شطب وتعديل وهى كذلك مشحونة بالمصطلحات الفنية والرموز . من يراها اليوم وهى ملقاة على مكتب لا يسكن أن يظن أنها كانت الحد الفاصل بين عهدين وكانت الفاصل فى مصير البلاد . وانى أتل منها بالحرف : « ١٢٠٠ يصل جميع الأفراد الى الوحدات ويسنع استخدام التليفون وتفسير ذلك أنه على جميع الأفراد الأحرار بطبيعة الحال أن يجتمعوا فى منتصف الليل ثم تمضى الخطة العامة تشمل فى وسط السطر المرحلة الأولى . ثم تفصيل الخطة فى

المرحلة الأولى وهى خاصة بالتليفونات وتقول ما يأتى بالحرف : تروب سيارات لضابط + ضابط من الخارج وبين قوسين (أنور) جماعة مشاة من السوارى معها جهاز لاسلكى على موجة رياسة الجيش ستب ١٣٠٠ ألتجمع فى سلاح الفرسان . تعود التليفونات للعمل بأوامر رياسة الجيش وتمشى الحطة الى رقم ٢ فتتحدث عن عمليات القبض وكيف تبدأ ساعة ١٣٠ أى . الواحدة والنصف ثم رقم ٣ وهو الطريق الموصل من الحدائق الى ادارة التجنيد ثم رقم ٤ وهو الخاص بكوبرى المترو أمام المستشفى العسكرى بقيادة اليوزباشى وجيه رشدى ثم رقم ٦ الخاص بتقاطع شارع الخليفة المأمون بشارع نادى أوسبورتنج بقيادة خالد محيى الدين وتمضى الحطة حتى تصل الى عنوان الراديو وتحت العنوان ما يلى : يلقى بيان على الشعب بمجرد فتح الراديو وبيان آخر على الجيش ويأتى بعد هذا العنوان سلاح الطيران . وتحت هذا العنوان مظاهرة على القاهرة والاسكندرية سمعت ١٠٠٠ وتمضى الحطة فتتص على ضرورة عمل ترتيب المواصلات الداخلية داخل الوحدات وان يقدم تقرير موقف كل ١٥ دقيقة ابتداء من سمعت س الى رياسة الجيش حتى سمعت ١٠٠٠ يوم ١ . وتتحدث الحطة عن تنظيم الرياسة العامة فتذكر الأسماء التى ستقوم بها ، وفى مقدمة الأسماء اسم الرئيس البطل جمال عبد الناصر .

وتعرض الحطة لشبكة المخابرات العسكرية والمدنية فتقول بالنص :

١ — بواسطة ادارة المخابرات .

٢ — بواسطة الصحف .

المطلوب معرفة جميع التطورات السياسية وخلافه فى المملكة عموما وفى الجيش بوجه خاص معلومات واقية عن التطورات فى الاسكندرية وتتمى الحطة العامة بالحديث عن عملية فلسطين وتحت هذا تسجل ما يلى : تبدأ بعد اذاعة الحديث الراديو — أى بعد اذاعة بيان الرئيس نجيب الاتصال باللاسلكى مع فلسطين — طلب كتيبة مدافع يوم ١+١ ويترسل ثروت عكاشة فيقول : « أعود فأقول بعد أن درسنا هذه الحطة أخذنا القسم الخاص بسلاحنا وكان جسيما وخطيرا ومضنيا نعد لكل شىء عدته . فلدونت الخطوات التنفيذية على وريقات صغيرة عددها عشرة مقسمة الى سبع

أقسام كل قسم منها عبارة عن عملية من العمليات مضافا الى هذا أربع أوراق متشابهة . ان سبعة الأقسام الخاصة بسبع عمليات الواردة تحت عنوان تعليمات « عمليات حربية رقم .. » تحمل الواجبات التالية :

دار الاذاعة ك . ميكا التليفونات . الاعتقالات بوابة العباسية سلاح الحدود . مطار مصر الجديدة وكل قسم من هذه الأقسام يحوى اسم القائد والقوات الموجودة تحت قيادته والشئون الادارية من طعام وذخيرة ووقود . والمواصلات الداخلية ومقصود بها طريقة الاتصال باللاسلكى بقى ما ذكرته عن القسم الخاص الذى يضع أربع ورقات تحت عنوان : « باقى القوات » ولعل من الأوفق أن أقل نص ما سجلته هذه الورقات :

- ١ — تجهيزها واستعدادها قبل سعت ٥٠٠ .
- ٢ — تكون هذه القوات على أهبة الاستعداد للقيام بأى عملية تطلب فى ظرف ١٥ دقيقة .
- ٣ — يقوم الآلاى الأول المدرع بتجهيز أورطة دبابات لعمل طابور سير داخل المدينة سعت ١٠٠٠ .
- ٤ — خط السير . شارع الخليفة المأمون . الملكة نازلى . شارع ابراهيم الأوبرا .
- ٥ — يقوم الآلاى المدرع الأول بتجهيز أورطة دبابات على أهبة الاستعداد للسفر الى الاسكندرية فى ظرف ساعتين اذا لزم الأمر .
- ٦ — باقى القوات تظل بوحداتها تحت الأوامر وفى حالة استعداد فى ظرف ساعة بعد صدور الأمر ( راحة ) .
- ٧ — على حضرات الضباط عدم مغادرة جنودهم والتأكد من عدم تسرب أى دعاة للهزيمة بينهم وذلك بالاشراف الشخصى المتواصل والظهور بمظهر الثقة .
- ٨ — تجهيز الدبابات الستوريون لاحتمال أى تدخل من جانب القوات البريطانية .
- ٩ — تعيين عربة جيب لقائد آلاى الخيالة .
- ١٠ — تعيين الحرس اللازم للقيادة .



- ١١ - ٢ عربية مدرعة لمعاونة خالد بمصر الجديدة .
- ١٢ - طلبات ك ميكاك من لوارى وذخيرة وتعين ١٣٠ قوة مشاة للتدريب الحربى ان لم تكن قد عينت .
- ١٣ - تعزيز قوة ك ميكاك ١٥ رسا صابر سعت .. عند بوابة القريسان لاستلام مندوب التليفونات .
- ١٤ - تروب سيارات لخالد سعت ١٠٠ + ٣ لورى + ٣ ضباط + ذخيرة وبهذا تنتهى الخطة التنفيذية التى وضعها مجلس قيادة الثورة وظاهر منها مدى الدقة والحرص الشديدين كما أن واضعيها لم يغفلوا صغيرة ولا كبيرة الا وأثبتوها . وشارك كذلك سلاح الطيران بنصيبه فى المعركة ، وقبض الضباط الأحرار على اللواء شعراوى مدير السلاح كما قبضوا كذلك على قائد الفرقة الجوية عبدالحميد سليمان وحقى هارون وجزارين وعدلى الشافعى وحسن عاكف وصالح محمود صالح الذى ضبط متلبسا بحادث حيدر لينبته بقيام الثورة .

كما كلف أعضاء مجلس قيادة الثورة قائد الجناح محمد شوكت للإشراف على عمليات طيران الطيران لحماية الحركة من الجو ولأرهاب الملك وأعوانه ومراقبة الموقف اذا ما فكر الانجليز بالتدخل ، ولم يكذب يزغ صباح يوم ٢٣ يوليو حتى انطلقت فى سماء مصر الطائرات يقودها الضباط الأحرار .

## أبناء الثورة الأولى :

صحا الشعب يوم ٢٣ يوليو على صوت الطائرات يملأ ضجيجها سماء القاهرة وبدأت تترامى بعض الأخبار عن قيام الجيش بالثورة . والناس بين مصدق ومكذب حتى اذاع الراديو أول نبأ عن أخبارها . وفى تمام الساعة السابعة والنصف أذاع أحد رجال الثورة من دار الاذاعة البيان التالى :

« اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين . وأما فترة بعد

هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتأمر الخونة على الجيش وتولى أمره اما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال تثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم . ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب . أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب واني أؤكد للشعب المصري أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردا من أية غاية . وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمع لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر . وان أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس واني أطمئن اخواتنا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق . »

وقد قابل الشعب أنباء الثورة بالبشر والسرور والترحيب وتأكد أن يوم الخلاص الذى انتظره طويلا قد جاء . ثم أذاع القائد العام للقوات المسلحة بيانين آخرين أحدهما الساعة ٨ر٣ الثامنة والنصف والآخر بعده وكان البيان الأول كما يلي : « تعلقون جميعا الفترة العصيبة التى تجتازها البلاد ورأيتم أصبح الخونة يتلاعب بصالح البلاد فى كل فرع من فروعها وتجرات حتى تدخلت فى داخل الجيش وتغلغل فيه تظن أن الجيش قد خلا من الرجال الوطنيين .

وانا فى هذا اليوم التاريخى نطهر أنفسنا من الخونة والمستضعفين ونبدأ عهدا جديدا فى تاريخ بلدنا . وسيسجل لكم التاريخ هذه النهضة المباركة أبد الدهر ولا أفن أن فى الجيش من يتخلف عن ركب النهضة وارجولة والتضحية التى هى واجب كل ضابط منا والسلام .

وعندما تأكد نجيب الهلالي من قيام الثورة قدم استقالته وطلب مجلس القيادة من على ماهر أن يؤلف وزارته فوافق وتم له تشكيلها فى اليوم الثانى للثورة أى فى يوم الخميس ٢٤ يوليو .

## ٢ - خاتمة ملك ونهاية أسرة

### انهيار رأس الفساد :

عندما استتب الأمر للثورة واطمأن الأبطال الذين قاموا بها وشاركوا فيها وتألقت الوزارة التي يرضون عنها اتجهوا بأنظارهم الى الملك رأس الفساد . فزحفت الى الاسكندرية فرق من السوارى وكتائب المدفعية الثقيلة والكتيبة الثالثة عشرة . وكان ذلك يوم الجمعة ٢٥ يوليو . ولم يكن الملك يعرف على سبيل اليقين ما هو موقف الجيش منه وان كانت البوادر تنبئ بأن شيئاً هاماً لابد وأن يحصل بالنسبة له ولأسرة محمد على كلها .

لذلك فقد كان الملك على استعداد لأن يلبي أى مطلب يطلبه الجيش وقادته مقابل ائقاذ رقبته ، فبعد أن استجاب لرغبتهم بتتحية وزارة الهلالى واسنادها لعلى ماهر عادوا وطلبوا منه يوم الجمعة ٢٥ يوليو أثناء زحف الجيش الى الاسكندرية حيث كان يقيم بإبعاد ستة من حاشيته وهم محمد حسن أمينه وخادمه وانطون بوللى سكرتيره الخاص والياس أندراوس مستشاره الاقتصادى ويوسف رشاد كبير أطباء اليخوت الملكية وحسن عاكف قائد طائرته الخاصة والأميرالاي محمد حلمى حسين مدير ادارة السيارات بالقصر ، وعندما وصله هذا المطلب وافق عليه كذلك . اعتقاداً منه أن هذه هى آخر طلبات مجلس قيادة الثورة ولكنه مع ذلك كان يتوجس خيفة فانتقل من قصر المنتزه الى قصر رأس التين فى ساعة متأخرة من يوم ٢٥ يوليو هو وزوجته وابنه وبناته وكان معهم حسن عاكف لتسيير خطة للهرب سواء بطريق الجو أو عن طريق البحر بأن يستقل اليخت المسمى المحروسة ولكنه لم يتمكن لأن الجيش كان قد حاصر القصر وسد طريق الهرب فى وجهه . بينما كان سلاح الطيران يملأ سماء المدينة وكان الملك فى هذه الساعات يتحسس رقبته لأنه أصبح من المتيقن بعد أن منعوه من الهرب بأن احراء عنيفا سيتخذ ضده . فلم يغمض له جفن وظل مسهداً ترتعد فرائضه وتسطك أسنانه حتى جاء يوم السبت ٢٦ يوليو ولا أحد يدري ما يخبئه هذا اليوم

وكان مجلس قيادة الثورة قد اجتمع وبحث موقف الجيش من الملك وما يلزم اتخاذه من اجراءات ضده . هل يحاكم على ما اقترف من جرائم فى حق الوطن وعقوبة هذه التهمة بطبيعة الحال هو الاعدام . أم يكتفى بطرده من البلاد . وقد رجح المجلس الرأى الثانى لأنه يتفق مع المبادئ التى التزموها بعدم اراقة دماء وبقاء صفحة الثورة بيضاء لا يشوبها شائبة ومن أجل ذلك كتبوا انذارا وجهوه الى الملك وحمله أحدهم وتوجه به الى على ماهر فى مقر رئاسة الوزارة ببوالكلى بالاسكندرية وقابله الساعة التاسعة صباح يوم ٢٦ وسلمه الانذار الذى يحوى تنازل فاروق عن العرش وطلب منه أن يسلمه الى الملك ويبلغه بضرورة التنازل عن العرش ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم ونص الانذار كما يلى :

« انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفرادها لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته . ولقد سمعت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير . ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة . وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فائرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك فقد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتم التنازل عن العرش لسمو عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يعمل جلالتم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج » .

## نزولا على ارادة الشعب :

حمل على ماهر انذار الجيش وذهب الى سراى قصر التين فوصله حوالى الساعة العاشرة وقابل الملك وأبلغه فحوى الانذار شفاها فتنفس الملك الصعداء وهدأت نفسه بعض الشيء ورضخ على الفور . وفى حوالى الساعة الواحدة ذهب وكيل مجلس الدولة الى الملك ومعه وثيقة التنازل عن العرش . وهى فى صورة أمر ملكى ونصها :

« نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان — لما كنا نطلب الخير لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقبها . ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب . قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه . »

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ — ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وعندما أراد فاروق التوقيع ارتعدت يده . فعاد ووقع عليها مرة ثانية فى أعلى الوثيقة ، وهذه الواقعة ثابتة فى وثيقة التنازل الأصلية .

وخرج وكيل مجلس الدولة يحمل الوثيقة التاريخية وبدأ الملك يستعد للسفر خارج البلاد . قبل الموعد الذى حدده مجلس قيادة الثورة .

وفى تمام الساعة السادسة سافرت المحروسة الى نابولى بإيطاليا تحمل معها عهدا أسود من عهد مصر ، ولم يكن حاضرا وداعه سوى على ماهر وسفير أمريكا جفرسون كافرى ، وتظهرت البلاد من حكم فاروق المدموغ بالرشوة والاستهتار والمجون .

وبخروج فاروق انتهت مرحلة هامة من مراحل الثورة وأسدل الستار على أسرة محمد على الى الأبد . واقتصرت ارادة الشعب وبدأ يحكم نفسه بنفسه بعد عهود طويلة من الظلم والطغيان .

### ٣ - بناء مصر العظمى

#### أسس وطيدة :

نجحت ثورة الجيش ، وطردت الملك . وبدأ قادة الثورة فى التنظيم الداخلى المتخلف من العهد البائدة .

وبادر مجلس قيادة الثورة فألقى مصيف الوزارة بالإسكندرية ، كما ألغى الألقاب ، ودعا الى التقشف ، ثم أصدر قانون الاصلاح الزراعى فى : ١٩٥٢/٩/٩ بعدم جواز ملكية أى شخص لأكثر من ٢٠٠ فدان على أن يتصرف لأولاده بمائة أخرى . وهذا القانون من أهم القوانين التى أصدرتها الثورة ، وهو وسيلة متواضعة لعلاج سوء التوزيع وتقارب الطوائف نوعا ما . نظرا لما كان يمتلكه بعض الاقطاعيين من آلاف الأفدنة يبعثون ايرادها فيما لا يفيد ، بينما الأغلبية من الشعب تتضور جوعا والكثير منهم لا يجد أحيانا قوت يومه . وأصدر المجلس كذلك قانونا بالعفو الشامل عن المحكوم عليهم فى الجرائم السياسية التى وقعت فى عهد ما قبل الثورة وكانت قد ارتكبت بدوافع وطنية وكان الوطنيون يتطلعون الى هذا العفو من حكومة الثورة ، ثم حلت الأحزاب جميعها التى كانت موجودة لأنه لم يعد لها أى عمل بعد أن استنفدت أغراضها .

وفى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ أعلنت الثورة قيام النظام الجمهورى فى البلاد والغاء النظام الملكى وسقوط حكم أسرة محمد على وبذلك أنقذت البلاد من طغيانهم وخياناتهم مدى مائة وخمسين عاما .

كما صادرت أموالهم بما فى ذلك أموال فاروق واعتبارها من أموال الشعب وردتها اليه ، أما فى المحافل الدولية فقد اختطت الثورة لنفسها خطة الحياد التام وعدم الانحياز وساهمت مصر مساهمة فعالة فى نجاح مؤتمر باندونج الذى عقد بها فى ١٨/٤/١٩٥٥ وأسمع جمال عبد الناصر صوت مصر فى هذا المؤتمر وهجم على الاستعمار فى كل مكان . وعندما رفضت

الدول الغربية مد الجيش المصرى بالأسلحة اتجهت مصر الى الدول الشرقية وعقدت مع تشيكوسلوفاكيا صفقة الأسلحة المشهورة فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ وكانت العقلية الاستعمارية لا تزال تسيطر على سياسة بريطانيا وحلفائها . من أن مصر لا يمكنها أن تتعامل مع غيرها واعتقدوا أنهم وحدهم الذين يسيطرون على السوق العالمية ، وقد ظهرت نياتهم سافرة عندما قام سلووين لويدي فى فبراير سنة ١٩٥٥ وأعلن أمام مجلس العموم البريطانى بأن انجلترا أوقفت بيع الأسلحة لمصر . ورد جمال عبد الناصر على محاولات الغرب فى خطبة ألقاها فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ فقال : « أحب أن أقول لكم فى هذه المناسبة : قصة تسليح الجيش . فحينما قامت الثورة التجأنا الى كل الدول من أجل تسليح هذا الجيش . التجأنا الى انجلترا والتجأنا الى فرنسا والتجأنا الى أمريكا والتجأنا الى باقى الدول من أجل تسليح هذا الجيش . ومن أجل السلام ، ومن أجل الدفاع ، فماذا حدث .. اتنا لم تأخذ الا مطاطات . لقد أرادوا أن يسلح الجيش بعد أن توقع على موافقتهم . وقد أعلننا أننا اذا أردنا أن نسلح جيشنا فلن توقع وثيقة واحدة . الى أن قال : الى أن وصلنا رد على هذا الخطاب من حكومة تشيكوسلوفاكيا يقول فيه : ( انها مستعدة أن تموتنا بالسلاح حسب حاجتنا على أساس تجارى بحت ) .

## جيش وطنى عظيم :

ونجحت الثورة فى تسليح الجيش بالأسلحة الثقيلة والخفيفة وتخطت جميع المراقيل التى وضعها الغرب فى طريقها ومضت فى طريق المكاسب الوطنية . ووصلت الى ذروة انتصاراتها عندما قرر الانجليز فى ١٣ يوليو سنة ١٩٥٦ الجلاء عن أرض الوطن بعد احتلال بغيض دام أربعة وسبعين عاما ، ولم يكن جلاء الانجليز عن مصر بمحض رغبتهم ولكنه جاء قسرا . فبعد أن قامت الثورة استمرت المقاومة الشعبية التى بدأت سنة ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة ضد القوات البريطانية فى القنال ولكنها نظمت وأشرف على فرق المقاومة بعض الضباط الأحرار وكان الجيش فى حاجة ماسة الى رصاص المدافع الخاصة بالطائرات فأمدته فرق المقاومة بالكثير منها . كما استولى الوطنيون على العديد من العربات الحربية والأسلحة ، ثم وقعت

بعض الممارك المنظمة التي ذهب ضحيتها العديد من الضباط الانجليز كما اختطفوا بعض الضباط البريطانيين منهم الضابط الطيار ريجدن وثارت الحكومة الانجليزية وهددت مصر بأنها ستنفذ اجراء عنيفا اذا لم يعد الضابط المخطوف ولكن حكومة الثورة لم تهتم بهذا التهديد واستمرت في خطتها في عدم التعرض للوطنيين من أفراد الشعب وتركهم يناوئون الانجليز ويكذبون صفو حياتهم ، وقد اعترف وكيل وزارة الخارجية البريطانية بهذه المقاومة في سنة ١٩٥٤ اذ قال أمام مجلس العموم : « بأنه وقع ٥٢ اعتداء على القوات والرعايا البريطانيين في منطقة القنال في فترة لا تزيد على الستة الأسابيع الماضية فقط » كما طالب سلوين لويد بضرورة الكشف عن المسئولين عن حوادث القنال اذا كانت مصر ترغب في التفاهم مع بريطانيا ولما لم يجد الانجليز أن هناك أية بارقة من أمل في وقف الأعمال العدوانية ضد قواتها بالقنال ورأت أن حكومة الثورة ليست كباقي الحكومات بل انها كانت على أتم الاستعداد لأن تذهب الى القنال لتساعد في أعمال المقاومة جنبا الى جنب مع أفراد الشعب اذا لزم الأمر وافقوا على جلاء قواتهم التي كانت تبلغ ٨٠ ألف جندي وضابط وتركوا لمصر الكثير من المعدات والأسلحة الضخمة التي كانت لديهم .. وبهذا تحقق أمل الشعب كما حققت الثورة أهم هدف من أهدافها وقد زف جمال عبد الناصر هذه البشارة للشعب في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ قائلا ( اتنا تقف الآن على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ القملى فقد وقعنا الآن بالأحرف الأولى اتفاقا ينهى الاحتلال وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة ) .

وقد بر الانجليز بوعدهم ولأول مرة مرغمين وتغذوا بنود المعاهدة دون لف أو دوران فخرجت آخر قوة بريطانية في مصر يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ وبذلك تحررت مصر وأصبحت مستقلة استقلالا حقيقيا لا زيف فيه ولا غموض .

ثم استمرت حكومة الثورة في دعم السلام والدعوة الى العياد والتعايش السلمى بين الدول فكما ساهمت في مؤتمر باندونج في ١٨/٤/



١٩٥٥ عملت على عقد ونجاح مؤتمر بريوني في يوجوسلافيا الذي عقد في ١٩ يوليو سنة ١٩٥٦ ومن هذه الجزيرة الصغيرة خرجت نداءات نهرو وتيتو وعبد الناصر الى العالم أجمع تدعو الى السلام والحياد .

## السد العالي :

وفي طريق البناء ودعم الحياة الاقتصادية فكرت حكومة الثورة في بناء السد العالي بأسوان الذي سيزيد الرقعة الزراعية بما لا يقل عن مليوني فدان فضلا عن عشرة مليون كيلوات سنويا من الكهرباء اللازمة لإدارة المصانع والمدن والقرى وبذلك يرتفع الانتاج وتنخفض تكاليف المعيشة . ورأت أن تلجأ لتحقيق هذا المشروع العملاق وتمويله الى البنك الدولي الذي وافق أول الأمر على اقراض الحكومة مبلغ ٢٠٠ مليون دولار كما وافقت أمريكا وانجلترا على المساهمة كذلك بمبلغ ٧٠٠ مليون دولار للقيام ببناء السد العظيم ولكن الدولتين عادتتا وسحبتا عرضهما السابق كما سحب البنك الدولي عرضه كذلك ، وقد بنت أمريكا رفضها على أساسين الأول أن مصر لن تتمكن من سداد القسط السنوي من القرض ويقدر بحوالي ٢٧ مليون جنيه والثاني انه يلزم موافقة الدول التي يهملها مياه النيل وهي السودان وأثيوبيا وأوغندا .

وهاتان الحجتان واهيتان لأن مبلغ القرض السنوي الذي تدعى أمريكا بأن مصر لا يمكنها من سداد زهيد بالنسبة لدولة زاد دخلها السنوي على ١٢٠٠ مليون جنيه .

وأما بخصوص ما أثارته من ضرورة أخذ رأي السودان وأثيوبيا وأوغندا بشأن بناء السد فانه قول مردود لأن السد سيحتجز المياه الزائدة التي تذهب كل عام الى البحر ولا يستفيد منها أية دولة من هذه الدول شيئا ، وعلى العموم فان البيان الأمريكي صدر ودلائل الكره والحقد تنطق في كل سطر من سطره كما وان البيان غير صادق بما حواه على اطلاقه أما الحقيقة التي دعت الدولتين الاستعمارييتين الى سحب اتفاقهما فيرجع الى عدة

أسباب أهمها التجاء مصر الى شراء الأسلحة من روسيا ويقول ونستون تشرشل الابن فى كتابه سقوط ايدن : « ان الأمريكان اعتبروا ابتياع مصر السلاح من روسيا بمثابة احياء بوجود نقطة ارتكاز لها فى الشرق الأوسط » وماذا كانت تريد منا انجلترا وأمريكا أن نفعله بعد أن حبسوا عنا السلاح ورفضوا أن يزودوا جيشنا به . هل كاتتا تريدان من مصر أن تستجديهما المرة تلو المرة بعد أن أفصح وزير خارجية انجلترا أنها لن تدمر مصر بالسلاح لمدة طويلة . هل يجوز لعاقل أن يتصور أن حكومة الثورة كان فى امكانها انتظار عدول الدول الاستعمارية عن قرارها بحبس السلاح عن مصر واسرائيل تتحرش بنا كل يوم بأسلحة مستوردة من أمريكا وانجلترا وفرنسا . فقد كانت مصانعها ومخازنها تحت أمر اليهود يغتربون منها كيفما يشاءون ودون أى قيد ولا شرط .

ثم هناك سبب آخر لسحب قرار التمويل هو غضب أمريكا من خطة الحياد التى اتخذتها مصر أساسا لسياستها الخارجية لأنها تبغى ربط الدول الصغيرة الى عجلتها . ولكن مصر سلكت طريق الحياد وآثرت فكرة عدم الانحياز وأيدتها باقى الدول العربية . وغيرها من الدول الآسيوية والأفريقية . كما أن للنفوذ الصهيونى دخلا كبيرا فى سحب قرار التمويل خاصة ، وأن الانتخابات الأمريكية كانت على الأبواب ، وفى سحب القرار ما يضمن أصوات اليهود وكسب لنفوذهم الكبير .

ومما أوعز صدورهم أيضا اعتراف مصر بالصين الشعبية وما اختطته من بعث القومية العربية بين الدول ومساعدة شعب الجزائر ضد الفرنسيين ومؤازرة جميع الشعوب الحرة ضد الاستعمار والاستغلال ويشير ونستون تشرشل الابن سببا آخر لسحب القرار فيقول : « وتعرض وزير الخارجية الأمريكية لضغط كبير فى داخل أمريكا لسحب القرض المزمع تقديمه لمصر . كما أن لجنة القطن فى الكونجرس الأمريكى طلبت عدم تقديم القرض الى مصر لأنها ترى أن بناء السد العالى سيزيد من مساحة الأرض المصرية

المزروعة قطنا بمقدار مليوني فدان مما سيؤدي الى انخفاض أسعار القطن العالمية .

ولم يكن أمام مصر للخروج من الضغط الاقتصادي الذي فرضته الدول الاستعمارية عليها الا أن تلجأ الى ما هو حق لها ، وهو تأمين قناة السويس . ولو أن أمريكا وانجلترا وافقتا على التمويل لما سكنت مصر على ترك مشكلة قناة السويس بدون حل ، وكان الحل السليم هو انهاء الوضع الشاذ الذي عاشت فيه قناة السويس منذ عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٥٦ بتمصير القناة وتأمينها واسترداد هذه القطعة العزيزة من أرض الوطن واعادتها اليه .

كان تأمين القناة ضرورة وطنية حتمية ، فقد قام بحضرها المصريون وحدهم ، وكان يعمل بها ستون ألف عامل مصري يستبدلون شهريا ، وقضى أكثر من مائة ألف عامل نحبهم أثناء قيامهم بهذا العمل الشاق في ظروف قاسية ، وساهمت مصر بجميع الأعمال الأخرى التي طلبت منها وسخرت جميع مواردها لانجاح هذا المشروع ، واذا كانت الشركة قد ساهمت بمبلغ زهيد لا يزيد على نصف مليون جنيه ، فإن مصر تكلفت عدا أجور أبنائها ما يربو على ١٦ مليونا من الجنيهات .

وربح المساهمون الأجانب من شركة قناة السويس الملايين من الجنيهات التي كانت ترسل لهم في الخارج ، وهذه الشركة وإن كانت مصرية ولكنها تتمتع بامتيازات تتناقض مع استقلال البلاد . كما كانت شركة قناة السويس هي مفتاح الاحتلال ، واحتلت هذه الشركة دائما بالاستعمار ، وتنكرت لمصر .

والواقع أن وضع شركة قناة السويس لا نظير له في جميع أنحاء العالم، لا من الجهة الاقتصادية أو السياسية ، فمصر لم تتنازل عن قناة السويس الى الشركة كما كان يبدو من تصرفاتها ، فحق سيادة مصر على القناة ثابت في مواد فرمانين المؤرخين في ١٩٥٤/١١/٣٠ و ١٨٥٦/١/٥ ، كما أكدته

كذلك اتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤ . والثابت من هذين الفرمانين أن مصر لم تتنازل عن حق سيادتها على القنال ، كما أنها هي التي رسمت نظام الملاحة الدولية وحددت رسوم المرور . كما أن هذه القناة حفرت في أرض مصرية وبسواعد المصريين وأموالهم . أما عنصر الاستغلال والاعتصاب فواضح من أرباح قناة السويس ، ويكفى أن نبين أن أرباح القناة سنة ١٩٥٥ كان حوالي ٣٥ مليوناً من الجنيهات ، بلغ نصيب مصر منها حوالي مليون جنيه ، والباقي تسرب الى المساهمين الأجانب في إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وغيرها من الدول الغربية .

## ٤ - تأمين القناة

### حتمية التأمين :

فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأمين قناة السويس وانتقال جميع مالها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات الى الدولة وقالها جمال صريحة مدوية ( لقد كانت قناة السويس صرحا من صروح الاستبداد وصرحا من صروح الاغتصاب - واليوم أموالنا ردت الينا - هذه حقوقنا عادت الينا اليوم أممب قناة السويس ) .

وما من شك فى أن قرار التأمين يعادل فى أهميته قرار جلاء الانجليز عن مصر . وقد استقبله الشعب بالارتياح والبشر - ووضع فى المرتبة - الثانية من مكاسب الثورة بعد الجلاء . على أن قرار التأمين لم يصدر الا بعد دراسة فلم يكن خافيا مدى الأثر الذى ينجم من قرار التأمين . وما كان أولو الشأن بغافلين عما قد يصيب الغرب من زعر وهوس عندما تأتيهم أنباء التأمين بل ان قادة مصر كانوا على يقين بأن الغرب سوف يقوم بأى عمل طائش يعيد اليه كرامته السلبية .

وقد وضع فى الاعتبار أن التدخل العسكرى قد يكون أحد هذه الأعمال الطائشة ولذا كان من المتعين أن تترث مرة وأن تقلب الأمر مرتين وبدأ جمال عبد الناصر يدرس الموقف الداخلى والخارجى - واتهى الى تحرير وثيقتين أحدهما :

( تقدير الموقف من وجهة النظر المصرية فى حالة تأمين قناة السويس )  
والأخرى ( تقدير الموقف من وجهة النظر الغربية فى حالة تأمين قناة السويس ) - والوثيقة الثانية تضمنت دراسة مستفيضة حول موقف الغرب وكافة الاحتمالات التى قد ينتهجها فى حالة التأمين بل انها اشتملت على بيان دقيق للقوات البريطانية التى يحتمل أن تستغلها انجلترا فى الاعتداء

على مصر . سواء فى ذلك القوات المراقبة بالدول العربية كليبيا والأردن أو — المراقبة فى قبرص ومالطة وعدن — وقد استبعدت مصر كما ورد بالوثيقة استخدام قواتها بليبيا والأردن لسببين أنه من الصعب أن تستخدم بريطانيا قاعدة عربية فى غزو ضد مصر — وثانيهما أن بريطانيا سوف تكون فى حاجة الى هذه القوات حيث هى فى الأردن وفى ليبيا لحماية الوجود البريطانى فىهما أمام الغلبة الشعبية التى سوف تحدثها عملياتها العسكرية ضد مصر .

وأما القوات البريطانية المراقبة بقبرص ومالطة وعدن — فقد كانت مصر تعلم كل شئ عنها — عددها ومدى تسليحها وأماكن تجمعاتها حتى أسماء قادة وحداتها — وبحصول مصر على هذه الأسرار الحربية تأكد لها استحالة استخدام إنجلترا لها فى عملياتها ضد مصر — لأنه فضلا عن كونها قوات غير مخصصة لعمليات الغزو فإن إنجلترا تحتاج إليها للحفاظ على قواعدها العسكرية فى تلك البلاد . فكان لإنجلترا على وجه اليقين حاملة طائرات واحدة فى مالطة ولواءان من المشاة وثلاث كتائب من فدائي المظلات لمقاومة جماعة ( أبوكا ) السرية بقبرص ولواء مشاة واحد وطرادان يقومان بأعمال — المراقبة فى عدن . وكلها قوات لها عملها المرسوم بتلك القواعد ومن العسير استخدامها فى عمليات ضد مصر والا كانت هزيمتها ساحقة — وخسائرها فادحة .

ولم يبق أمام إنجلترا من قوات سوى قواتها التى تحتفظ بها داخل الجزيرة البريطانية — وأقربها الفرقة الثالثة التى تعسكر فى مدينة سوئهايمتون فى الجنوب وهى فى حاجة الى تعزيز ووقت ليس بالقصير لتصبح على أهبة الاستعداد لتقوم بغزو بلد أضحى قوى الشكيمة شديد المراس .

## فدائيون وطنيون :

ويعنى أن أسجل بكل فخر دور الفدائيين والوطنيين العرب ضباطا ومدنيين وما قاموا به فى سبيل الحصول على المعلومات والبيانات الدقيقة التى حصلوا عليها بشأن القوات البريطانية .

فقد سافر بعض الضباط المصريين متخفين . الى قبرص واتصلوا برجال حركة التحرير الوطنى وظلوا يستقصون أنباء تحركات القوات البريطانية بالجزيرة — كما كان هناك من يعمل فى مالطة وعدن والأردن وليبيا فى همة لاتعرف الكلل وفى ظروف يكتنفها الغيوم والأخطار من كل جانب وعندما تجسست هذه الأنباء ووردت تلك المعلومات ولاح أن كفة مصر هى الراجحة قرر جمال عبد الناصر تأميم القناة — على أن تظل مفتوحة لمرور كل السفن وتحت اشراف الادارة المصرية وأن يبقى باب المفاوضات مفتوحا كذلك حتى لاتتهم مصر بأنها تعوق الملاحة فى القناة أو أنها تتركب رأسها بدون حق فيما قرره — وبذلك تكسب الى جانبها الراى العام العالمى وتضمن مؤازرته ، ولتحقيق ذلك طلب جمال عبد الناصر من رئيس (١) ادارة قناة السويس دراسة وضع قناة السويس دراسة شاملة من كل الوجوه وعما اذا كان فى الامكان ادارتها تحت اشراف الموظفين والمهندسين المصريين ادارة سليمة فى حالة انسحاب المرشدين الأجانب — وقد أجابه بعد أيام قليلة بأنه قام بما كلف به وتم وضع كافة التدابير التى تكفل حرية الملاحة فى القناة بسواعد المصريين وحدهم .

## اعلان التأميم :

وعقب هذه الدراسة وذلك التنظيم — أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس فى يوم الخميس الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ . وفى ذات اللحظة التى بدأ الرئيس يلقى كلمته تسلمت الادارة المصرية بموظفيها ومهندسيها هيئة قناة السويس .

وانسحب المرشدون الأجانب وقام بعلمهم مهندسون مصريون بل كانوا خيرا منهم — ولم تقف الملاحة فى القناة ساعة واحدة كما اعتقد الغرب بل ظلت مفتوحة فى وجه جميع السفن دون استثناء وبذلك بطلت حجة من أقوى حجج الغرب — كما تحقق لمصر أحد أهدافها .

---

(١) محمود يوسف نائب رئيس مجلس الوزراء .

وأما في المجال الدولي فإن مصر لم توصل إليها في وجه الدول كسبا للوقت وللرأى العالمى فى آن . ويقول محمد حسنين هيكل :

( ومضت الأيام وهدف ايدن أن يكسب وقتا لاتمام استعداداته العسكرية وهدف مصر هو نفس الهدف أن تكسب وقتا يصبح بعده استعمال القوة بعد استكمال الاستعداد بها أمرا صعبا ومستحيلا من وجهة نظر الموقف الدولي والرأى العام العالمى وقبل ايدن مؤتمر لندن الأول لبكسب وقتا . ولم يعترض اعتراضا كبيرا على ذلك المؤتمر وكانت مصر هى الأخرى تكسب وقتا وأصدقاء — وجاءت بعثة منريس الى مصر ولم يكن هدف البعثة أن — تتفاوض وانما كان هدفها هو ائذار عبد الناصر وتخوينه — وحاول منريس منطق الانذار والتخوين مع عبد الناصر لكن عبد الناصر رفض منطق التخوين والانذار — وتراجع منريس ) .

وظل باب المفاوضات مفتوحا على مصراعيه — حتى وصل النزاع الى الأمم المتحدة — الذى قرر اجراء مفاوضات ثلاثية بين محمود فوزى وزير خارجية مصر وسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا وتحدد لاجراء المفاوضات يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦ بمدينة جنيف أى بعد أكثر من ثلاثة أشهر من اعلان قرار التأميم — وهو ما هدفت اليه مصر وقد لخص داج هرشولد حقيقة الموقف وقتئذ عندما قال لمحمود فوزى ( لقد استكمل الانجليز استعدادهم العسكرى ضدكم لكن الوقت فات الآن فإن البخار الذى كان محبوسا كله تسرب وتم التنفيس عنه ) .

والواقع أن انجلترا قد أتمت استعداداتها العسكرية ولكنها كانت تفتقد المبرر للتدخل العسكرى ضد مصر .

لأن الوقت قد فات — فالقناة مفتوحة — ومصر لم تفعل سوى ما هو حق لها .

فما هى الوسيلة التى يمكن أن يتذرع بها الغرب لتبرير تدخلهم العسكرى ؟



## قبيل العدوان :

على أثر اعلان قرار التأميم ثارت انجلترا وفرنسا وأمريكا واحتجت — الأولتان احتجاجا بحمل معنى التهديد — وألمحا باتخاذ أعنف الاجراءات — وجمد الغرب أموال مصر وأرصدتها الاسترلينية المودعة بينوكها وتقدر بحوالى ١١٢ مليون جنيه ثم شرعت انجلترا وفرنسا بعد ذلك فى الضغط على مصر ، وكثرت التحركات العسكرية التهديدية من ايدن ومولييه، كما فادت صحافتها بضرورة استعمال القوة وقالت جريدة الصنداي تايمز فى ٢٩ نونيو سنة ١٩٥٩ ( أنه قد تم وضع الخطط العسكرية التى ستبعب لحماية مصالح الدول الغربية ) ونهجت باقى الصحف سواء فى انجلترا أو فرنسا أو فى أمريكا هذا النهج — وخطب ايدن فى مجلس العموم البريطانى فهدد بأن ( بريطانيا متفقة تماما مع بفية الدول حول الاجراءات الواجب اتخاذها فى حالة قيام مصر بعرقلة أعمال الجمعية سواء عن طريق الأمم المتحدة أو عن أى طريق آخر ) .

وقد هلى الأعضاء المؤيدون منهم والمعارضون لهذا التصريح . وقال النائب روبرت موثى فرحا « شكرا لله سوف لا تتحقق أحلال جمال عبدالناصر التى طالما رددتها فى خطابه » وكانت انجلترا تحاول القيام بعمل جماعى توافق عليه كل من أمريكا وفرنسا للاعتداء على مصر بحجة حرية قناة السويس تماما كما فعلت سنة ١٨٨٢ عندما جرت فرنسا معها وعندما وصل الأسطولان الفرنسى والانجليزى الى الاسكندرية عملت انجلترا وحدها ولكن أمريكا لم توافقها على حل مسألة قناة السويس بالقوة . وقد ظهر ذلك واضحا من تصريح مستر دالاس وزير خارجية أمريكا عندما سأله أحد الصحفيين عن الاجراءات التى ستتخذها أمريكا اذا منعت مصر مرور سفن الدول المنضمة الى جمعية المنتفعين بالقناة فأجابه ( قائلا ) : فى هذه الحالة ستحول السفن الأمريكية طريقها عن قناة السويس الى جنوب رأس الرجاء الصالح وستساعد الولايات المتحدة الدول الأخرى التى تتوى القيام بنفس العمل بتقديم قروض وناقلات بترول ضخمة كما صرح كذلك بأن السياسة الأمريكية تجاه مشكلة قناة السويس تخالف السياسة الانجليزية والفرنسية وان الولايات المتحدة لا

توافق مطلقا على استخدام القوة . وعلى أثر هذين التصريحين اللذين كانا لهما وقع سيء للغاية فى فرنسا وانجلترا كان يبدو ايدن حزينا مكتئبا ، ويصف ونستون تشرشل الابن حالته فيقول (وهنا فقد ايدن سيطرته على أعصابه ولم يعد يستطيع تحمل مسئولية القيادة مطلقا وصار يبدو دائما فى حالة من الاضطرابات والعصبية (١) الظاهرة )

وعلى الرغم من ذلك فان حزب المحافظين ظل يقتله الغيظ والحنق طوال انقرة التى تلت قرار التأمين حتى بدء العدوان . وكان بعض أعضاء الوزارة قد جرفهم حماس ايدن الأحمق ، فقام لاندسبورى يعلن « بأن الأمة لن تجبن أمام الاختبار القاسى » كما طالب بتلر (بالأ) يجثوا أمام القومية التى تقادم عهدا وان يتبعوا ايدن فى توضيحته الشجاعة من أجل الحرية والتقدم وسيادة القانون ) : على أنه كان هناك من عارض فكرة التدخل المسلح وجاهر به منهم مستر فيكتون وزير الدفاع « لأنه يعتقد أن استخدام القوة غلطة كبيرة » كما استقال مستر ناتنج وزير الدولة البريطانى احتجاجا على تدخل انجلترا العسكرى وحرر أكثر من أربعين عضوا من أعضاء حزب المحافظين مذكرة أعلنوا فيها سحب ثقتهم بالوزارة .

قد يكون هذا بعض ما كانت تضطرم به أروقة الوزارة البريطانية فى دوتنج ستريت وفى المحافل السياسية بانجلترا قبل العدوان . أما فى فرنسا — فقد كان الموقف أكثر ثباتا — ويكاد يكون من المقطوع به أن جميع أعضاء الوزارة — الفرنسية قد أجمعوا على استعمال القوة ضد مصر — حتى أن اجتماعات — الجمعية الوطنية الفرنسية أسفرت عن تأييد الوزارة فى قرار استعمال القوة — حتى أن أحد النواب صاح فى وجه رئيس الوزراء متسائلا « هل ستنظر الحكومة حتى تشرب خيول القوازيق من نافورات قصر التولرى قبل أن تتخذ قرارها » ولكن بينو طمأنه وصرح أمام الجمعية الوطنية بأن الحكومة قررت التدخل وان لديها ورقة جديدة رابحة « وقد كانت هذه الورقة هى اسرائيل — اذ أن التقارب العاطفى بين فرنسا واسرائيل كان

---

(١) من كتاب سقوط ايدن .

قد تم — قبل لقاء هذه الأخيرة مع انجلترا وتوصلت فرنسا معها على تحديد معالم المؤامرة وحوك خيوطها ورسمت معها الترتيبات التي يمكن بموجبها تنسيق الهجوم الاسرائيلي مع عملية (١) «موسكتير» وكل ما كان مطلوباً بعد ذلك هو موافقة بريطانيا بالرغم من أنه كان هناك اقتراحاً بأن تحاول فرنسا أن تمضي بهذه الخطة وحدها ولكن رجحت كفة من نادى بضرورة اشتراك انجلترا — لتنسيق العمل معها — خاصة وانها كانت ماضية في استعداداتها العسكرية .

وعلى أثر ذلك تقابل مسئولان (٢) فرنسيان مع ايدن وعرضا عليه خطة العدوان كما اتفقت عليها فرنسا مع اسرائيل .

وينضح الكاتب الانجليزي ونستون تشرشل الابن خيوط هذه المؤامرة فيقول : ( فقبل شهر من انعقاد الاجتماع الرباعي في باريس ) يقصد ( اجتماع ) ايدن ولويد وموليه وبيتو في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ) ذهب ممثلان عن وزارة الدفاع الفرنسية الى اسرائيل واقترحا على الحكومة الاسرائيلية والعسكريين اليهود تقديم المساعدة الى اسرائيل في حالة قيام الأخيرة بهجوم على مصر ولن تقتصر هذه المساعدة على تقديم الأسلحة والتأييد الدبلوماسي وعاد المبعوثان الفرنسيان الى بلادهما يحملان خطة واسعة النطاق وكانت هذه الخطة تقضى بأن يقوم سلاح الجو الفرنسي بدعم الهجوم الاسرائيلي كما يقوم الأسطول الفرنسي بحماية الشواطئ الاسرائيلية من الهجمات المصرية على أن تدعم العملية الفرنسية اليهودية بتدخل أنجلو فرنسي مباشر يشكل هجوم جوى وانزال الجنود في الأراضي المصرية .

وقد حدد موعداً لهذه العملية في أوائل نوفمبر سنة ١٩٥٦ وبعد بضعة أيام أبلغت فرنسا بن غوريون أن على اسرائيل ان تشرع في عملياتها العسكرية في أواخر أكتوبر في وقت تكون الحكومة الأمريكية فيه منشغلة جداً بانتخابات الرئاسة بحيث لا تتمكن من القيام بأي عمل ، ولما أبدى بن غوريون

---

(١) من كتاب خبايا السوبس ليهوتوماس .

(٢) جاديه وشارل .

شيئا من التحفظ حول موعد بدء العمليات قال المبعوث الفرنسي « اما أن يكون هذا التاريخ أو لا يكون هجوم أبدا » — ولما قال بن غوريون هل أعتبر هذا انذارا كان الجواب اذا . شئت فاعتبره كذلك » .

## المؤامرة :

وبعد عدة اجتماعات من ممثلى الدول المتآمرة اتفقوا على خطة العدوان كتابة وهو ما عرف باتفاق (١) سيفر السرى ويكشف الكاتب هيو توماس النقاب عما تم بشأن اتفاق سيفر فيقول ( وفى يوم ٢٢ أكتوبر وصل بن جوريون وديان ويرتر فى طائرة الى مطار فيلا كوبلى — واستقل الجميع سيارة قطعت بهم ميلا أو ميلين الى فيلا سيفر احدى سواحي باريس وانضم اليهم فيما بعد بينو وموليه — ثم اشترك فى المباحثات سلوين لوريد وباتريك دين المستشار القانونى لوزارة الخارجية البريطانية وعند نهاية الاجتماعات التى عقدت فى سيفر أقسم الحاضرون جميعا على ألا يتحدث أحد بما وقع ما دام الآخرون على قيد الحياة » وأخذ بن غوريون صورة من الاتفاقية وقفل راجعا الى بلده لتنفيذ ما جاء بها فهاذا كانت تحوى الاتفاقية المسومة الدنيئة من بنود ؟

تم اتفاق الدول المعتدية الثلاث على أن تقوم اسرائيل بهجوم شامل على مصر على أن تقوم فرنسا بالقاء كتيبة من رجال المظلات الاسرائيلية فى مصر متلا وتباشر — حمايتها وتموينها — كما يتولى الطيران الفرنسى حماية المدن الاسرائيلية حتى لا تتعرض لغارات القاذفات المصرية — كما يقوم الأسطول الفرنسى بغرض ستار بحرى حول شواطىء اسرائيل حتى لا تتعرض الموانئ الاسرائيلية لهجمات الأسطول المصرى وبعد ٢٤ ساعة من بدء تحرك جيش اسرائيل توجه فرنسا وانجلترا انذارا لمصر واسرائيل بسحب قواتهما لمسافة ١٠ أميال على جانبي القناة وأن يكنا انجلترا وفرنسا من احتلالها — بحجة أن الاشتباك العسكرى بين مصر واسرائيل سيعرقل الملاحة فى القناة وأن التدخل لا يقصد من ورائه سوى وقف القتال وحماية القناة وتمضى

(١) احدى سواحي مدينة باريس .

الاتفاقية الحقاء فى تصورهما الساذج — فتقرر بأن على اسرائيل ان ترضخ  
للانذار الانجليزى الفرنسى وتقبله — أما مصر فهى لابد وان ترفضه لأنه يعنى  
احتلال جزء من أرضها — وعندئذ وفى مدى لا يتجاوز اثنى عشر ساعة من  
توجيه انذار يقوم الطيران البريطانى بتدمير جميع الطائرات والمطارات المصرية  
تدميرا كاملا ثم يعقب ذلك ازال جنود من رجال المظلات الانجليز والفرنسيين  
من الجو على مدينة بورسعيد .

على أن تتعاون انجلترا وفرنسا فى القضاء على الجيش المصرى الذى  
سيهب لمواجهة الاعتداء الاسرائيلى فى سيناء . وبذلك يسهل الاستيلاء على  
مصر ويوضح محمد حسنين هيكل كيف تقنت الخطة كما بينها هيو توماس  
فيقول « ولقد تقنت لبن غوريون مطالبه كلها — فى الساعة الخامسة من  
مساء الأربعاء ١٠/٣١ سنة ١٩٥٦ بعد ٤٨ ساعة من بدء تحرك اسرائيل انطلقت  
من قبرص ومن حاملات الطائرات البريطانية أول موجة من قاذفات القنابل فى  
طريقها الى مصر — وكانت الموجة الأولى مكونة من مائتين وعشرين طائرة .  
وقبل ذلك كان كل شىء قد تم لبن غوريون كما أراد — أرسلت فرنسا  
أسطولا جويا مكونا من ٦٠ طائرة من طراز ميستير المقاتلة وثلاثة أسراب من  
طراز ف ١٨٤ القاذفة الطائرات بطيارها الفرنسيين للمرابطة فى المطارات  
الاسرائيلية وحمايتها كذلك قامت أربعون طائرة نقل من طراز نوردي أتلان  
أقلعت من مطار تيمبو فى قبرص فألقت كتيبة من المظلات الاسرائيلية فى  
مرمتلا وتولت طول الوقت عملية تموينها وقامت البوارج الثلاث الفرنسية  
جورج ليجيه وسيركون وكيرسان بالوقوف أمام الشواطىء الاسرائيلية  
وقبيل ضرب الطائرات الانجليزية للمطارات المصرية لم يكن يعتقد أحد من  
المسؤولين بحطة التآمر الانجليزى الفرنسى حتى ان متحدثا بريطانيا رسميا  
أذاع بيانا عقب تحرك اسرائيل قال فيه « ان بريطانيا لا تنوى أن تستغل  
الموقف الناشئ على الحدود بين مصر واسرائيل » (١) ورجح لدى المسؤولين  
لعدة اعتبارات جوهرية ان الاعتداء الاسرائيلى لا يعتمد على أية مساعدة  
خارجية لأن التحرك الاسرائيلى يبدو أمرا لا علاقة له بالنزاع من حول

---

(١) من تعليق محمد حسنين هيكل .

قناة السويس بين مصر من جانب وبريطانيا وفرنسا من جانب آخر - ذلك أن هذا النزاع وصل الى نهاية سلمية بقرارات مجلس الأمة الستة لضمان الملاحة فى قناة السويس وهى قرارات قبلتها مصر ولم تعترض بريطانيا وفرنسا عليها فى مجلس الأمن - ومن أن التحرك الاسرائيلى يبدو عملية كبيرة فان القوات المشتركة كما تشير تقارير الاستطلاع الأولى تبدو أكبر مما كان يتكرر على مراكز الحدود هذا فضلا عن اسقاط كتيبة مظلات فى مصر مثلا -- واذا فهى عملية عسكرية واسعة النطاق اسرائيلية بحته تستهدف تصفية حساب مصر واسرائيل تصفية نهائية وهى على الأرجح تعكس يأس اسرائيل من أن تؤدى أزمة قناة السويس بعد قرارات مجلس الأمن الستة الى غزو بريطانى فرنسى لمصر يسوى بين ما يسوى حساب اسرائيل قبل مصر من غير أن تطلق هى رصاصة واحدة أو تريق قطرة دم ، لكل هذه الاعتبارات تحرك الجيش المصرى متجها الى سيناء للالتحام بجيش اسرائيل . وكان الاعتداء الاسرائيلى هو الوسيلة التى لجأ اليها الغرب ليبرروا تدخلهم المسلح فماذا يبقى يا ترى بعد ذلك لم يتم تنفيذه من اتفاقية سيفر ؟ .

## هجوم اسرائيل :

قبل الاعتداء يوم قام بن غوريون وأعلن فى الكنيست . بأن مصر ماضية فى تهديد اسرائيل وأن مصر هى عدو اسرائيل الحقيقى وأن اسرائيل - ستخوض المعركة هذه المرة فى داخل الأراضى المصرية وفى الساعة الرابعة من مساء اليوم الثانى الموافق ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ هاجم اليهود مصر واشتبكوا مع القوات المصرية الموجودة فى الكوتلة ورأس النقب . ثم أنزل اليهود قوة أخرى من جنود المظلات بالقرب من « مصر مثلا » وعندئذ وضح لمصر أن الهجوم اليهودى يهدف الى الاستيلاء على قناة السويس وتطويق القوات - المصرية فى سيناء وفصلها عن القوات الرئيسية بمصر وعلى أثر ذلك اشتبكت قواتنا مع قوات العدو فى كل القطاعات وخاضت القوات المصرية معارك كثيرة حامية الوطيس فى أبو عجيلة ورفح فى الشمال وشرم الشيخ فى الجنوب واستطاعت أن تكبد العدو خسائر جسيمة فى الأرواح

والعتاد وقد اعترف موسى ديان بعنف مقاومة القوات المصرية على الرغم من قتلها ويقول في كتابه يوميات في معركة سيناء بأنه اضطر أثناء القتال الى تغيير قائد اللواء المدرع السابع لأنه عجز لمدة ٤٨ ساعة كاملة عن اقتحام أبو عجيلة كما قام سلاح الطيران بعمليات رائعة في هذه الحرب وأفسد توقف هجوم اليهود وخطة انجلترا وفرنسا اللتان كانتا تتوقعان وصول اسرائيل الى القناة في مدى يومين على الأكثر وعندئذ يأتي دورهما ويبدأن في الاعتداء كما بيناه ولكن مقاومة القوات المصرية كان شديدا ما عرقل خطط الدول المعتدية وقد اعترفت اذاعة تل أبيب في ١١/١١/١٩٥٦ بهذه المقاومة وأذاعت هذا البيان ( استطاع الطيران - المصري أن يعرقل مواصلاتنا في اليومين الأولين قبل تدخل طيران الحلفاء واتنا لو لم تفاهم مع بعض الدول التي لها مصلحة في تدمير قوة مصر لما استطعنا ان ننجو من مغالب قوة الطيران المصرية الهائلة (١) وفضلا عن الأسلحة الثقيلة والدبابات والطائرات التي مدت بها انجلترا وفرنسا اسرائيل فان القوات المصرية قاومتها وكبدتها خسائر جسيمة على الرغم من أن قواتنا التي كانت موجودة وقتئذ في سيناء كانت قليلة العدد وأنها تعتبر نقط ارتكاز والحراسة فحسب أما قواتنا الرئيسية فقد عبرت القناة ليلة ٣٠ أكتوبر لسحق اسرائيل ولم يكن يتصور ان هناك مؤامرة دنيئة قد دبرتها دولتان كبيرتان كانجلترا وفرنسا للقضاء على قوة الجيش المصري ومحاولة جديدة لاحتلال مصر . وفي اليوم الثاني وحسب اتفاقية سيفر وجهت هاتان الدولتان انذارا ساذجا الى كل من مصر واسرائيل من مساء يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ تطلبان فيه وقف جميع الأعمال الشبيهة بالحربية في البر والجو والبحر وسحب جميع القوات العسكرية الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس وأخيرا ان تقبل مصر احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية في بورسعيد والاسماعيلية والسويس وهذا الشرط الأخير هو الهدف الذي قامت على أساسه مؤامرة العدوان الثلاثي .

---

(١) من كتاب العدوان الثلاثي والمسير العائلي .

والواقع أن هذا الاذار لم يكن يعلم به سوى خمسة من الوزراء الانجليز هم لويد وبتلر وماكميلان واللورد سليزبورى وهيد وعندما أبدى أحد الوزراء تدمره من ايدن لاختفائه عنهم عزم انجلترا على الحرب أجابه ايدن بغطرسة « كثير من أعضاء وزارتي الحالية لم يسبق لهم ان اشتركوا فى وزارة حربية » مما حدا بوزير آخر (١) ليقول لايدن :

« حسنا يا دولة الرئيس فنحن لم نكن نعلم اننا فى حالة حرب » ومعنى ذلك أن ايدن كان يتصرف دون أخذ رأى باقى وزرائه نتيجة للحقد الذى ملأ قلبه وبطبيعة الحال رفضت مصر هذا الاذار بينما قبلته على الفور اسرائيل . وقال جمال عبد الناصر لسفيرى انجلترا وفرنسا ان مصر ستدافع عن نفسها ضد الاعتداء فى كل شبر من أرض الوطن وأصدر التعبئة العامة — فى جميع أنحاء البلاد وشرع جيش التحرير فى تكوين كتاب السباب والمتطوعين تأهباً للدفاع ووزع السلاح على الوطنيين وباتت البلاد وهى تترقب الأحداث المقبلة واجتمع بعد ذلك جمال عبد الناصر مع قيادة الجيش وصدر الأمر بسحب القوات المصرية من سيناء الى مصر للدفاع عنها ولاتخاذ الجيش من المكيدة المدبرة بعد أن وضعت نيات الاستعمار وظهرت طائرات انجلترا وفرنسا وأسطولهما فى الميدان وخلال يومى ٣١ أكتوبر وأول نوفمبر عاد الجيش المصرى سليماً بعد أن نجح فى الانسحاب وخرج من الكمين المعد له .

ويقول محمد حسنين هيكل « بعد ساعتين من الغارة البريطانية كانت القيادة المصرية قد اتخذت قرارها التاريخى بالانسحاب فوراً من سيناء وبأن تتجمع كل القوات المصرية شرقى قناة السويس لمواجهة المعركة الأصلية أمام انجلترا وفرنسا .

---

(١) ماكلويد .



## ٥ - كفاح الشعب يهزم ثلاث دول

### الاعتداء الآثم

بدأت الطائرات البريطانية يوم ٣١ أكتوبر تغير على القاهرة وأصابت الكثير من المباني ، منها مبنى الكلية الحربية ومطار القاهرة الدولي ومستشفى المأظلة وجميع المطارات العسكرية كما أغارت على مدن القنال وظلت الطائرات البريطانية بعد أن انضم إليها سلاح الطيران الفرنسى تضرب القاهرة ومدن القنال والاسكندرية ضربا شديدا لمدة خمسة أيام أسقطت القوات المصرية خلالها ما يقرب من ثمانين طائرة .

وفى ٥ نوفمبر وصلت أسراب كبيرة من الطائرات الانجليزية والفرنسية الى بورسعيد وركزت الضرب على منطقة الجميل ومطار الجميل ومنطقة الرسوة وفى حوالى الساعة الخامسة وخمس عشرة دقيقة بدأت فى ازال جنود المظلات فى منطقة الجميل وفى المطار واشتبكت القوات المصرية مع القوات الهابطة وكان من أثر ذلك ان اكتشف العدو مواقع المدافعين المصريين فركز الضرب عليها وعزلت هذه المنطقة عن مدينة بورسعيد واستطاع العدو للأسف ان يبيد جميع القوات المصرية التى كانت تدافع عن المطار أما كتيبة المظلات الانجليزية الثالثة التى هبطت فقد تحصنت بالمطار وكان عددهم حوالى ١٢٠٠ جندي وضابط أما جنود كتيبة الفرنسيين فقد نزلوا قرب منشآت المياه جنوب المدينة وكان عددهم حوالى ٥٠٠ جندي وسيطروا على المصدر الوحيد الذى يمد المدينة بالمياه ويروى قائد منطقة بورسعيد اللواء سعدى نجيب سبر هذه المعارك فيقول : « ومن منطقة الجبانات خط الدفاع الرئيسى كان لابد ان تتحرك قوات لاستعادة المطار رغم أن الطريق الى المطار ضيق ومكشوف ولكنها كانت عملية يملها الموقف وتحركت سرتان قوامهما ١٥٠ جنديا لاستعادة المطار وتم ضرب المطار بأكثر كمية من النيران وقوات العدو تحاول أن تتقدم لتشتبك فى قنال متلاحم معنا رغم الخسائر الشديدة التى

نزّلت بها وتقدمت القوات بالقرب من المطار وبدأت الضرب بالأسلحة الصغيرة والرشاشات وخسر العدو نصف قواته ومن المكان الذى تحصنت فيه القوات ظلت محصورة فيه ولم تستطع التقدم واستشهد قائدها وفى الساعة الثانية ظهرا أسقط العدو كتيبتى مظلات فى نفس المنطقة وحاول التقدم الى المدينة ولكنه فشل تماما ولم يستطع السيطرة على الطريق المؤدى اليها ، وكان العدو قد أسقط فى نفس اليوم الساعة الثامنة صباحا بعض الدبى والمهمات فى منطقة الرسوة، بقصد الكشف عن مواقع القوات المصرية ليمهد لاسقاط قوات من جنود المظلات وكان العدو يهدف الى السيطرة على الطريق الى الاسماعيليه وعلى مداخل المدينة من الجنوب بجانب تشتيت قواتنا فتحارب من الأمام فى الجبل ومن الخلف فى الرسوة ولكن فوتنا هذا الغرض على العدو فقد كانت الخطة الدفاعية للمدينة تضع فى اعتبارها أن العدو سيحاول تنفيذه رغم ان القوات التى وضعت فى الرسوة كانت أقل من القوات الموجودة بمنطقة الجبيل لأن هذه الأخيرة معرضة للهجوم البحرى والجوى واما منطقة الرسوة فهى معرضة للهجوم الجوى فقط — وأخيرا نجح العدو فى السيطرة على منطقة الرسوة وبدأت القوات العربية فى الاستعداد للقيام بهجوم مضاد لاسترداد كوبرى الرسوة وصدرت الأوامر لقوات من بور فؤاد بالتجمع ولكنها لم تستطع عبور قناة السويس بعد أن اكتشفتها طائرات العدو الذى قام بعملية اسقاط أخرى فى بورفؤاد وتمكنوا من النزول بعد خسائر جسيمة لحقت بهم ولكن المدينة قاومت ببسالة حتى اضطر القائد الفرنسى الى التهديد بتدمير المدينة تدميرا كاملا اذا لم تتوقف النيران ورغم الخسائر الكبيرة من الجانبين فقد استمر الضرب .

وفى الساعة الخامسة مساء اتصلت القيادة الانجليزية بالقائد المصرى تطلب منه التسليم ورفضت القيادة فى بورسعيد ثم تحول طلب التسليم الى طلب وقف القتال ليتمكنوا من جسر قتلاهم وجرحاهم ورفضت القيادة المصرية هذا المطلب أيضا . وكان الموقف فى نهاية يوم ٥ نوفمبر كالاتى : قوات العدو فى الجبيل عاجزة عن التقدم، وقواته فى الرسوة عاجزة عن التقدم أيضا ، والقتال ما زال عنيفا فى بورفؤاد . والضرب الجوى بصفة مستمرة

على المدينة والخسائر فى ازدياد . عربات الاسعاف دمرت بأجمعها ، المستشفيات  
ملأى بالقتلى والجرحى ، المرافق الحيوية كالمياه والكهرباء دمرت تماما .

وفى فجر يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ بدأ سلاح طيران العدو فى ضرب  
المدينة كالعادة ، ثم أعقب ذلك قصفها من البحر تمهيدا لعمليات الانزال البحرى  
وتسببت نيران الأسطول فى تدمير حى المناخ بأكمله وحرقت منطقة الكباين  
عن آخرها ، ودمرت المنازل بعمق ثلاثة شوارع من البر ، وكانت الطائرات  
تضرب المدينة بما فيها من مستشفيات انتقاما من المدينة الباسلة التى عاق  
خطط قادة العدوان ، وكانوا يقدرون لاحتلالها أربعاً وعشرين ساعة فقط ،  
ثم أزل العدو بعض الجنود والدبابات فى القوارب الباع (١) حوالى  
الساعة الحادية عشر صباحا واستطاعت القوات المصرية ان تصيب عشرة  
قوارب برمائية ولكن العدو تمكن من الوصول الى منطقة الكباين وعندما  
حاولوا الدخول الى المدينة من ناحية حى العرب فشلوا نظرا للمقاومة الشديدة  
التي قابلهم بها الأهالى والفدائيين وأصابوا سبع دبابات منها .

وعندما فشل العدو فى دخول بورسعيد عن طريق حى العرب اتجه  
الى حى الأفرنج وتمكن فريق من عبور المدينة والاتصال بباقي القوات فى  
الرسوة وكانت الساعة حوالى الرابعة مساء ولم يستطع احتلال المدينة ومما  
يؤسف له انه منذ بدأ الاسطول فى ضرب المدنسة والجاليات الأجنبية  
الانجليزية والفرنسية تساعده من الداخل وتطلق النار على الوطنيين والأهالى  
والجنود وكان لضرب الجاليات الأجنبية أكبر الأثر فى تسهيل مهمة القوان  
المعادية — وكانت القوات المسلحة المصرية تقاتل جنبا الى جنب مع قوان  
المقاومة الشعبية التى سهرت للدفاع عن المدينة فى الشوارع والمنازل ومضى  
يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ والعدو لم ينجح بعد فى احتلال المدينة . وباتت  
هذه الليلة وليس بها أى جندى من جنود العدو وجاء يوم ٧ نوفمبر وعلى  
الرغم من صدور أمر وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة الثامنة صباحا فان  
العدو استمر فى ضرب المدينة للسيطرة عليها ولكن فرق المقاومة صدت  
له وقاومته .

وفى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٥٦ أصدر قائد القوات المصرية أمر

(١) قوارب لحمل الدبابات .

بالانسحاب بناء على تقديره للموقف واستطاعت القوات ان تخرج من المدينة دون أى عقبات فالعدو لم يسيطر على المدينة بعد ، وتركت مهمة الدفاع عنها لقوات المقاومة الشعبية ورجال المقاومة المسلحين من الجيش الذين صدرت اليهم الأوامر بالانضمام لقوات الشعب . ورغم انسحاب القوات المصرية فقد حققت نصرا ذاقت مرارة طعمه القوات المعادية لأول مرة بعد أن عوقت الخطط التى وضعت للعدوان وان كان تقدير العدو للموقف وضخامة القوات التى يهاجمون بها ومعلوماتهم عن المدينة والمنطقة التى هم يمش على مغادرتهم لها أكثر من أربعة أشهر جعلهم يعتقدون أن العملية لن تستغرق أكثر من ٢٤ ساعة ولكن استمرت القوات المصرية أكثر من ثلاثة أيام تقاوم ببسالة وشجاعة .

وكافت قواتنا تواجه طبقا لمعلومات الكتاب الأبيض الذى أصدرته الحكومة الانجليزية قوات تتكون من قوات انجليزية برية تضم اللواء ١٦ مظلات واللواء الثالث من الفدائيين البحرين وكتيبتى دبابات سينتوريون وقوات برية فرنسية تضم مجموعة لواء مظلات ولواء فدائيين بحرين وكتيبتى دبابات وبعض قوات الفرقة السابعة السريعة الميكانيكية وأطقم قتال خاصة ( عربات مدرعة مركب عليها هاوكات ثقيلة ) علاوة على خمسمائة طائرة انجليزية من الطائرات المقاتلة ومن ناقلات الجنود ومائتى طائرة فرنسية وأما الأسطول البريطانى فكان يتكون من ٥ حاملات طائرات وخمس مرادات واثنتى عشر مدمرة وعشرة سفن حاملات جنود ودبابات وسبع غواصات عدا ثلاث مدمرات وبارجة وحاملة الطائرات وبعض السفن المساعدة التى اشتركت فى الهجوم على السويس من البحر الأحمر .

وأما الأسطول الفرنسى فكان يتكون من بارجة واحدة وطرادين وأربع مدمرات وثمان فرقاطات و ٣ غواصات ، هذه هى أخبار معارك بورسعيد الحربية الأولى التى وقعت على حدود المدينة رواها اللواء سعدى نجيب كما شاهدها باختصار وكانت هناك أعمال بطولية أخرى فى الجو والبحر والبر ومن وراء ذلك كله ما قام به أهالى بورسعيد من كفاح ونضال ومن مقاومة مستميتة استمرت أربعين يوما دون توقف .

## مؤازرة الضمير العالمي لمصر :

قبل أن نتحدث عن الأعمال البطولية التي قام بها المصريون في البر والبحر والجو يتعين علينا أن نلمح في عجلة الى موقف دول العالم عامة - والدول العربية على وجه الخصوص من العدوان الثلاثي الآثم .

فمنذ عازمت انجلترا على الاعتداء وهي تعمل جادة على عزل مصر عن الدول العربية وباقي الشعوب المؤيدة لها ، وكانت تلجأ الى أسلوب معين مع كل دولة فيالنسبة الى العراق ضاعفت نشاط مكاتب الدعاية لحلف بغداد في العواصم العربية ، وبالنسبة لسوريا بدأ الانجليز يهددونها باحتلال فرنسي جديد اذا استمرت في تأييدها لسياسة مصر . وأنزلوا بالفعل قوارب فرنسية في قبرص كنوع من الضغط . وبالنسبة للأردن افتعلوا حوادث على حدودها مع اسرائيل وحشدوا قوات عراقية على حدودها المتاخمة للعراق . وبالنسبة للبنان أوعزوا الى القوميين السوريين بأن يندسوا في المظاهرات التي قام في بيروت تأييدا لحق مصر في قناة السويس ، وذلك لتشويه مظاهر هذا التأييد ، ثم قاموا باحراق عربة أزهار كانت تحمل اسم مصر تتقدم المظاهرات . وبالنسبة للكويت عمدوا الى اخماد جميع الحركات التي قامت تأييدا لمصر واستعملوا الشدة في ذلك . ثم أجرى الانجليز بعد ذلك اتصالات مع الملوك العرب لاقتناعهم بأن استمرارهم في تأييد مصر يعنى تهديد مصالحهم ، وخاصة البترولية منها ، كما أشيع عن وجود اتفاق سرى بين بريطانيا وروسيا تتعهد فيه بريطانيا بالموافقة على حل مشكلة ألمانيا بشكل يتلاءم ووجهة النظر الروسية مقابل أن توافق روسيا على أن تطلق بريطانيا يدها في الشرق الأوسط (١) .

هذه هي جهود بريطانيا لعزل مصر عن العالم الخارجى ، فساذا كان الموقف بعد ذلك ؟ وما أثر هذه الجهود في تلك الدول ؟ مما لا شك فيه أن مصر قد كسبت عطف جميع الدول بلا استثناء عدا الدول المعتدية بطبيعة الحال - وتجلى ذلك عندما قدم داج هرشلد السكرتير العام للأمم المتحدة

(١) كمال رفعت في ١٩٥٩/١١/٢ .

استقالته استنكارا منه للعدوان، وهذه الاستقالة وان كان المجلس قد قرر عدم قبولها الا أنها دفعت بعض الدول المحبة للسلام وعلى رأسها يوغوسلافيا بأن تطلب عقد اجتماع عاجل لهيئة الأمم المتحدة التي اجتمعت وأصدرت في ١٩٥٦/١١/٢ بأغلبية ٦٤ دولة قرارا بوقف اطلاق النار فورا وانسحاب القوات الأجنبية من مصر وعودة قوات اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة ، وفي اليوم التالي لصدور هذا القرار تصدعت الوزارة البريطانية ، وكان أول مظهر لها استقالة وزير الدولة البريطاني انطوني (١) ناثنج .

أما الدول العربية فلم تلتفت الى محاولات بريطانيا أو تخشى من تهديداتها وإنما أظهرت شعورها القومي ، وهب الوطنيون في كل مكان يعبرون عما يختلج في قلوبهم من غيرة وحمية تعدت الى العمل الايجابي — فدمر الوطنيون في سوريا أنابيب البترول الممتدة من كركوك الى طرابلس وبانياس ، ومعت تدفق البترول الى شاطئ البحر حيث كان يشحن الى الدول الغربية ، وامتنع العمال السوريون من شحن ناقلات البترول البريطانية

ومن لبنان خرجت المظاهرات الصاخبة تعلن تأييدها لمصر وألقى الوطنيون القنابل على الأندية البريطانية ، ومنها نادي سان جورج ونادوا بقطاعة المعتدين والتطوع لمساعدة المكافحين في مصر — وفي العراق أتلّف الوطنيون أنابيب البترول في كركوك وغيرها وقامت المظاهرات ونادت بسقوط نوري السعيد وطلب الوطنيون اعلان الحرب فورا على اسرائيل والدولتين العربيتين المعتديتين .

وأما في الأردن فقد قام الشعب كذلك بنسف أنابيب البترول المارة بها ومنعت وصولها الى حيفا ، وامتنع العمال من تزويد الطائرات البريطانية بالوقود وطالب الشعب بالتطوع في جيش مصر لمحاربة المعتدين ونادوا بقطع العلاقات مع دولتي فرنسا وانجلترا .

وفي باقي الدول العربية تجلّى نفس الشعور — في السعودية والكويت

---

(١) وقد كشف انقباض اسرار المؤامرة في مذكرات نشرت احرا .

وفى اليمن وفى البحرين وقطر والمغرب والجزائر وتونس وليبيا وعدن والسودان وظهرت قوة القومية العربية بأجلى مظاهرها وتجلت وحدة العرب مما كان له أكبر الأثر فى المجال الدولى ، ورأى الاستعمار أنه يحارب تسعين مليوناً من العرب ، وأن مصالحه أصبحت مهددة والموارد التى كان يعتمد عليها من الدول العربية قد قطعت ، وخاصة البترول الذى يعتبر الشريان الحيوى بالنسبة للدول العربية قاطبة ، الأمر الذى هدد الصناعة فى أوروبا بأكملها بالتوقف وشعر الغربيون بفداحة الخسارة التى حاقت بهم من جراء السياسة الخرقاء التى جرهما إليها المعتوهان ايدن وموليه .

ولم تكن الشعوب العربية وحدها التى آزرت مصر ، وإنما آزرها كذلك جميع الشعوب الحرة فى جميع أنحاء العالم ، فى الصين ، واليابان ، والهند ، وباكستان ، وأفغانستان ، وأندونيسيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ويوغوسلافيا ، وغيرها .

وأما روسيا فقد وجهت انذارها المشهور فى ١٩٥٦/١١/٥ الى كل من فرنسا وانجلترا ، وهددت بأنها ستضربهما بالصواريخ الموجهة ان لم يوقفا عدوانهما على مصر . وقال بولجانين رئيس وزارة روسيا فى الانذار : ( ان بريطانيا وفرنسا تعرضان أنفسهما لاعتداء دولة أقوى منهما بكثير ) . ولم يقتصر هذا الشعور على الدول الحرة والمحبة للسلام فحسب بل ان شعبى الدولتين المعتديتين فرنسا وانجلترا استنكرا هذا العدوان ونظرا اليه بامتعاض وازدراء شديدين .. مما كان له أكبر الأثر فى الاطاحة بوزارة ايدن وموليه بعد ذلك .

## المعارك البحرية

### زوارق الطوربيد :

فى الرابع من نوفمبر ، بينما كانت زوارق الطوربيد المصرية تقوم بجولة تفتيشية على حدود ساحل البحر الأبيض لآح لها الطراد الفرنسى الكبير (جان بارت) وكان يحاول ائزال دفعة من الجنود الفرنسيين فى اتجاه بحيرة البرلس ، وعلى بعد ١٠ ( عشرة كيلومترات ) منها فتصدت لها ثلاثة زوارق طوربيد من قوة البحرية المصرية ، وكانت الساعة حوالى العاشرة صباحا وأطلق الزورق الأول - وكان تحت قيادة الصاغ البحرى جلال دسوقى - طوربيدين عليها ، ثم أعقبه الزورقان الآخران فأصيب الطراد اصابة مباشرة أحدثت به عدة ثغرات وبدأ ينشطر نصفين وأرسل استغااثات لاسلكية الى قيادته يستنجد بها . وعندما بدأ الطراد يغوص بمن فيه وكانوا يقدرون بحوالى ألف ضابط وجندى قفلت الزوارق الثلاثة عائدة الى قاعدتها فخورة منتصرة ، وما لبث أن لآح فى الجو سرب من طائرات العدو جاء على أثر الاغاثة اللاسلكية التى تلقتها ، وقشبت بينها وبين الزوارق معركة رهية وتمكنت الطائرات من اغراق زورق واحد ، واستشهد فى هذه المعركة الخالدة الأبطال جلال دسوقى ، وجول جمال ، واسماعيل عبد الرحمن وصبحى نصر ، وعلى صالح صالح ، وعادل مصطفى ، ومحمد ياقوت عطية ، وجمال رزق الله ، ومحمد البيومى زكى ، ومصطفى طبالة .

ومن مفارقات القدر أن الزوارق الثلاثة عندما خرجت للاستكشاف فى مساء يوم : ١١/٣ لم يكن مقدرا للصاغ جلال دسوقى أن يذهب مع من ذهب لأداء هذا العمل الكبير ، ولكنه عندما رأى الزوارق تتحرك قفز فى أحدهما ليشارك زملاءه شرف قتال العدو ، وكأنه كان يتعجل حكم القدر ، وقاد جلال دسوقى اخوانه فى معركة البرلس واستشهد مع من استشهد من الأبطال بعد أن اقتصروا فى أروع معركة من معارك البطولة والفداء .



وقد اشترك فى هذه المعركة ضابطان من سوريا الشقيقة هما : جول جمال ، ونخله اسكاف ، أما جول فقد لقى وجهه ربه ، وأما نخله فقد تلقفه البحر الهائج بعد غرق زورقه وظل احدى عشرة ساعة يصارع الأمواج العاتية ويقاوم قسوة الرياح وبرودة المياه حتى وصل الى شاطئ البرلس ليروى للملا قصة رائعة من قصص البطولة .

وعلى أثر غرق الطراد الفرنسى جان پارت بمن عليه — هاجمت طائرات العدو قطع الأسطول المصرى بميناء الاسكندرية هجوما عنيفا لتدميرها ، ولكن مدفعيتنا المضادة للطائرات لم تمكنها من تحقيق غرضها وأسقطت بعضها .

### فدائية مدمرة مصرية :

وعندما وضع للمصريين بأن اسرائيل أعلنت الحرب فعلا على مصر بتوغل جيوشها فى سيناء وبفتح عدة معارك على طول الجبهة — رأت قيادة الجيش أن فى الامكان دحر اسرائيل وتدمير قواتها والاستيلاء عليها فى مدى ما لا يزيد على أربعة أيام — ومن ثم فقد ألقت بقوات كبيرة لمواجهة جيوش اسرائيل وضربت حصارا بحريا عليها ، وبدأت الطائرات تقصف استحكاماتها والمناطق العسكرية فى تل أبيب وحيفا وغيرها ، وخلال هذه المعارك التى وقعت فى اليومين الأولين من الاعتداء كانت هناك مدمرة مصرية تتجه الى ميناء حيفا ، وفى حوالى الساعة الثالثة من صباح يوم ٣١ أكتوبر وقعت المدمرة ابراهيم فى اتجاه المينا وضربتها بالمدافع فأصاب جميع المنشآت العسكرية وأحالت الميناء الى شعلة من النيران ، وبعد أن قامت بالمهمة الجريئة التى كلفت بها قفلت راجعة وأثناء عودتها اعترضتها بعض قطع الأسطول الفرنسى الذى أخذ على عاتقه حماية شواطئ اسرائيل طبقا للاتفاقية الدنيئة التى وافقت عليها الدول الثلاث المعتدية ، ولم تكن مصر قد علمت بهذه الخيانة بعد ، والا لكاف غيرت خططها من أساسها ، وسرعان ما حاصرت قطع الأسطول الفرنسى المدمرة المصرية وطلبت منها التسليم فرفض قائد المدمرة ودارت معركة غير متكافئة بين مدمرة مصرية وثلاث مدمرات وبارجة فرنسية عدا الطائرات التى

استدعتها القيادة الفرنسية للمساهمة فى المعركة ، ثم عادت القيادة الفرنسية تطالب المدمرة بالتسليم فرفضت للمرة الأخيرة واستؤنف القتال وأحرق العدو بها من كل ناحية ولم يتمكن من الاستيلاء عليها لأنها آثرت أن تنتحر من أن تستسلم .

## بطولة سفينة :

كانت بشرم الشيخ - وهى قرية تقع عند ملتقى خليج العقبة بخليج السويس - قوة مصرية قليلة العدد والعدة عندما وقع الاعتداء الصهيونى ، ونظرا لأهمية هذه القرية وموقعها الاستراتيجى رأت القيادة تعزيزها ببعض القوات وكذلك بالسلاح والعتاد ، وكان من بين السفن التى رتبت للقيام بهذا العمل سفينة التدريب دمياط ، وفى يوم أول نوفمبر سنة ١٩٥٦ أثناء توجهها الى شرم الشيخ قابلتها بعض قطع الأسطول الانجليزى بالبحر الأحمر وطلبت من السفينة التسليم ، فرفض قائدها ولما كان هذا الرفض معناه غرق الباخرة وموت من عليها للبون الشاسع بين قوة الأسطول الانجليزى وسفينة تدريب بسيطة . فقد عاد الأسطول الانجليزى وأندر قائد الباخرة بأمر سيأمر بضربها فورا ان لم يستسلم . وللمرة الثانية رفض القائد المصرى أمر التسليم ، ودارت المعركة العجيبة ، ومع ذلك فقد تمكنت السفينة دمياط من اصابة سفينة للأعداء وظلت تقاوم مقاومة المستميت حتى غرقت وغرق معها قائدها البطل الصاغ محمد شاكر حسن (١) الذى ظل طيلة المعركة فوق ظهرها يصدر الأوامر ويدير المعركة بيسالة وبطولة تفوق الخيال .

## الزوارق المصرية تهزم الأسطول الانجليزى

حدث أثناء العدوان أن توجهت بعض قطع الأسطول الانجليزى نحو السويس فى يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ لازال بعض الجنود البريطانيين تمهيدا للزحف شمالا لتتلاقى مع القوات الأخرى التى تحاول النزول فى بورسعيد وبورفؤاد، وبذلك تحاصر القوات المصرية فى القناة كماتكون بذلك قد

(١) استشهد كذلك فى هذه المعركة اليورباني مدحت الريات .

قطعت خط الرجعة على الجيش المصرى فى سيناء . ولما لاحت قطع الأسطول الانجليزى بالقرب من ميناء السويس — أطلقت عليها مدفعية الساحل النيران وتصدت لها بعض زوارق الطوربيد ودارت معركة رهيبة لم يتوقعها الأسطول الانجليزى الذى لم يكن يتصور أن مصر أصبح لها قوة بحرية مرهوبة ، وظلت الزوارق المصرية الصغيرة تحوم وتدور حول البوارج والمدمرات الانجليزية العملاقة تطلق عليها « الطوربيدات » الجبارة حتى تمكنت من اغراق ثلاث قطع بريطانية منها حاملة للجنود ، وولت باقى قطع الأسطول الانجليزى الفرار — تجرجر أذيال الهزيمة وانتصرت البحرية المصرية الناشئة فى هذه المعركة كذلك على أكبر أسطول فى العالم وفشلت محاولة احتلال مدينة السويس وانهار ركن كبير من أركان خطة العدوان .

هذه هى الأعمال المجيدة التى قامت بها البحرية المصرية أثناء العدوان الثلاثى أما السلاح الجوى فانه ساهم مساهمة فعالة فى المعركة وعرقل تقدم قوات العدو وأنزل بهم خسائر جسيمة اعترفوا بها فو، تصريحاتهم واذاعاتهم ، وقدم السلاح الجوى خدمات جليلة أثناء المعركة ستظل ذكرها حية فى قلوبنا .

## مخالب القوة المصرية :

منذ الأنباء الأولى للمعركة والسلاح الجوى كان أول قوة مصرية هبت لتقابل العدوان وتصارعه ، وأصلت قوات اسرائيل المهاجمة فى سيناء بسيل من القنابل المدمرة لم ينقطع طوال النهار والليل مما عاق تقدمهم وحطم الكثير من معداتهم ونجداتهم وكانت خسائرهم من غارات الطائرات المصرية أضعاف خسائرهم فى المعارك المفتوحة فى سيناء .

ولم يقتصر السلاح الجوى على ضرب جيوش العدو وخطوط مواصلاته فى سيناء فحسب بل ألقى على اسرائيل ذاتها الآلاف من القنابل المدمرة الهادمة والحصارقة ، ولم تسلم مدينة أو قرية فى اسرائيل منها . وخاصة الأهداف والمطارات العسكرية حتى ان السلاح الجوى حطم ما يقرب من ثلث سلاح الطيران الاسرائيلى فى مدى يومين ، أى فى يومى ٣٠ و ٣١ أكتوبر سنة

١٩٥٦ وكانت الغلبة للسلاح الجوى فى كل معركة اشترك فيها مع قوات اسرائيل ، ولم يذق نصور مصر الأبطال خلال هذين اليومين . أى طعم للنوم أو الراحة » وكان الطيار المصرى ينزل من طائرته ليركب طائرة أخرى مجهزة للقتال دون أية راحة (١) ولم ينسحب سلاح الطيران من المعركة الا بعد أن انكشفت خطة العدوان وبدأت فرنسا وانجلترا فى هجومها الغادر على مصر .

وعندما وضعت الرغبة المبيتة للقضاء على الجيش المصرى قامت القيادة المصرية بسحب جيوشها من سيناء سالمة . وأنشأت على وجه السرعة مطارا جديدا بجوار قليوب فى الطريق الزراعى بين مصر والاسكندرية وجعلته قاعدة لسلاحها الجوى عوضا عن المطارات العسكرية الأخرى التى كان يعرفها الانجليزى جيدا وكان المصريون يتوقعون مهاجمة الأعداء لها .

وقلت جميع الطائرات الى المطار السرى الجديد . وقامت القيادة بعد ذلك بصنع الكثير من هياكل الطائرات الخشبية وتركبتها معروضة فى المطارات القديمة المعروفة وعندما أغارت طائرات الأعداء على مدن القنال والقاهرة كانت المطارات الحربية ضمن الأهداف الهامة التى وضعوها نصب أعينهم فضربوها ضربا محكما وخاصة عندما رأوا الهياكل الخشبية بأرض المطار .

ولما تم لهم تدميرها اعتقدوا خطأ بأنهم قضوا على قوة السلاح الجوى المصرى الرهيب الذى شكت من قوته اسرائيل لحليفتها ، وكان من أثر هذه الشكوى أن مدتها فرنسا بقوة من السلاح الجوى الفرنسى قوامها سبع وتسعون طائرة من طراز ميسير ، ويكفى أن نستشهد على قوة السلاح الجوى المصرى بأقوال كبار المسئولين فى اسرائيل فيقول شمعون يونس مدير عام وزارة الدفاع الصهيونى فى ١٧/١١/١٩٥٦ بأن معركة سيناء برهنت على ان اسرائيل ينقصها سلاح جوى وينقصها قواعد جوية وشبكات رادار وبدون ذلك لا يستطيع أن يتوازن مع السلاح الجوى المصرى .

كما قرر مصدر آخر بأن غارات الطائرات المصرية على مطار رافات دافيد

---

(١) من حديث لقائد الجيش .

قد أحدثت أضرارا بالغة بالمطار وشبت حرائق كبيرة ودمرت عددا كبيرا من الطائرات ، وقد نقل عدد من الطائرات المحطمة الى ميناء حيفا على ظهر إحدى القطارات وكانت عربات القطار مغطاه بالمشعات .

كما أذيع في تل أبيب في ١١/١١/١٩٥٦ البيان الرسمي التالي ..

( استطاع الطيران المصري أن يعرقل مواصلاتنا في اليومين الأولين قبل تدخل طيران الحلفاء واتنا لو لم تتفاهم مع بعض الدول التي لها مصلحة في تدمير قوة مصر لما استطعنا ان تنجو من مخالب القوة المصرية ) .

هذه هي نصريحات كبار المسئولين في اسرائيل عن قوة السلاح الجوي المصري وهي أكبر دليل على ما قام به هذا السلاح من أعمال مجيدة .

### الكفاح الشعبى فى بورسعيد :

بعد أن قامت القيادة العامة للجيش المصرى بسحب جنودها من سيناء ونجحت فى إعادة قواتها الى مصر سالمة - مدت قناة السويس فى يوم ١٩٥٦/١١/٣ وقفلتها بأن أغرقت خمس سفن عند مدخل القناة ببور سعيد وبذلك استحال على البوارج ، والمدمرات المعتدية من استعمالها للوصول الى الاسماعيلية واحتلال منطقة القناة طبقا للخطة التى وضعوها ولم تقع البيادة المصرية فى الخطأ الذى وقع فيه عربى سنة ١٨٨٢ اعتمادا على وعد دليبيس الذى أعطاه لعربى بعدم السماح لانجلترا باسئعمال القناة وقد أحجم عربى عن ففل القناة لثلا يغضب الدول الغربية .

وكان من جراء هذا الخطأ هزيمة مصر . ولكن قيادة الجيش المصرى فى سنة ١٩٥٦ لم تتردد فى اغلاق القناة - ولم تقع فيما وقع فيه عربى من قبل .

ثم تفرغت مصر بعد ذلك للكفاح الشعبى ووزعت على الشباب ما يزيد على خمسمائة ألف بندقية وبدأ ضباط الجيش فى تدريبهم على حرب العصابات واستعمال القنابل اليدوية استعدادا لحرب طويلة الأمة يخوض غمارها كل فرد من أفراد الشعب فى المدن والقرى ، وفى الشوارع ، والأزفة

وليصبح كل بيت قلعة صغيرة ، تحمل بين جدرانها الموت ، والهلاك للمعتدين وأصدر جمال عبد الناصر بيانه المشهور للشعب فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٦ وقال فيه : ( سنقاتل أيها المواطنون قوى الظلم التى تريد انتهاك حريتنا ، وسنقاتل أيها الاخوة فى سبيل حرية مصر ، وفى سبيل حرية الشعب المصرى . لقد صدرت الأوامر بتوزيع السلاح وعندنا منه الكثير سنقاتل فى معركة مريرة ، سنقاتل فى المعركة من قرية الى قرية ، ومن مكان الى مكان ) .

ومن أجل تحقيق فكرة اشراك الشعب فى الكفاح وتنظيمه يقول كمال رفعت — وكان قد عين رئيسا لفرق المقاومة فى منطقة القنال : « وبدأنا تفكر هل نلقى العبء على القوات المسلحة فقط — مما لا شك فيه أن القوات المسلحة يجب أن تلعب الدور الرئيسى فى المعركة المقبلة ولكن يجب أيضا أن نشرك الشعب معها فى المقاومة وبدأنا ننظم المقاومة بمنطقة القناة أولا ثم اتجهنا الى تنظيم المقاومة فى البلاد المحيطة بها وفى فترة قصيرة جدا كانت كل قرية وكل شارع فى مصر يعرف دوره فى المعركة المقبلة وأعدنا فرقا خاصة مهمتها تخريب كل شىء أمام قوات العدو وأعدنا فرقا لنسف الطرق وأخرى لنسف السكك الحديدية وفرقا لنسف المعسكرات وهكذا وعندما بدأ العدوان لم نضع وقتنا وكانت القوات المسلحة تعرف دورها ومكانها وكانت فرق المقاومة تعرف مكانها ودورها كذلك » .

## الفدائيون يعملون عملية داخل اسرائيل

وروى فى تكوين الفدائيين أن يكون شاملا لبعض فرق الصاعقة من القوات المسلحة بعد أن يخلعوا عنهم زيهم العسكرى ، ومن بعض الوطنيين من أفراد الشعب المدربين وتكونت منهم خمس تشكيلات سرية وبدأوا فى العمل وقد افتحوه بعملية على جانب كبير من الخطورة واتسمت بالجرأة الخارقة ، ذلك أنه فى يوم ٣١ أكتوبر سنة ١٩٥٦ تسلس بعض الفدائيين الى داخل اسرائيل وكان هدفهم نسف مطار اللد بما فيه من طائرات بعد ورود الكثير منها من فرنسا وكانت المعلومات التى لدى القيادة العامة

للجيش المصرى تفيد بأن طائرات المستير الفرنسية التى زود بها جيش اسرائيل بلغت حوالى مائة طائرة وصل منها النصف على الأقل قبل نهاية شهر أكتوبر . وعندما وصل القذائيون الى المطار تحققت معلومات القيادة ، ورأوا الكثير من الطائرات الفرنسية على أرضه ، ووفقا للخطة المدروسة التى رسمت فى القاهرة ، وضع القذائيون المواد المنفجرة فى جهات متفرقة من المطار ونسفوه بما كان عليه من طائرات ، وظلت الانفجارات تدوى وتسمع من بعد حتى عاد الأبطال الى داخل الحدود بعد أن قاموا بعمل من أجل الأعمال الوطنية وأكثرها شجاعة وجراحة .

### عمليات القذائيين ببورسعيد :

أما المقاومة بمنطقة القنال فعلى الرغم من صعوبة الاتصال ببورسعيد نظرا للحصار الشديد الذى فرضته القوات المعادية على منطقة القنال بأسرها حتى أصبح الاتصال بمدينة بورسعيد بالذات غير ميسر على الإطلاق ، إلا أن رئاسة قوات المقاومة تمكنت من الوصول الى بورسعيد ونجحت فى مد الوطنيين بالأسلحة والذخيرة والقنابل وبعض الأجهزة اللاسلكية اللازمة لضمان بقاء الاتصال بين فرق المقاومة والقيادة العامة بالقاهرة ، وتسلم أفراد التشكيلات الخمس السرية التى تكونت ببورسعيد هذه المهمات وباشرت عملها وظلت تقاوم مع الشعب قوات العدوان ثمانية وأربعين يوما بحساسة بالغة دون راحة أو هوادة .

وعلىنا أن نعود بالذاكرة الى أيام العدوان لتتبع سيره ساعة بساعة . وكيف قاومه الشعب فى الطرقات والأزقة والبيوت ولم يمكنه من التقدم خطوة واحدة .

ففى فجر يوم ٥ نوفمبر سنة ٥٦ قامت القوات المعتدية بضرب بورسعيد ضربا شديدا واستعملت صواريخ النابالم الحارقة وركزت طائرات العدو الضرب على ثلاث مناطق وهى حى الجميل والرسوة وبور فؤاد وظلت تقصفها بالقنابل مدة ساعتين وعندئذ تأكدت قوات المقاومة أن العدو فى سبيل انزال جنوده فى هذه المناطق الثلاث فذهبت اليها ومعها جموع

خفيرة من الشعب حملت ما تستطيع حمله من البنادق والقنابل حتى الخناجر والعصى والهراوات ، وأما جماعات النساء والأطفال والشيوخ فقد توجهت الى بحيرة المنزلة حيث استقلت القوارب متجهة الى الجنوب ، ومع ذلك فقد تتبعها الطائرات الانجليزية والفرنسية وضربت باللقنابل وبرصاص مدافع الرشاشة فأغرقت الكثير من القوارب وقتلت العديد من الشيوخ والأطفال والنساء بصورة وحشية لم يسبق لها مثيل .

أما أفراد الشعب وقوات المقاومة فقد كمنت في الأماكن الثلاثة السابقة وتمكنت من إبادة الجنود الهابطين من الجو عندما نزلوا بمنطقة الجبانة بين مطار الجيل وبور سعيد إبادة كاملة وكان عددهم ٢٥٠ ضابطا وجنديا وأذهلت هذه المقاومة قوات العدوان فلجأوا الى خدعة طالما مارسوها في الحروب بأن أسقطوا بعض الدمى والهاكل في منطقة كوبرى الرسوة فاتجه نحوها الأهالي وفرق المقاومة بكامل معداتهم واطلقوا عليها الرصاص ولكن رجال المقاومة اشتبكوا معهم وكادت قوات المقاومة تقضى على هذا الفوج لولا أن العدو تمكن من إسقاط فوج آخر بمنطقة الجيل كما أنزل الفرنسيون مجموعة ثالثة قرب منشآت المياه جنوب بورسعيد ثم انزلوا دفعة أخرى بمنطقة بورفؤاد والتحت قوات العدو مع قوات الشعب التي كانت تحارب في أكثر من موقع وتعرض لرصاص الطائرات التي كانت تهبط حتى تصبح في مستوى الأرض تقريبا ثم تفتح على الوطنيين فوهات مدافع الرشاشة فتحصد منهم المئات ، ومع ذلك فقد ظلت قوات الشعب تقاوم المعتدين منذ الساعة السادسة صباحا حتى ساعة متأخرة من ليلة ١١/٥ وتمكنت هذه الجموع على الرغم مما تكبدته من خسائر في الأرواح من محاصرة القوات المعتدية في الأماكن التي نزلت بها بالرسوة والجيل وبور فؤاد ومنعتها من الاتصال ببعضها أو التقدم خطوة واحدة نحو المدينة في الوقت الذي ادعت فيه الوزارة البريطانية أن المدينة قد استسلمت ، وأن ايدن أمر بوقف إطلاق النار حتى يتم الاتفاق على التسليم وأذاع ايدن في مجلس العموم في مساء يوم ٥ نوفمبر هذه الأنباء الكاذبة فقال : ( ان حاكم بورسعيد وقائدها



العسكري يجرى الآن محادثات شروط التسليم مع الزعيم بتلر وقد صدرت الأوامر بوقف إطلاق النار .

ويقول ونستون تشرشل الابن : ( وقد تراسى لهم - أى للقوات المعتدية - فى تلك اللحظة من الحراسة العارمة أن جمال عبد الناصر ، وليس حاكم بورسعيد ، هو الذى استسلم . ولكن الصحيح هو أن أوامر وقف إطلاق النار كانت محلية ، وحتى هذه لم يطل أمدها ، اذ بينما كان الحاكم المصرى يتقدم لاجراء مفاوضات للتسليم مع القادة البريطانيين ، والفرنسيين صدرت أوامر جديدة للقوات المصرية ، بمتابعة القتال حتى لو دمرت بورسعيد بأسرها اذا كان لابد من ذلك ، واستؤنف القتال فى الساعة الثامنة والنصف من مساء ذلك اليوم ، ولأول مرة كان قاسيا مريرا ، فقد أخذت السيارات التى تحمل مكبرات الصوت تطوف شوارع بورسعيد وتصبح بأعلى صوتها « طائرات الميج الروسية ستصل حالا ، الصواريخ الذرية الروسية دمرت لندن وباريس ، اشتعلت الحرب العالمية الثالثة ، ووزعت الأسلحة فى بورسعيد على المدنيين ، واتضح للحليفتين انجلترا وفرنسا أن القتال فى شوارع بورسعيد الضيقة سيستغرق وقتا طويلا وان الخطط المعدة لانزال الجنود من البحر فى اليوم التالى ستتعطل كما أن المدافع الروسية الجديدة المضادة للدبابات كانت تشكل خطرا كبيرا على القوات الانجليزية والفرنسية . وقد أدى استبسال مدينة بورسعيد وعدم استسلامها الى احراج الحكومة البريطانية امام المعارضة مما دفعها الى الادلاء ببيانات كاذبة ، وقد بلغ السخط بنواب المعارضة أن وقف انورين ييفان بصيحه فى المجلس : « ألا تتوى الحكومة أن تكف عن كذبها أمام المجلس ؟! » .

## المدينة الباسلة :

وظلت جموع الشعب تحاصر القوات المعادية طوال الليل ، وفى الساعة الرابعة والنصف من صباح اليوم يوم ٦ نوفمبر عاودت الطائرات المعادية ضرب المدينة والمناطق الساحلية بصورة أشد ، بينما كانت البوارج والمدمرات تهصف المدينة الباسلة بقنابل مدافعها ، وقدر العسكريون عدد الغارات

الجوية على المدينة بما يقرب من ثمانمائة غارة جوية ، كما قدروا القطع البحرية ، التي اشتركت في الغزو بضعف القطع التي اشتركت في انسحاب الانجليز من دنكرك أثناء هزيمتهم أمام قوات هتلر .

ومن أثر هذا الضرب المتواصل كثرت الحرائق في أنحاء المدينة وانهارت العمارات والمساكن على من فيها ، وأصبح حي العرب بأكمله أطلالا يتصاعد منه سحب الدخان والأتربة مصحوبة بأنين الأطفال وولولة النساء الذين سالت دماؤهم في الشوارع والأزقة ، واختلطت أشلاء القتلى بأقاض المباني المتهدمة بصورة تقشعر لها الأبدان .

وبينما كانت المدينة الباسلة تجاهد هذا الجحيم كان الأسطول البريطاني والفرنسي يقتربان منها وعلى الرصيف الذي أقيم عليه تمثال دليسيبس نزلت « البعابع » والصنادل تحمل الجنود والمدافع والمصفحات والدبابات واشتركت على الفور مع باقى القوات المعادية فى مقاتلة جموع الشعب وقوات المقاومة التى تصدت لها ولم تتقهقر أو تجبن أمام هذه القوات المعادية العاتية والتحمت معها فى قتال دموى رهيب استمر طيلة اليوم دون هوادة واستشهد المئات من الوطنيين فى هذه المعركة الخالدة ومع ذلك فلم يتمكن المعتدون من احتلال المدينة لأن الوطنيين كانوا واقفين لهم بالمرصاد ردون الحديد بالحديد ويقابلون النار بالنار ، وعندئذ لجأوا الى الخديعة وسيلتهم الخالدة التى يلجأون اليها كلما حاقت بهم الهزيمة أو عندما تتأزم الأمور .

## الخديعة :

كانت القوات المعادية الهابطة من الجو محاصرة فى بورفواد وفى مطار الجيل والجبانة والرسوة ، وتمكنت فرقة جنود المظلات الفرنسية أن تستولى على وادى المياه جنوب بورسعيد ، وبذلك سيطرت على المورد الوحيد بالمدينة للشرب ، وهددت بقطع المياه عن الأهالى ان لم يستسلموا ولكن الأهالى رفضوا الاستسلام وظلت قوات المقاومة تحيط بهم وتحاصرهم ولكن الأهالى وقفوا بالمرصاد للقوات التى نزلت من الأسطولين الفرنسى

والبريطاني وفابلوا الجنود والدبابات والطائرات المعتدية بالمدافع والرصاص مما كبدتهم خسائر فادحة وأوقعهم فى حيرة بعد أن أذهلتهم هذه المقاومة الرائعة من شعب أعزل ، وتخبطت قيادتهم وتفتقت قريحتهم العسكرية عن وسيلة يخرجون بها من هذا المأزق المخزى المتخاذل ، وكانت خديعة دنيئة فبينما كان الموقف كما ذكرت اذ بالأهالى يشاهدون بعض الدبابات تتجه نحو المدينة وقد رفعت عليها أعلام مصرية وأخرى روسية ، فترك الوطنيون مواقعهم واتجهوا اليها مهللين فرحين بعد أن ظنوا وتيقنوا أنها دبابات دولة خليفة أتت لنجدتهم ، وأن الروس الذين هددوا بضرب الدولتين المعتدين قد نفذوا وعيدهم بالفعل ، وما ظهور هذه الدبابات الا بوادى لهذه المساعدة التى وعدوا بها شعب مصر . وما كادت الجموع الشعبية تقترب من هذه الدبابات التى كانت تسد شارع محمد على وتلتف حولها مرحبة ومهلهة حتى فتحت عليهم أفواه مدافعها فحصدتهم حصدا ..! وسارت فوق أجسادهم فمزقتها تمزيقا ، وأنزلوا جام غضبهم على من قابلوه من الأهالى حتى الأطفال والنساء والشيخوخ لم يسلموا من انتقامهم ! ودخلت دبابات العدو حى العرب ومن خلفها جنود المشاة من الجيش ولكنهم لم يجدوا بيتا واحدا سليما فى الحى يحتمون به فقد تهدم عن آخره واستحال الى أنقاض وأشلاء وغبار ودخان ، تعذر على رجال الاسعاف القيام بواجبهم من كثرة الضحايا وتكدسهم فى الطرقات وتعرضت المدينة لخطر انتشار الأوبئة . وواجه الانجليز فوق ذلك الحرائق التى شبت فى كل مكان ، ووجدوا آثار أعمالهم الوحشية ماثلة أمامهم فى كل خطوة يخطونها ولكنهم لم يجدوا الشئ الوحيد الذى يبحثون عنه وهم رجال المقاومة الشعبية وكانوا يعلمون عن يقين أنهم جد قريبين وقد كانوا صادقين لأنهم ما كادوا يجاوزون حى العرب ( حيث كانت المنازل أقل دمارا ) حتى واجهتهم النيران من كل جانب ، من المنازل والمقاهى والشوارع ومن خلف الجدران ، وبدأت الاشتباكات الدامية من جديد وشعر المعتدون أن الشعب عازم على الاستمرار فى أعمال المقاومة ، من شارع الى شارع ، ومن زقاق الى زقاق ، وأن تقدمهم سيكلفهم ثمنا غاليا ففى كل خطوة كان يسقط جنود وضباط ، حنى الأرض التى كانوا

يكسبونها بتقديمهم البطيء لا يتسلمونها الا وقد استحالت الى آقاظ ، وبعد أن يشيع فيها الخراب والدمار وتصبح مباءة للميكروبات ومصدرا للأمراض ولم يجد المعتدون من بد سوى البقاء فى الأماكن التى نزلوا فيها أول الأمر فى يورفؤاد ومنطقة الجليل والرسوة . فانسحوا اليها وإلى بعض المناطق الساحلية ليسنزحوا من أثر هذه المعارك الدامية وليتمكنوا من جمع ضحاياهم وتضبيب جراح من جرح منهم .

## العدوان يستمر :

فصت مدينة بورسعيد ليلة ٦ نوفمبر وهى جريحة حزينة بعد أن استشهد العدد الكثير من أبنائها المجاهدين وتهدمت المئات من المباني الجميلة ، ولكن رجال المقاومة الشعبية ظلوا ساهرين لا يغمض لهم جفن ، وانضم اليهم رجال الجيش بالمدينة وبعض رجال البوليس بعد أن خلعوا عنهم زهم الرسمى وانخرطوا ضمن الفرق الخمسة التى تكونت ونظمت لمقاومة العدوان وتحصنوا فى أماكن متفرقة من المدينة ، وانتظروا الخطوة التالية لجنود بريطانيا وفرنسا . وعلى الرغم من قرار وقف إطلاق النار الذى أصدرته الأمم المتحدة فى يوم ٢ نوفمبر وموافقة إنجلترا وفرنسا عليه يوم ٦ نوفمبر فإن الدولتين المعتديتين لم تنفذا هذا القرار ، وكانت أعمالهما تدل على تصييدهم على المضى فى العدوان ، فقد ظلت المعدات الحربية والجنود تتدفق على الساحل . وفى صباح يوم ٧ نوفمبر حاصرت الدبابات المناطق الآهلة بالمواطنين وبدأت فى ضربها ، واعتدى العدو على رجال البوليس وجمع منهم السلاح ، وقطع الفرنسيون المباءة عن المدينة ، وحرمت بورسعيد من النور كذلك بعد أن فصلت القوات المعتدية النار الكهربى عنها . وجمع الانجليز أجهزة الراديو التى كانوا يجدونها وحطموها لئلا يسمع شعب بورسعيد الأنباء والبيانات الحماسية ، التى كان بوجهها المسئولون اليهم ويحرمونه من أن يحيط علما بما كان يدور فى جمع أرجاء العالم من عطف ومؤازرة ولبخفوا عنه كذلك ما حاق بقوات العدوان من هزيمة وقتل ، ولم يكتف الانجليز بكل ذلك بل (الفوا القبض) على بعض المواطنين واستعملوا معهم أشد وسائل التعذيب وأقصى ضروب الوحشية .

## مثالان :

وأسوق مثالين من وسائل التعذيب التي اتبعها المعتدون مع الوطنيين لنرى مدى ما وصلت اليه المدنية الغربية من وحشية وهمجية لم تبلغهما أية دولة من دول العالم حتى في أحلك العصور :

حدث عندما وقع العدوان وقطوع الشباب للكفاح أن كان من بينهم جواد حسنى الطالب بكلية الحقوق الذى هب من فوره وفاد كتيبة الحرس الوطنى بكليته واتجه بها الى سيناء لمقابلة اليهود ، وعندما صدر أمر الانسحاب عادت الكتيبة لتتأهب للفرنسيين فى بور فؤاد وفى خلال هذه المعارك أصيب جواد برصاصة فى كتفه ، وعندما أحرق الفرنسيون بكتيبة كلية الحقوق ورأى جواد أن زملاءه سيقعون فى الأسر لا محالة طلب منهم الانسحاب وظل يقاوم الدورية الفرنسية بمفرده حتى نجح اخوانه فى الانسحاب ، وعندئذ قبض الفرنسيون على جواد حسنى ، وكانت الدماء تنزف منه بغزارة واستعملوا معه وسائل قاسية لكى يمدحهم بالمعلومات التى تقيدهم عن عدد القوات ومواقعها ، ولكنه رفض فى اباء وشمم ، فعادوا الى تعذيبه من جديد ولم يرحموا جرحه البالغ ، ولا الدماء التى كانت تسيل منه فتسلبه الحياة رويدا رويدا ، وسجنوه فى حجرة جرداء لا أثاث بها خالية من غطاء تتدثر به دون ماء يروى غليله أو طعام يقيم أوده ولم يجد جواد أمامه سوى الدماء التى كانت تسيل غزيرة على أرض الحجرة ، فاستعملها كممداد فسطر به على جدرانها ما قامت به كتيبته من أعمال وطنية وعبر عن بعض ما كان يعتل فى صدره وهو يلقى الموت من شعور وطنى ، كان يضطرم به قلبه من حب كبير لبلاده ودخل عليه الفرنسيون بعد ذلك يستجوبونه للمرة الأخيرة ولكنه كان يصارع سكرات الموت فأطلقوا عليه الرصاص وسقط جواد فى وسط الحجرة حيث كانت هناك بحيرة صغيرة من الدماء دماء الشهيد البطل جواد حسنى .

هذه كانت احدى جرائم الفرنسيين ، أما الانجليز فقد بزوا حلفاءهم فى الوحشية والاجرام ، فالنمط الثانى من جرائم المعتدين حدث عندما

كان الوطنيون يقاومون قوات العدوان بمنطقة الجميل وفي خلال المعارك التي دارت في ذلك الوقت تمكن الانجليز من أسر الوطني محمد مهران عثمان وظلوا يعذبونه طوال الليل بعد أن أوثقوه بجوار تبة مسلحة بمنطقة الجميل وفي الصباح ، شرعوا يحققون معه بوسائلهم الوحشية المعتادة ، وحاولوا بشتى الطرق أن يحصلوا على البيانات التي يطلبونها منه ولكنه رفض فاستعملوا معه القسوة مرة ثانية ومنعوا عنه الطعام والشراب وعذبوه تعذيباً شديداً حتى انهارت قواه وتهالك على نفسه ولم تعد قدماء تتحملان جسمه الواهن وعندئذ حملته طائرة حربية سافرت به الى قبرص ، وهناك أقدم الانجليز على أبشع جريمة يمكن أن تقترب في حياة البشرية ، فقد رأى الانجليز أن أحسن وسيلة للانتقام من محمد مهران هو فقء عينيه (١) ، فتوجهوا به الى إحدى المستشفيات وفي حجرة العمليات أجرى الأطباء الانجليز العملية الاجرامية ، فنزعوا عنه عينيه الاثنتين ! وحرموه من نعمة النظر ! وحكموا عليه بالعمى مدى الحياة ! ولم يكن محمد مهران يعلم بما ارتكبه الانجليز ، وعندما أفاق وجد أن عينيه معصوبين فاعتقد أنهما مكدودتان ولم يعلم بالكارثة الا عقب عودته الى مصر ، فقد أرجعه الانجليز اليها ليكون عبرة للوطنيين .. حسب اعتقادهم !!

هذان مثالان سردتهما على سبيل المثال استخلصتهما من سجل الدولتين المعتديتين كدليلين حيين على ما كان يقوم به المعتدون من وحشية ضد الوطنيين في بورسعيد أحدهما من فرنسا والآخر من انجلترا . ولكنهما في الوقت نفسه مثالان من الكفاح المجيد الذي قام به أبناء شعب بورسعيد أثناء العدوان الغادر ..

## تنظيم المقاومة :

ولم تكن لهذه الأعمال الوحشية أي أثر على روح الوطنيين الذين استمروا في الكفاح وقد بدأت المقاومة الشعبية تأخذ شكلاً آخر منذ يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦ فقد ترك الجنود والضباط المصريون وحداتهم بالجيش

---

(١) وقد أنعم عليه السيد الرئيس برتبة الملازم في الجيش بعد ذلك تقديراً له .

وانخرطوا مع الوطنيين ووزع العمل عليهم وحملت التشكيلات الخمسة السرية عبء الدفاع عن المدينة ومقاومة المعتدين بما في ذلك اقتناص جنود العدوان والقضاء القنابل على سياراتهم ودباباتهم كلما حاولوا اقتحام المدينة أو السير في شوارعها . وىروى كمال رفعت بإيجاز بعض الأعمال التى قام بها الوطنيون فى بورسعيد فىقول : « فى داخل بورسعيد كنا نعتمد الى جانب قوات المقاومة على خمسة تشكيلات سرية - كانت أعمالها تفقد القوات المعادية صوابها وهذا هو تقرير أعمال هذه التشكيلات ، فى يوم ١٦ نوفمبر أطلق التشكيل رقم ٢ النار على القوات البريطانية فى شارعى صفية زغلول ومحمد على ، وفى يوم ١١/٧ كان عمل التشكيل رقم ٢ منصبا على القوات الموجودة فى شارع السلطان حسين وفى يوم ١١/٢٧ قضى التشكيل رقم ١ على دورية بريطانية بأكملها فى شارع رقم ١٠٠ وفى يوم ١٢/٧ قام التشكيل رقم ٣ بنسف سيارتين بريطانيتين وقتل عدة جنود فى شارعى كسرى ودمهور ، وفى نفس اليوم قام التشكيل رقم ٤ بتخليص كمية من الذخيرة المرسلة الى قوات المقاومة وقعت فى يد العدو وفى يوم ١٢/١٠ نسف التشكيل رقم ١ سيارتى جيب وسيارة مدرعة وفى نفس اليوم ألقى التشكيل رقم ٤ زجاجات مولوتوف على ثلاث طائرات كانت ترابط بمطار الجميل وأفسدتها تماما . وفى يوم ١٢/١١ قام التشكيل رقم ٤ بمهاجمة دورية بريطانية فى شارع المناخ وفى نفس اليوم خطف التشكيل الضابط انطونى مورهاوس . وفى يوم ١٢-١٢ قام التشكيل رقم ٥ بنسف سيارتين بريطانيتين وبعد ذلك قام بمهاجمة دورية بريطانية وقام التشكيل رقم ٢ وفى نفس اليوم بنسف سيارة مصفحة ومهاجمة دورية بريطانية فى شارع نبيه ، وفى نفس اليوم قام التشكيل رقم ٤ بالقضاء القنابل على معسكر العدو فى المدرسة اليونانية - وفى يوم ١٢-١٣ قتل التشكيل رقم ٢ جنديا بريطانيا فى تفتيش الجمر - وفى يوم ١٢-١٤ قام التشكيل رقم ٢ بالقضاء القنابل على سيارة ميجور ويليامز ضابط المخابرات البريطانى ودمرت السيارة وفقد ويليامز إحدى ساقيه وفى نفس اليوم قام التشكيل رقم ١ بمهاجمة مركز تجمع الدبابات وفى نفس اليوم قام التشكيل رقم ٥ بمهاجمة

دورية بريطانية ، كانت تحاول انقاذ مركز تجمع الدبابات وفي نفس اليوم قام التشكيل رقم ٢ بمهاجمة دورية بريطانية مشاة خلف جامع توفيق ونسف سيارتين في شارع العرفانية ثم هاجم دورية بريطانية أخرى بجوار مخازن البوليس ثم هاجم دورية بريطانية قادمة من شارع كسرى . وفي يوم ١٥-١٢ نسف التشكيل رقم ١ سيارة فرنسية وفي نفس اليوم منع التشكيل رقم ٥ وصول أية نجدات الى القوات البريطانية المحصورة في المدرسة الواصفية واشتبك مع دورية بريطانية ، وفي اليوم نفسه قام التشكيل رقم ١ بالقضاء قنابل على جميع الدوريات البريطانية التي مرت في الشوارع من ١ - ١٠٠ وشارعى محمد على وسعد زغلول . ثم قام بنسف سيارة فرنسية حاولت اقتحام أحد المنازل وفي نفس اليوم قام التشكيل رقم ٢ بنسف سيارة فرنسية في شارع محمد على وأخرى بريطانية . وفي يوم ١٦-١٢ هاجم التشكيل رقم ٢ دورية بريطانية ونسف سيارة مدرعة في شارع محمد على واشتبك مع دورية بريطانية أخرى في شارع الثلاثين ، وفي يوم ١٧-١٢ انسحبت القوات البريطانية من مواقعها داخل الحي العربى وصدرت لنا الأوامر بإيقاف جميع العمليات وفي يوم ٢٤-١٢ قامت رئاسة التشكيلات السرية بنسف تمثال فرديناند دليسبس ، وكانت هذه هي آخر عملية تقوم بها « . على ان العمليات التي قام بها الوطنيون تحتاج الى شيء من التفصيل . هي في واقع الأمر صفحة بيضاء من كفاحنا المجيد

## حجرة العمليات :

عند بدء الكفاح رأى الوطنيون أن يبحثوا عن مكان يجتمعون فيه لدراسة شئونهم وتدير عملياتهم على أن يكون بمنأى عن أى شبهة أو مظنة عن عيون العدو التي كانت تراقب تحركات الوطنيين في كل مكان . وقد استقر الرأي على أن يتخذوا من حجرة ضابط المباحث الكائنة بالدور العلوى لمبنى البوليس مكانا لإدارة عمليات المقاومة ، وفي هذه الحجرة كان الوطنيون يجتمعون برجال الصاعقة وضباط البوليس ، يصدرون الأوامر والتعليمات



ويدرون معارك المقاومة التي استمرت ٤٨ يوما ذاق العدو خلالها طعم الهزيمة مرارا واستحالت حياته الى ما يشبه الجحيم .

وكان يخرج من هذه الحجرة كذلك المنشورات التي وجهها رجال المقاومة الى جنود العدو باللغتين الفرنسية والانجليزية والى أهالي بورسعيد لتشجيعهم وحثهم على النضال ، وكان الوطنيون يكتبون صور المنشورات والرسوم الهزلية ثم يرسلونها الى مطبعتى مخلوف والمغربى ومن هناك يتسلمها من يقوم بتوزيعها من الوطنيين فى شتى الأقطاء .

ومن الرسوم « الكاريكاتورية » التي نشرت فى تلك الأيام صورة تجمع ايدن وموليه وبين غوريون وقد رسم موليه الرئيس الفرنسى فى صورة معزة وبن غوريون فى شكل كلب وايدن فى هيئة حاو يداعبهما . وصورة أخرى لايدن فى هيئة حمار وجمال عبد الناصر يمتطيه وقد ذاع هذين الرسمين ذيوغا كبيرا مما كان يضايق جنود العدو ويشير حفيظتهم ، بل ان الوطنيين لم يتركوا كلبا بالمدينة الا ورسموا عليه وجه ايدن أو حمارا الا وقد طبعوا عليه صورة موليه ولم تجد قوات العدوان وسيلة سوى ضرب هذه الحيوانات البريئة بالنار كلما وقع نظرهم عليها .

ومن المنشورات الطريفة هذا الزجل :

فولوا لايدن فين أعصابك	ياللى جنيت ع الدولة الداخنة
قولوا لايدن ايه كان صابك	تعمل فيها العملة البايخنة
جيت تتحدى وتتحدى	وبالعاهرة الفاجرة فرنسا
جاتكم خيبة ، جاتكم نايسة ،	جاتكم حوسة ، جاتكم واكسة

وأما أول منشور وجهه الوطنيون الى الأهالى فكان عتب ضرب المدينة بالقنابل ونصه كما يلى :

ايها المواطنون ... ان الخراب والتحطيم والحرائق التي حلت ببورسعيد هي ثمن الحرية والكرامة والشرف ، لا تلقوا السلاح وحافظوا

عليه ، ومن الآن فلنقاوم العدو مقاومة سرية ، ولينضم كل منكم الى حركة المقاومة السرية ولا تتركوا مدينتكم نهبا للأعداء .

« حافظوا على القسم الذى أقسمتموه والى المعركة فلا تزال أسلحتنا قوية وحيويتنا وقوانا متماسكة احذروا الشائعات والنصر لنا . هـ - ت . وهذا التوقيع هو مختصر هاتا شاما - أحد المجموعات السرية بيورسعيد .

والمنشور الثانى يقول : « أيها المواطنون .

« ان العدو لن يستطيع التقدم خطوة واحدة خارج بورسعيد فلنقاتله ولنؤرق مضجعه لن تعاون معه ولنحافظ على شرفنا واستقلالنا » .

وجاء بالمنشور الثالث :

« أيها المواطن اياك أن تلقى سلاحك ، اياك أن تخشى تهديدهم ، أو دورياتهم ، انهم أجبن من الجبن ، ارفع رأسك وسدد رصاصك واقتلهم حيث وجدتهم ، ابحث عن يتعاون معهم الى أن يحين الوقت للانتقام »  
« والنصر لنا . »

وكان الشعب يوزع المنشورات على المواطنين لتبصيرهم بالموقف الذى كانوا يجهلونه تماما نتيجة لعزل بورسعيد عن باقى المدن كما قام بطبع العديد من المنشورات باللغتين الانجليزية والفرنسية لتوزيعها داخل معسكرات العدو .

وأول منشور وجهته فرق المقاومة الى العدو كان به ( الى قوات بريطانيا وفرنسا المعتدية فى مصر اعلموا يقينا اننا هنا مستعدون للقائكم صامدون لعدوانكم وأنكم ستلاقون الموت فى كل خطوة تخطونها ، وفى كل دقيقة تمر عليكم هنا بيورسعيد .

والعجب أن قوات العدو كانت ترد على منشورات الوطنيين بمنشورات أخرى ساذجة منها على سبيل المثال المنشور التالى :

( يا أهالى بورسعيد أتم لستم بالاطفال الذين يضللكم الكذب ، وقد مضى عليكم زمن كنتم تعيشون فيه مع الانجليز والفرنسيين جنبا الى جنب فى سعادة ، ومهما يكن رأيكم فينا فأتم تعلمون علم اليقين بأننا لا نكذب ) .

وهكذا بدأت حركة المقاومة بالمنشورات ، ثم سرعان ما تطورت الى حرب عصابات منتظمة شملت جميع طوائف الشعب ، وساهم فيها كل فرد من أهالى بور سعيد حتى النساء والأطفال ، وخرجت من حجرة ضابط المباحث مشروعات المعارك المدروسة التى قام بها الوطنيون ضد قوات العدوان ونفذت بعزم وشجاعة فأوقفتها عند حدود المدينة ولم تمكنها من التقدم خطوة واحدة وكبدتها من الخسائر ما لم يكن يتصوره أحد من قادة العدوان .

وقد ذكر السيد كمال رفعت ذلك فيقول : « انه فى أثناء وجود قوات العدوان فى بورسعيد لجأنا الى حرب الأعصاب ، مثلاً كنا نوزع منشورات بصفة مستمرة باللغة الانجليزية والفرنسية على قوات العدوان ، تتضمن تهديدات دائمة لأفرادها ، وكنا نشيع اشاعات باستمرار عن عمليات هجوم على مناطق معينة ، وكنا نحدد عمليات النسف والتدمير وتنفذ ذلك فعلاً وكنا نرسل صور للعمليات البطولية التى قامت بها فرق المقاومة الى عائلات الجنود البريطانيين والفرنسيين فى فرنسا وانجلترا ليدركوا مدى الحالة السيئة التى يعيشها أبناؤها ، وكنا نستولى على الخطابات التى كانت ترسل لأفراد القوات ومنهم الى أهاليهم حتى تنقطع الصلة تماماً بينهم وكنا نلجأ الى (الدوبل ابجيت) أو العملاء المشتركين وذلك بتشغيل بعض أفراد فى نقل معلومات خاطئة الى قوات العدوان ، واذا سألتنى اليوم عن الأيام الحلوة التى عشناها منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ سأجيبك على الفور بأنها أيامنا فى فترة العدوان » .

هذه هى ذكريات كمال رفعت عن المقاومة الشعبية الرائعة ضد العدوان الثلاثى رواها لنا فى صدق ومنها يتضح ان المقاومة لم تقف يوماً واحداً ولم يهدأ أوارها لحظة منذ أن وطىء المعتدون بأقدامهم أرض بورسعيد حتى

قرروا أخيرا الانسحاب منها ، ومن حجرة ضابط المباحث أو من حجرة العمليات كما كانت تسمى ، قام الوطنيون بجلائل الأعمال التي ستظل خالدة على طول الزمن .

## ملاحم وطنية :

ان واجب الوفاء والتقدير يقضيان منا أن نقف قليلا عند بعض المواقع على الأقل ، لنذكر ونستذكر ونحيي أولئك الذين سقطوا في المعركة وضحوا بأرواحهم فداء لوطنهم وللآخرين . وفيما يلي بعض هذه الحوادث الخالدات .

## اختطاف مورهاوس :

كان من بين أفراد القوات المعتدية ضابط انجليزى يدعى مورهاوس يمت بصلة قرابة للأسرة المالكة فى بريطانيا - وتجرى فى دمائه كراهية شديدة للمصريين عامة وجمال عبد الناصر بصفة خاصة ، وكانت مهمته هى رفع وإزالة صور جمال من فوق جدران المنازل والعمارات ، ولكن الوطنيين سرعان ما كانوا يعيدون وضعها والصاقها من جديد .. وتكررت هذه العملية مرارا وتكرارا حتى قرر رجال المقاومة اختطافه وحددوا لذلك يوم ١١/١٢/١٩٥٦ ونظموا أنفسهم بأن كمن ستة منهم فى طريق مروره اليومى - اثنان للمراقبة وأربعة قبعوا فى سيارة سوداء يملكها أحدهم وعندما لاح لهم مورهاوس قادما فى سيارته الجيب اعترضوا طريقه وكانت السيارة السوداء تقف فى وسط الطريق . فتعجب من سوء النظام ولكن عجبه لم يدم طويلا ، اذ سرعان ما هبط الوطنيون منها واتزعوه من سيارته بالقوة ، وألقوه فى سيارتهم ، وكمموا ، وقيدوا يديه وقدميه ، وتوجهوا به الى المنزل الذى أعدوه خصيصا لذلك - وهو كائن بشارع عرابى خلف مدرسة الصنائع بحى العرب ببورسعيد . وأثناء سبرهم قابلتهم دورية انجليزية فاضطروا الى الدخول الى ثكنات فرق الأمن من الباب الخلفى وما لبثوا أن رأوا أنفسهم فى جراج فسيح ووجدوا أنه لاسيل الى قفل الضابط الا بوضعه فى صندوق محكم

ثم يعاد نقله على أنه متاع أو بضاعة لأحد ضباط البوليس . واستحضر الوطنيون الصندوق الكبير وأودعوا فيه الضابط المخطوف ونقلوه في سيارة بوليس الى منزل بشارع عرابي تمهيدا لارساله الى القاهرة أسيرا نظير من قبض الانجليز عليهم من الوطنيين ، والسن بالسن ، والعين بالعين ..

وخرجت الدوريات الانجليزية كالكلاب المسعورة تبحث عن الضابط في كل مكان وبدأت تفتش البيوت بيتا بيتا وشقة شقة ووضعت لذلك نظاما غاية في الدقة وهو أن كل بيت يفتش يشار اليه بعلامة ( بالطباشير ) وقد تدخل القدر ليقرر مصير الضابط البريطاني الذي خرجت القيادة للبحث عنه . فحدث بعد أن قامت الدورية التي فتشت البيت الذي يسبق البيت الذي سجن فيه الضابط المخطوف أن تلاقى مع دورية أخرى فتشت البيت الذي يليه ووقف ضابطا الدوريتان يتحدثان أمام المنزل الوحيد الذي لم يفتش وكان به الصندوق الذي يحوى جثمان الضابط مور . وفى أثناء ذلك مر الجندي الموكل اليه التأشير على المنازل التي فتشت فلما رأى الدوريتان واقفتان أمامه اعتقد خطأ بأنه فتش وقام بالتأشير عليه وهكذا قضت ارادة الله ولا راد لقضائه . فلا الانجليز تمكنوا من اتقاده ، ولا الوطنيين توصلوا اليه كما كانت تقضى خطتهم لكى يرسلوه الى مصر سالما كرهينة ثمينة .

وبعد ثلاثة أيام فتح الوطنيون الصندوق ليجدوا مورهاوس مختنقا به ولم يكن للوطنيين يد في موته وانما جاء نتيجة الحصار الانجليزى للمنطقة وكأنهم بذلك الحصار قد حكموا عليه بالموت الذى لم يرده له الوطنيون أبدا ، كما أنه لم يدر فى خاطرهم اطلاقا عندما قبضوا عليه بادية الأمر .

## ضابط المخابرات :

كان من بين من جندتهم بريطانيا للتكيل بالوطنيين ضابط متحجر القلب هو جون ويليامز . وقد قضى جون وليامز هذا ٢٥ سنة بمصر أثناء وجود القوات البريطانية بها حتى تعلم اللغة العربية وأصبح يتحدث بها كأحد أبنائها ، وعندما فكر الانجليز فى العدوان استعانوا به لاجادته لغة البلاد ولمعرفته لمصر التى عاش بين ظهرانيها طوال حياته وكان يعمل كضابط فى

المخابرات البريطانية وهي وظيفة مرموقة وكانت مهمته تعقب الوطنيين والقبض عليهم وتقصى أخبارهم . ووجد رجال المقاومة في جون صيدا ثمينا ووضعت القيادة خطة لاغتياله واختاروا لتنفيذها الوطني السيد عسران . وعند التقاء شارع رمسيس بالنهضة كمن له السيد عسران وفي يده رغيف من الخبز بداخله قبلة مايلز ٣٦ مغلقة بعريضة تظلم مكتوبة باللغة الانجليزية . وعندما لاحت عربة جون وليامز أشار عسران لها بالوقوف ولكن السائق تخطأ ولكن وليامز أمر السائق بالرجوع الى حيث يقف عسران الذي شرح له تظلمه المزعوم وفي غمرة الحديث ترك عسران القبلة على وسادة العربة بعد أن جذب الفتيل منها فسقطت داخل العربة وشعر وليامز بحركة السقوط المريبة وتأكد بأن هناك مؤامرة لا تسك لاغتياله ، فأسرع بطلب النجاة ، وما كاد يفتح باب السيارة حتى انفجرت القبلة التي أطاحت بقدمه اليسرى وأصابت السائق وآخر باصابات قاتلة لم يتأكد عسران من تتيجتها لأنه كان في ذلك الوقت في بيته وبين أهله .

## معركة خالدة :

كان مركز تجمع الدبابات البريطانية في مكان الحرس الوطني بشارع ٢٣ يوليو أمام مبرة محمد علي ولطالما خرجت من هناك الدبابات لتهاجم الوطنيين وتعتدى على الأهالي وتصيب المباني أثناء سيرها وتجولها في شوارع المدينة وعزم الوطنيون على مهاجمة هذا المركز الحصين مهما كلفهم الأمر وكانت هذه المهمة تحتاج الى تضافر جميع الجهود وتأزر كل القوى ببورسعيد لأن قوات العدوان كانت قد منعت التجول بعد الساعة الخامسة واستثنت من ذلك عربات الاسعاف والمطافيء والبوليس ، ورأت قوات المقاومة الاستعانة بهذه العربات في نقل الأسلحة والصواريخ من مخابئها الى مكان المعركة ، وفي الوقت نفسه كان يتعين رصد فرقة أو أكثر لتقوم بمهاجمة الدوريات التي كان يطلقها العدو من وقت لآخر لستر واخفاء العملية الكبرى وهي ضرب مركز تجمع الدبابات .

-- وتنفذت الخطة بحذافيرها فنقل رجال المقاومة الأسلحة اللازمة من مخابئها في عربات البوليس بينما كان الوطنيون يشاغلون الدوريات الانجليزية في شوارع بورسعيد ، وقد وضع في الاعتبار أن رجال الصاعقة في الجيش هم الذين سيتولون ضرب الدبابات ، لأن هذه العملية تحتاج الى خبرات خاصة ، ولذلك وزيادة في الحرص وخشية اثاره الشبهات قيد بقسم المناخ ببورسعيد ٢٣ ضابطا وصف ضابط باعتبارهم مساجين وخرجوا من القسم بهذه الصفة ، وكان على رأسهم المرحوم الضابط نبيل الوقاد الذي استشهد في اليمن ، وطاهر الأسمر ، ومدحت الدريني ، وحسين مختار . وكان معهم كأدلة السيد | عبد النبي رشاد ، والسيد | البوص ، ومحسن عبد الخالق ، وشعبان عبده ، وعلى الاشكرايلى ، وكمال فتوح - وهم من المجموعة الأولى من رجال المقاومة السرية .

وكانت خطة رجال الصاعقة تتركز في أن يبدأوا في ضرب الدبابات في تمام الساعة الأولى من صباح يوم ١٥/١٢ ، على أن تكون هناك جماعة أخرى تقوم بهاجمة الدوريات الانجليزية في نفس الوقت الذي يبدأ فيه الهجوم على الدبابات وتنفيذا لنجاح هذه الخطة أعد الوطنيون كمينا لدورية بريطانية كانت قد اعتادت السير في هذا الوقت وتتكون من عربتين مصفحتين بأن علقوا شيكارة أسمنت في جبل بعرض الشارع الذي اعتادت أن تمر به الدورية وبيت الشيكارة والجبل في صورة جبل الغام ووزع الوطنيون أنفسهم على أن يتولى ثلاث منهم القاء القنابل اليدوية على أن تكون مهمة الآخرين اطلاق المدافع الرشاشة على رجال الدورية وجاءت الدورية البريطانية في الميعاد المحدد الى قضائها ، وعندما دخلت المنحنى في أول الشارع خفت من سرعتها ونظر سائق العربة الأولى الى الجبل المعلق في وسط الطريق وأشار محذرا فاعتقد الانجليز أنه جبل الغام فوقفت القافلة ونزل سائق السيارة الأولى ليفحصه ، وفي نفس اللحظة انطلقت القنابل واليران من كل ناحية ولم ينج أحد من الانجليز سوى السائق الذي هرب بجلده . وكان المكان المعد للقاء بعد تنفيذ هذه العملية أمام سينما مصر ولم يكذ يلتئم جمع رجال المقاومة حتى ظهرت أمامهم دورية بريطانية أخرى مكونة من سيارتين بهما عشرة

جنود وعلى حين غفلة ودون تفكير أو تدبير سابق اندفع من بين الوطنيين الجاويش رمضان عبد الرازق وهو من رجال الصاعقة وعندما وصل الى مكان الدورية ألقى عليها قبلتين ميلز ٣٦ احدهما على السيارة التي كانت على يسينه والأخرى على تلك التي كانت على يساره ، فقتل الانجليز العشرة الذين كانوا بهما (١) وسقط البطل شهيدا وسطهم - تمت هذه العملية في ثوان وأمام نظر باقى أفراد رجال المقاومة الذين عقدت الدهشة ألسنتهم من هول المفاجأة وللتضحية المثالية التي قام بها الجندى الشهيد .

وأما عملية الدبابات فقد تمت على الوجه التالى قام الملازم حسين مختار ومعه باقى رجال الصاعقة ومن أمامهم الأدلة الذين ذكرنا أسماؤهم وتوجهوا جميعا الى مكان العملية . وكانت المسافة بين قسم المناخ وهو مكان خروجهم الى مكان الدبابات ليست بالمسافة القصيرة كما أن الطريق مغطى بأثقاض المباني المتهدمة ، ولذلك لم تكن مهمة الوطنيين سهلة ميسرة - ولكنهم كانوا قد عقدوا العزم على تنفيذ هذه العملية مهما كانت العقبات وعندما اقتربوا من هدفهم وهو مركز تجمع الدبابات بدأوا فى تنظيم أنفسهم ، وكانوا ستة للضرب حملوا ثلاثة مدافع صاروخية من نوع بلانديست الخاصة بضرب الدبابات واقتربوا منها ووقفوا فى مواجهتها وعلى رأسهم الضابط حسين مختار بينما وقف باقى رجال المقاومة على قرب من الجماعة الأولى يحملون البنادق السريعة الطلقات والرشاشات لتغطية زملائهم اذا دعت الحالة أو تخرج الموقف ، كما انتشر حوالى اثنى عشر وطنيا فى الشوارع والطرق المحيطة بهذه المنطقة للدفاع عنهم اذا لزم الأمر ، وانتظر رجال الصاعقة أمر حسين مختار لهم بالضرب لأن السماء كانت ملبدة بالغيوم والمطر يتساقط مدرارا وما هى الا لحظة حتى انقشع الجو ولاح القمر من بين السحب ووضحت الدبابات للوطنيين ولاح لهم سائقها ورجال الحراسة ، وعندئذ صدر الأمر بالضرب فانطلقت المدافع تهز المدينة وتصيب الدبابات وما يحيط بها من ضباط وجنود وقد ثبت أن الوطنيين فجروا أربع دبابات استوريون وسيارتين مصفحتين كاتتا بالقرب منها وان لم يتأكدوا من عدد خسائر الانجليز فى

---

(١) صدر قرار بترقيته الى رتبة ضابط بالجيش



الأرواح ، وعلى أثر ذلك راح رصاص الانجليز يدوى فى كل مكان ولكن رجال المقاومة انسحبوا وعادوا جميعا سالمين الى قسم المناخ حيث كانوا ليسجنوا من جديد كما هو ثابت من دفاتر القسم ، ولم يكن يعتقد الانجليز أو بتصوروا أن هؤلاء المساجين هم الذين قاموا بهذه المعركة الخالدة من معارك بورسعيد العديدة .

## عيد القنابل :

أثناء معركة الدبابات كانت جميع فرق المقاومة فى بورسعيد تعمل ضد قوات العدوان . وكان التعاون وثيقا بين الجيش ممثلا فى رجال الصاعقة ورجال البوليس والاسعاف وبين أفراد الشعب ممثلا فى المجموعات التى كانت تعمل برئاسة كمال رفعت وقد ظلت عمليات المقاومة تعمل بصفة مستمرة قبل وبعد ضرب مركز تجمع الدبابات وكان دوى الرصاص والقنابل يسمع فى كل مكان حتى أن الأهالى ظنوا أن الجيش المصرى قد وصل الى بورسعيد لتحريرها ولمحاربة جنود العدوان . ففضلا عما قام به الوطنيون يوم ١١/١٥ وبيناه فى الفصل السابق فقد التحصوا مع الانجليز والفرنسيين فى عدة معارك أخرى فى هذا اليوم ، من تلك المعارك أنه لاحت للوطنيين عقب ضرب موقع الدبابات دورية انجليزية تقف خلف الجامع التوفيقى فى شارع صفية زغلول فآلقوا عليها بعض القنابل اليدوية وفتحوا عليها رصاص رشاشاتهم بعد أن كمنوا تحت البواكى المطلة على الجامع التوفيقى وقتلوا جميع أفراد هذه الدورية ولم ينبج منهم أحد وقد قام بهذا العمل بعض أفراد التشكيل رقم ٢ ومن أعضائه السيد بكر ، وحسين الطوبى ، وطلعت سالم ، وأحمد شوقى الحسينى وشاهين عبد العال ، والسيد محمد السرجانى ، ومحمد محمد العسال .

وفى شارع عرفات كمن بعض أفراد التشكيل رقم ٣ وهم محمد عليوه وسعد الاسكندرانى ومحمد الاسكندرانى وصبحى عليوه وعندما مرت بهم سيارتان مملوءتان بالجنود البريطانية ألقوا عليهما ثمان قنابل يدوية فقتلت الكثير منهم ثم توجه التشكيل السابق بعد ذلك الى مخازن البوليس وأثناء سيره قابلته دورية بريطانية أخرى فالتحم معها وهاجمها بالمدافع الرشاشة

وأحرق العربتين اللتين كانتا تنقلان جنود العدوان وبهذه المقاومة الرائعة الغنيمة تحولت بورسعيد في تلك الليلة الى جحيم كما تحولت الشوارع الى مقابر للدوريات البريطانية وتلوثت الأرض وجدران البيوت بدمائهم وأشلائهم . ولم ينم مواطن واحد في المدينة هذه الليلة ، اذ لم تهدأ الانفجارات لحظة واحدة ولم يكف صوت الرصاص طوال هذه الليلة من ليالى الشتاء الطويل وسيطر الأبطال على شوارع المدينة تماما وكانوا يتنقلون نحو البواكى كما يشاءون وكأنهم خيالات وكان عندما تتقابل مجموعة من الوطنيين مع أخرى ترتفع الأصوات بكلمة السر بصوت مدوى ويتردد الصدى في كل مكان بكلمة « جمال » واعتقد الناس بعد أن سمعوا الانفجارات وكلمة جمال تتردد صداها في أرجاء المدينة أن الجيش المصرى قد دخل المعركة هنا في بورسعيد .. ففتحوا الأبواب والنوافذ والشرفات فرحين مهللين ، بينما كان النساء يزغردن والهتافات تدوى مجلجلة ، في كل مكان ، وسمى الوطنيون هذا اليوم بعيد القنابل .

## دور المرأة في المعركة :

لم تقتصر أعمال المقاومة على الرجال والشباب فحسب ، بل كان للمرأة دور بطولى في كفاح قوات العدوان في بورسعيد ، ومنذ اللحظة الأولى للاعتداء ، والنساء يقمن بدورهن ويساهمن بنصيبهن في المعركة بهمة وشجاعة وكانت تتكون المجموعة النسائية من السيدات والآنسات زينب الكفراوى ، وزينب أبو زيد ، وأفكار العوادلى ، ونجدة عبد الغفار ، وليلى الفخار ، وسلوى الحسينى ، واعتماد عبد المحيى ، وأمينة محمد الغريب . وكن يقمن بتوزيع المنسورات التى كان يكتبها رجال المقاومة باللغتين الفرنسية والانجليزية فى الأماكن التى يحضر على الرجال الذهاب اليها ، كما كن يعالجن من يصاب من الوطنيين أو يضمدن جراحهم أو يقمن بشراء الأدوية كما عهد اليهن مهمة نقل الأسلحة من مكان الى آخر وهى مهمة خطيرة ووكل الى البعض الآخر باخفاء المواد المتفجرة وزجاجات المولوتوف فى بيوتهن فكن يؤدين هذه الأعمال عن رضا وطواعية وبهمة لا تنفذ وفى

ثبات وشجاعة يثيران الإعجاب وأدت المرأة واجبها في ثقة وإيمان وبجرأة وإقدام مما دفع بحركة المقاومة الى الأمام وساهمت مساهمة فعالة في نجاحها .

ومما قامت به هذه المجموعة على سبيل المثال أن رجال المقاومة عندما احتاجوا الى قتل بعض الأسلحة والذخيرة من المخبأ السرى بعزبة النحاس الى منزل عبد المنعم مختار بشارع رشيد ، وكانت المسافة بين هذين المكانين طويلة وخشى الوطنيون من وقوع هذه المعدات في يد قوات العدوان اذا نقلها رجال المقاومة وساروا بها هذه المسافة الطويلة لذلك لجأوا الى المجموعة النسائية ووقع الاختيار على احدها وهي الآنسة زينب الكفراوى التى تلوقت لأداء هذه المهمة الخطيرة وتوجهت مع رجال المقاومة الى المخبأ السرى وأخرجوا منه عشرة قنابل ميلز وأربع مدافع من طراز كارل جوستاف - لارسالها الى منزل شارع رشيد - حيث كان فى انتظارها رجال المقاومة وأخفى الوطنيون هذه الأسلحة فى عربة للأطفال تحت الفراش ثم أحضرت الفدائية ابن أختها الرضيع ووضعته فى العربة وأسدت عليه الستائر وسارت به وبحملها الخطير الى شارع رشيد ، وأمام مقهى الاتحاد قابلتها دورية مشاة بريطانية ، فأوقفتها وتقدم قائدها - وكان برتبة ضابط - وتحدث معها ، ثم سألها عن اسم الطفل فقالت له ان اسمه جمال ، فابتسم الضابط ببرود وقال لها بتهكم : هل هو قريب جمال عبد الناصر ؟ ودون أن يتلقى الرد مضى فى طريقه ، ومضت هى الأخرى الى وجهتها ، حى سلمت الأمانة الى أربابها ، وقد كانت هذه الفتاة أثناء مقابلتها للدورية الانجليزية ، وعندما كانت تتحدث مع الضابط الانجليزى ، مثال الثبات والجرأة مع ما كانت تتعرض له بين لحظة وأخرى الى أشد المخاطر التى قد تودى بحياتها وحياة الطفل الذى تحمله وكأنه زهرة يانعة فوق فوهة بركان .

وهناك مثل آخر لما قامت به المجموعة النسائية من أعمال جليلة خلال المعركة ، وهو تلك التضحية الكبيرة التى قامت بها السيدة - أمينة محمد الغريب - فقد قلب بأن تحوى بمنزلها بشارع سعد زغلول جهاز اللاسلكى الذى أدخله كمال رفعت بورسعيد لتيسير الاتصال بالقوات الرئيسية خارج المدينة . وكان من اليسير على القوات المعادبة بوسائلها الخاصة تحديد مكانه .

كما قبلت أن تأوى بمنزلها بعض ضباط الجيش الذين تحملوا عبء إدارة المعركة كالضابط الذى عهد اليه بتشغيل جهاز اللاسكى سيد غفرة ( سفيرنا الحالى فى بولندا ) وغيرهما — ولم يبد عليها أى تردد أو خوف فى أى لحظة من لحظات الكفاح — بل قبلت أن تتحمل هذه المسئولية الضخمة بما تحويه من أخطار جسام تتهددها هى وأولادها بصدر رحب ونفس راضية ، ولم يكن هذا العمل وحده الذى تحملته هذه السيدة الفاضلة وانما دفعت بأولادها الثلاثة الى جحيم المعركة وهم عبد المنعم ويحيى وهادى وقد قام عبد المنعم بنسف تمثال دليسبس ، كما اشترك يحيى فى دفن جثة مور هاوس بعد أن ظلت فى المنزل الذى وضعت به ثلاثة أيام .

ولا تنسى فى هذا المقام موقف السيدة المجاهدة انصاف دعدع التى دفعت بولديها الى المعركة وكانت تحثهما على الجهاد والنضال حتى استشهدا، وتحملت فجيعتها فيهما بصبر الكرماء ، ولهذين الشهيدين قصة نبيلة وحزينة فى آن ذلك أنه فى يوم ٦ نوفمبر عندما اشتلت غارات الطائرات المعادية وبدأ الاسطول الانجليزى والفرنسى فى قصف المدينة بالقنابل ، كان ولداها يسرى ووجدى بخيت المدرسان ببورسعيد ضمن من انخرطوا للدفاع عن المدينة ، وخرج كل واحد منهما وتحت ابطه مدفعه الرشاش ، وتركاهما الوحيدة بالمنزل — وأثناء تربصهما تحت البواكى شاهدا الطائرات تلقى البودرة الحارقة على المنطقة التى يقيمان بها — ورأيا النيران تلتهم المنازل الكائنة فى شوارع عيادى وعرفات وعباس ، وخشى يسرى على والدته من أن يصيبها مكروه فهب لا تقاذاها واقتحم منزله وحملها فوق ذراعه اليسرى بينما كان سلاحه لا يزال بيده اليمنى . وعند باب البيت كانت هناك رصاصة غادرة تنتظره لتصيب منه مقتلا . فسقط يسرى أمام والدته وتحت بصرها فنظرت اليه زائغة العينين ، وقد عقدت الدهشة لسانها وأذهلتها الفاجعة ، ولكنها تمالكت تم ركعت تحاول وقف النزيف الذى كان يسيل بغزارة من جراحه ، ولكن يد القدر كانت أسرع فلفظ أنفاسه بين أحضانها — وعندما شاهد شقيقه بخيت هذا المشهد أسرع نحو والدته لينقذها من الرصاص الغادر الذى كان يدوى فى كل ناحية وحاول جذبها بعيدا عن منطقة الخطر ، ولكن

رصاص العدو أصابه هو الآخر فى رأسه فسقط بجوار شقيقه مضرجا بدمائه  
والأم الشكلى تنقل الطرف بين ولديها الراقدين تحت قدميها فى ذهول وجزع.

عشرات من السيدات ساهمن فى المعركة وقدمن لبلدهن أجل الخدمات  
ولو أننى استقصيت كل ما قمن به من أعمال لاحتجت الى مجلد كبير ، وأذكر  
فيما يلى من سقط منهن فى المعركة أثناء قيامهن بأعمالهن الوطنية . وان كن  
سببقين خاليدات أبد الدهر ، وستظل ذكراهن باقية دائما فى قلوبنا ، وهن:  
فاطمة حسن قرش - نبويه ابراهيم عبد الله - عزيزة حسن الرجال - انصاف  
عبد الرحمن - فهمه عبد الرحمن الشاذلى - شفيقه أحمد زقزوق - فاطمة  
عبد الموجود محمد - وجنات على الصياد - صفيه السرجانى - فاطمة حسن  
سعد - وليفه محمد حسن - فاطمة أحمد زغلول - انصاف أحمد آدم -  
بهية محمد حسن - قدرية عبد اللطيف محمد - نقيسه محمود تويله - عزيزه  
محمد عطا الله - هانم داود نوبصر - حياة عبده بسام - فاطمة عباس ترك -  
عواطف داود - عواطف محمود موسى - وحيدة ابراهيم الفرارجى - بديعه  
عيوض عيد الامام - معزوزة السيد موسى - صيحه السيد الكشيش -  
زكية عبد العزيز محمد - زينب على الدياسطى - أمينه حسين - شوق  
محمد بكرى - ياسمين متولى حنفى - زينب حسن محمد - لطيفه مرسى -  
فريده محمد عبد الغنى - أمينة أحمد حسن - عائشة أحمد هلال - اعتماد  
عباس الطنطاوى - أنيسه عبد ربه - حنيفه حسب الله - أسمهان أحمد  
محمد - زنوبه عبده - عائشة العيسوى - زاهيه عبد الرازق جمعه - زينب  
حافظ مصطفى - صابحه البيومى ابراهيم - نقيسه أحمد سليمان - فوزيه  
فراج عبد الحافظ - نظيمه ابراهيم الحداد - وغيرهن كثيرات من النساء  
المجاهدات اللاتى استشهدن خلال المعركة وقدمن لبلدهن أجل الخدمات

## المجموعة اليونانية :

لم تقتصر أعمال المقاومة على المصريين وحدهم ، وانما رأى اليونانيون  
أن من حقهم على مصر التى أكرمت ضيافتهم وعاملتهم كما تعامل المصريين

سواء بسواء - أن يساهموا في الكفاح جنباً الى جنب مع أهل البلاد الأصليين ، وقد سبق أن بينا أن الكفاح ضد الانجليز استمر بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ولم يتوقف لحظة واحدة وتكونت في تلك الأثناء مجموعة تضم بعض اليونانيين الذين تطوعوا بدافع من شعورهم وبوحى من وجدانهم سميت بالمجموعة اليونانية وكان من أفرادها جورج قسطنطين والبالاكوس وبنايوتى مافروماتين وقاموا بالكثير من الأعمال المجيدة التى سيذكرها لهم الوطن على مدى الأيام . وقد التأم شمل هذه المجموعة عقب العدوان وساهموا فى الكفاح مع الوطنيين وأبلوا بلاء حسنا وقاموا بأمجد الأعمال .

ومن هذه الأعمال أن قوات العدو عندما اقتحمت المدينة يوم ٦ نوفمبر، وخرج الوطنيون ورجال المقاومة لملاقاتها ، كانت المجموعة اليونانية فى مقدمة المناضلين ، وحدث أن دفع الحماس بأحد الوطنيين - وهو الشهيد السيد/ عبد الله ابراهيم - بأن يخرج من تحت البواكى ، وهو المكان الذى كان يكمن فيه مع بعض أفراد رجال المقاومة ويندفع فجأة نحو الدبابات المتجهة فى شارع محمد على ، ودون أن ينتبه أحد ، ألقى على الدبابة الأولى - وكان يطل من فتحتها العلوية أحد الضباط البريطانيين - قنبلتين يدويتين من طراز ميلز ٣٦ فاتفجرتا فى الدبابة وعطلتها ، وقضت على من كان فيها ، وعندما شاهدت الدبابة الثانية تلك المحاولة الجريئة التى لم تكن فى الحسبان أطلقت الرصاص على البطل القدائى فسقط على الأرض مضرجا فى دمائه ، ثم تقدمت من الجثمان المسجى ومرت عليه فمزقته تمزيقا واختلطت أشلائه بقطع الحجارة وكادت لثقلها أن تدفن مابقى من جثمانه تحت الثرى . وقع ذلك أمام نظر رجال المقاومة المختبئين تحت البواكى فأطلقوا النار على هذه الدبابة التى مالبت أن جاوبتهم بالمثل وتبه الوطنيون الى أن البعض يطلق عليهم الرصاص من فوق المنازل الخلفية . وكان العدو قد أسقط عددا من جنود المظلات على أسطح بعض المنازل من الناحيتين الشرقية والغربية وبذلك حوصرت قوات المقاومة بين الدبابات الزاحفة من الأمام وبين جنود المظلات الهابطين من الجو من الخلف وبدأ للحظة أن الوطنيين أصبحوا محاصرين ، وأنه سيقضى عليهم لا محالة ، وهنا تقدم بنايوتى مافروماتيس ومعه مدفعه الرشاش وقال لزملائه

انه سيواجه جنود المظلات ( القناصة ) بمفرده ليتيح الفرصة لهم بالانسحاب، ولم ينتظر بنايوتى قرار الوطنيين ، وخرج على الفور من تحت البواكى واتجه ناحية منزلى فاقوسه ومحمد عباس حيث كان يربض القناصة الانجليز وفتح عليهم نيران مدفعه الرشاش فجندل بعضهم ، وعندئذ اتجهت اليه أنظار الآخرين وركزوا الضرب عليه فانهمر الرصاص من كل جانب على الفدائي الوحيد الذى ظهر لهم بغتة فى وسط الطريق كالعملاق وظل يحاربهم وحده وكأنه فرقة كاملة . وأخيرا سقط البطل شهيدا بعد أن ضحى بنفسه لينقذ الآخرين من زملائه الذين انسحبوا سالمين الى منزل عبد المنعم مختار بشارع رشيد . وبذلك قدم الفدائي بنايوتى مافروماتيس من أعضاء المجموعة اليونانية مثالا حيا آخر من أعمال البطولة التى كان يقوم بها الوطنيون فى بورسعيد .

## أبطال يافعة :

ولم تقتصر أعمال المقاومة على ما ذكرت آنفا انما كان لطلبة المدارس الصغار دور كذلك فى الكفاح ولم يمنعهم حداثة سنهم ، كما لم يرهبهم رصاص العدو من المشاركة فى المعركة ولطالما شاهد رجال المقاومة هؤلاء الطلبة الصغار يجرون هنا وهناك — يمدون يد المساعدة لجريح أو يسرعون فى تلبية ما تطلبه المعركة من مساعدات كجلب الطعام أو احضار المياه أو شراء الأدوية .

ولم تجد محاولات رجال المقاومة لابعاد هؤلاء الطلبة أو ايقاف نشاطهم — فقد كانوا يشعرون بأن عليهم رسالة لاتقل عن رسالة اخوانهم الكبار أو آبائهم — ومن أجل ذلك سقط منهم شهداء أيضا ورويت بدمائهم الطاهرة أرض مدينة بورسعيد وضواحيها ، وأسوق القصتين التاليتين كمثليين حين لما قام به هؤلاء الأبطال الصغار .

لم ينبج المهندس السيد عيسى مسوى ولدين — أحدهما بالمدارس الثانوية ، والآخر بالمدارس الاعدادية — وعندما وقع العدوان حملا السلاح وخرجا يقاومانه معا جنبا الى جنب ، وفى احدى المعارك حاصرتهما دورية

بريطانية ، ولكنهما ظلا يقاومانها وحدهما حتى أصابت رصاصة قاتلة الشقيق الأكبر فخر شهيدا ، وعندما انضى شقيقه عليه وجده قد فارق الحياة فحمل جثمانه على كتفه وعاد به الى بيته حيث كان والداه ، وتركه معهما ومع الأحزان والدموع ليقل راجعا الى المعركة أكثر عزيمة وأقوى تصميما على القتال وحده لعله ينتقم لشقيقه الوحيد الذى سقط أمام عينيه — أما الأب الحزين فلم يجد أحدا يساعده على دفن ابنه سوى زوجته وسار الزوج مع زوجته وأمامهما جثمان البطل بعد أن وضعاه على عربة صغيرة الى منطقة المقابر ، وهناك حفر الأب يديه قبر ابنه وأمال التراب عليه .

والقصة الأخرى — قصة حسن سليمان محمود الطالب بمدرسة القنساء الاعدادية بالصف الثالث ذى الخمسة عشر ربيعا ، وكان الوطنيون يعرفونه جيدا — لكثرة تنقله بينهم ولما كان يقدمه لهم من مساعدات — وحدث عندما وصلت القوات الدولية فى يوم ٢١/١١/١٩٥٦ وخرج الأهالى فرحين يعبرون عن شعورهم بالنصر كان الطالب حسن سليمان على رأس المظاهرات التى قامت فى هذا اليوم ، ولفت حماسه البالغ أنظار الجميع اليه ، وكان يحمل صورة للرئيس جمال عبد الناصر فرفعه بعض رجال المقاومة على أكتافهم وساروا به أمام المتظاهرين ، وعند تقاطع شارع محمد على وسعد زغلول أمام مكتبة بدره على وجه التحديد ، وفى تمام الساعة الثالثة من بعد الظهر تصدت للمتظاهرين دورية فرنسية وحاولت تشتيتهم فلم يتمكنوا ، وهدد الفرنسيون باستعمال السلاح ان لم ينزل المتظاهرون الطالب حسن سليمان أو يخفوا الصورة ، فما كان منه الا أن تحداهم ، ورفع صورة جمال يديه الاثنتين من فوق رأسه وعلا هتافه بسقوط الاستعمار ، ولم يخش البنادق المشهورة نحوه . وظل صوته يدوى بحياة بلده وزعيمها ، ولم يجد الفرنسيون وسيلة لاختماد هذا الصوت سوى الرصاص . وسقط الجثمان اليافع وهو يهتف بحياة بلاده وصورة جمال بين أحضانه .

هاتان صورتان من عشرات الصور البطولية التى قام بها الشباب البريء تقدمها للنشأ ذكرى وعبرة .



## الفضيحة :

كان للمقاومة الرائعة التي قام بها شعب بورسعيد الأثر المباشر في هزيمة الانجليز والفرنسيين ، هذه المقاومة التي تجلى فيها التعاون الوثيق بين جميع طوائف الشعب فاشترك فيها الجيش والبوليس والرجال والنساء والأطفال من أفراد الشعب كل بنصيبه في المعركة ، ولم تكن بورسعيد وحدها التي تحملت عبء الكفاح — بل ان الخطة وضعت على أن تقاوم جميع مدن مصر وقراها وبشدة أى قوات أجنبية تحاول الوصول اليها أو احتلالها وقد وطد الشعب عزمه على حرب طويلة ، ونظم نفسه على أن يحارب العدو حرب عصابات لاهوادة فيها — ووزعت الأسلحة لهذا الغرض على الشباب والوطنيين وترك الجنود والضباط من رجال الصاعقة أعمالهم بالجيش وتمرغوا لقيادة وتنظيم عمليات المقاومة الشعبية وكان العدو قد بدأ يتحقق من خطة المصريين وما عزموا عليه ، وتجمعت لديه الأخبار بأن الوطنيين في مصر يعدون لجنود العدوان مقبرة كبيرة ، وأن خسائره ستضاعف في كل خطوة يخطوها ، وتيقن بأن الموت بترتبس به من كل جانب وقد شعر بذلك من المقاومة المذهلة التي قوبل بها في بورسعيد والتي استمرت من يوم ٥ نوفمبر حتى رحل عنها جنود العدوان في ٢٣ ديسمبر ولم تستسلم المدينة كما توقعوا في أربع وعشرين ساعة ، وكما أذاعوا في تصريحاتهم وبياناتهم ، حتى ان موليه رئيس وزراء فرنسا قرر يوم ٧ نوفمبر بأن مدينة الاسماعيلية قد استسلمت وسقطت في يد القوات الفرنسية في الوقت الذي كانت فيه القوات المعادية تلقى الأمرين في بورسعيد وتحاول تسبب أقدامها في الأماكن التي نزلت بها . بل انه حدث بعد ذلك أن حاولت بعض القوات المقاومة الزحف جنوبا للاستطلاع فاشتبكت معها المجموعات السرية التي نظمت بالقنطرة والكاب وأصلتها نارا حامية ، وشتت شملها ، وأسرت جنديين بريطانيين مما حدا بهذه القوات الى التفهقر من حيث أتب قاعة من الغنمة بالاباب (١) .

وقد اعترف الجميع بوطاة المقاومة الشعبية وكان الأعداء أول من شهدوا

---

(١) كان من بين هذه المجموعة الملازم محمد عبد المجيد الصلاحي والملازم سلامة عثمان وانضم اليهما مأمور قسم الشرطة المدمر عمرو حسنة .

بذلك فيقول ونستون تشرشل الابن في كتابه سقوط ايدن : « واتضح  
للحليفتين بريطانيا وفرنسا أن القتال في شوارع بورسعيد الضيقة سيستغرق  
وقتا طويلا » . كما يقول كذلك في مكان آخر « انه في ساعات بعد الظهر  
دخلت القوات الانجليزية والفرنسية ضواحي المدينة خلال مقاومة مصرية  
عنيفة جدا .. »

ويقول ارسكين تشيلدرز في كتاب الطريق الى السويس : « وأعدت  
العدة في بورسعيد لحرب من أعنف حروب الفدائيين وأكثرها دماء ليخوض  
الشعب المصري غمارها ضد الغزاة — ولم يكن ثمة هلع أو ذعر وأثبتت فرق  
المكافحة كفايتها وحسن تدريبها وهرع الشبان والشيوخ الذين يمثلون مختلف  
نواحي الحياة المصرية الى مراكز التطوع والتدريب في الميادين العامة  
ليتسلموا بنادقهم ويتدربوا عليها » .

ووصف كاتب فرنسي شدة المقاومة في بورسعيد قال : انه حين نزل مع  
القوات الفرنسية في بورسعيد وجد الشباب المصري يقاتل في اصرار وعناد  
ورأى شبابا في سن ١١ ، ١٢ ، ١٣ سنة يحملون السلاح ويقاتلون ببراعة  
ورباطة الجأش واستبسال .

كما أذاع صحفي سويدي نزل مع القوات المعتدية رسالة من بورسعيد  
يصف فيها وحشية الانجليز والفرنسيين يوم ٥ نوفمبر والمآسي التي اقترفوها  
ضد الأهالي ومسجد المقاومة الباسلة التي قام بها الشعب ويصفها وصفا  
هز العالم .

وقد اعترف الجنرال كيتلي بعنف المقاومة فقال : « لقد قاتلنا ضد شعب  
جهزت قواته المسلحة بأحدث الأسلحة والطائرات واستماتت أفرادها في الدفاع  
عن بورسعيد باصرار وعناد وحكمة » .

كما أثبت في تقريره الذي قدمه للوزارة البريطانية بعد ذلك شدة كفاح  
الوطنس فقرر « بأن السلطات المصرية وزعت الأسلحة على المدنيين في  
بورسعيد فراحوا يستخدمونها بطريقة واسعة النطاق وكانوا يلقون بالقنابل  
على السباران العسكرية ويجتهدون لايقاع الدوريات في كمائن أثناء الليل ،

وأن القتال الذي دار في شوارع بورسعيد كان معقدا ، لأن الجنود المصريين  
نزعوا ملابسهم العسكرية واختلطوا مع المدنيين الذين كان كثير منهم  
مسلحين .

هذه هي اعترافاتهم الصريحة عن بعض مالاقوه في بورسعيد من مقاومة  
عنيفة وكانت من أسباب هزيمتهم فقرروا الانسحاب وخرجوا مدحورين الى  
بلادهم في يوم ٢٣/١٢/١٩٥٦ .

ومن مفارقات القدر أن الجنرال كيتلى القائد العام البريطانى أحيل  
بعد العدوان الى التقاعد ، كما نقل الجنرال استكويل قائد معركة بورسعيد  
الفاشلة الى وظيفة كتابية . أما ايدن فقد انهار أعصابه وترك وزارته  
في ٢٠/١١/١٩٥٦ ليتلر حامل أختام الملكة وهرب الى جزيرة جامايكا -  
للاستشفاء وظل بها حتى استقال من الوزارة في ٩ يناير سنة ١٩٥٧ .

هذا ما كان من أمر ايدن - - أما زميله موليه رئيس وزراء فرنسا فقد  
استقالت وزارته بعد ذلك بقليل في مايو سنة ١٩٥٧ نتيجة لسياسته الخرقاء  
نحو مصر ..

وهكذا أدت مقاومة الشعب العنيدة في بورسعيد الى اخفاق وهزيمة  
حكومتى انجلترا وفرنسا وفضيحتهما أمام العالم . وأصبح يوم ٢٣ ديسمبر  
وصمة عار في جبين الغرب ، كما أضحى في الوقت نفسه عيداً للانتصار في مصر .

## الباب التاسع من ميثاق الكفاح

- ١ - استقلال تام وديموقراطية سليمة :
- ٢ - اشتراكية عربية :
- ٣ - تحرير الوطن العربي وتحقيق الوحدة العربية :
- ٤ - تحقيق الوحدة الافريقية والسلام العالمى :
- ٥ - دفعة الاسلام والعالم الاسلامى :

## ١ - استقلال تام وديمقراطية سليمة

### اتفاقية الجلاء :

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر : « اننا نعلنها عالية مدوية : يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل ، أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن وجوده » .

ولذا لم يكن أمام الانجليز الا أن يتخيروا أمرا من اثنين ، الجلاء التام ، أو القتال حتى الموت . وقد لمس الانجليز أن الموقف قد تغير تماما ، فلم تعد هناك حكومات حزبية تماثلهم وتصانهم وترضخ لأوامرهم وتتغاضى عن مساوئهم ، وشاهدوا قيام حكومة مصرية وطنية من أبناء الشعب المصرى ، بل هى أول حكومة مصرية فى أشخاصها وسياستها تولت حكم مصر منذ العصر الفرعونى . وأدرك الانجليز أن الشعب المصرى ، على اختلاف عناصره ، يقف كله وراء حكومته الوطنية الحرة . وتأكد الانجليز أن العصر قد تغير ولم يعد فى صالحهم ، وأنه من المحتم عليهم الجلاء التام عن الأراضى المصرية .

وتتضح الروح الجديدة ، التى لم يمهدها الانجليز من قبل ، فى المفاوضات التى دارت بين المفاوضين المصريين والانجليز ، فقد صرح المفاوض المصرى فى ٢٧ ابريل ١٩٥٣ : « ان مصر ، مصر الحرة لسوف تتطور بسرعة وقوة حتى تستطيع أن تملأ أكثر من الفجوة التى تتخلف من انسحاب القوات البريطانية ، فلسوف تملأ هذه الفجوة لا بالقوات والمعدات وحدها ، بل بحماسة أبنائها المنبثقة عن كلمة الحرية السحرية . وهذه الحماسة لا تقل أهمية عن القوات والمعدات . وان مصر لتؤمن ايمانا قويا باعتمادها على نفسها ، وهى عازمة على أن تكرر قواتها بسواعد أبنائها ومواردها فى أرضها لانشاء قلعة سلام وأمن تصد أى عدوان » .

وبعد عدة اجتماعات تعرضت المحادثات للقطع بين آن وآخر ، وبعد جذب وشد ، توصل المتفاوضان الى اتفاقية الجلاء التي وقعت بالأحرف الأولى في ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ أي بعد مولد الثورة بعامين . وكان توقيع الاتفاقية النهائي في ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وضعت هذه الاتفاقية نهاية للاحتلال البريطاني البغيض الذي استمر أكثر من ٧٢ عاما ، وغادر الانجليز معسكراتهم في منتصف أبريل سنة ١٩٥٦ أي قبل الموعد المحدد للجلاء بشهرين ، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر هذا النبأ السار الذي كان له رنة فرح وسرور في نفس كل مصري .

كان جلاء الانجليز يخلص مصر تماما ونهائيا من كل تأثير أجنبي ، ويجعل مصر تنتهج سياسة جديدة تمكنها من العمل في حرية تامة . فان مصر لا تزال في حالة حرب مع اسرائيل ، ووجود قوات أجنبية في الأراضي المصرية قد يهدد مصر بأخطار جسيمة حينما تفكر اسرائيل في هجوم غادر على الحدود المصرية ، ونحن نعرف احتضان انجلترا ودول الغرب لاسرائيل .

وأصبح جلاء الانجليز نهاية مرحلة ، وبداية مرحلة جديدة ، هي مرحلة البناء ، ولذا قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه الذي ألقاه بمناسبة توقيع اتفاق الجلاء : « أيها المواطنون : ان مرحلة من كفاحنا قد انتهت ، ومرحلة جديدة توشك أن تبدأ . هاتوا أيديكم وخذوا أيدينا ، وتعالوا فبن وطننا من جديد ، بالحب والتسامح والفهم المتبادل » .

## **استقلال اجتماعي واقتصادي :**

ان اتفاقية الجلاء تحرر المجتمع المصري من كل قيود الماضي وأدران الاحتلال البريطاني . وأصبح الشعب المصري يعرف مكانه من الحياة المعاصرة ومسؤوليته في توجيهها ، فهو من ناحية يحافظ على مقوماته الأصيلة ، ويلتزم بين مقتضيات التطور من ناحية أخرى . وبالتخلص من الاحتلال والاقطاع ، تخلص المجتمع من تلك الاستجابة الآلية لنزوات الأسرة المالكة والحكومات الحزبية ، وبريء المجتمع من آفة الارتجال والخيانة ، وأصبحت الحياة تسير في طريقها عن هدى وبصيرة . وتدفت دماء جديدة في تلك الشرايين التي

ضمرت وأهملت منذ أمد بعيد ، وتمت الوحدة الاجتماعية على أساس صحيح ، وعلى صورة ايجابية فعالة تؤدي الى تقع جميع المواطنين على حد سواء .

وكالت كل الخطوات التي سارت فيها الثورة المؤيدة بالكتلة الشعبية المتماسكة تؤدي الى الهدف الذي رسمه زعيم الثورة وقائدها ، ونجحت كل الخطوات لسببين ، أولهما تماسك الكتلة الشعبية وإيمانها بالهدف الذي رسمه قائدها.. وثانيهما إيمان القائد الزعيم وإصراره على الوصول الى الهدف .

نجحت الثورة في تحقيق الاستقلال الكامل ، وأقامت سياسة استقلالية على أسس الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، وارساء قواعد البناء الاجتماعي الذي يقوم على أسس العدالة الاجتماعية ، والديموقراطية، وتكافؤ الفرص ، واشتراكية عربية تحقق الكفاية والعدل .

تحدث السيد الرئيس في الميثاق عن نتائج العمل الديموقراطي فقال : « ان العمل الديموقراطي في هذه المجالات سوف يتيح الفرصة لتنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة في احساسها بالانسان صادقة في تعبيرها عنه ، قادرة بعد ذلك كله على اضاءة جوانب فكره وحسه وتحريك طاقات كامنة في أعماقه خلاقة ومبدعة ينعكس أثرها بدوره على ممارسته للديموقراطية وفهمه لأصولها وكشفه لجوهرها الصافي النقي .

## ٢ - اشتراكية عربية :

ظلت مصر عصورا طويلة محرومة من كل اصلاح في أى ميدان من الميادين ، وهذا الحرمان طال عليه الزمن حتى تعقد وأصبح من العسير القضاء عليه الا بقوى جبارة لا تتوفر الا في مثل النظام الاشتراكي . وقد جريت مصر أنواعا مختلفة من الحكم الحزبي الفاسد الذي ادعى نوعا من الديموقراطية الزائفة ، وأخفقت هذه الحكومات الحزبية في اصلاح أحوال المجتمع المصري . وأصبحت مصر في أشد ما تكون الى التماسك والتآزر والوحدة حتى تستطيع أن تقوى ماديا وروحيا ، حتى تواجه مشكلاتها

الداخلية والمؤامرات الخارجية وأصبحت مصر قبل الثورة فى حاجة الى ايجاد نوع من التوازن بين الطبقات فيها ، فلا تطفى طبقة على طبقة ، ولا تتحكم جماعة فى جماعة ، أو قلة فى أغلبية .

أصبحت مصر فى حاجة الى ( الحرية الاجتماعية ) وليس هناك طريق لتحقيق هذه الحرية الاجتماعية غير الاشتراكية ، التى تحقق الكفاية والعدل ، وتخلص مصر من التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، ولذا أصبح الحل الاشتراكى حتمية تاريخية . قال الرئيس فى الميثاق : « ان الحرية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق الا بفرصة متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية ، وقد كافح الشعب سنين طويلة من أجل هذه الحرية وكان يكافح الاستعمار فى الخارج والداخل بينما كان يحطم القيود التى فرضت عليه لينبى مجتمعه الحر على أسس واقعية تسنده ديمقراطية حقيقية سليمة — ولم يكن أمام شعبنا من وسيلة الا الاشتراكية » ان الاشتراكية العملية هى الصيغة الملائمة لاجاد المنهج الصحيح للتقدم « وكان يتعين وصولا الى اشتراكية سليمة صحيحة أن لا تترك رأس المال حرا دون قيد . ويقول الميثاق :

« ان رأس المال فى تطوره الطبيعى فى البلاد التى أرغمت على التخلف لم يعد قادرا على أن يقود الانطلاق الاقتصادى ، وهذا راجع الى نمو الاحتكارات الرأسمالية الكبرى فى البلاد المتقدمة اعتمادا على استغلال موارد المستعمرات . وهذا النمو المتزايد للاحتكارات العالمية لم يترك أمام الرأسمالية المحلية فى البلاد التى تضى فى طريق التقدم والتحرر ، الا سبيلين ذكرهما الميثاق :

« أولهما : أنها لم تعد تقدر على المنافسة الا من وراء اسوار الحمايات الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير .

ثانيهما : أن الأمل الوحيد لها فى النمو هو أن تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها وتجبر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة » .



كما أن اتساع الهوة بين الذين سبقوا الى التقدم ، والذين مازالوا في دور التخلف ، لم تعد تسمح بأن يصبح منهاج التقدم متروكا للجهود الفردية العفوية التي لا يحركها غير واقع الربح الأثافي . وقد حدد الميثاق ثلاثة شروط لمواجهة التحدي هي : جميع المدخرات الوطنية، ووضع كل خبرات العلم الحديث في خدمة استثمار هذه المدخرات ، ووضع تخطيط شامل لعملية الانتاج . ويقابل زيادة الانتاج أيضا عدالة التوزيع ، مما يحتم ضرورة وضع برامج شاملة للعمل الاجتماعي تعود بخبرات العمل الاقتصادي وتأتي على الشعب العامل ، مما يحقق له الرفاهية . وبطبيعة الحال ، لا يمكن ترك العمل من أجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لعفوية رأس المال الخاص المستغل ، ونزعاته الجامحة . ويصبح من المحتم سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج ، وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة .

ولكن سيطرة الشعب على أدوات الانتاج لا تؤدي الى تأميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعي . ولكن هذه السيطرة تتم بطريقتين : أولهما ، خلق قطاع عام وقادر يقود التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسؤولية الرئيسية في خطة التنمية . وثانيهما ، وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال . ويخضع القطاعات لرقابة الشعب .

ومن أسس المجتمع الاشتراكي ، الاهتمام بالصناعة والتصنيع مما يحقق زيادة الانتاج ، ويخرج بالمجتمع من مرحلة الزراعة الى مرحلة الصناعة ولا تبقى الأقطار العربية حقول بترول ومزارع قطن وأسواقا لمنتجات المصانع الغربية .

قال الرئيس في إحدى خطبه القيمة : « كلنا نعرف أن المصانع الأجنبية الاستعمارية كانت تعمل على الحد من نشاطنا الصناعي . كانت تعمل على وقف التوسع الصناعي . ولكن حينما كانت الثورة السياسية تأخذ طريقها للقضاء على الاستعمار البريطاني ، والقضاء على الاستبداد السياسي كانت الثورة الاجتماعية تأخذ طريقها في نفس الوقت لبناء أساس اقتصادي سليم ، واجتماعي سليم » .

ومن أسس المجتمع الاشتراكي الجديد في مصر تقديم الخدمات العامة للمواطنين جميعا في مساواة تامة وهذه النظرية تعتبر حجر الزاوية في بناء مجتمع حر كريم ، وقد كافح الشعب المصري طويلا للوصول الى المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات . وقد خلف المجتمع الاقطاعي البائد رواسب كثيرة في المجتمع المصري ، وهذه الرواسب هي الأخرى من بقايا الاستعمار الذي دأب على تفتيت المجتمع المصري ، وخلق في أجزائه أنواعا من التنافر وألوانا من الظلم الاجتماعي ليوحد نوعا من الصراع الداخلي يستطيع أن ينفذ خلاله الى حقيقة الكفاح الشعبي ليحطمه وأصبح الحل الاشتراكي هو السبيل الأول والوحيد لتوفير الخدمات العامة للمواطنين جميعا مما يحقق الرفاهية وهو رخاء للجميع على قدم المساواة .

جاء في الميثاق : « ان ذلك الحل الاشتراكي هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر في عملية الانتاج على قواعد علمية وانسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التي تمكنه من أن يضع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروسة وشاملة » .

« ان التخطيط الاشتراكي الكفء هو الطريقة الوحيدة التي تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية - المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعلمية وانسانية لكي تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية . وان ذلك لا يقتصر على مجرد اعادة توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين ، وانما هو يتطلب أولا ، وقبل كل شيء ، توسيع قاعدة هذه الثروة الوطنية ، بحيث تستطيع الرفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العاملة . ان ذلك معناه أن الاشتراكية بدعائمتيها من الكفاية والعدل هي طريق الحرية الاجتماعية .

« ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي في مصر وصولا ثوريا الى التقدم لم يكن افتراضا على الانتقاء الاختياري وانما كان الحل الاشتراكي حتمية تاريخية فرضها الواقع ، وفرضتها الآمال العريضة للجماهير ، كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم في النصف الثاني من القرن العشرين » .

أصبحت مصر بعد الثورة فى حاجة الى مجتمع جديد ، ولكن هذا المجتمع لايقوم على أسس هدم الفساد فحسب ، بل يقوم على أساس بناء قيم جديدة ، لأن الثورة تعرف أن هدم الفساد ليس هو العمل الأول ، ولكن العمل الأول هو بناء الأسس الجديدة بعد التخلص من فساد الماضى .

واذا كانت عمليات الهدم تتم بسرعة ، فان عمليات البناء تحتاج الى زمن أطول كثيرا ، كما أن تخطيط البناء يحتاج الى دراسة عميقة ، وتقدير للظروف ، واعداد كل الامكانيات اللازمة لنجاح البناء ، والوصول الى الهدف .

ومن أسس المجتمع الاشتراكى تحرير الاقتصاد المصرى ، وهناك نوعان من الضغط تعرض لهما المجتمع المصرى فى أول عهد الثورة ، أولهما ضغط خارجى تمثل فى الحصار الاقتصادى والضغط الاقتصادى ، وثانيهما ضغط داخلى تمثل فى الاستغلال والانتهازية والظلم الاجتماعى .

تحدث الرئيس فى خطاب له عن الضغط الأول فقال : « بدأ الاستعمار بالحصار الاقتصادى والضغط الاقتصادى ، وطبعاً كان يعتقد أنه بهذا يستطيع أن يخلق ثغرة بين الشعب وبين الحكومة . جمد أموالنا ومنع عنا طلباتنا ، وعمل بكل الوسائل حتى لايباع القطن . ولكننا كانت لنا سياسة معينة محددة : أن نبيع لمن يشتري منا بأكبر ثمن ، ونشتري ممن يبيع لنا بأقل ثمن ، مصلحتنا محددة ، وفتحنا أسواقا واستطعنا أن نقضى على مؤامرات الاستعمار التى وجهها ضد ثورتنا الاجتماعية .

« استطعنا أن نتصر على الحصار الاقتصادى ، واستطعنا أن نتصر على تجميد الأموال ، واستطعنا أن نتصر على الضغط الاقتصادى . طبعاً بتضحيات ، وتضحيات ليست كبيرة ، ولكن انتصرنا فى هذه المرحلة من مراحل الثورة الاجتماعية . ان الاستعمار يهدف من هذا الى إثارة الشك والبلبلة وخلق حرب بين الطبقات وقذر بين الناس » .

أما الضغط الثانى ، فهو ضغط الاستغلال والظلم الاجتماعى والانتهازية والرجعية ، وقد تخلفت هذه العناصر عن العهود الغابرة ، وهذه

العناصر تقف في طريق رفاهية الشعب ، فقال السيد الرئيس في خطاب له : « الدستور حدد أن الغرض خلق مجتمع ترفرف عليه الرفاهية . هل اذا كانت أقلية تستعبد الأكثرية يكون هذا المجتمع ترفرف عليه الرفاهية ؟ قطعاً لا . لأننا كنا في الماضي نعاني من سيطرة الأقلية المنتفعة على الأغلبية . هل اذا كان الاستغلال هو العامل الأساسي في التعامل يكون هناك مجتمع ترفرف عليه الرفاهية . لا يمكن أن يكون هناك مجتمع ترفرف عليه الرفاهية اذا كان هناك استغلال بأي وسيلة من الوسائل . استغلال للانسان أو استغلال للفرصة . أو استغلال اجتماعي أو استغلال سياسي أو استغلال اقتصادي .

« هل يمكن اذا استمر الظلم الاجتماعي أن يتحقق المجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية . أو اذا سيطرت الانتهازية أو اذا سيطرت الرجعية أو اذا سيطرت الرغبة في الانتفاع . كلنا نعرف أن الوطنية كانت باستمرار لا تسير أو تتمشى مع الانتهازية . ولا مع الاستغلال أو الرجعية ، لأن الرجعية تعتبر الوطنية أول أعدائها » .

## ٣ - تحرير الوطن العربى

### وتحقيق الوحدة العربية

#### الوحدة العربية فى الميثاق :

فالت الوحدة العربية نصيبا كبيرا من الميثاق ، فالجمهورية العربية المتحدة جزء من الوطن العربى الكبير ، وهى مسئولة عن توفير وسائل التقدم داخل الجمهورية وفى كل مكان فى هذا الوطن العربى . وقد أصبح الوجود العربى حقيقة واقعة ، وأصبحت مقومات الوحدة العربية غنية عن التعريف ، فهى تقوم على أساس وحدة اللغة العربية التى تطبع الثقافة والعقلية والنفسية والشخصية بالطابع العربى ، وعلى أساس وحدة التاريخ، والتاريخ هو ذاكرة كل أمة وسجل حياتها المشتركة ، وعلى أساس وحدة الآلام والآمال ، ووحدة الأهداف والصف والمصير .

فقال الميثاق : « ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الأمة العربية . ان الأمة العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها . لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة وأصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته . يكفى أن الأمة العربية تملك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل . ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير » .

حقا تقوم بعض خلافات بين بعض دول عربية من وقت لآخر ، وهى خلافات بين حكومات ، وليس خلافا بين أبناء الشعب العربى الكبير ، فهناك - للأسف - بعض حكومات لا تزال تتصف بالرجعية ومهادنة الاستعمار ولكن هذه الخلافات أضعف من أن تضعف أسس الوحدة العربية ، وان لقاء القوى التقدمية الشعبية فى الدول العربية لقادر على تحطيم هذه الخلافات وتلك النزعات الرجعية الانتهازية .

وفى هذا يقول الميثاق : « ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من أساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون الى الأمور نظرة سطحية . ان مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة . ان هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى . واللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الأمة العربية وتحرك خطواتها وتنسجها عبر الحدود المصطنعة .

---

« ان التقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد فى كل مكان من الأرض العربية ، وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الأرض العربية هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة . ان مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الأمة العربية ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات » .

واذا اختلفت بعض الحكومات العربية فى الأهداف ، فان الشعوب العربية متفقة تماما فى أهدافها ، أهداف الحرية والتحرر والاستقلال والرفاهية . لقد قطع الوطن العربى شوطا كبيرا ، فاجتاز مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار ، وانتقل الى مرحلة كبرى أخرى ، هى مرحلة الثورة الاجتماعية . وان اعتداد المستعمرين على الجساعة الرجعية الانتهازية فى بعض الدول العربية ، جعل الشعب العربى يدرك أهمية وحتمية الثورة الاجتماعية وهذه الثورة الاجتماعية ستدفع بالأمة العربية الى وحدة الهدف .

يقول الميثاق : « ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ، ودفعت به خطوة الى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة . ان وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الأمة العربية كلها . واختلاف الأهداف عند الفئات الحاكمة هو صورة من صور التطور الحتمى الثورى واختلاف مراحله بين الشعوب

العربية . لكن وحدة الهدف عند القواعد هي التي ستتكفل بسد الفجوات الناشئة من اختلاف مراحل التطور . ان وحدة الأمة العربية قد وصلت في صلابتها الى حد أنها أصبحت تتحمل مرحلة الثورة الاجتماعية » .

« ان وحدة الهدف لا بد أن تكون شعار الوحدة العربية في تقديمها من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية . ولا بد أن ينبذ الشعار الذي جرت تحته مرحلة سابقة من النضال الوطني هي مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار . ان الاستعمار الآن غير مكانه ولم يعد قادرا على مواجهة الشعوب مباشرة ، وكان مخبؤه الطبيعي بحكم الظروف داخل قصور الرجعية . ان الاستعمار نفسه ، دون أن يدري ، ساهم في تقريب يوم الثورة الاجتماعية ، وذلك حين توارى بمطامعه وراء العناصر المستغلة يوجهها وبحركها » .

ويين الميثاق أن العمل العربي لا بد أن يعتمد على حبراب وتجارب الأمة العربية التي استمدتها على طوال العصور التاريخية ، كما يعتمد على روحها الثورية ، واداتها القوية ، ويجب أن تكون وسائل الوحدة العربية متكافئة مع شرف الهدف . وطريق الوحدة طريق طويل ، ولكنه يوصل الأمة العربية الى هدفها الأسمى . وهو الوحدة . وقد يقنع الشعب العربي الكبير بتيام وحدة جزئية ، بين شعبين عريين أو أكثر ، كتمهيد للوحدة العربية الكبرى الشاملة .

فيقول الميثاق : « والعمل العربي في هذه المرحلة يحتاج الى كل خبره الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ، ويحتاج الى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته الى ثورتها واداتها على التغيير الحاسم . ان الوحدة لا يمكن ، بل ولا ينبغي ، أن تكون فرضا ، فان الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافأ أساليبها شرفا مع غاياتها . ومن ثم فان التسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة . انه ليس عملا غير أخلاقي فحسب وانما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ، ومن ثم بالتالى فهو خطر على وحدة الأمة العربية في تنورها الشامل .

« وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها ، لكن الوحدة العربية طريق طويل ، قد تعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً الى الهدف الأخير . ان أى حكومة وطنية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى ، هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

« ان أى وحدة جزئية فى العالم العربى ، تمثل ارادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية هى خطوة وحدوية متقدمة ، تفرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتهد لها ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية . ان مثل هذه الظروف تهيئ الطريق للدعوة الى الوحدة الشاملة » .

## **واجبات الجمهورية العربية المتحدة نحو الوحدة العربية :**

أصبحت الجمهورية العربية المتحدة مركز اشعاع ، تخرج منه اشعاعات الحرية والتقدمية الى أرجاء العالم العربى . كما أصبحت الجمهورية قدوة تحتذيها سائر الدول العربية ، وطلبة للتحرر والوحدة والتقدم الاجتماعى .

ومن ثم فقد أدت الجمهورية العربية المتحدة واجباتها نحو الشعوب العربية ، فأيدت جميع الثورات التقدمية ، وألقت بكل طاقاتها فى معارك التحرير العربية فى كل مكان سعياً وراء تحرير المواطن العربى من الاستعمار والرجعية والانتهازية .

وضح الميثاق واجبات الجمهورية العربية المتحدة نحو الأمة العربية ووحدةها الشاملة ، فقال : « والجمهورية العربية المتحدة ، وهى تؤمن بأنها جزء من الأمة العربية ، لا بد أن تنقل دعوتها والمبادئ التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا منها فى شئون غيرها .

« وفى هذا المجال ، فإن الجمهورية العربية المتحدة لا بد لها أن تحرص على أن لا تصبح طرفاً فى المنازعات الحزبية المحلية فى أى بلد عربى ، ان ذلك أمر يضع دعوة الوحدة ومبادئها فى أقل من مكانها الصحيح .



« واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية ، فإن هذه المساندة يجب أن تظل في اطار المبادئ السياسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية تجمع له الطاقات الوطنية وتدفعه الى أهدافه وفق التطور المحلى وامكانياته .

« كذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى . انها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة . لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم » .

## ثورة رائدة :

كانت ثورة ٢٣ يوليو هى نقطة الانطلاق نحو تحقيق الوحدة العربية . فقد خاضت هذه الثورة معركة النضال العربى على هدى وبصيرة ، وتصدرت للدعوة للقومية العربية ، ورفعت شعار وحدتها ، ونادت بأن لا أمل فى تحقيق القومية العربية الا اذا توحدت الدول العربية التى شاء الاستعمار ان يسطع لها حدودا واهية وان يفرق ما أراد الله ان يوحد مستهدفا من وراء ذلك اضعاف الروح القومية وان يظل الوطن العربى عاجزا عن أن ينهض بمسئوليته أو يحقق مطامعه او يسير فى طريق التقدم .

ومما لا شك فيه أن ثورة ٢٣ يوليو كان لها أثر كبير فى جميع الشعوب فى البلدان العربية — خاصة الدول التى لم تل حريتها بعد — وكما يبرى التيار الكهربى فى المادة الطيعة سرى مفعول ثورة ٢٣ يوليو بين الشعوب العربية . فتطلعت الى الاستقلال وسعت الى الحرية فقام شعب الجزائر بالثورة فى ديسمبر سنة ١٩٥٤ واتصر على الاستعمار الفرنسى الذى استمر مائة وثلاثين عاما وقام العراق بتورته الأولى فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، ثم أعقبها بثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ — ثم تحرك السودان الشقيق فى ١٧/١١/١٩٥٨ ونال حريته — وأخيرا قامت ثورة الجيش فى اليمن وطرده الملكية الطاغية فى ٢٦/٩/١٩٦٢ — وسعت سوريا الى طلب الوحدة مع مصر فتمت فى ٢١/٢/١٩٥٨ .

حدث كل ذلك فى أعقاب ثورة ٢٣ يوليو العظيمة — ولم تقف الجمهورية العربية المتحدة من هذه الثورات موقفا سلبيا جامدا ، بل عاوتها جميعا وألفت بكل طاقاتها فى معارك التحرير العربية فى كل مكان سعيًا وراء تحرير المواطن العربى من ربقة العبودية — ولم ندخر وسعًا فى سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة — بل ساهبت مساهمة فعالة فى جميع هذه المعارك بالمال والعتاد والجيوش فى بعض الأحيان ايمانًا منها بأن الانسان العربى أيا كان موطنه — ما هو الا مواطن فى الوطن الواحد — فى ارتقائه ارتقاءً للكل وفى رخائه وسعادته رخاء وسعادة للمجموع .

فماذا كان يحدث لو أن الجمهورية العربية أغلقت على نفسها أبوابها وبدأت تنظم شئونها وهى كائت فى أمس الحاجة الى ذلك التنظيم بعد الثورة — دون أن تعير أدنى اهتمام لما يجرى وراء حدودها وبالذات فى داخل حدود الدول العربية ؟.

ما هو مصير تلك الدول لو أن الجمهورية العربية المتحدة أصمت أذنيها عن نداءات التحرر التى كانت تنبعث من هذه الدول عقب ثورة ٢٣ يوليو ؟ مما لا مرأى فيه أن التاريخ كان سيظالعنا بوجه آخر مخالف لما نراه الآن تمام الاختلاف — وجه كريبه لا نرضاه .

ولكن الجمهورية لم تغلق أبوابها فى وجه هذه البلدان التى رزئت بالاستعمار — وتقدمت تساعدها بيد بينما كانت تنفض باليد الأخرى غبار السنين المتراكم على البلاد ، ولم ينكر أحد كائنا من كان مجهود الجمهورية فى هذا المجال — وقد نوه زعماء الجزائر فى الخطاب الذى ألقوه فى ٥ مايو سنة ١٩٦٣ عندما زار الرئيس جمال عبد الناصر الجزائر فقالوا :

( وقف معنا عبد الناصر فى الوقت الذى لم نجد فيه من يؤازرنا فى الشرق أو الغرب ) وقالوا عند بدء الثورة الجزائرية فى أواخر سنة ١٩٥٤ ( جاءت أول باخرة مصرية محملة بالأسلحة الى ليبيا الشقيقة واتفق جمال عبد الناصر مع المسئولين فى ليبيا أن يسلموها لنا ثم جاءت بعد ذلك سفينة ثانية وثالثة ورابعة ) .

ولم تكتف الجمهورية بمساعداتها المادية ، بل انها تبنت قضية الجزائر أمام المحافل الدولية كمؤتمر باندونج وغيره مما كان له أكبر الأثر في نجاح ثورة الجزائر - مما أوغر صدر فرنسا ، فاشتركت في العدوان على مصر في سنة ١٩٥٦ (١) .

ومهما كان الأمر فقد نجحت ثورة الجزائر وانهزمت فرنسا في مصر وفي الجزائر معا .

وكما تحررت الجزائر من طغيان فرنسا تحرر العراق من سيطرة انجلترا فقامت فيه الثورة في نوفمبر سنة ١٩٥٢ في أعقاب ثورة ٢٣ يوليو ثم جاءت ثورة ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ التي أطاح فيها شعب العراق بحكم نوري السعيد المظلم - وقد درجت هذه الثورة على هدى ثورة ٢٣ يوليو - ويؤكد ذلك الأستاذ فؤاد الركابي في كتابه « على طريق الثورة » فيقول : ومن اللحظة التي قامت فيها الجمهورية العربية المتحدة وكنتيجة مباشرة لقيامها تطور هدف التحرر وهدف الوحدة الى مستوى جديد نوعى بحيث أصبح نضال الجماهير في العراق هدفه طرد الاستعمار والقضاء على عملائه وأصبح هدف الوحدة يعنى فعلا الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة التي أصبحت نواة للوحدة العربية الشاملة وبسبب هذا التطور الاستراتيجى اتجه هدف الوحدة والتحرر - وأثر هذا التطور فى عقلية ونفسية الجماهير أمكن قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ » .

ثم سعى العراق بعد انقلاب ١٢ فبراير سنة ١٩٦٣ الى الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة وتم لها ذلك - كخطوة فى سبيل الوحدة الشاملة .

واذا كان ذلك تأثير ثورة ٢٣ يوليو فى ثورتى الجزائر والعراق فان مصر كانت لها اليد الطولى فى استقلال السودان وفى الانقلاب الذى حدث بعد ذلك .

---

(١) قررت الجمعية الوطنية الفرنسية فى يوم ١٩/١٢/١٩٥٦ بأن سبب عدوان فرنسا على مصر سنة ١٩٥٦ هو رغبتها فى القضاء على ثورة الجزائر - أن هى انتصرت على مصر .

فعقب ثورة ٢٣ يوليو ، وبالتحديد في الثامن من نوفمبر عام ١٩٥٢ ، طلبت مصر من إنجلترا بصفتها شريكة معها في حكم السودان تحقيق رغبة القطر الشقيق في تقرير مصيرد - ولكن بريطانيا ماطلت وسوفت ووضعت العراقيل أمام طلب مصر العادل . ولم يذعن الجانب المصري للأعيب بريطانيا ووقف بجانب الحق الذي قامت الثورة من أجل اقراره ودافع عن الحرية التي كانت أحد أهدافها .

أحق للثورة أن تنكر على غيرها ماتطلبه لنفسها ??

وهل يجوز لها أن تطالب بالحرية في الوقت الذي تأباه وتمنعه عن جيرانها ؟ وأخيرا وتحت ضغط مصر رضخت بريطانيا ووقع الجانبان في : ١٢/٢/١٩٥٣ اتفاقية سمحا فيها للسودانيين بالحكم الذاتي وحق تقرير مصيرهم - وبعد فترة الانتقال التي قررتها الاتفاقية تسلم السودانين مقاليد الحكم لأول مرة وباشروا في أول يناير سنة ١٩٥٦ حكم البلاد - وهكذا استقل السودان بفضل مساعي مصر المتواصلة - وقد حاول الانجليز بعد ذلك التدخل في شئون السودان مخفين خلف بعض الوزراء من عملائهم ولكن السودانيين قاموا يدافعون عن استقلالهم بالقوة - فقامت ثورة الجيش في ١٧/١١/١٩٥٨ واستولى على الحكم ونهر البلاد من عسلاء الانجليز - وأخذ يصلح ما أفسده الانجليز طوال حكمهم البغيض .

وقد جاء انقلاب السودان صورة مصغرة من ثورة ٢٣ يوليو - مقننيا أثرها سائرا على نسطها متأثرا بها .

وكما سعى العراق نى طلب الوحدة مع مصر سعى سوريا قبل ذلك واجتمع لتحقيق ذلك الرئيس شكرى القوتلى وجمال عبد الناصر وعلنا في أول فبراير سنة ١٩٥٨ بأن « اتفاقهم التام وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة بوجوب توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة تسمى الجمهورية العربية المتحدة » وبتاريخ ٢١/٢/١٩٥٨ أسفر الاستفتاء في مصر وسوريا على اقرار الوحدة الشاملة .

واتنخب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية العربية المتحدة ( مصر وسوريا ) وطفرت سوريا في ظل الوحدة وفي مدى قصير طفرة لم تبلغها طوال مئات السنين التي سبقت الوحدة - فعملت مصر على تحرير المواطن السوري سياسيا واقتصاديا - ويسرت له حياة رغدة كريمة - بعد أن دعمت الاقتصاد السوري وضاعفت الدخل القومي - واستولت لصالح الشعب على جميع شركات الاحتكار ثم صدر قانون الإصلاح الزراعي ووزعت الدولة على الفلاحين ما يزيد على ٥٦١١٣٣ هكتارا كانت في يد قلة من الرأسماليين المستغلين وقررت الجمهورية كذلك أن يكون للعمال ربع أرباح الشركات السورية ، وبذلك أصبح العامل شريكا في المصنع الذي يعمل به بعد أن كان عبدا فيه تطبيقا لمبدأ الاشتراكية السمع . ولكن الاستعمار كان يتربص بالجمهورية الفتية فدبر انقلابا في ١٩٦١/٩/٢٨ ضد الوحدة وضد رغبة الشعب السوري لصالح طائفة الرأسماليين والرجعيين ، ولما كانت مصر لا تبغى من وراء الوحدة غير رفاهية المواطن السوري وخشية اهدار الدم العربي آثرت مصر أن يترك أمر الوحدة للشعب السوري ليقول فيها كلمته بعد أن ترفع عن كاهله القيود وتتكرر من حول يديه الأغلال .

ثم قامت بعد ذلك ثورة الجيش في اليمن ضد حكمه المستبدين الذين عاثوا في الأرض فسادا أجيالا طويلة - ذاق الشعب خلالها الوانا من العنف وضروبا من الظلم قلما سمعنا بمثلا في أحلك العصور وأشدّها ضراوة وظلمة فكان الملك - أو الامام كما كانوا يلقبونه - يمارس عمليات القتل في الناس جملة وقطاعي - دون محاكمة في أي وقت يشاء ولأى سبب يراه - ولم يكن للشعب من عمل غير جمع الأموال وتسليمها له لكي يكسبها في سبائك من ذهب طبقات بعضها فوق بعض في أقبية قصره ولم يكن غريبا والحالة كذلك أن تنتشر الأمراض ويتفشى الجهل بين الناس وينشب الفقر مخالفه فيهم - فساعات الحالة وتفاقت حتى لم يعد من بد من التغيير - فقامت الثورة في ١٩٦٢/٩/٢٦ وحمل لواءها الجيش برياسة الزعيم عبد الله السلال وتخلص من آخر أسرة حميد الدين وعلى وهو سيف الاسلام البدر - أو الامام محمد - الذي هرب هو وأعوانه الى الجبال . وعلى أثر ذلك أعلن السلال مولد الجمهورية العربية اليمنية متأسيا في ذلك خطى ثورة ٢٣ يوليو .

وقد أرسل الزعيم اليمنى الى الرئيس جمال عبد الناصر عقب الثورة مباشرة يقول له : « لقد كلفنا ممثلو الشعب الحقيقيون بتنفيذ رغبته فى تغيير أوضاع حكم الرجعية البالية والاطاحة بالطغيان الذى طالما تمنى شعبنا العربى الأبى النبيل زواله » . وقد كان الزعيم اليمنى شديد التأثر بثورة ٢٣ يوليو ينظر اليها باعجاب واكبار . لذلك سعى بعد أخذ رضاء الشعب اليمنى للاتفاق مع مصر - وتنفيذا لذلك تم توقيع اتفاقية للدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية فى ١١/١١/١٩٦٢ للرد على مؤامرات الاستعمار التى كانت تتحين الفرص بعد أن حشدت حشودها لاعادة أسرة حميد الدين - وقد نصت الاتفاقية على أنه « تعتبر الدولتان كل اعتداء مسلح على أية دولة منهما أو على قواتها اعتداء عليها » . وعلى الفور أرسلت الجمهورية العربية المتحدة بعض قواتها الى اليمن لمؤازرة ثورته ولرد مؤامرات الانجليز فى الجنوب وتأديب فلول البدر الهاربة على الحدود فى الشمال وبذلك ساهمت الجمهورية فى انجاح ثورة اليمن والحفاظ عليها وعملت على تحرير المواطن اليمنى من ربة الظلم التى تردى فيها سنين طويلة .

وإذا كانت اليمن هى أحدث دولة عربية تحررت متأثرة فى ذلك بثورة ٢٣ يوليو ، فإن هناك دولا أخرى على الطريق تنتظر دورها لكى تتحرر وتتطلع شعوبها الى يوم الخلاص . ويشق الأحرار من أبناءها طريقهم الوعر فى عزم واصرار نحو النور والحرية - وما كفاح العرب فى عدن وفى المحميات والامارات الشرقية والغربية وغيرها الا أثرا من آثار ثورة ٢٣ يوليو سرى فى جسم الأمة العربية شرقا وغربا ..

## جامعة الدول العربية :

وإذا كنا قد تحدثنا عن الوحدة العربية ودور الحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى تحقيقها ، فما هو دور جامعة الدول العربية ؟ لقد ساهمت مصر مساهمة كبيرة فى قيام هذه الجامعة سنة ١٩٤٥ ، وما تزال تدعم كيائها وتوطد أسسها لتحقيق الأهداف التى قامت من أجلها ، وتعمل الجمهورية العربية المتحدة الآن على احباط كل محاولة رجعية لهدمها .

تحدث الميثاق عن دور جامعة الدول العربية فى تحقيق الوحدة العربية فقال : « ان قيام اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يعرض نفسه على المراحل القادمة من النضال . ان ذلك لا يؤثر — ولا ينبغى له أن يؤثر — على قيام جامعة الدول العربية ، واذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشوط العربى غايته العظيمة البعيدة ، فانها تقدر على السير به خطوات .

« ان الشعوب تريد أملها كاملا . والجامعة العربية ، بحكم كونها جامعة للحكومات ، لا تقدر أن تصل الى أبعد من الممكن . ان الممكن خطوة فى طريق المطلوب الشامل . ان تحقيق الجزء مساهمة فى تقرب يوم الكل لهذا فان الجامعة العربية تستحق كل التأييد ، على أن لا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف وهم تحيلها أكثر من طاقتها العملية التى تحددها ظروف قيامها وطبيعته .

« ان الجامعة العربية قادرة على تنسيق ألوان ضرورية من النشاط العربى فى المرحلة الحاضرة ، لكنها فى نفس الوقت تحت أى ستار وفى مواجهة أى ادعاء لا يجب أن تتخذ وسيلة لتجميد الحاضر كله وضرب المستقبل به »

أصبحت ثورة ٢٣ يوليو رائدة ، وأصبح جمال عبد الناصر رائد العروبة الأول وأصبحت سياسة الوحدة العربية ترتبط باسمه ، وأصبحت الدعوة الى السلام فى الوطن العربى تعود الى جهوده ، وأصبحت السياسة المستقلة بين المعسكرات ترتبط بأفكاره . وباختصار ، أصبحت معالم الطريق العربى الجديد ترتبط بجهود رائد العروبة جمال عبد الناصر .

## ٤ - تحقيق الوحدة الافريقية والسلام العالمى

### سياسة الحياد الإيجابى :

من خلال تصارع القوى العالمية فى الشرق والغرب ، برزت سياسة الحياد الإيجابى التى أصبحت الجمهورية العربية المتحدة فى مقدمة روادها . وقد أصبحت هذه السياسة حتمية لاقامة الدعائم الجديدة لحياة البشرية فى المستقبل . وقد أصبحت هذه السياسة أيضا من السياسات المميزة لقارتى

افريقيا وآسيا ؛ وأصبح تجمع الملايين من أبناء القارتين حول هذه السياسة من سمات التحرر والنضال ضد الاستعمار . وسياسة الحياد الايجابي لاتنحاز الى شرق أو غرب ، ومعتقدوها ليسوا الا دعاة السلام والمحبة والتعاون بين الشعوب . وقد أصبحت هذه السياسة الايجابية المتفاعلة مع الأحداث الممثلة للكفاح الشعبى من العوامل الفعالة فى اقرار السلام وتأكيد المحبة بين شعوب العالم .

والرئيس جمال عبد الناصر هو الزعيم العربى الذى أرسى دعائم سياسة عدم الانحياز ، وجعلها فلسفة راسخة للشعب العربى كله . واذا كان الرئيس عبد الناصر هو رائد القومية العربية وبطلها ، فان هذه القومية ما كان لها أن تصبح حقيقة واقعة الا فى ظل سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز . ذلك أن القومية العربية لا يمكن أن تدور فى فلك سياسة من السياسات ولا يمكن أن تكون تابعة لمعسكر من المعسكرات ؛ بل ان حياتها مرهونة بالسياسة المستقلة .

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر سياسة عدم الانحياز فى وضوح وبصوت دوى فى مؤتمر باندونج يوم ١٩ ابريل ١٩٥٥ فقال : « ان فرض الدول الكبيرة سياسة معينة لتحقيق مصالحها الخاصة له أثره الضار على الدول الصغيرة ، فهو يفرق فيما بينها ، كما يضعف الروابط والتعاون الذى قد يكون قائما بينها ، وبذا تقع تحت السيطرة الأجنبية . فان على الدول الصغيرة أن تقوم بدورها الانشائى فى سبيل تحسين العلاقات الدولية ، وتخفيف حدة التوتر الدولى .

« وثمة شئ آخر ؛ ذلك هو موضوع تصفية الاستعمار الذى طالما كان سببا فى الاحتكاك بين الدول وما يستتبعه من قلق ، فانه منذ أن اتسعت رقعة الاستعمار ، اتسعت معه مشكلة نظام الحكم الاستعمارى الأجنبى الذى كان دائما مثار الحروب .

« ولقد شاهدنا منذ سنين ، وما زلنا نشاهد ارتفاع موجة القومية ، لا فى بلادنا والمناطق المجاورة لها فحسب ، بل فى عدة أقطار أسيوية وأفريقية .



واقـد علمـتـنا تجـارب الحـبـاة أن القـومـية اذا أحـبـطـت تـرـتـبـت عـلـيـها عـواقـب وخـيـمة ونشأت عـنـها مـشـاكـل عـويـصـة ، وان الدـول اذا تناولتـها فـى حـكـمة وهـوادة وواقـعية ، أثـمـرت ثـمـرا طـيـبا من الصـداقة والتفاهم والمـحـبة .

وـضـع الرئـيـس عـبـد الناصـر للمؤتمـر مـبـدأين هـامـين هـما : (١) يـجـب عـلـى كل دـولـة أن تحترم الاستقلال السياسى لأية دولة أخرى ، وأن ترعى العدالة الاقليمية فيها ، وألا تتدخل فى شئونـها . (٢) لكل دولة الحق فى أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية .

وعند عـودـة السيد الرئيس من بانـدونـج أعلن للشعب سياسة المستقبل ، سياسة الاستقلال والحرية والتحرر ، فقال : « ان بلادنا اليوم لها كيان مستقل وشخصية مستقلة ، وأنها حينما تتصرف من وحي هذا الاستقلال ، انما تتصرف فى الداخل وهى كاملة الاستقلال ، وفى الخارج وهى تشعر أنها كاملة الاستقلال . »

وفى ١٠ مارس سنة ١٩٥٧ تحدث السيد الرئيس الى الصحفي الهنـدى ( كـرانـجـيا ) ، ورسم سياسة الجمهورية العربية المتحدة فقال له : « اننا نعمل دائما بما توصى به القومية العربية ، واستقلال العرب ، وتمسكهم بالحياد الايجابى ، ومناهضة اسرائيل والصهيونية . »

ووضح السيد الرئيس سياستنا فى الحياد الايجابى فى حديث له مع وفد الصحفيين الأمريكين فى ٢٧ يناير ١٩٥٨ فقال سيادته : « اتنا نعتبر ان فكرة عدم الانحياز وعدم الاشتراك فى حلف دفاعى مع دولة كبرى مقاومة لسيطرة الدول الكبرى » ولا تقوم فلسفة السيد الرئيس على أساس معارضة الاحلاف العسكرية التى تضم بعض الدول العربية فحسب ، ولكن هذه الفلسفة تقوم على معارضة الأحلاف العسكرية من أى نوع كان بين القوى غير المتكافئة .

ألقى السيد الرئيس خطاب فى مؤتمر التعاون فى ديسمبر ١٩٥٧ شرح فيه سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز فقال : « ظهر فى المنطقة الحياد الايجابى وعدم الانحياز . كلام سيؤمن به كل مواطن . كل مواطن فى المنطقة العربية

كان ينادى بعدم الانحياز ، الحياد الايجابى ، الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبعث من المنطقة نفسها بدون الاشتراك مع أية دولة كبرى . لأن الاشتراك مع أية دولة كبرى معناه وضعنا ضمن مناطق النفوذ . القضاء على الاستعمار مبادئ جديدة ظهرت . القضاء على أعوان الاستعمار . القضاء على الاقطاع . والقضاء على الاحتكار . القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم . اقامة جيش وطنى قوى . اقامة عدالة اجتماعية اقامة حياة ديموقراطية سليمة القومية العربية بدأت تعتنق هذه المبادئ . العرب فى كل مكان بدأوا يشعرون أن هذه المبادئ ، وهذه الأهداف تعبر عما يختلج فى نفوسهم تعبر عن الكلام الذى يريد كل واحد منهم أن يقوله ، تعبر عن الشعارات الحقيقية التى تمثل القومية العربية والعزة العربية والحرية العربية .

## جمهوريتنا والسلام العالمى

السلام العالمى أمنية غالية تبدو للمتفائلين عزيزة المنال ، الا أنها ممكنة التحقيق ، لذلك نجدهم لا يألون جهدا ، ولا يدخرون وسعا فى السعى وراء تحقيقها والعمل على توطيد السلام . وأى وقت أنسب للعمل على تحقيق السلام العالمى من وقتنا هذا ، الذى لا تقتصر فيه مضار الحرب على المتحاربين بل تتعداها الى المدنيين الآمنين ، ويتأثر بنتائجها العالم كله ، كما أصبح بين الدول من مصالح مشتركة وارتباطات دولية تضطر الصغير منها والكبير الى خوض غمار الحرب ، فيخرج الجميع منها منهوكى القوى خاسرين . الا فئات محدودة تذكى نار الحرب لا تكتوى بأوارها ، لأنها تستغلها فى تنفيذ مآربها وغاياتها .

ان السلام كلمة عامة كثر استخدامها حتى أنها كادت أن تفقد مدلولها والدول الآن تعنى بالسلام ( انعدام الحرب ) ، ولكن من المؤكد أن هذا ليس هو المعنى الوحيد الذى يمكن أن نعطيه للسلام ، ولكنه أفضل تعريف يخدم الأهداف العالمية ، لأن الدول عندما تحلم بالسلام لا تفكر فى وسائل زيادة التفاهم الدولى ، أو فى توطيد مشاعر الأخوة بين البشر ، فان كل ما تريده تجنب قيام حرب عالمية أخرى .

والجمهورية العربية المتحدة تعمل دائما على ازالة التوتر فى العالم ، فقد أصبحت البشرية فى أمس الحاجة الى السلام وانهاء الحرب الباردة ، وقد أوضح السيد الرئيس جمال عبد الناصر هذه السياسة فى قوة ووضوح فقال سيادته : « أما فى سياستنا العالمية ، فنحن نعمل من أجل ازالة التوتر بعد أن أصبحت البشرية الآن فى مرحلة يتعين عليها أن تنهى الحرب الباردة وأن تضع أسس السلام ، نحن نؤيد تقرير المصير . نحن نؤيد مساعدة الدول التى تكافح فى سبيل استقلالها ، نحن نعمل من أجل تصفية مناطق النفوذ ، على أن يكون الاستقلال استقلالا حقيقيا ، ولا تكون الدول الصغرى ألعوبة فى يد

الدول الكبرى ، نحن نعمل ونكافح من أجل تحريم التجارب الذرية ، ومن أجل تحريم استخدام الأسلحة الذرية .

« نحن نعمل من أجل السلام ونزرع السلاح حتى تتجه جهود العالم من أجل التنمية . العالم الذي يتكون من ٢ مليار ، منهم مليار يقاسى الجوع . نصف العالم يقاسى من الجوع . لا يقدر على أن يأكل فى اليوم أكلة كاملة . نصف العالم يسمى للتنمية ويكافح فى سبيل التنمية . ثم يصرف على السلاح أكثر من ١٠٠ مليار دولار .

« أمريكا وحدها تصرف على السلاح ٤٤ مليار على اقتاج الأسلحة ، يعنى ٤٤ ألف مليون دولار . قطعا روسيا تنتج مثل هذا الشيء الى جانب الدول الأخرى . يكون المجموع على الأقل ١٠٠ ألف مليون أى مائة مليار دولار لو قسمنا المائة مليار التى نصرفها على السلاح للموت والهلاك على سكان العالم ، وتعدادهم ٢ مليار ، ينال كل واحد فى العالم ٥٠ دولارا . يعنى الدولة التى تتكون من مليون تأخذ فى السنة ٥٠ مليون دولار . والدولة التى تتكون من ١٠ مليون يصيبها ٥٠٠ مليون دولار . والدولة التى تتكون من ٢٠ مليونا يصيبها كل سنة ١٠٠٠ مليون دولار ، يمكن انفاقها فى التنمية ، وفى خلق صناعة وأكل ، وتقذ نصف البشر الذين يقاسون الآن من الجوع .

« ونحن نهدف الى العمل على نزع السلاح ، وتحديد التسليح فى سياستنا ، ولهذا نسير فى طريقنا وبهذا نصمم أيضا على هذه السياسة ، سياسة الحياد وعدم الانحياز ، والعمل من أجل السلام ومنع الحرب ونزع السلاح ، من أجل صالح البشرية كلها . »

أصبح السلام فى القرن العشرين هدفا قوميا هاما أكثر مما كان من قبل . فقد كان الدمار الشامل الذى نجم عن الحربين العالميتين عاملا على ظهور رأى ينادى بأن قيام حرب عالمية ثالثة كفيل بالقضاء على البشرية . ان اختراع الأسلحة الحديثة الذرية والهيدروجينية والصواريخ الموجهة ، جعل قيام حرب عالمية أمرا خطيرا لا يجرؤ على الخوض فيه الا رجل مجنون ، اذ أن طبيعة

الحرب قد تغيرت تغيرا كبيرا ، وازدادت بذلك أهمية السلام بوضعه هدفا قوميا .

ان الهدف الذى يستهدفه المجتمع البشرى العالمى الآن يتلخص فى تدعيم السلام العالمى الدائم ، وتحقيق الرخاء الشامل ، أى رفع مستوى المجتمع المادى والروحى الى أعلى الدرجات التى يمكن أن تصل اليها الانسانية كافة وهذا الهدف على بساطته ينطوى على معان كثيرة ، ويتطلب أعمالا جبارة وحركات نشيطة فى ميادين الحياة . اذ أن السلام لا يتحقق ولن يدوم الا بنشر وانماء المحبة ، ولا يمكن أن يكون شاملا الا بتوجيه أفراد المجتمع جميعا الى أعمال منتجة مفيدة لأنفسهم وللآخرين ، وذلك لكى تكثر وتتضاعف الخدمات والانتاج لسد حاجات الجميع . ورفع مستوى المجتمعات المادى والروحى وانعاش الحضارة والمدنية وتعميم الثقافة والتعليم بين سائر الطبقات ولجميع أفراد المجتمع ، ليحيا الجميع فى أمن وسلام وليجنوا ثمار هذه الحضارة العظيمة ، وهذه المدنية الشاملة .

وقد وضع السيد الرئيس جمال عبد الناصر سياسة الجمهورية العربية المتحدة نحو تحقيق السلام العالمى فقال أن وسائل تحقيق السلام فى يد جميع الشعوب ، لأن هذا السلام يقرر مصير هذه الشعوب ، وهذه الشعوب أيضا هى التى تصنع الحضارة وتدفع العالم الى التطور والتقدم . فقال السيد الرئيس : « وانى لأقول أمامكم هنا باسم الجمهورية العربية المتحدة ، وتعبيرا عن فكرها وضميرها ، اننا نؤمن أن مشكلة السلام والحرب ملك جميع الشعوب باعتبارها قدر شعوب الأرض جميعا ومصيرها .

« ان الدول الكبرى لا تملك وحدها كلمة السلام أو الحرب ، وانمسا الجنس البشرى كله ، مستمدا الحق من تضحيات شعوبه على اختلافها من أجل صنع الحضارة ودفع التطور . ومن تطلع شعوبه كله الى الأمن . هكذا فاننا فيما يتعلق بالسلام نتحاز الى جانب السلام وضد الحرب . واذا كان لنا من تحفظ واحد على هذا الموقف القاطع الذى لا حجاب فيه ، فهو أن السلام الذى نريده هو السلام القائم على العدل دون تفرقه ودون تمييز . بهذا

الايان فى أعماق ضمائرنا ، وبهذا الهدف أمام عيوننا ، جئنا الى هذه الدورة مؤمنين انه فى مجالها ، فى مجال الأمم المتحدة ، يكوز العمل الفعال من أجل السلام ومع أننا تؤمن بكل جهد يبذل من أجل السلام مهما كان مجاله . فأننا تؤمن فى نفس الوقت أن احتمالات النجاح أقوى فى نطاق الأمم المتحدة منها فى أى مجال آخر خارجها .

ان الرسالة الانسانية للعالم العربى تنمو مع نضال وكفاح الأمة العربية، وتتبلور من خلال تجاربها ، وهى فى جوهرها تعبير عن حيوية هذه الأمة ، التى تستهدف ارساء جميع العلاقات الدولية على أسس الحق والعدل والمساواة والمنفعة المتبادلة . وهذه هى رسالة العالم العربى فى بعثه الجديد . فالعرب يضعون أيديهم فى يد المؤمنين بالحربة مثلها حتى يسير الجميع على قدم المساواة فى الموكب البشرى الكبير .

## تحقيق الوحدة الافريقية :

تحدث الميثاق عن ايمان العرب بضرورة قيام جامعة افريقية ، وتضامن أسىوى افريقى ، من أجل تحقيق السلام العالمى ، والجمهورية العربية المتحدة جزء من الوطن العربى الكبير ، وجزء من قارة افريقية ، وجزء من العالم الاسلامى . ولا تستطيع أن تعيش بعيدة عن هذه الشعوب، فهم جميعا أعضاء فى الأسرة البشرية الكبرى .

فقال الميثاق : « واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ، ويؤمن بتضامن أسىوى افريقى ، يؤمن بتجمع من أجل السلام يضم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ، ويؤمن برباط روحى وثيق يشده الى العالم الاسلامى، ويؤمن باقتمائه الى الأمم المتحدة ، وبولائه لميثاقها الذى استخلصته آلام الشعوب فى محنة حريين عالميتين تخللتها فترة من الهدنة المسلحة .

ان الايمان بهذا كله لايتعارض مع بعضه ولا يتصادم ، وانما هى حلقات سلسلة واحدة .

ان شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة الأمة العربية . ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لأفريقيا المناضلة ، وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

« ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرير الوطنى ، وهو أبرز سمات القرن العشرين . ان شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ، ويعتقد فيه كضرورة حيوية ، ومن ثم لا يتوانى عن العمل من أجله مع جميع الذين يشاركونه نفس الاعتقاد . ان شعبنا يعتقد فى رسالة الأديان وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء . ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادئ الانسانية السامية التى كونتها الشعوب بدمائها فى ميثاق الأمم المتحدة . ان فقرات كثيرة فى هذا الميثاق قد كتبت بدماء شعبنا ودماء غيره من الشعوب » .

وضع الصحفى العالمى ( جون جنتر ) كتابا بعنوان ( فى داخل افريقية ) ، فكتب فيه تحت عنوان (مسلك مصر نحو افريقية) فقال : لهذا المسلك ناحيتان : الأولى أن مصر قوة عظيمة تكمن وراء انتشار الاسلام فى العالم ، وهى بطبيعة الحال ترجو أن ترى أكبر شطر ممكن من افريقية السوداء يتحول الى الاسلام أما الناحية الثانية : فهم أن مصر تعتبر نفسها أما أو أبا للحركات الوطنية فى أى مكان من افريقية وقد كتب جمال عبد الناصر فى كتابه ( فلسفة الثورة ) يقول : ليس بوسعنا أن نقف جامدين مهما تكن الظروف ، ازاء الصراع الدموى الرهيب الذى يدور فى افريقية اليوم بين خمسة ملايين من البيض و ٢٠٠ مليون من الافريقين ، وسوف تظل شعوب افريقية تتطلع اليها نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، ونمثل همزة الوصل بينهم وبين العالم الخارجى ) .

ووصف هذا الصحفى العالمى مصر باعتبارها فى مقدمة دول افريقية المنحصرة فقال : ومصر ليست ذات ماض مجيد فحسب ، بل ان لها حاضرا ، فهم بلاد مشبوبة بالحيوية، والتفوق تؤمن بالواقعية المعاصرة، ففيها شبكة حديثة للسكك الحديدية ، والطرق الجيدة ، ولها تجارة مزدهرة ، مطردة

الاتساع ، وقد بلغ دخلها القومي مستوى عاليا بالنسبة لأفريقية ، كما أن لها صحافة وإذاعة صوتهما مسموع والقاهرة أكبر المدن جميعا في أفريقية ، ولعلها أرقاها وأغناها ، وقد ارتفع عدد سكانها من نحو مليون نسمة ، منذ عشرين سنة الى أكثر من مليونين ونصف مليون في الوقت الحالى . والقاهرة أكبر مدينة في العالم الإسلامى ، تبلغ مساحتها ضعف مساحة باريس . وليس في قارة أفريقيا سوى مدينتين يربو عدد سكان كل منهما على مليونى نسمة ، وهما مصرتان : القاهرة والاسكندرية التى أنشأها الاسكندر الأكبر سنة ٣٣١ ق.م. وفي القاهرة أكبر معهد إسلامى للعلم فى العالم هو الجامعة الأزهرية ) .

أصبحت الجمهورية العربية المتحدة رائدة الاستقلال والحرية فى العالم كله. وخاصة فى قارة أفريقية . فقد وقفت الى جانب جميع الدول الأفريقية فى كفاحها الشعبى من أجل التحرر والحرية . وضربت الجمهورية العربية المتحدة أمثلة كثيرة لمناصرة الحق والعدل والتحرير ، وموقفها المعروف المشهور من قضية الكونغو لا يزال حديث الألسن فى كل مكان فى العالم . وهى تدافع عن جميع القضايا الأفريقية فى الهيئات العالمية ، وخاصة فى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، وتحارب الاستعمار والاستغلال والاحتكار فى أفريقية ، وتناهض سياسة التفرقة العنصرية التى تتبعها حكومتى روديسيا وجنوب أفريقية . وقد شهد السيد الرئيس جمال عبد الناصر جميع المؤتمرات الأفريقية ، وساهم فى قيام منظمة الوحدة الأفريقية مساهمة فعالة . وقد أدت جهود الجمهورية العربية المتحدة الى تدعيم التعاون بين الدول الأفريقية ، وحل المشاكل التى قد تؤثر فى هذا التعاون، مثل الخلاف بين الصومال وكل من أثيوبيا وكينيا، ومشكلات اللاجئين الأفريقيين ، ومثل الخلاف على الحدود بين الجزائر والمغرب ، وبين السودان وتشاد .

ويحاول الاستعمار القضاء على جهود منظمة الوحدة الأفريقية ، وقد حاول فعلا تعطيل أعمالها فى الدورة الأخيرة فى أكتوبر ١٩٦٦ ، وبدأ هذا واضحا فى خطف وفد غينيا ، كما حاول المستعمرون الخلاص من لجنة تحرير أفريقية المتفرعة عن المنظمة ، فأوعزت الى بعض الدول العميلة بطلب تصفية



هذه اللجنة . وتعاونت الدول المتحررة في المنظمة الافريقية على القضاء على مناورات الدول الاستعمارية وعقد رؤساء الوفود في اللجان السياسية في يوم الخميس الثالث من نوفمبر ١٩٦٦ اجتماعا مغلقا لبحث مناورات الاستعمارين وحدث مناقشات حامية ، وكان أول المتحدثين رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة الذي قال :

« اننا لسنا على استعداد ل مناقش مبدأ هل تبقى أو لا تبقى لجنة التحرير ، لقد تعهد رؤساء الدول الافريقية بالعمل على تحرير افريقية نحريرا تاما . والمسألة هي هل نحن نؤيد حركات التحرر أو لا تؤيدها ؟ اننا لانستطيع أن نتحمل أن نرى نصف افريقية قد تحرر ، بينما لا يزال نصفها الآخر يروح تحت وطأة الاستعمار » .

وهكذا أعلنت الجمهورية العربية المتحدة رأيها الحر ، وتبعه مندوب قانزانيا الذي قال : ان تصفية هذه اللجنة معناه ان منظمة الوحدة الافريقية تصبح عاطلة بلا هدف ، وقد تنهار . وأيدت معظم الدول رأى الجمهورية العربية المتحدة ، و انتهى الأمر باخفاق محاولات الاستعمار وأذئابهم ، وانتصار الجمهورية العربية المتحدة والدول الافريقية التقدمية المتحررة .

## ٥ - دفعة الاسلام والعالم الاسلامى

### القيم الروحية فى الميثاق :

فى الميثاق جوانب روحية كبيرة تبرز اهتمامه بالقيم الروحية ، حتى أصبح الميثاق يمثل روح الحضارة الاسلامية . وتضمنت عبارة اعلان الميثاق اشادة بالايمان بالله وشريعته ، وأكدت معانى القيم الدينية والخلقية والروحية ، وأشارت الى التراث الاسلامى والحضارة الاسلامية التى تثير الطريق أمام العالم الاسلامى ليحقق أمجاد عظيمة .

جاء فى اعلان الميثاق : « ايماننا بالله ، وبما أنزل من شريعة الحق والخير والسلام ، وتقديسا لحق الانسان فى العزة والكرامة ، وفى الكفاية والعدل . واستمساكا بحق أمتنا فى الحياة والتحرر والانطلاق . وتشيتنا لخطانا على طريق ثورتنا الانسانية والاجتماعية والسياسية ، وسعيا الى تحقيق التكافل وتذويب الفوارق بين الطبقات وتوكيدا لمعانى الفضيلة والايتار فى سلوك الفرد وصلات الجماعة ، وتجلية لطابعنا الشعبى وحياتنا الأصلية فى اطار قيمنا الروحية والدينية والخلقية . واعتزازا بتراثنا فى الماضى وجهادنا فى الحاضر، وعملنا من أجل المستقبل ويقيننا بأننا جزء لا يتجزأ من الشعب العربى ، وأن أمتنا العربية أمة واحدة ، وأداء لواجبنا التاريخى ورسالتنا الخالدة فى بناء الاسلام القائم على العدل ، بذلك كله ، ومن أجل ذلك كله ، نقر هذا الميثاق ، ونعلنه اطارا لحياتنا ، وطريقا لثورتنا ودليلا لعسلنا من أجل المستقبل نعلن ميثاقنا ، ونعاهد الله على أن نستمسك بكل ما فيه من معانى الحق والخير والعدل فى الحياة ، وأن نبذل كل ما أودعنا الله من طاقة لنضع هذه المعانى جميعا موضع التنفيذ » .

نظر الميثاق الى الأديان السماوية على أنها ثورات انسانية ، تسمو بالحياة البشرية ، وترفع من كرامة الانسان ، وتحقق له الرخاء والرفاهية . كما أبرز الميثاق حقيقة ملائمة الأديان لحقائق الحياة . والأديان لا تتعارض

مع النظريات العلمية الحديثة ، وليس هناك تناقض بين الدين والعلم ، فالدين يحقق حضارة البشرية ويدعو الى تعاون البشر من أجل السلام والرخاء والتقدم .

فقال الميثاق : « ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثواب انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وأن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته . ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين — ضد طبيعته وروحه — لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية » .

وتحدث الميثاق عن أثر الاسلام فى وحدة الشعب المصرى مما حقق له أسباب الدفاع عن الحضارة والانسانية ، فجاء فى الميثاق : « وان شعب مصر العربى ، فى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قد قام بدوره الحاسم دفاعا عن الحضارة والانسانية ، وتحمل نصيبا كبيرا من المسئولية المادية والعسكرية فى صد أولى موجات الاستعمار الأوروبى فى العهد الصليبي ، وفى رد غزوات التتار ، كما شارك مشاركة خالدة الأثر فى المسئولية الفكرية والثقافية من أجل حفظ التراث الحضارى العربى ودخائره الحافلة » .

## الأخوة الاسلامية فى الميثاق وفلسفة الثورة :

أبرز الميثاق أثر تنمية الروابط بين الشعب العربى والشعوب الاسلامية ، الذين تجمعهم جميعا روابط الحضارة الاسلامية ، من أجل تحقيق السلام العالمى ، فقال الميثاق : « وان شعبنا المؤمن يشعر بقوة الروابط الروحية والثقافية التى تربط الشعب العربى بسائر الشعوب الاسلامية ويتطلع الى المزيد من التعاون معها فى سبيل الحرية والسلام العالمى » .

كما تحدث الميثاق عن الوحدة العربية فقال انها تسير جنبا الى جنب مع الأخوة الاسلامية ، فقال : « العالم العربى هو قلب هذا العالم الاسلامى ، والعالم الاسلامى بشعوبه المتجاوبة مع الأمة العربية والمتداخلة معها فى أكثر

أعدادها يعد رداء للعالم العربى ، وباحكام الخطة وصدق النية ومواصلة الجهد فى هذا الصدد نستطيع أن نكسب الكثير لأهدافنا ومبادئنا ، فنخدم قوميتنا وعروبتنا ، وفى الوقت نفسه تؤدي ما استحق فى أعناقنا نحو أخوة لنا فى العالم الاسلامى نحس برباط روحى وثيق يشدنا اليهم ، وما أوثق الوشائج بين العروبة والاسلام ، فالعروبة وعاء الاسلام ، والاسلام روح العروبة .

وتمر الأمة الاسلامية اليوم فى فترة انتقال هامة ، فهى تتخلص من بقايا الحكم الاستعمارى الذى كان يسيء الى معالم الحضارة الاسلامية ، وهى تتطلع الى مستقبل مشرق باسم ، أكثر حضارة ورخاء ، مما يتيح للأمة الاسلامية أن تعبر عن معنى وجودها فى رسالة ايجابية انسانية .

وهذه الرسالة لن تتحقق الا بتسمية مشاعر الأخوة الاسلامية ، وباحكام الخطة ، وصدق النية ، ومواصلة الجهد . ولذا فالمسلمون ليسوا فى حاجة الى أحلاف أو تكتلات دولية ، فيكفى أن يكون الاسلام هو محور أخوتهم والرباط الروحى الذى يربطهم ، وان انصرف المسلمين الى الخوض فى الصراع الدولى يشتت شملهم ، ويفرق صفوفهم ، ويعثر جهودهم .

وصور كتاب ( فلسفة الثورة ) الحج على أنه ( برلمان اسلامى عالمى ) يحقق الأخوة الاسلامية ، وينمى الروابط الروحية ، ويبرز دورهم فى العالم . فقال السيد الرئيس فى ( فلسفة الثورة ) : « .. ولقد وقفت أمام الكعبة وأحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من العالم وصل اليها الاسلام ، ثم وجدتني أقول لنفسي : يجب أن تتغير نظرتنا الى الحج ، لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة .

« يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم الى متابعة أنبائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صوراً طريفة لقراء الصحف ، وانما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه قادة الدول الاسلامية ورجال الراى فيها ، وعلماءؤها فى كافة أنحاء المعرفة وكتابها وملوك الصناعة فيها وتجارها وشبابها ، ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى

خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا ، حتى بحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام .

«يجتمعون خاشعين ولكن أقوياء ، متجردين من المطامع لكن عاملين ، مستضعفين لله ولكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم حاملين بحياة أخرى ، ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله فى هذه الحياة » .

والاسلام لا يعترف بالحدود الصناعية التى وضعها المستعمرون ليفرقوا بين صفوف المسلمين ، ولا بالحدود العنصرية التى وضعها أصحاب المصالح فى ايجاد تفرقة عنصرية فى العالم ، وقد خلق الله الشر اخوة متحابين ، متعاونين ، مهما كانت أوطانهم ، ويكفل الاسلام للجميع الحرية والقوة والاخاء والمساواة والسلام العام .

جاء فى كتاب فلسفة الثورة : « وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى أندونيسيا ، وخمسين مليونا فى الصين ، وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان وأكثر من مائة مليون فى منطقة الشرق الأوسط ، وأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة . حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة ، أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ، ولكنه يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة » .

لقد امتزجت العروبة بالدين ، وأصبح الدين خير ما يدعم القومية الحققة الصادقة ، والتاريخ يربط بين الاسلام والعروبة ، ويجعلهما فى وعاء واحد . فيقول السيد الرئيس فى كتاب فلسفة الثورة : « وامتزج هذه الدائرة — العربية — معنا أيضا بالدين ، فنقلت مراكز الاشعاع الدينى ، فى حدود عواصمها ، من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة . ثم جمعها فى اطار ربطته بكل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية » .

## الأزهر الشريف فى عهد الثورة

حوى الميثاق كثيرا من الجوانب الروحية ، وأشاد بالايان فى كثير من صفحاته . وكان للأزهر الشريف نصيب وافر فى صفحات الميثاق ، باعتباره من أكبر المراكز الإسلامية فى مصر وفى العالم الإسلامى أجمع . فأبرز الميثاق دور الأزهر الشريف فى بلورة الروح القومية الوطنية فى العصر العثمانى فقال الميثاق : « ثم كان — أى الشعب — قد تحمل المسئولية الأدبية فى حفظ التراث العربى الحضارى وذخائره الحافلة ، وجعل من أزهره الشريف حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارا ورجعية باسم الدين ، والدين منها براء » .

ووضح الميثاق أن الأزهر هو صانع اليقظة المصرية ، وليست الحملة الفرنسية على مصر كما يذكر بعض المؤرخين ، فقد أصبحت جدران الأزهر تضم تيارات وطنية ، فأصبح الأزهر مركز إشعاع قومى ، امتدت أشعته الى أرجاء مصر والعالم العربى ، تثير حماسهم للخلاص من الاستعمار العثمانى ، فقال الميثاق : « ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت — كما يقول بعض المؤرخين — فان الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر وجدت الأزهر يروج بتيارات جديدة تتعدى الى الحياة فى مصر كلها ، كما وجدت الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة ، والذى كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقى تصادما بين الايمان الدينى الأصيل فى هذا الشعب ، وبين ارادة الحياة التى ترفض الاستبداد » .

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المباركة ، عملت حكومة الثورة على النهضة بالأزهر الشريف ، ليعود كما كان منبعا للعلوم الدينية ، وعملت على تطويره بحيث يرتبط الدين بالحياة والعلوم الحديثة ، حتى يؤدى رسالته المجيدة ودوره الكبير لرفعة الإسلام والثقافة الإسلامية ، وتدعيم الصلات بين الشعوب الإسلامية جمعاء . فجاء فى الميثاق : « وفى يقيننا أن الأزهر

الشریف بما له من تاریخ حافل مجید ، وفى ظل قانونه الثورى الجدید ،  
قادر أبدا على النهوض بهذا الإصلاح الدینى ، وعلى تطوير الثقافة الدینیة  
مرتبطة بالحیة والعلم الحدیث ، حتى تكون العلوم الدینیة مستوحاة من  
منابعها الأصلیة فى عصور الازدهار والقوة ، وبذلك تكون أجهزة الدعوة  
للدین فى كل مجالات التعلیم والوعظ والاعلام على وعى بروح الدین الحق  
ووظيفته فى الحیة .

« اتنا بذلك تسكن من تثقیف الشعب ثقافة دینیة صحیحة ، ومن تثبت  
القیم الخالدة النابعة من جوهر الدین ، وتتمكن كذلك من مواصلة رسالتنا  
المجیدة فى تعریف العالم بالدین الاسلامی على حقیقته ، وفى تقوية الروابط  
الدینیة والروحية التى تربطنا بالشعوب الاسلامیة » .

أشار الميثاق الى قانون الأزهر الثورى الجدید ، فقد أصدر الرئيس  
جمال عبد الناصر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بتاريخ ٥ يوليو ١٩٦١ ،  
وقد جعل هذا القانون الأزهر مركزا لنورة ثقافیة تتعاون مع سائر الجوانب  
الثورية الأخرى فى مصر من أجل رفعة الاسلام والقومية العربیة والمجتمع  
المصرى .

وكان الأزهر الشریف فى ظل القانون القديم ( رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ )  
معهد علمى اسلامى ، كل واجباته ومهمته أن يحافظ على الشریعة الفراء  
واللغة العربیة وأن يعمل على نشرهما ، وأن يخرج علماء يوكل اليهم تعلیم  
علوم الدین واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس والوظائف الشرعیة فى  
الدولة .

ولكن الأزهر الشریف فى ظل القانون الثورى الجدید أصبح أكبر  
وأقدم جامعة اسلامیة فى العالم أجمع ، وأصبح حصنا للاسلام والعروبة ،  
يربط بین الدین والعلم الحدیث ، ويعیش فى القرن العشرين ، ويخرج علماء  
قد جمعوا بین الدراسة الدینیة و بین العلوم والخبرات ، يساهمون فى الانتاج  
القومى ، ويشساركون فى موكب البشریة الكبير . ويحطم هذا القانون  
الحسواجز بین جامعة الأزهر وسائر الجامعات ، وأصبح خریجى الأزهر

يتساوون مع سائر خريجي الجامعات في الحقوق والواجبات ، وتتساح لهم نفس فرص العمل والانتاج .

استهل قانون الأزهر الجديد بأن عرف الجامع الأزهر بأنه « هو الهيئة العلمية الاسلامية الكبرى ، التي تقوم على حفظ التراث الاسلامي ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره في تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمانية وراحة النفس لكل الناس في الدنيا وفي الآخرة .

» كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمي والفكري للأمة العربية ، واظهار أثر العرب في تطور الانسانية وتقدمها ، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والانسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الاسلامي والوطن العربي بالمختصين وأصحاب الرأي فيما يتصل بالشريعة الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن .

» وتخريج علماء عاملين متفهمين في الدين ، يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح ، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة في كل أسباب النشاط والانتاج والزيادة والقُدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة في الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الاسلامية والعربية والأجنبية .

وتطبيقا لهذا القانون ، قامت ( جامعة الأزهر ) لتتولى التعليم العالي في الأزهر ، وتعمل على احياء التراث العلمي والفكري والروحي للشعوب الاسلامية والعربية ، واعداد العلماء الذين يجمعون بين الدراسات الدينية وبين الخبرة العلمية والعملية حتى يشاركوا في الانتاج والنهضة الحديثة . وأصبحت جامعة الأزهر تضم كليات جديدة الى جانب الكليات التي تهتم بالدراسات الاسلامية والعربية ، مثل كلية المعاملات والادارة ، وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب كما عملت حكومة الثورة



أن تنال الفتاة نصيبها من الدراسات الإسلامية والعربية ، فأنشأت كلية البنات الإسلامية لتخريج الفتاة المسلمة الحديثة ، والمرأة هي نصف المجتمع .

واهتمت حكومة الثورة بالمعاهد الأزهرية ، ونصت المادة ٨٥ من قانون تطوير الأزهر على مهمة هذه المعاهد ، فنصت على أن الغرض منها هي : « تزويد تلاميذها بالقدر الكافي من الثقافة الإسلامية وإلى جانبها المعارف والخبرات التي يتزود بها نظراؤها في المدارس الأخرى المماثلة ، ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها واعدادهم الاعداد الكامل للدخول في كليات جامعات الأزهر ولتهيئ للمواطنين جميعا فرص متكافئة في مجال العمل والانتاج ، كما تتهيأ لهم فرص متكافئة للدخول في كليات الجامعات الأخرى في الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالي » .

واختفى نظام الأروقة القديم ، حين كان طلبة الأزهر يسكنون الأروقة المحيطة بصحن الجامع ، ولكل فئة منهم رواق خاص بهم له شيخه وجرايته . وأقامت حكومة الثورة مدينة ناصر للبعوث الإسلامية ( في ١٥ سبتمبر ١٩٥٩ ) يسكنها طلبة الأزهر من قارتى إفريقيا وآسيا وتتسع لأكثر من خمسة آلاف طالب ، وفرت لهم الحكومة فيها كل وسائل الراحة والدعاية الصحية والاجتماعية حتى يتفرغوا لطلب العلم في كليات ومعاهد الأزهر المختلفة .

## المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

شملت جهود حكومة الثورة من أجل رفعة الاسلام جوانبا كثيرة ، وفي مقدمتها انشاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في سنة ١٩٦٠ . وامتد نشاط هذا المجلس الى جميع أرجاء العالم الاسلامي والوطن العربي ، وإلى جميع القارات . وتقوم لجان المجلس العديدة بالمساهمة الايجابية المثمرة في التعريف بالاسلام في كل أرجاء العالم ، واحياء التراث الاسلامي ونشر الثقافة الإسلامية ، وبث الوعي الديني ، وابراز حقائق الاسلام وأركانه وفضائله ، وتحارب أباطيل ومؤامرات المستعمرين والصهيونيين ودعاة التفرقة العنصرية .

ونشر المجلس كثيرا من الكتب والمطبوعات بكثير من اللغات ، تتناول دراسات كثيرة اسلامية وعربية وانسانية ، وأصبح يقرأها معظم شعوب العالم ، كل بلغته الوطنية . كما نشر المجلس «موسوعة جمال عبدالناصر في الفقه الاسلامي» سدت بها فراغا كان موجودا . ويصدر المجلس شهريا سلسلتين ناجحتين هما سلسلة «دراسات في الاسلام» و سلسلة «كتب اسلامية» ، تقدمان ثقافة رفيعة بقروش زهيدة .

ويصدر المجلس في أول كل شهر هجري مجلته الكبرى (منبر الاسلام) التي أصبحت أكبر مجلة اسلامية في العالم ، وتصدر المجلة الى جانب طبعتها العربية طبعات أخرى باللغات الانجليزية والفرنسية والأسبانية . وتحوى المجلة كثيرا من البحوث والمقالات القيمة لأبرز الكتاب العرب والمسلمين .

وقام المجلس بمشروع اسلامي كبير ، هو تجميع القرآن الكريم جسا صوتيا . فكان المصحف المرتل ، وتسجيل الأذان وكيفية الوضوء والصلوات الخمس وشرحها باللغات العربية والأجنبية . وأعد المجلس تفسيراً ميسراً للقرآن الكريم وقام بترجمته الى مختلف اللغات الأجنبية . كما اهتم بالأحاديث النبوية وسائر الدراسات الدينية التي تتناول الجوانب الاسلامية المختلفة ، بأسلوب علمي حديث . كما أعد المجلس موسوعات كثيرة تبرز الحقائق العلمية في القرآن الكريم وثبت اعجاز القرآن .

وأصبح المجلس الأعلى للشئون الاسلامية منبعا تستمد منه جميع دول العالم مكتباتها الاسلامية بجميع اللغات . والمجلس يرسل دائما آلاف من الكتب الى جميع الهيئات ، كما يهدي نسخا من المصحف المرتل واسطوانات التعاليم الدينية . والى جانب اهتمام المجلس بالدعاية خارج الجمهورية ، فهو يهتم بإنشاء مكاتب بجميع مساجد الجمهورية ، ويزيد عددها على ثلاثة آلاف مسجد .

ومن نشاط المجلس في المجال العالمي ايفاده بعثات الوعظ والارشاد وتعليم اللغة العربية ، وإنشاء المراكز الاسلامية في أرجاء كثيرة في العالم

وتقديم المغونات الثقافية الى مختلف الهيئات والجمعيات الاسلامية بالخارج .  
وتقديم المنح الدراسية للمسلمين من كل دول العالم ، ومساعدتهم على  
الالتحاق بجامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية المختلفة والجامعات المصرية ، وتوفير  
الرعاية الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية لهؤلاء الطلبة . كما أنشأ  
المجلس دارا للضيافة لاستقبال الشخصيات الاسلامية وعلماء المسلمين القادمين  
الى الجمهورية العربية المتحدة .

## قطاف الكفاح

هذه هي مراحل كفاح شعب مصر في الحقبة الأخيرة من تاريخها سردناه بايجاز شديد وعيننا باظهار ملاحم البطولة ومسور الكفاح — ذكرى لشهادتنا الذين سقطوا خلال المعارك التي خاضوها . نهل ذهب ارواحهم سدى ؟ لا لم تذهب ارواح الشهداء الذين سقطوا أثناء كفاحهم الطويل سدى فقد رهوا بدمائهم الزكية الظاهرة شجرة الحرية منذ كانت نبتا كامنا تحب الثرى .

وظلوا يتعهدونها حتى نموت وترعرعت وآتت أكلها ودفنت فطافها فاذا هي خير قد عم الوادى من أدناه الى أقصاه حتى فاض على ما جاوره من بلدان . فارتوى بعد أن طال عليه الظم وأخضرت أوراقه بعد ييوس وأينعت نماره وفاح أريج وروده . وأسدل ستار كثيف على السنين العجاف الطويلة الماضية بأوزارها وسياتها ، واستقبل الجيل الجديد عهدا آخر كله نور وعدن وخير ، ام تعرفه الأجيال الماضية . ولم يكن لها به عهد لأنها لم نحى فيه أو تتذوقه . فاستقام ظهر الفلاح بعد أن تحطمت الأغلال والأصفاة التي كانت تكبله ، وتنسم الحرية لأول مرة فى حياته الطويلة المليئة بالذل والاضطهاد والعبودية .

وتفيا العامل الفلال الوارثة التي هيأتها له معارك النضال وجنى ثرة سواعده التي شرع تساهم فى البناء والعمران . واستشعرت المبادئ الأخرى من الطبقات الكادحة بالمساعى المتواصلة التي تبذل من أجلها فى سبيل الوصول بها الى حياة أفضل ، وأينما تلفتنا نرى من حولنا رضى كل مكان معانى الخدمة العامة وقد شيدت لتخدم وتعالج وتعلم . ودخلت مناحى وقرى له تدخلها من قبل .

وسارت عجلة التقدم فى سرعة مذهلة وشارك الصناعة الزراعة وسارا جنبا الى جنب وأصبح للألة المقام المرموق والقدح المعلى .

وخرج المستعمر الغاصب من بلادنا مدحورا مهزوما بعد سنوات سود  
من الذل والعبودية . وعادت الى الوطن قطعة عزيزة عليه — فاسترددنا القناة  
بعد أن ظلت ما يقرب من قرن من الزمان تدار وتحكم وتستغل بأيدي أجنبية  
وأمام أعيننا .

وأقام الانسان المصرى أعظم بناء فى العصر الحديث فشيّد السد  
العملاق حاملا لنا الرخاء من جنباته والنور وال عمران من آلاته ، وخرجت من  
مصر مبادئ جديدة سامية تدعو الى المساواة والاخاء والحياد ، وتقاوم  
الاستغلال والاستعمار والحروب . وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة  
لا مرء فيها ، وانطوى تحت لوائها تسعون مليونا من العرب وأصبحت قوة  
مرهوبة الجانب لها كيائها واعتبارها فى العالم أجمع بما فيه من تيارات  
منضاربة وأهواء متعارضة وأثمر الكفاح الشعبى ، الذى حمل لواءه أخيرا  
وطنى قل أن تجود به بلد من البلاد وسار به فى الطريق السليم القويم بثبات  
وعزم وإيمان . متخطيا كل العقبات متجاوزا العوائق والسدود حتى أسلمنا  
الى بر الأمان والسلام .

ذلكم هو البطل

## جمال عبد الناصر

قمة الكفاح الشعبى وذروته ومنشئ الجمهورية العربية الحديثة .

# الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة
	الباب الأول
	كفاح الشعب المصرى للأطماع الفرنسية والانجليزية فى مطلع
٥	الفرز ١٩
٧	الكفاح الشعبى للحملة الفرنسية
١٩	الشعب المصرى يكافح استبداد محمد على
٢٥	الكفاح الشعبى للانجليز فى رشيد
	الباب الثانى
٣٥	الشعب والجيش فى الثورة العرابية
٣٧	أسس الثورة
٤٤	الجيش أمل الشعب
٥٥	الشعب والجيش يواجهان الاحتلال
	الباب الثالث
٦١	الشعب المصرى يكافح الاحتلال البريطانى
٦٣	الاحتلال لم يطفىء شعلة الثورة
٧٠	صور من الكفاح الشعبى للاحتلال
٧٧	ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩

## الباب الرابع

٩٧	الشعب بكافح الانجليز وأسرة محمد على .. .. .
٩٩	استقلال زائف .. .. .
١١٧	موقف الشعب من معاهدة ١٩٣٦ .. .. .
١٢٧	أسود الجيش ونسور الطيران .. .. .
١٤١	الكفاح الشعبى أثناء الحرب العالمية الثانية .. .. .

## الباب الخامس

١٦٥	الكفاح الشعبى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. .. .
١٦٧	الحركة الوطنية بعد نهاية الحرب العالمية .. .. .
١٧٥	كفاح الشعب المصرى من أجل فلسطين العربية .. .. .
١٨٣	مأساة شعب وخيانة ملك .. .. .

## الباب السادس

١٩٧	كفاح الشعب المصرى فى القنال بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ .. .. .
١٩٩	الشعب يجبر الحكومة على الغاء المعاهدة .. .. .
٢٠٧	كفاح الفدائيين الوطنيين فى القنال .. .. .
٢٢٥	موقعة كفر أحمد عبده .. .. .
٢٣٥	معركة التل الكبير .. .. .
٢٤٦	كفاح الشباب والشرطة .. .. .

## الباب السابع

٢٥٣	مقدمات ثورة الشعب فى يوليو ١٩٥٢ .. .. .
٢٥٥	روما الجديدة أو ( حريق القاهرة ) .. .. .
٢٧٤	تجمعات فى الجيش .. .. .
٢٨٥	رجال التشكيل فى فلسطين .. .. .
٢٨٩	بداية الانطلاق الثورى .. .. .

## الباب الثامن

٢٩٧	... .. ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
٢٩٩	... .. مشرق النور في ٢٣ يوليو ١٩٥٢
٣١٠	... .. خاتمة ملك ونهاية أسرة
٣١٣	... .. بناء مصر العظى
٣٢٠	... .. تأميم القناة
٣٣٢	... .. كفاح الشعب يهزم ثلاث دول

## الباب التاسع

٣٧٥	... .. من ثمار الكفاح
٣٧٦	... .. استقلال تام وديمقراطية سليمة
٣٧٨	... .. اشتراكية عربية
٣٨٤	... .. تحرير الوطن العربى وتحقيق الوحدة العربية
٣٩٤	... .. تحقيق الوحدة الافريقية والسلام العالمى
٤٠٥	... .. دفعة الاسلام والعالم الاسلامى





مؤسسة  
دار التحرير للطباعة والنشر







